البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الخامس عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الخامس عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الخامس عشر .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة
التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٤٦٦ ؛ ١٥,٥ X ٢٣,٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٤-٠٣-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٤-٠٣-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٦٢٩٢٧٣٧ بتاريخ ٢٠٢٥/٠٢/١٨م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد الخامس عشر	٧
• أحداث عام ١٦١١م	٩
• أحداث عام ١٦١٢م	١١٥
• أحداث عام ١٦١٣م	١٦٥
• أحداث عام ١٦١٤م	٢١١
• أحداث عام ١٦١٥م	٣٠٣
• أحداث عام ١٦١٦م	٣٣١
• أحداث عام ١٦١٧م	٣٤٥
دليل الباحثين	**٤٥١**
هوامش المجلد الخامس عشر	**٤٦٣**

مقدمة المجلد الخامس عشر

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث سبعة أعوام ، وهي من العام ١٦١١م إلى العام ١٦١٧م ، وكانت بداية تلك الأعوام ، الهزائم تتوالى على الأتراك والانتصارات للفرس .

في بداية عام ١٦١٢م ، اتخذ ملك فارس سفيراً له إنجليزياً يدعى "روبرت شيرلي" والذي بدأ بتجهيز السفن الإنجليزية في إنجلترا وإرسالها إلى مضيق هرمز ، وعلى الجانب الآخر ، قام الهولنديون بتجهيز السفن وتوجيهها إلى المحيط الهندي .

في بعثة الملك "فيليب" البرتغالي إلى الشاه عباس وصفٌ للمناطق التي تتبع ملك البرتغال وهي :

١- من موزمبيق إلى البحر الأحمر .

٢- من البحر الأحمر حتى جاسك ، بعد هرمز وفارس .

٣- من جاسك إلى عموم الهند .

في آخر المجلد دُونت أحداث الهند في الفترة من عام ١٦١٤م إلى عام ١٦١٧م ، كما جاء في كتاب تاريخ الهند للمؤرخ "أنطونيو بوكارو" "Antonio Bocarro" .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٦١١م

ورد تقرير عن الذي كان يحدث في البرتغال وولايات أخرى في الغرب منذ عام ١٦١٠م حتى الثامن والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١١م ، وذكر فيه أن الأتراك في هزائم والفرس في انتصارات حيث كسبوا صداقة شيوخ الجزيرة العربية ويهاجمون العراق : (١)

يواصل ملك بولندا في احتلاله في غزو "موسكوفي" "Moscovi" ؛ حيث لا يوجد سيد يحكم الناس ، كما أنهم منقسمون على أنفسهم ، وهو يحاصر مدينة "سمولنسك" "Smolensk" والتي كانت تدافع عن نفسها ضده بشجاعة وإصرار لعدة شهور ، وقامت العاصمة موسكو بإرسال سفراء إلى الملك ووافقت على أن يكون أحد أبنائه كحاكم ؛ إلا أنه حتى الآن لم يتم حثه للاستيلاء عليها ؛ لأن هذه القوة سوف تفقد سمعتها ومكانتها إذا قام برفع الحصار بدون الاستيلاء على المدينة ، ولقد

(١) رقم الوثيقة والهامش.

تم تحطيم المدينة الأساسية في بولندا نفسها تماماً بواسطة نشوب حريق مدمر ، وذلك لأن معظم المنازل مصنوعة من الخشب .

الأمور تسير بشكل سيء بالنسبة للأتراك ، ويتم إضعاف الإمبراطورية المترامية الأطراف في أماكن متعددة ؛ فالحاكم صغير ومحب للهو وليس مقاتلاً ؛ ففي الأناضول وآسيا الصغرى فإن معظم الشعوب قد ثارت ، وفي البحر لا يسلم أحد من المالطين والفلورنسيين ، وفي هذه السنة قام المالطيون بالاستيلاء على الجزء السابق من الأسطول المصري والذي كان يحمل الجزية .

كانت دولتا بابل والقاهرة في حالة ثورة ؛ حيث وقعت العديد من الأحداث نتيجة لانتصارات ملك فارس ، والذي نجح في كسب صداقة معظم شيوخ الجزيرة العربية ، وذهب إلى بابل ، وأصبح سيد كل شيء ، ومحاصراً للمدينة نفسها .

كرد فعل لهذه التطورات قام الأتراك بإرسال جيشين قويين ، حيث ذهب أحدهما إلى الأناضول حيث قام بالثورة على الباشا ، وذلك لعدم قيام الأخير بدفع رواتب الجند حيث قاموا بقتله وتحالفوا مع المتمردين وقاموا بالاستيلاء على أماكن بالقرب من القسطنطينية ، وقام الجيش الآخر بمصاحبة الوزير الكبير والذي أجزل لهم العطاء ودخلوا في مصر لمحاربة الفرس ، وعندما وصلوا إلى الإسكندرية أصيب الجنود بمرض الدسنتاريا .

توفي الكثيرون منهم من جراء ذلك ، كما قضى آخرون نتيجة مرض الطاعون ؛ وبسبب ذلك ونسبة لأنهم كانوا في انتظار أن يقوم التتار بمهاجمة الفرس كما وعدوا الأتراك بذلك إلا أنهم تأخروا لبعض الوقت حيث

تدهور الوضع بشكل خطير مما أعطى (الصفوي) فرصة لتحسين موقفه ، وعندما اتضح أن التتار لن يأتوا ذهبوا إلى بابل ؛ حيث خاضوا معركة مع الفرس وتمت هزيمتهم ، ونتج عن ذلك وقوع اضطرابات كبيرة في القسطنطينية ، واعتقد الأتراك أن هذه عقوبة من السماء فأمروا بإغلاق كل الحانات في القسطنطينية ، وذلك طلباً لعفو السماء .

كما تم أيضا اقتراح اتفاقية سلام لملك الفرس ؛ إلا أنها لم تقبل أو تشجع بواسطة التحالف الإسباني كما قيل ، وبسبب نجاحاته الأخرى .

هذا باختصار ما كان يحدث في تلك المناطق ، ورغبت أن أعطي سيادتكم معلومات عن هذا ، وأنا أدرك بأنك سوف تكون سعيداً بهذه الأنباء .

"إيفورا" "Ivora" في الثامن والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١١م .

وفي العام نفسه (١٦١١م)

صدرت المذكرات التي قام بأخذها "باشيكو" "Pacheco" ، والمتعلقة بالمقترحات التي جلبها سفراء مبارك ، المؤرخة في الخامس من شهر مارس لعام ١٦١١م : [٢]

العمود الأيسر :

مقــــترحات شــيخ فرحـــــان و"دوميــنجـــــوس بـــاشـيكــــو" "Domingos Pacheco" .

صورة من المذكرات التي قام بأخذها "باشيكو" ، والمتعلقة بالمقترحات التي جلبها سفراء مبارك .

١- الامتثال بما تم التعهد به ، وكضمانة للأسطول الذي قام بطلبه ، سوف يقوم الملك مبارك بإرسال ابنه أو على الأقل ثلاثة من أقاربه المعروفين كرهائن إلى قائد الأسطول بمجرد وصول الأسطول إلى النهر (المياه الحلوة) من البحر .

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

٢- سوف تتأكد بأن الملك قد قام بدفع عشرين ألف "بارودس" من "اللارين" ، والتي وعد بها للمساعدة في مصاريف تشغيل الأسطول المكون من عشرين سفينة ، والذي قام بطلبه ، وسوف يقوم بإرسال المال الذي سبق ذكره فوراً ، كما سيقوم بتزويد الأسطول بالمؤن الأخرى التي يحتاجها طيلة وجوده هناك ، بالإضافة إلى أنه سيقوم بدفع عشرة بارادوسات إلى كل جندي للإعاشة وكل ما يستطيع الحصول عليه للبحارة والقادة .

٣- سوف تضمن ، كما تم الوعد به ؛ أن يقوم الملك بمنح هذه الجزيرة والحصن المشيد عليها إلى دولة الهند وبشروط تفضيلية . إنه من المهم لك بشكل خاص أن تتوصل إلى الدخل السنوي لهذه الجزيرة وما هو مصدرها ، هذا إلى جانب عدد الرجال الذين يحتاج إليهم لحراسة الحصن ، وأيضا ما هي المدفعية ، وكم سيوزع على القائد والرجال المسلحين والمشاة ، وما هو المبلغ النقدي الذي يتبقى للخزانة الملكية كل سنة .

٤- لهذه المادة يجب إضافة وإعلان أن لجلالته سلطة تعيين الضباط في دار جمارك البصرة والذين يعتقد أنهم مؤهلون لتحصيل نصف الإيرادات للخزانة الملكية ونفس عدد الضباط للملك المذكور سابقاً أو أولئك الذين يعتقد بضرورتهم للقيام بتحصيل نصف دخلها . الدخول إلى البصرة يكون مفتوحاً لكل البرتغاليين والمسيحيين من دون فرض أيّ إتاوة عليهم ؛ بصرف النظر عن الرسوم المستحق سدادها لدار الجمارك مباشرة .

٥- سوف يقوم الأسطول بكل طريقة يستطيعها بتقديم المساعدة وسوف يقوم القائد وجنوده بأداء واجبهم ، وكل ما كانوا يؤدونه من دون التوجس من الخطر ، وإذا تم الاستيلاء على الحصن من الأتراك فإنه ليس صحيحاً أن يتبع إلى مبارك ، وسوف تضمن بأنه سوف يبقى مع دولة الهند ، وبالتالي وبهذه الطريقة فإن دخل دار جمارك البصرة سوف يكون مضموناً ، هذا إلى جانب الجزيرة والأماكن الأخرى التي تنتمي إليه ومنذ أن صرنا قادرين على الدفاع عنهم .

٦- إذا كان بمقدورك تطوير هذه المقترحات بأي طريقة ؛ فسوف تفعل ذلك على أحسن وجه ، بغَضّ النظر عما يمليه يميله " دوم جورج دي كاستيلو برانكو" "D . George de Castelo Branco" قائد هرمز بطريقة أخرى .

٧- إذا كان بسبب التوقعات بنتائج ناجحة ؛ فإنه من الممكن أن تذهب مع أسطول هرمز ، وسوف تضمن بأن الأسطول تم بناؤه كما أشرت في الأوامر الدائمة .

٨- سوف يولي حاكم هرمز وضباط الخزانة الأعلى اهتماماً خاصاً بهذه المادة ، وسوف يقومون بإعطائك ما يعتقدون أنه أكثر الأوامر ملائمة حولها ، وسوف تتصرف وفقاً لذلك .

٩- وسوف ينظرون أيضا إلى هذه المادة ليطلعوا على جزء مما تتضمنه ، فإذا تم حذف أي شيء ؛ فيجب أن يتم ذلك لمصلحة الخزانة الملكية وللزيادة الكبيرة في دار جمارك هرمز ، وسوف تتقيد بما يأمرك به القائد في هذا الموضوع .

١٠- أنه من المهم أن القائد وضباط خزانة هرمز الأعلى أن يقدرا ما تم بيانه حتى يتأكدا أن الذي تمت الإشارة إليه هو كذلك ، وعليك الاستفسار وأن تقوم بكل مجهود للوصول إلى معرفته .

١١- من محتوى هذه المادة ؛ فإنه من الضروري الحصول على معلومات بكل الوسائل الممكنة- ، وعما إذا كان المذكور فيها هو كذلك ، وإذا كان يمكن تطويرها وتنسيق الأشياء حتى يتم عملها .

١٢- هذا يبدو صعباً ، ولكن لأنه ليس هناك من شيء يخشى فقدانه بمراجعتها ، فالقائد وضباط الخزانة الأعلى وبعض الأشخاص أصحاب التجربة سوف يقومون بعمل مجهود في هرمز ، وبالمثل سوف تتصرف في المكان الذي تنوي الذهاب إليه حتى تخبرني عن هذا الموضوع إذا وجدت ما تم اقتراحه .

١٣- يبدو هذا صعباً ، ومع ذلك سوف يكون مفيداً إذا توصلوا إلى شيء حول هذا الموضوع في هرمز ، وستقوم بفعل المثل ، وذلك حتى تتأكد من صحة وشرعية هذا الموضوع .

١٤- هذا يبدو أكثر صعوبة ومهمة عسيرة ، ولكن حتى لا نظهر ترددنا في اتخاذ قرار فسوف تقوم بضمان أن الملك يمتثل بما تعهد به في هذه المادة ، وفي هرمز سوف يسعى القائد والضابط الأعلى للخزانة لإبلاغ أنفسهم عن هذا حتى يقدموا لي النصح بكل شيء آخر ، وسوف تقوم بعمل نفس الشيء .

١٥- حيث أكد هؤلاء السفراء في هذه المادة بأن لديهم تفويضاً وسلطة الادعاء من الملك للقسم معي باسمه ، وأن تقبلوا بكل شيء

مضمن في هذه المقترحات ، وسوف يكون من الأفضل إذا قام الملك بنفسه بفعل ذلك معك ، فلذا آمرك أن تتقيد وتمتثل للتعليمات والأوامر الدائمة التي يصدرها لك "دوم جورج دي كاستيلو برانكو" قائد هرمز ، وكأنها صادرة مني ، لأنه هو الشخص في مكان الحدث والقادر على الحصول على المزيد من المعلومات حول هذه الموضوعات إلى جانب أنه شخص له واجب ليهتم به .

سوف يكون قادراً على اقتراح ما هو الشيء الأنسب الذي يمكن عمله والذي يصب في مصلحة جلالته - ، ومع ذلك ففي هذه الحالة فإنك سوف تقوم بالنقل لهؤلاء السفراء أن يتم إنجاز ذلك حتى لا نصاب بخيبة الأمل ، وسوف تسعى لإنجاز كل شيء آمر به في هذه المواد والأوامر الدائمة ، وأن تتوصل إلى تقرير واضح ومؤكد ومكتمل حتى يمكن رؤية وفهم كل شيء .

العمود الأيمن :

صورة من المقترحات التي جاء بها سفراء الملك مبارك :

١- بمجرد وصول الأسطول الذي طلبه الملك إلى نهر المياه الحلوة ؛ فسوف يرسل تحت اسمه وكضمان له ابنه أو واحداً من أقاربه الخمسة والذين قام القائد بوضعهم كرهائن ، وحتى يتم الامتثال مع كل الذي تم الاتفاق عليه ؛ وفقاً للبنود المكتوبة أدناه .

٢- وسوف يقوم الملك بدفع عشرين ألف باردوس على أساس خمسة "لارين" للباردوس كمساعدة للأسطول المكون من عشرين سفينة ، بالإضافة إلى كل المؤن واللحم الذي ربما يحتاج إليه طيلة

وجوده هناك ، وفي رحلة العودة من الهند ، وسوف يقوم بتسليم هذه الأشياء بمجرد وصولهم في مياه النهر الحلوة .

٣- وعد الملك ببناء حصن في الجزيرة المسماة "غدري مرجي" ، ويتم بناؤها على حسابه الخاص على طول الطريق من البصرة إلى هرمز ، ويسلمها في المكان الذي يقترحه الكابتن وضباط جلالته ، وهذا ينتج عنه أربعين ألف باردوس لخمسة "لارينز" لصالح دولة الهند .

٤- يعد الملك بإعطاء دولة الهند نصف إيرادات دار جمارك البصرة ؛ حيث يتم وضع ضباط جلالته لفرض الرسوم ، والتي سوف تبدأ في اليوم الذي يتم فيه الاستيلاء على الحصن .

٥- لا يريد الملك للبرتغاليين أن يخاطروا بالقتال ، وأنه عندما طلب هذا الأسطول فكان يهدف لسلامة النقل لرجاله ، ومن أجل ذلك المتعلق بأراضي البصرة والبحر إذا أصبح من الضروري تحطيم الحصن .

٦- يساهم هذا العقد والعائد في خدمة الله وجلالته ؛ لأن الملوك السابقين ، فليريح الله أرواحهم ، قد رغبوا فيه بشدة ، وللوصول إلى تلك الغاية قاموا بإنفاق كمية مقدرة من المال .

٧- والآن ، فإنها لحظة مناسبة لتحطيم الأتراك وتركهم بلا حول ولا قوة ، ونتيجة لذلك سوف يكونون بلا حامية في البصرة ؛ لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على مساعدة من بغداد ؛ حيث تم قتل العديد من الأشخاص حيث كانوا يتقاتلون فيما بينهم ، وكان هذا الوضع يصب في مصلحتنا ، وربما قاموا بتسليم حصن البصرة لنا ، ولديّ تصديق بالاستسلام من السكان الذين يسكنون داخل الحصن .

٨- قام الملك بالاستيلاء على جميع الأراضي حتى ضواحي بغداد على ضفاف دجلة والفرات ، وقام بالاستيلاء على جميع الأراضي على ساحل البحر ، هذا إلى جانب تلك (في القرنة والرمانية) ، وبعد الاستيلاء عليها ذهب للاستيلاء على الطريق الذي يمكن من خلاله أن تأتي المساعدة إلى البصرة من بغداد وحلب ، والآن فلن يوافق بأن يسمح لأي سفينة بالعبور .

٩- أوضحت بأنه نسبة لأن الملك مبارك قام بالاستيلاء على القوافل والملاحة على نهري دجلة والفرات ؛ فإن دار جمارك هرمز لا تدر نصف ما كانت تقوم به من قبل ؛ لأن الطرق البحرية ونقاط العبور قد تم الاستيلاء عليها ، واليوم لا يملك إيرادات سوى ما تدره جزيرة مارجي وخط الساحل من هناك إلى البصرة .

١٠- إذا تم الاستيلاء على البصرة ، فإن دار جمارك هرمز سوف تجني إلى حد ما أكثر مما تدره الآن ؛ لأن الملك سيسمح للقوافل بالسفر من بغداد إلى حلب ، كما كان في السابق ومنذ ذلك فإنه من المعلوم أن الأتراك وما جاورهم من الملوك يقومون بشن الحرب ضد بعضهم البعض ، وليس هناك نقص في القوافل ، لذا فإن دولة الهند سوف تتلقى مائة ألف بارادوس ، هذا إلى جانب الأربعين ألف التي تأتي من جزيرة مارجي بالإضافة إلى إيراد دار الجمارك في البصرة .

١١- بقيامه بتقديم هذه المساعدة ؛ فإن الملك مبارك يؤدي خدمة كبيرة إلى الشاه وإلى حد يضع ضغطاً على قوة الأتراك ، وبذلك فلا تصله مساعدة أو طعام عن طريق الناس من بغداد وحلب .

١٢- إذا تم الاستيلاء على البصرة ؛ فإن مضيق هرمز سيكون آمناً ومغلقاً في وجه عرب النخيلات والذين هم في حالة ثورة هذه الأيام ومحرومين من المساعدة والسلطة لأنهم لا يستطيعون الإبحار إلى أي مكان ، وبالتالي فسوف يصبحون مرة أخرى تابعين لجلالته كما كانوا في الماضي ، وإذا رفضوا فسوف يمكن تدميرهم مباشرة بواسطة الأسطول والاستيلاء على أراضيهم بينما يقوم الملك مبارك في المساعدة في تحطيمهم بالرجال والسفن .

١٣- استولى الملك على كل أراضي البصرة وعلى مسافة خمسة أيام من السير ما بعد بغداد وحلب ، حيث يتحصل على جزية من هناك ، وسوف تكون أفضل إذا قام بالاستيلاء على البصرة ؛ لأنه سوف يقوم مباشرة بالاستيلاء على بغداد في عمق البلاد ، حيث إن الحصن ليست به قوات أو حامية ، ولأنه ولسنوات عديدة قام السكان والحكام بإرسال رسالة يطلبون من الملك مبارك التدخل ليسمح للقوافل والإمدادات بالعبور- ، وكان السكان قد أبدوا له بأنهم سوف يقومون بتسليم حصن بغداد .

١٤- وإذا قام بالاستيلاء على حلب ؛ فإن الملك مبارك سوف يمنح جلالته حصناً يقوم ببنائه على نفقته الخاصة في الميناء البحري ، وإن جلالته سوف يستلم نصف الإيرادات لبيت الجمارك ذلك إذا وافق على إعطاء الأسطول الذي يريده الملك .

١٥- ولكي يمكن تنفيذ هذا العقد أكد شيخ عبد الله مطلبي أنه وكيل مناسب للملك مبارك ، ومعه سلطات المدعي والمذيل بختمه

وإمضائه ، والذي هو كوكيل يمتلكها ، والتي سوف يبرزها عندما يكون ذلك ضرورياً وزميله "غونسالو دي أبريو" "Goncalo de Abrio" فهو كمدعي لسيدي مبارك معتاد على ختمه وإمضائه ، وأيضا وعد بأن كل شيء وعد به الملك مبارك سوف يتم تنفيذه .

إذا قام الملك بتنفيذ كل شيء تم الوعد به في هذه المقترحات في مسألة البصرة ، فإنه سيتم إطلاق سراح رهائنه حتى يمكنهم الرجوع بحرية إلى أرضهم ، مع تأكيد الصداقة ، وبعد أن أصبح الملك صديقاً لأصدقاء جلالته ، وعدواً لأعدائه - ، وهذه المقترحات قد تم توقيعها بواسطتنا نحن الشيخ عبد الله مطلبي "غونسالو دي آبريو" - في "غوا" في اليوم الخامس من مارس لعام ١٦١١م . شيخ عبد الله مطلبي . "غونسالو دي آبريو" .

وفي العام نفسه (١٦١١م)
بعث الملك رسالة إلى "روي لورنسو دي تافورا" "Rui Lorenco de Tavora" ، نائب الملك ، بتاريخ الثاني عشر من شهر مارس عام ١٦١١م ، ويذكر فيها أن مبارك المشعشع كاذب ولا يوثق به : (٣)

أبعث لك أنا الملك بعظيم تحياتي .

بعد إرسال الرسالة لطرفك ، والتي ستذهب عبر تلك الطرق وتتعلق بموضوع "مبارك" ، تلقينا رسائل من "الاسكندر بنتو" "Alexandre Bento" ، الذي يقيم في هذه البلاد ، يفيد فيها لنائب الملك وكبير الأساقفة الذي استدعاه ليطلعه بمعلومات عنهم ، وأشار بما رآه صحيحاً ، والذي أعتقد بصحته ، وما يتعلق بما وعد به "مبارك" وسيتم الإيفاء به .

على آية حال علم الآن أنه كاذب ، ولا يوثق به ، وإن البصرة بكل ما يدور حولها تعود لهذه الدولة ، وأنا سعيد ، وفيما يخص الملك الذي

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

يشن "مبارك" حرباً ضده ، وملك آخر "مجاو" ، وكليهما يملكان قوة ضعيفة ، وسيستسلمان إلى البرتغاليين ، وليس لأي أناس آخرين ، وإنه بدون مساعدة "مبارك" يمكنني أن آمر ببناء قلعة على نهر البصرة نفسه ، وإنني بواسطتها وبأسطول صغير يمكن كسب تلك الحرب كما وعد هو ، ومنطقة النهر خصبة ، وكل شيء متيسر ، وبدونها لا يمكن وجود مبنى جمارك ، وجزيرة "ترووديري" "Trudere" التي تقع داخلها مناسبة تماماً لكل شيء ولموارد الغذاء .

في تلك الجزيرة وعلى حدودها الكثير من مسيحيي "ساو جواو باتيستا" "Sao Joao Patista" الذين يشيدون القلاع ، ويؤدون وظائف أخرى ، وعندما يتوفر أسطول سينضمون إليه في الحال ، والذي يطلبه المسيحيون وهم يبكون ويتمنون أن يبنى لتحقيق الطاعة للكنيسة الرومانية .

أبلغت عبر وسائل أخرى عن رجال الدين الاثنين من "سانت أوغسطين" "Sant Augustin" اللذين ذهبا إلى هناك للتحاور مع "مبارك" الذي أجابهم بأنه على استعداد لتقديم ابنه كرهينة لما وعد القيام به ، لكنه لا يملك مبلغ العشرين ألف "أشرفي" ، الخاصة بالأسطول ، لكنه سيبعث بخيول بقيمة عشرة آلاف "أشرفي" ، وسيسدد النصف الآخر متى ما وصلته أموال ، لكن بما أنه يتماطل ، فإن "الاسكندر بنتو" سيتقدم بسفينته ليضع نفسه عند مصب نهر البصرة .

بينما يقوم هو بتطويق المدينة من البحر ؛ لأنه ولحقيقة بسيطة بوجوده هناك ، وفهم الأتراك بأنه يتلقى العون من البرتغاليين ، يمكن الاستيلاء عليها ، وعند تنفيذ ذلك فإنه سيتنازل عن كل ما وعد به ، ومن خلال

إذعانه لذلك أصابه الامتعاض فذهب إلى البصرة دون التحدث مرة أخرى لرجال الدين ، وسحب منهم تسعة ريالات دفعها لهم عن منصرفاتهم حتى إنه فيما بعد أعادها لهم .

لاحظ رجال الدين المذكورون وقبطان السفينة والبقية أن تصميم الملك كان يريد أن يرى بمساعدة أسطولي أن يتمكن من الاستيلاء على البصرة ؛ لأن الأمر كان عبارة عن خيانة ، وأنه مع أقربائه وجيرانه استولوا على كل ما أمسكوا به ، ولم يدفعوا لمكتب الجمارك ما وعد به ، وبسهولة سيترك ابنه بسعر رخيص ، بل بأقل ما يمكن كونه متأكداً من سداد عشرين ألف"أشرفي" من أجل مدينة جميلة مثل البصرة ، وسيبقى القليل له في الجزيرة .

لأنه وبدون مساعدته يمكن تشييدها بوجود أربع سفن في الحراسة مع القليل من الأعمال والنفقات ، وإن كان على"Sabes" الصوفي؟ الصابي أن يطير إليها كشخص يخدم "مبارك" ، وقاد رجال الدين لفهم المسألة ؛ فيمكنهم هم أيضا عندما يكتمل بناء القلعة بناء على أوامري ، وللحظة يمكن تجاهل ما يقول ولا حتى كل ما يقوله المسلمون .

وصلت رسائل إلى بابل من نفس رجال الدين ، ومن "فيليبي دي ميرولو" "Philippe de Mirolo" بأنهم لم يتحدثوا أبدا مرة أخرى مع الملك ، وأنهم على وشك المغادرة هذه الليلة وليس لهم ما يقومون به معه ، ولا حتى في موضوع مسيحيي "ساو جواو" لأنهم لم يعمّدوا أي أحد ، وليس معهم ما يقدمونه له ، وظلوا على حالهم .

في رسالة المذكور "فيليبي دي ميرولو" ، التي كتبها في جوا بتاريخ

العاشــر مـن يناير عام ١٦٠٩م ، قدم إفادة عن سفراء بعث بهم "مبارك" ... إلخ .

عليه رأيت من الصحيح أن أبعث لك بتلك المعلومات ، وآمرك بالنظر فيها والبحث عن معلومات تظهر الحقيقة ، ومما قد تجده وما يمكن أن تقدمه تلك الدولة ستقوم بتنفيذه ، واضعاً دائماً أمامك الهدف بالاستيلاء على البصرة ، إما عن طريق معاهدة بواسطة تقديم رشاوي ، أو بأي وسيلة أخرى ممكنة ، خاصة عندما تعلم بصورة مؤكدة إن الباشا قد احتل بابل ؛ لأن ذلك سيكون له أهمية كبرى خاصة إن رغبته في ذلك كبيرة ، وإن الأتراك سيفرحهم أن يقدموها لتلك الدولة .

كتب في لشبونه

بتاريخ الثاني عشر من شهر مارس عام ١٦١١م

"ماركيز دي كاستيلو رودريجو" "Marques de Castelo Roderiguo" .

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦١١م)

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، تتعلق بالأوضاع في هرمز والبحرين ، فاستعادة البحرين أمان لهرمز ومكاسب من اللؤلؤ ، في الخامس عشر من شهر مارس لعام ١٦١١م : [٤]

إلى صديقي ونائب الملك في الهند "روي لورنسو دي تافورا"

بوصفي الملك ؛ أبعث لك بتحياتي الزائدة . بعدما أمرت بكتابة الخطابات والتي تذهب بهذه الواسطة ؛ تم استلام رسالة من محمد شاه والذي يعمل في حكومة مملكة هرمز ، والذي قام فيها بتذكيري بأن أقوم بوضع حد للبحرين ، كما قام أيضا بتذكيري بأن العدو يملك أكثر من ألف ومائتين من السفن ، وهذا العدد آخذ في الازدياد حيث لم يقم قادة الأساطيل بإرسال أسطول ليقوم بإحراقها إذا كان هذا ضرورياً ، وكما كان يفعل ملوك هرمز في الماضي حيث كانوا يقومون كل سنة بإرسال عشرة مراكب .

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

حيث يقومون بواسطتها بالاستيلاء وحرق أي سفن يجدونها ، وأضاف بأنه إذا لم نقم بعمل شيء بأسرع وقت ممكن ؛ فإنه يعلم علم اليقين بأنهم مصممون على الذهاب لمهاجمة هرمز ، وهو يخشى أن شيئاً سوف يحدث للحصن .

منذ أمد لم يقم القادة بدفع رواتب الجنود ، وأولئك الذين لم يتم الدفع لهم يقومون بتنفيذ أعمال تخل بالنظام ، ولا يوجد أحد في الحصن ، وهناك إذاً العديد من العرب والفرس الذين ينتظرون الفرصة للانقضاض على الحصن ، وأولئك الذين ذهبوا إلى هناك واصلوا عداءهم نسبة للعنف الذي يعاملونهم به .

في رسالة بتاريخ التاسع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٠٩م كتبت من بلاد "مبارك" قام فيها "الاسكندر بنتو دا فونسيكا" "Alexandre Bento da Vonsica" بتقديم النصح لي ، حيث ذكر بأنه ذهب إلى هناك مع "الأوغسطينيين" ، وأن حصن البحرين لا فائدة ترجى منه نسبة لأنه على مسافة رمية البندقية من البحر ، وتم تشييده على المناطق الضحلة ، لذا فلا يمكن لأي سفينة أن تقوم بالإبحار هناك وأن أي مركب يريد أن يفعل ذلك فلا بد من مد بحري عالي .

كما أن السفن التي تذهب للتجارة مع "بنامار" ، والتي تعتبر المدينة الرئيسة لا يمكن مهاجمتها أو الدفاع عنها .

يوجد هناك العديد من مثل هذه السفن ، وحيث إنه من الصعوبة منع الماء والمؤن الغذائية أو صيد اللؤلؤ والذي يوجد على مسافة نصف فرسخ من المدينة ، وهي تعتبر نقطة حصينة ومتكاملة ، وإذا ما تم إرسال

أسطول إلى هناك فينبغي عليه عدم التعامل مع الحصن ، بل يقوم بالاستيلاء على المدينة بسهولة حيث لا توجد مقاومة هناك نسبة للعدد القليل للسكان الموجودين داخل المدينة أو في الجزيرة بأكملها والذي لا يتجاوز ثمانمائة رجل لا ترجى فائدة منهم ، وتأتي السفن قريباً من الشاطئ حيث ترسو بسلام ومعها مدفعيتها .

في المدينة وفي منازل أحد المسلمين ويدعى "خميس بو مسلمو" ، فيمكن تشييد ملاذ آمن أو محطة من الخشب من المنازل الأخرى حيث يمكن للعديد من الناس الاحتماء بها ومعهم المدفعية والضروريات الأخرى ، وستكون هذه المنازل قوية وجاهزة حيث لا يمكن حصارها إلا عن طريق البحر .

هناك أنا السيد المطلق ومعي أساطيلي ، ولا يملك العدو المدفعية اللازمة التي يمكنه بها إلحاق الهزيمة بي ، ولا يستطيعون القيام بعمل أي شيء بدون مساعدة والتي يمكن مدهم بها ؛ حيث إن الأساطيل وقادتها متمرسون وتوجد على الأرض مؤن كافية ومياه يتم تنظيمها على الساحل ، وأي واحد في الجزيرة بأكملها يتمنى أن يذهب الأسطول إلى هناك ، وهم يطالبون بذلك ، وهناك العديد من "Amadazes" والذين كانوا دائما مخلصين في خدمتي .

إن الاستيلاء على الجزيرة يحتاج فقط إلى عدد يتراوح ما بين الثمانمائة إلى ألف من الجنود البرتغاليين ؛ حيث يأتي سبعمائة منهم من الهند في أربع عشرة سفينة ، ويأتي ثلاثمائة من هرمز في ست سفن ، وحتى إذا توفر نصف هذا العدد فإن الغزو لن يرجأ ؛ لأن بعض الرجال

والذين يمثلون ملك هرمز يمكنهم الذهاب في سفنه ، ويوجد في القطيف حوالي ثمانمائة من "Amadazes" المسلمين ، وهم من أولئك الذين تعودوا على العيش في البحرين ، وهم مخلصون .

قد وعدوا في مرات عديدة المساعدة في هذا الغزو ، وفي الوقت الذي توفى فيه السلطان فقد تصادف وجوده هناك ومعه سفينتان ، وإذا ما كانت معه أربع سفن فكان بإمكانه الاستيلاء عليها ، وبعد عرضه دفع مائة ألف من "الباردوس" من "اللارين" تم إبلاغه بأنه يمكنه الاستيلاء عليها بدون معارضة ، وإذا كانوا يملكون سفناً أكثر فيمكنهم الهجوم .

إذا تم القيام بذلك ، فإنه من دون شك فإن الرجال الموجودين في الحصن سوف يستسلمون بكل سهولة وبكل تواضع ، نسبة لأنهم رجال لا يستطيعون تحمل المشاق ومسرفون داخل حصونهم إلى جانب أنهم مولوعون بحب المال والحياة الرغدة .

بخصوص هذا الموضوع فإنه تم تلقي أخبار في البرتغال من بعض أصحاب الخبرة في تلك المناطق حيث أبلغ واحد منهم أنه من المناسب تنفيذ ما تم الإدلاء به عالية ، وذلك لسمعة ومكانة الدولة على السواء ، هذا إلى جانب أمن حصن هرمز والحصون الأخرى ، وذلك إذا أصبح الأتراك سادة البحرين فسوف يتحصلون على الكثير من الأخشاب حيث يمكنهم بناء المراكب والسفن الشراعية الكبيرة .

إن الغضب الذي ربما يبديه الشاه تجاه إعادة الاستيلاء لن يكون رد فعل حيث إنه تم أخذه من عبيدي ، ونسبة لمصالحه في تجارة هرمز فسيكون مؤذياً له ، والخسارة التي سوف يسببها لخزانته سوف

تضعضعه ، وهذا مما يجعله مخادعاً ، وإذا أصر فإنه لا يملك سفناً للقيام بذلك ، ولن تتعرض إيرادات جماركي لأي خسارة .

عندما يتم إعادة الاحتلال هذا ؛ فإنه يتعين على الأسطول أن يكون جاهزاً من دون الكشف عن وجهته ، ومستعداً للمغادرة في فبراير ، وذلك ليصل إلى البحرين في مارس ، وهي أفضل الأوقات للقيام بمثل هذا العمل ، وعلى الرجال عدم النزول إلى البر ، وعليهم الاكتفاء بشن الحرب في البحر ، وذلك حتى يتجنبوا الإصابة بالأمراض والشجار وإعاقة أي مساعدة .

يستحسن ألا يتوقف الأسطول الذي سوف يأتي من الهند في أي ميناء في المضيق أو في هرمز حتى ولو لساعة واحدة حتى لا يعلم الشاه أو قادته به ، وعليهم التحرك أثناء الليل حتى يكونون بعيدين عن الأنظار في هرمز بين الجزيرة والجزيرة العربية ، وعندما يمر الأسطول ؛ فعليهم إخطار قائد هرمز بأن يقوم بتموينهم .

أخبرني واحد من هؤلاء الأشخاص بأنه من أجل القيام بهذه الحملة فإن أسطولاً قوامه ثلاثين سفينة وتسعمائة رجل سوف يكون ضرورياً ، حيث يقوم بمغادرة "غوا" في نهاية مارس لأنه بعد ذلك ، سوف يبدأ الشتاء وتقل حركة التجارة وتتوقف الأطواف من وإلى المكان الذاهبين إليه ، فإن الصيف قد بدأ .

بالتالي فإن خزانتي سوف لن تتعرض للخسارة ما دمنا قد أخبرنا قائد هرمز في البداية عما يجول بخاطرنا حتى نتقابل مع السفن والتي استولت على الموانئ والتي يستطيع العدو في حصن البحرين الحصول على العون منها ، ويتعين عمل ذلك بمثل هذه السرية حتى لا يستطيعون اكتشاف ما الذي يحدث .

يجب إضافة سفينة إلى هذا الأسطول يمكنها الإبحار في المياه الأقل ضحالة ، والتي يمكنها أن تبحر في القنوات ، والتي سوف تقوم بحمل ستة مدافع وبعض الذخيرة والأشياء الضرورية للهجوم والدفاع ، وهذا الأسطول سوف لن يستولي على أي ميناء سوى البحرين ، وهذه المهمة يجب أن تنجز في أقل وقت ممكن - ، وكما يبدو فإن الأطواف سوف ترجع هاربة .

أما بالنسبة لإنزال الرجال وقصف الحصن فهذا سوف يتم من دون إبطاء حتى يمكن تحقيق الانتصار بسهولة كبيرة ، وحتى لا تأتي أي مساعدة إلى العدو ، وأن لا تصاب القوات بالمرض ، ولا يسمح للمسلمين بالانضمام إلينا بحجة أنهم أصدقاؤنا وتابعون لنا باستثناء القليلين والذين تثق هرمز فيهم وهم معروفون بذلك .

سيكون من السهولة بمكان حماية البحرين من الأتراك حيث توضع حسابات تحسباً لنواياهم ، ولأنهم سوف يوافقون تقريباً على بقائها في قبضتي ، ونسبة للمؤامرات التي عانوا منها في بلادهم ، ونسبة لافتقارهم للسفن التي يستخدمونها في البحر ، بينما كان للفرس حوالي ثمانمائة سفينة ، وحصن البحرين محاط بالمياه الضحلة ، وهو حصين فيما يتعلق بموقفه الدفاعي الواقي ، وأن الأسوار والقنوات التي تحيط به يمكن الإبحار فيها بواسطة مراكب خفيفة لا يمكنها توصيل أي دعم مؤثر بواسطتها ؛ لأن القنوات محروسة بواسطة السفن .

لابد من منع العدو من تغيير مساره وفي سعيه لنهب المدينة عبر بعض الموانئ وبقيامه بمهاجمة حصن "غمبرون" ، وهذا الحصن ينبغي

أن تتم تقويته أولاً حتى يمكن الدفاع عنه ، أو يتم تحطيمه ، وألا يتم أخذ لا السفن ولا الرجال من هرمز ، وأولئك الرجال الذين على الأرض سوف يقومون بحماية جزيرتي قشم وهرمز .

إذا استمرت الحرب ؛ فإن خزانتي سوف تتعرض لخسارة أي شيء تدره دار جمارك هرمز ، هذا إلى جانب أي شيء تحتاجه من الهند للمصروفات والمؤن ، وسوف تغلق الطرق ، وأن سكان هرمز سوف لن يخاطروا بأن تتعرض بضائعهم للمخاطر ، لذا فسوف يقومون بفتح الطريق من السند إلى فارس لأهل فارس .

إذا قاموا بفعل ذلك سريعاً ؛ فإن الأمور سوف توضع في نصابها في الوقت المناسب بشكل أكثر أمناً من ذي قبل ، وعند إتمام حملة البحرين فإنه يمكن ترك حامية برتغالية هناك والحاكم المسلم ومعه أربع سفن لحماية البحر ، أما السكان الأصليون والأشخاص الآخرون والذين يجب عليهم الذهاب إلى الجزيرة مباشرة فسوف يقومون بدفع كل النفقات ، وبالتالي فإن خزانتي سوف تزيد ، بينما الإتاوات التي درجوا على دفعها إلى الشاه سوف تقل .

يمكن لبقية الأسطول الوصول إلى "غوا" في نهاية سبتمبر -بداية الصيف ، عندما يتم أخذ هذه التحويطات ؛ فإن المهمة يجب أن تنفذ ، وأن الهدنة في جزيرة هرمز وفي كل المضيق قد تم إنجازها ، كما يمكن إيقاف جميع خطط الشاه المدمرة ، بينما معظم سفنه والتي كان يمكنه التسبب في المشاكل بواسطتها سوف يتم تقليل عددها ، وإلا فإنها سوف لن تسمح برحلة صيد اللؤلؤ والتي تعتبر المصدر الوحيد للرزق

وعيشهم ، وسوف تزداد خزانتي ، إلى جانب سمعتي ورصيدي مع دول الجوار .

لقد تلقيت أيضا معلومات من مصادر مختلفة بأنها فكرة جيدة إعادة احتلال الجزيرة حتى يكون حصن هرمز وشؤونه في أمان ؛ حيث إنه يواجه مخاطر كبيرة وسط أعدائنا الأقوياء مثل الأتراك والفرس ، والذين يطمعون فيه ويسعون للاستيلاء عليه ، وفي حالة الاستيلاء عليه فسوف تفقد فارس الأمل في امتلاكه نسبة ؛ لأن السفن والمؤن سوف تتم إزالتها من هناك وسيتمكن خدمي ، والذين يقيمون قريباً من هناك ، من أخذ كل شيء في المضيق . هذا إلى جانب مزارع اللؤلؤ وأشياء أخرى سوف تتلقاها خزانتي عند الاستيلاء على البحرين .

عند أخذي هذه المعلومات في الحسبان ، خطر لي أنه في حال قيامي باتخاذ قرار مناسب في هذا الموضوع فسوف يكون من المناسب إعطاء الأولوية لأي شيء أقرره عن نوايا فارس المتعلقة مما هما الاثنان من سفرائه المتواجدين في بلاطي اللذان يمكن الحصول منهما على بعض النتائج المفيدة ، ومنذ أن تم تحقيق السلام والصداقة مع ذلك الملك ، إلى جانب التجارة بين أتباعي وأتباعه ، وبما أنه في هذه اللحظة يمسك بزمام السلطة في البحرين ، وله حامية هناك ؛ فإن تلك الجزيرة لا يمكن الاستيلاء عليها بقوة السلاح .

بالتالي بدا لي أنه يتعين عليّ أن أبدي لك النصح عبر هذه المعلومات وآمرك أن تقلب كل الاحتمالات وأن تقوم بإبلاغي عما تعتقده ؛ ما لم تتلق أوامر مخالفة مني عما كتبته لي في الرد على هذا فلا تقم باتخاذ

مبادرة جديدة في هذا الموضوع ، وعلى أية حال فإنه من المهم أن حصن هرمز آمن .

بالتالي فإن لم تقم حتى الآن بإرسال قائد الأسطول إلى هناك والذي أمرته بالتواجد هناك ، فعليك أن تعمل على أن يذهب إلى هناك فوراً ، وأن تأمره بحزم أن تطبيقه عملياً ركوب البحر بما لا يضر بسلامة تلك المنطقة ، وأن تراقب أنه يقوم بتنفيذ هذه الأوامر والتي أصدرتها بالكامل ؛ لأن هناك سبعمائة من الحراس في حصن هرمز المذكور سابقاً .

على أساس ألا يكون هناك إهمالاً لا في دخولهم أو حراستهم أو نومهم في الحصن ؛ لذا فإن الحصن والمدينة نفسها سوف يتم تحصينهما مثل ما حدث في "غمبرون" . لأنه بصرف النظر عن ضمان أمن الحامية بهذه الطريقة ؛ فإن هذا الإجراء الوقائي سوف يتم أخذه بحيث يكون من المناسب إعادة احتلال تلك الجزيرة بقوة السلاح ، أو فيمكن تنفيذها بسرية عندما يكون ذلك ضرورياً .

بهذا سوف يقدم لك للجنرال تنويراً عن أمر القديس "دومينيك" "Dominique" ، والذي يمنع فيه ممارسة كل أنواع التجارة لرجال الدين الذين ينتمون لتلك الطريقة ... إلخ .

تمت كتابتها في "لشبونه" بتاريخ الثالث عشر من شهر مارس عام ١٦١١م . "ماركيز دي كاستيلو رودريجو" - "الكونت أميرال"

على الغلاف : بتوقيع الملك - إلى نائب الملك في الهند - واسطة ثانية .

وفي العام نفسه (١٦١١م)
دوّن وصف الرحلات إلى الهند في عهود الحكم البرتغالي ، ووصف المنطقة العربية (القدس تاريخياً) ، الأب "جاسبار دي برناردينو" "Gaspar de Bernardino" ، بتاريخ عام ١٦١١م : (٥)

الفصل العاشر : غادرنا سقطرى ، واجهْنا عاصفة هوجاء ، رسَوْنا في فارس ووصلنا إلى هرمز بعد أن تزودنا بالمياه ، واشترى البحارة ، وباعوا أشياء لآخرين جاءوا بها من "باتي" "Pate" ذلك الغرض ، أخبرنا الرُّبّان في حالة ذهابنا للشاطئ علينا العودة بسرعة ؛ لأن الظروف كانت مواتية عندها للمغادرة ، وقد كان مصمّما بأن يبحر في ذلك المساء .

بهذا التحذير تجمعنا نحن البرتغاليون ، وذهبنا إلى المزار الذي كنسناه ونظفناه كأحسن ما يكون ، بينما ذهب الآخرون ليجمعوا سعف النخيل لتزيينه .

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

عندما أصبحت الكنيسة مرتبة أنشدنا الابتهالات ، وأدينا الصلاة للمسيح الرسول وقديسين آخرين لمدّنا بالقوة وعوننا فيما يواجهنا من صعوبات .

عندما انتهينا من كل ذلك ، كتبنا أسماءنا خارج الضريح ثم صعدنا على ظهر السفينة .

مررنا ونحن في طريقنا بصديقنا الربان العربي الذي بالرغم من كونه كان كافراً لكنه أبدى أسفه لغيابنا الطويل ومغادرتنا ، كان يعلم طول الطريق الذي كان علينا قطعه وظل جالسا على الشاطئ يراقبنا ، وكأنه قد نسي نفسه واضعاً وجهه على إحدى يديه ، مما جعلنا نحكم على حاله الذي يعبر عن الحزن والاستغراق في الحلم والقلق ، رفعْنا شراعنا وهو يراقبنا وتركناه ، ولم نسمع عنه بعدها إطلاقاً .

أردت على الوجه الخصوص أن آتي إلى البرتغال بصليب صغير من المزار لأنني كنت مؤمناً بأن الرسول القديس (توما) "توماس" "Thomas" قد بنى ذلك المزار بيديه ، لكن كل جهودي وكل الهدايا التي وعدت بها لم تكن كافية في الحصول عليه .

رفعنا مراسينا من الجزيرة في الساعة الخامسة مساءً ، وعندما أصبحنا بعيدين في طريقنا نحو الجزيرة العربية هدأت الرياح لدرجة السكون ، ولم نستطع التقدم أكثر من أربعين فرسخاً في ثمانية أيام .

ضرب البحارة ظهر السفينة بالحبال وشتموها بكلمات بذيئة كونها كسولة وبطيئة ، مثلما يفعل ال(Nairs) بالأفيال في الهند! في أوقات أخرى كانوا يصيحون منادين الرياح وكأنهم صيادون ينادون على صقورهم .

عندما أبديت اندهاشي وسألتهم عن سبب كل ذلك ، فقالوا إن ذلك هو الأسلوب الأكيد لتحفيز السفن وجعْلها تُسْرع .

في اليوم التاسع ونحن مستمرون في الإبحار بكل المصاعب التي يسببها لنا البحر ، طلبنا من رجل منا أن يصعد لأعلى الصاري ويراقب ؛ بعد بقائه هناك لفترة طويلة ، بدأ يصرخ "اليابسة! اليابسة! الجزيرة العربية أمامنا!

فرِحْنا جميعاً لتلك الأخبار ، ومن ثَمّ ظهرت اليابسة ، وأصبحنا قريبين منها .

كانت (الجزيرة العربية) تقع بين مضيقي مكة و البصرة ، وبينهما إلى الجنوب يقع البحر الذي نبحر فيه حالياً ، كانت تسمى السعيدة ، "فيليكس" "Filex" ، أو "Fortunate" لأنها أجمل المناطق العربية الثلاثة ، فيها الكثير من المدن وغنية في التجارة والبضائع . بها الكثير من الجمال والأغنام مع الكثير أيضا من الخيول الأصيلة الحقيقية والقوية التي تتحمل الجوع والعطش أكثر من غيرها ، هناك أيضا الكثير من البخور والصمغ المر وأفضل الفواكه في تلك الأنحاء .

تحيط بها (الجزيرة العربية) ثلاثة بحار : البحر الأحمر ، المحيط الجنوبي ، والبحر الفارسي . محمد كان مواطنا من ذلك البلد طبقاً لما ذكره المسلمون ، و"فيسنتي روكا" "Vicente Roca" ، في مذكراته (تاريخ الأتراك) "Historia Turquesca" وأيضا ولد القديسان "كوسمو" "Cosmo" و"داميان" "Damian" هناك . في الجزء الشرقي لسيدنا الملك توجد قلعة مسقط .

المواطنون هم سلالة إسماعيل بن إبراهيم من زوجته هاجر ، ولذلك

يسمون الـ "Hagarenes" ، بينما أولئك من زوجته "سارة" فيسمون "Saracens" ، ويسمـــى الإقليم الانباط "Nabarthea" المشتق من "Naboth" ابن إسماعيل البكر و"Sabea" المشتق من سبأ "Sheba" ابن أوز ، حفيد "Shem" الحفيد الأكبر لنوح . أولئك كانوا القوم الذين حاول الأخوة الأعداء أن يبيعوهم دم يوسف ، وهنا نتيجة لذنوبنا ظهر دين محمد الذي انتشر وأمتد في أصقاع بعيدة من العالم ، وهنا يقال إن الطائر الذي يدعى العنقاء قد ولد (إن كان مثل هذا الطائر موجوداً على ظهر البسيطة) .

هنا أرض معرضة أكثر من غيرها للشمس التي تخترق أشعتها بحرارتها التي لا توصف ، والتي لا شتاء فيها ولا مطر ، القليل منها يسقط خلال السنة ، ويكاد أن يكون نادراً ، بالرغم من أن الليالي ينتشر فيها الندى الكثيف الذي يكفي ليملأ كل أوروبا بالسيول .

هنا رأينا مدينة ظفار ، تقع على بعد أربعين فرسخاً إلى الشمال من رأس فرتك ، ومن ثَمّ بعد ذلك جزر كوريا موريا ورأس مدركة وخليج "سانت بيدرو" "Sant Pedro" ومصيرة حتى وصلنا إلى رأس الحد .

رأينا تلك المناطق كل يوم فرحين لتقدمنا بنجاح ناسين أن الأفراح في غالبها نذر لعسر وضيق وقلق ، رأينا ذلك جلياً ، لأنه وفي اليوم التالي كان الأول من شهر يوليو ونحن على بعد مائتي فرسخ من سوقطرة آَملين الدخول إلى الخليج الفارسي ، عندما هبت علينا رياح قوية وعنيفة اقتنعنا بأن لا أمل لنا حتى في النجاة .

كانت العاصفة رهيبة ، وبما أن المركب الذي كنا عليه كان صغيراً

فقد تسرب إلى داخله الماء من كل الأماكن . ارتفعت الأمواج كالجبال وأسود الطقس ، وحَلّ الليل وكنا نسمع هسيس الجبال ، وفي وقت قصير عانى المركب الكثير حتى ظننا أنه سينفجر إلى نصفين ويأخذنا معه إلى القاع ، كانت المياه كثيرة بحيث إنه حتى المضخات التي استخدمت دون توقف لم تكن كافية للتخلص منها .

ألقينا الحبال وربطناها على جنبات المركب كإجراء للضرورة ، نخترع كل الأشياء كما حدثنا "زينوفون" "Xinophon" و"كوينتوس كيرتيس" "Quintos Curtes" بما يسمونها محاولة كل العلاجات الممكنة بالرغم من أنها جميعها لم تكن ذات فائدة .

نحن نرى قلة فائدة الجهود التي بذلناها أصدرنا أوامرنا بأن نجعلها تواصل حسبما تهب الرياح وأينما تأخذنا الأمواج ، طالما أن المركب لم يكن قادراً على مواجهة المصائب التي ساقنا إليها حظنا العاثر .

استمر كل ذلك لثلاثة أيام وقد أخذتنا الرياح باتجاه السند . بالرغم من تغيير الرياح لاتجاهها إلا أن غضبها استمر ولم يتوقف ؛ لأن المحن لا تتغير بسهولة .

في وسط كل هذه الكارثة ، صرخ الربان قائلاً : "انزلوا كل الأشرعة! لقد انكسرت الدفة!" . من السهولة تصور شعورنا في هذا الموقف عندما سمعنا هذه الكلمات المفجعة .

كم هو ما يدين به المسيحي لك . منقذنا ، عندما يتوجه له بأسراره في دار العبادة وينعم بالسلام والهدوء ، وليس مسافراً عبر اليابسة أو البحر أو يمر بتجارب اضطراب الطقس ومتغيرات الحظ التي تكثر

وتتبع الإنسان . مرة تنكسر الدفة ، أملنا في الحياة ، وقد انكسرت ، يتخبط القارب في كل الاتجاهات وتتنازع قلوبنا وأرواحنا الكثير من الأمور ، أحياناً تبدو الأمواج الهادرة وهي ترفعنا إلى عنان السماء ، وأحياناً أخرى تدفعنا أحياء في لج المياه وعمقها السحيق ، فاقدين كل أمل في الحياة أعددنا أنفسنا للموت .

قد بدأنا ندرك أنه وفي خلال ساعات علينا أن نقدم بياناً عن أعمالنا . بدأ الجميع بالاعتراف سائلين الرب العفو والرحمة وألا يتركنا لوحدنا مع مصائرنا لهذه الفجيعة التي ألمت بأرواحنا .

بعد عدة أيام جاءت الرحمة الإلهية لمد العون لنا محررة لنا من تلك المعاناة والكدر ، وفي خضم كل تلك الكوارث يمدنا بعونه ولطفه وإحسانه ، وصلنا في ذلك اليوم إلى ميناء في البر الرئيس لفارس وفي مكان يسمى "تيزي" (Teze) على بعد ستة وخمسين فرسخاً من هرمز ؛ حيث التقينا بربان عربي .

كان هو ومن معه يجهزون سفينة صغيرة يسمونها في تلك الأنحاء (terrada) وهو مركب صغير بصاري واحد ، طراد . اتفقنا معه على أن يأخذنا من هناك إلى هرمز ؛ لأن قبطاننا كان في حالة صدمة جراء العاصفة ، ولا تبدو عليه مظاهر الحياة ؛ ناهيك عن قدرته على قيادة سفينة .

لم يكن ذلك أمراً مدهشاً لنكبات بهذه الفظاعة ، خاصة هذا الذي مررنا به ليجعل من أي شخص في حالة عجز تام مهما كانت شجاعته وقوته . حالما صعد الربان العربي على سطح المركب ، وانطلق هدأت نفوسنا ، واستمر ذلك الحال طيلة وجودنا في المضيق .

استمر ذلك الوضع ليومين دون أن نحرز أي تقدم ، وفي اليوم الثالث رأينا طراداً آخر فارداً شراعه واتجهنا نحوه ، بعثنا بعض البرتغاليين مع بنادقهم على زورق السفينة للصعود عليه ، وثم القبض عليه بسهولة ، اتفقنا مع قائده ، دفعنا له عشرة "كروزادوس" ليأخذنا إلى هرمز ؛ كنا ستة من البرتغاليين وشخصي ومرافقي وبعض الأسرى الأفارقة ، وصعدنا على ظهره والقبطان مع البقية ظلوا في السفينة غير راغبين في تركها لقلة المياه التي كنا نحملها معنا .

كنا نشرب بحرص بالغ لثلاثة أيام ، وذلك لأنه وخلال العاصفة تكسرت كل حاويات المياه عند ارتطامها ببعضها البعض ، وبقيت اثنتان فقط لم تكن كبيرة الحجم والتي كنا نشرب منها بأقل القليل عندما تصهرنا الحرارة وتلفح أجسادنا .

لعلاج ذلك النقص رأينا أن علينا أن نتجه نحو مرفأ في فارس لمكان يسمى "مبارك" بالقرب من "رأس جاسك" "Jask Cape" ، وقد قمنا بذلك .

عندما رَسَوْنا لم يجرؤ أي برتغالي بالذهاب للبحث عن المياه خوفاً من أن يُلْقي المسلمون القبض عليهم . فكرت في أن أضحي بنفسي لحاجتنا الملحة للمياه فعرضت أن أذهب للبحث عنها شخصياً ، وأردت أن يأتي معي شخص واحد لحملها معي . تطوع أحد الجنود من "لشبونه" القيام بذلك ، هو ومعه خمسة من المسلمين الذين يعرفون المنطقة والعديد من الرماة الذين يسمونهم هناك (Caloes) انطلقنا باتجاه القلعة .

كانت المسافة فرسخاً على اليابسة عبر الرمال من المدخل الذي بقيت فيه السفينة مع بقية الرفاق . انطلقنا بطول الشاطئ المليء

بحيوانات السرطان حيث من الصعوبة أن نجد مكاناً لوضع أقدامنا على الأرض ؛ مما يدل على عدم وجود أناس في المنطقة تطأ أقدامهم تلك الأماكن كثيراً .

عند وصولنا إلى القلعة التي كانت قديمة وقد تهدمت جدرانها الطينية ، لم نشاهد أحداً ، ولا أي مسلم من أبناء المنطقة ، لكن على بعد نصف فرسخ رأينا قرية أخرى بها قلعة فاتجهنا نحوها .

في طريقنا إليها قابلنا اثنين من الفرس ، وسألهم رجالنا أين يمكن أن نجد بعض الماء . أشاروا لنا ناحية بعض حقول أشجار النخيل على مسافة وقالوا إن هناك نبع ماء تحت الأشجار ، ولا يعرفون مكاناً آخر أقرب من ذلك .

كنت تعباً ، لأنني لم أكن متعوداً على المشي ، وثانياً لأن الطريق كان عبر تلال رملية كانت شديدة الارتفاع لم أواجه مثلها طيلة الرحلة . كانت الشمس مشرقة بشكل كبير لشخص عانى من العطش لأكثر من يومين ، ولم أجرؤ على الاستمرار معهم إلى الينبوع ، وتركتهم مضطراً وذهبت وحدي إلى القرية التي كانت على مقربة .

قبل أن نفترق سألتهم كيف أطلب ماءً باللغة المحلية وقالوا لي "ماجي" "Magi" .

دخلت المكان يغمرني الخوف ودون رغبة مني لكن لم يكن من الأمر بد . جاءني بعض الرجال ، وبدأوا بالحديث معي وألقوا بعض الأسئلة . لم أستطع فهمهم أو التحدث بأي شيء سوى كلمة "ماجي" أعدتها مرات عديدة ، فهموا من الإشارات التي قمت بها بأنني أريد

ماء وقدموها لي مرات كثيرة إلا أنها لم تكن كافية . في أقل من نصف ساعــة من وصولي للقرية أحاط بي جمهور غفير من المسلمين بمن فيهم النساء والأطفال الذين جاءوا لرؤيتي ، وسألني كلٌّ منهم ما بدا له من الأسئلة .

بقيتُ صامتاً حتى ظن البعض أنني كنت أصمَّ وأبكماً ، وآخرون اعتبروني جاسوساً ، كنت في حالة مثل كل من لم يكن يوماً في وضع كهذا . في هذه اللحظة وصل اثنان من المسلمين الذين التقيتهم في الطريق فأخبروا الآخرين بأن سفينتي راسية على الشاطئ ، وأن زملائي ذهبوا إلى النبع الذي أشاروا لهم به .

اندهش الجميع للملابس التي كنت أرتديها لأنني لم أكن أبدو كبرتغالي في الزي الذي كنت أرتديه ، ولم يعرفوا من أي الأمم أنا ، حيث لم يشاهدوا شخصاً مثلي من قبل .

بعثوا برسالة إلى قائد القلعة الذي جاء في الحال مع بعض الرجال وكان في أبهى حلة على الطريقة الفارسية مع سيوف منحنية . عندما رأيت العدد الكبير من الرجال والجنود وكنت قد تركت بعيداً قليلاً من القوم ذهبت في اتجاههم ورفعت بصري للمساء وقلت : " احفظني وأسبغ رحمتك علي" .

تقدمتُ للأمام وذهبت لتحية أولئك الذين يقتربون مني ، ويعلم الله الآمال والكرب الذي أنا فيه ؛ لكنني كان لابد أن أبدي الفضل والأريحية متى ما دعت الضرورة . يملؤني الخوف في داخلي لكنني أظهرت البشاشة ومبدياً عدم الاكتراث ، اتجهت نحو الشخص الذي

بدا وكأنه القائد ، ودون أي حديث وبكل التواضع ألقيت بنفسي تحت قدميه وأمسكت بهما .

ضحك القائد وبعيون مبتسمة أخذني بيده وقال : " أيها الأب ، ما الذي جاء بك لهذه البلاد ، بعيداً عن الهند؟

عندما سمعت أحداً يتحدث البرتغالية في مكان لم أتوقع أن أسمعها فيه انعقد لساني ، وبكيت فرحاً ، ولم أستطع التحدث لأرد عليه .

حتى الآن قليلة هي الكلمات التي يمكن أن أصف بها ما أحسست به في ذلك الوقت ؛ لأن الأشياء التي تمس القلب قليل التعبير عنها عند وصفها .

باختصار ، احتضنني القائد طالباً مني عدم الخوف ؛ لأنني في داره . بعث بالذين كانوا في رفقته وذهبنا معاً إلى القلعة التي يسكن فيها .

جمع كل أتباعه ومن معه وسألني كيف وصلت إلى هنا؟ ومتى أتيت؟ وإلى أين أذهب؟

قدمت له شرحاً بكل الأحداث التي جرت منذ مغادرتي "غوا" وحتى حينه .

بينما أنا أقص عليه حياتي ومغامراتي شرح كل ذلك لقومه والرجال الحاضرين . اندهشوا جميعاً لسماع ذلك ، لكن الذي أدهشهم أكثر من كل ذلك عندما قال لهم القائد إنني كاهن مسيحي ، وإن هناك الكثيرين من أمثالي في البرتغال والهند الذين تحتم وظائفهم أن يعيشوا على الصدقات والاستجداء من باب لآخر حباً في الله ، وهذا لا يمنعنا

عن نبل الاعتبار والتقدير المشرف من قبل الأمراء والملوك في كل العالم ، لكن نعامل نحن بكل الحب والاحترام والكياسة ، وأن هناك العديد من الناس الذين هجروا الثروة والألقاب والأملاك فقط لخدمة الرب بتلك الطريقة المتواضعة .

بعد ذلك أخبرهم بالكثير من الأشياء المشابهة ، ولم يرفعوا أبصارهم عني ، ولم ينطقوا بكلمة واحدة حتى لا يقاطعوا حديث القائد الذي استعموا له بكل سعادة ، ثم التفت الي وقال : " يا أبتاه ، لقد قضيت وقتاً طويلاً في "غوا" "Goa" و"شول" "Chaul" و"باسين" "Bassin" و"ديو" "Diu" ، وها أنا الآن أحدث لأولئك الناس عن رهبان القديس "فرانسيس" "Francis" ، ولهذا هم في غاية الدهشة والانبهار" .

وصل في تلك اللحظة الجندي البرتغالي ، وعندما رآني قبل ردائي بكثير من التبجيل الذي لاحظه كل المسلمين واعتبروه أمراً جيداً ، لأنه في مثل تلك المواقف لا ينظر الرجال العقلاء لأي شيء آخر .

رحب به القائد الذي أمر لنا بالطعام واعتبر أمر خدمتنا شيئاً عظيم التميز ، بينما نحن نأكل أمر القائد بإعداد بعض الطعام الخفيف المنعش ، وغادرنا بعد ذلك نحو السفينة وهو برفقتنا ومعه مجموعة من الجنود الحراس ، بعد أن شاهدنا معظم القربة التي لم يكن فيها شيئاً مميزاً سوى القلعة التي شيدت من الطوب الطيني .

زملائي والآخرون الذي بقوا معه كانوا على الشاطئ يائسين على الأغلب من عودتي ، متوقعين أنني قد سجنت وذلك لانقضاء أكثر من ست ساعات منذ أن غادرت مجموعة الجنود . العرب الذين معنا

وأحضروا المياه أخبروهم بأننا في القرية التي لم يدخلوها ، هم في خضم تلك المعطيات السالبة ؛ شاهدونا! لكن برؤية العديد من الجنود والقوم ظنوا بأننا ألقي القبض علينا وأنهم جاءوا فقط لقبض الفدية عنا .

التقطوا أسلحتهم ، لكنهم عندما اقتربوا أشرت لهم أن يهدأوا ، لأننا كنا جميعاً أصدقاء ؛ تَعانق الجميع والأفارقة بطريقتهم أيضا حيّوا القائد الذي ابتهج لرؤيته هذه المشاعر الرائعة .

احتفلنا جميعاً تلك الليلة ، وابتهجنا كثيراً للرفقة . استأذن القائد ومجموعته قبل طلوع النهار ، ثم نشرنا أشرعتنا وواصلنا الرحلة .

بعد يومين ، في يوم السبت الثامن عشر من شهر يونيو ، بعد أكثر من شهر ونصف بعد مغادرتنا ممباسا وصلنا إلى هرمز . بعد أن رسونا ذهبنا إلى سكن في دير "سانت أوغسطين" الذي دخلناه برفقة العديد من الناس من مسيحيين ووثنيين .

بعد أن صلينا وقدمنا شكرنا لله على وصولنا سالمين ؛ وصل الإخوة وألقوا بأنفسهم تحت أقدامنا واحتضنوها ، وقمنا بالمثل معهم .

هنا زارنا قائد القلعة "دوم بيدرو كوتينهو" "D . Pedro Coutinho" الذي أطلعناه على أخبار تحطم السفينتين . حزن الجميع على مفقوديهم ، لكن فرحوا من ناحية أخرى لرؤيتنا .

زرنا في ذلك اليوم القائد ، وفي اليوم التالي الملك المسلم في هرمز السلطان فيرو شاه الذي رحب بنا بكثير من الفرح ؛ لأن أعمالنا تكافأ فقط بنفس الأسلوب .

بعد ثلاثة أيام وصل مركبنا الذي تركناه خلفنا ، جاء الجميع لزيارتنا في الدير حتى من المسلمون .

بقينا هنا لعدة شهور شاهدت فيها الكثير الذي يستحق التنويه عنه وتسجيله ، ولأن الكثير منها كان حاضراً فسأقوم بذكرها في الفصل التالي .

الحادي عشر : كتب الكثيرون عن جزيرة هرمز ، يصفون الوضع فيها ، المظهر وعادات المدينة ، لكنني لا يمكن أن أمنع نفسي من ربط ما لاحظته ورأيته هناك ، لأنه وكما قيل فإن الزمن يغير كل شيء ، قد يكون ذلك الآن مختلفاً مما كان عليه طالما أن كل الأشياء مختلفة عما كانت عليه في السابق .

"جواو دي باروس" "Joao de Barros" ، و"تيتوس ليفي" "Titus Levi" البرتغالي يناقش أمر هذه الجزيرة في العقد الثالث ويقول إن اسمها في الحقيقة هو "جارون" "Jaron" ، وأن هرمز كانت مدينة على البر الرئيس الفارسي الذي يعرف الآن بكونه "موغستان" "Mogustan" "هرمز القديمة" ؛ لأن سكانها كانوا دائما مضطهدين ويتحرش بهم الفرس ، لذلك قرروا التحول من "جارون" ، وبهذه الهجرة من البر الرئيس فقدت الجزيرة اسمها القديم ، وحصلت على الاسم الذي تعرف به اليوم . بالرغم من أنه ليس ملكها .

موقعها هو نفس المضيق الفارسي ، الذي يسميه "بليني" "Pliny" البحر البابلي ، وآخرون يسمونه مضيق البصرة .

المدينة معروفة بين الجميع في آسيا ، أولاً لأنها أقرب مكان للهند

وصله الأتراك ، وثانياً لأنها تحدد البداية والنهاية للمضيق الذي يصب فيه النهران الشهيران ، الفرات ودجلة .

للكثير من المؤلفين آراء مختلفة عن هذا : "فلافيوس جوزيفوس" "Flavius Josephus" ، "سينيكا" "Seneca" التراجيدي ، البرتغالي "فالادارس" "Valadares" ، وكثيرون آخرون يعبرون على أن تلك الأنهار تصب في البحر الأحمر وليس في أي مكان آخر .

عندما فكرت في الأسباب التي يؤمنون بها لتلك المسألة لم أجد أياً منها ؛ لأنهم قد يقصدون أما أن الخليج الفارسي يسحب البحر الأحمر ، أو أن النهرين يصبان في البحر الأحمر ، وذلك مثل قول إن نهر "الدورو" يصب في البحر الأبيض المتوسط أو أن "التاجوس" أو "ريزيري" يصبان في "موديجو" "Modego" ، وإن كانوا أكثر غباء فيصرون أن دجلة والفرات يدخلان في البحر الأحمر لأنهما يبعدان عنه بأكثر من خمسمائة فرسخ ، بينما النهران لا يبعدان سوى ثمانين فرسخاً عن البحر الأبيض المتوسط .

إن كان هناك من يشك في ذلك ، فلينظر إلى الخريطة والتي هي الحكم النهائي ، إن كان هناك من يؤكد أن المحيط الذي تضرب أمواجه سواحل الجزيرة العربية (بلاد العرب السعيدة) اسمه البحر الأحمر ، وأن الخليج الفارسي له أيضا نفس الاسم ؛ فإن عليهم عدم الاعتقاد في وجود ما يعرف بالخليج الفارسي ، وأن المحيط قد فقد اسمه وأنها كلها بحر واحد . لا يمكن أن يكون هناك خطأ أسوأ من ذلك .

لقد ركزت على هذه التفاصيل ؛ لأنني شاهدت كل تلك البحار ، وإن

كان أولئك الذين يحملون الفكرة المخالفة لرأيي ؛ فإنهم لم يروها . كل من يقرأ ما كتب الأب "دييجو فيليبس بارجومات" "Diego Philips Bargomat" سيجد أنه يحمل ويعزز نفس رأيي .

لعدم ضياع الوقت في حوارات عمن يملك الأكثر صدقاً مما عندي ، فإنه للشمال من هرمز يوجد البحر الهندي وللجنوب المضيق ، ثلاثة فراسخ للشرق تقع فارس وتسعة فراسخ للغرب تقع بلاد العرب السعيدة . يبلغ محيطها الأربعة فراسخ ، لا يوجد فيها سوى الملح ، الكبريت ، الرماد وعروق من المغرة .

البعض يقول إنه في الأزمنة القديمة كانت توجد فوهات بركانية خرج منها الرماد الذي نراه الآن .

عاش المسلمون هنا في أمن وسلام وقناعة (في حرية وفرتها لهم طائفتهم البغيضة) حيث هم منغمسون في عاداتهم البغيضة ومعاصيهم وهم غير مكترثين لحالات تقلّب الحظ ، حيث عندما قام الشهير ومثال الشجاعة للضباط "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" الذي أذهل العالم بإحضار أسطوله بالرسو في هذه الجزيرة ، كان الملك حينها سيف الدين ، الثاني الذي يحمل نفس الاسم وآخر أولئك الذين امتلكوها منذ القدم ؛ إلا أنها أصبحت خاضعة لتاج البرتغال كما هي حالياً .

لا يوجد هناك لا نبع ولا نهر باستثناء ثلاثة آبار في مكان يسمى "توروم باغ" "Turum Bag" على بعد فرسخ من مساكن المواطنين ، ولم تكن تستخدم بسبب بعدها ، ولأنها قليلة المياه ، وذلك بسبب قلة

هطول الأمطار ، وهي أقل نسبة عن أي مكان آخر في الهند ، لكنها يغمرها الندى غير المعتاد في تلك الأماكن ، لكن برغم ديمومته وهطوله خلال الليل في كل يوم فليس بالقدر الكافي لينمو العشب والأشجار .

برغم من وجود أشجار النخيل في حديقة الملك ، إلا أنها تروى بالماء من آبار "توروم باغ" . لا توجد أسطح من القرميد ، والتي توجد عادة في كل أراض المسلمين ، لكن ليست في هذه المدينة الخالية من الأسوار . المنازل عالية جميلة وشيدت بطريقة رائعة بالرغم من أنها مهدمة . قرأت لمؤلف يسميها المدينة الهيكل بسبب أبراج التهوية المشيدة مثل المداخن مع فتحات تتخللها لتهب منها الرياح نحو الداخل "البراجيل" تبرد المنازل خلال فصل الصيف الذي يتصف بحراره تفوق كل المدن الأخرى في العالم .

إذا كان سكان مدينة "غوردا" "Gorda" في البرتغال يقولون عن شدة البرد في فصل الشتاء والثلاثة شهور لفصل الصيف بأنها قطعة من جهنم ؛ فإن أهالي هرمز ، ولهم الحق تماما في القول ، إن أشهر الشتاء الثلاثة هي الصيف والأشهر التسعة الأخرى هي جهنم .

إنها عادة محلية حيث يأخذ الجميع أسرتهم إلى شرفات المنازل أو أسطح المنازل والنوم هناك . أسرة مصنوعة من الجلود ينامون عليها ، بينما المقتدرون يأمرون زنوجهم باستخدام بعض الأشياء يهبونها عليهم أثناء نومهم . في هذا الموسم تنام كل الأحياء خارج الأبواب ، حتى الخيول على شاطئ البحر حتى لا تختنق .

المرء يحس بالعطف فقط على معاناة السجناء . ليُرِحِ الرب النساء

الحوامل ، ويأتي وقت مخاضهن بالليل في ذلك الهواء الرطب والندى الجميل ، وأن يستلقي المرضى وهم في كامل نظافتهم على السطوح دون أذى .

رأيت يوما زنجياً توفي وأخذ للدفن تتبعه أمه وهي تنوح نواحاً شديداً ، وكان سبب وفاته أنه خرج في وضح النهار وأصيب بضربة شمس ، توفي في الحال بعد أن عاد إلى منزله .

بالرغم من كل ذلك يقول المسلمين إن العالم عبارة عن خاتم ، وهرمز هي ماسة ذلك الخاتم .

لا أعتقد أن هذا يعد خطأ كبيراً ، لأنها مدينة صحيحة جداً ، غنية ويتوفر فيها كل شيء يحتاجه الإنسان ، إنها أفضل ميناء في كل الهند ، وهي المكان الذي يؤمه الكثير من الأجانب ، وهناك توجد دائما سفن من دول عديدة .

كثيرة هي المؤن التي هناك ومتنوعة ، وذلك لأنها تأتي من الخارج ، ومن الصعوبة أن تصدق ذلك ، كل تلك الفواكه الطازجة والمربى التي تأتي من البرتغال والكستناء والكرز التي لم أشاهد مثلها .

يوجد العديد من الأغنام التي تُعرف بذات الخمسة أرباع لأنهم يعتبرون الذنب الممتلئ بالشحم ربعاً خامساً الذي يشبه لحمه القرع ، ويستخدمونه كدهن .

هناك لحوم أخرى من الدجاج والجمل ، وأنواع أخرى عديدة تباع في ساحة السوق التي يسمونها البازار ، مغلياً أو محمصاً أو بأي طريقة

يطلبها الزبون ، غاية في النظافة وكان رخيصاً جداً ، كلها تباع عن طريق الوزن دون أي غش أو احتيال .

الماء فقط يباع بتقدير كميته وكل شيء آخر حسب القياس حتى العلف وحطب الوقود . كل تلك المؤن والسلع تأتي من فارس إلى المدينة على ظهر المراكب أو القوارب والأطواف التي تستخدم بصورة عامة وباستمرار .

يوجد نوع من الحجارة في هرمز تبني منه المنازل ويعرف بحجر " السمك" لأنه لا يغطس إلى قاع المياه ويظل يطفو دائماً ، ومن ناحية أخرى هناك نوع من الأعشاب يعرف بـ "horra" ، وتنمو أشجاره تحت الماء وإذا ما ألقى في المياه فإنه يغوص للأعماق ، وعندما يؤخذ للخارج ويوضع على النار يحترق مثل خشب الزيتون ، ولا شيء غيره يستخدم في الطبخ .

ولذلك هناك قول في الهند (في أي بلد يتم البحث عن حطب الوقود في البحر وعن الملح في الغابة؟") والإجابة هي ، (في هذه الجزيرة) .

تهبّ كثيراً رياح تعرف ب (الصريم) ، وهي كل ما هبت بقوة كانت الحرارة غير محتملة ؛ فإن غطيت نفسك ستشعر بالبرد ، وإن تخلصت مما عليك من ملابس اختنقت بفعل الحرارة . بهذه الخاصية يصبح الماء في وعاء بارداً جداً حتى يتعذر شرابه .

أعتقد صعوبة تصديق كل ذلك لأي شخص لم يمر بتلك التجربة أو سمع عنها ، لكنني أيضا أعلم أن هناك الكثير من الشهود لهذه الحقيقة في البرتغال .

هناك العديد من العجائب أكثر من هذا الذي ذكرت في هذا العالم ولا تدهش ؛ فأولئك الذين يجوبون العالم ويشاهدون الكثير الأكثر روعة وأشياء أعتقد أنها لا تصدق ؛ خاصة من قبل الذين تنشأ عدم مصداقيتهم للأشياء لضعف أرواحهم وحب الفضول والاستطلاع القليل عندهم .

يعشق المواطنون المحليون الموسيقى والشعر كثيراً ، ويستمتعون بالتاريخ والآثار القديمة . أحياناً عندما ذهبنا أنا ورفيقي لزيارة الملك رأينا مسلماً عجوزاً في القصر ، يقرأ قصص الإسكندر الأكبر و"داريوس" الذي كان ملكاً لفارس ، والذي كان يتحدث بقوة وطاقة وروح حتى يبدو أحياناً وكأنه يتحدى العالم ، وفي أحيان أخرى كان يتحدث بكل رقة حتى تعتقد أنه يعرف سوء الحظ أو يتحسر على الموت ، وكان يستمع له الكثير من الناس وكأن إنقاذهم ونجدتهم تعتمد عليه .

لا يستطيع المسلمون حمل سلاح باستثناء في حالة سفرهم في رحلات طويلة ، وهذا يمكن ملاحظته في كل مدن وبلدات تركيا ، إذا ما سمح لأي منهم ، عن طريق إحسان من الملك أو من شخص له سلطة ونفوذ ، بأن يحمل سلاحاً في المدينة التي يعيش فيها ، ورفع سيفه ضد أي شخص آخر فإنه يعاقب بشدة ؛ لأن ذلك مخالف لدينه ، الذي يأمر بأن تستخدم الأسلحة فقط ضد أعدائه ؛ عندما يجتاحهم الغضب ويصبحون ملزمين في البحث على العقوبة ؛ فإنهم يضعون أسلحتهم على الأرض ، ويتم حسم الأمر عن طريق الصفعات والرفس .

أي مسلم أو تركي يهدد الآخر حتى وإن لم ينفذ التهديد فقد

يعاقب بالموت ، وينطبق نفس الشيء على أي شخص يجرح شخصاً آخر حتى وإن لم يقتله ؛ لهذا السبب يوجد القليل من المعاقين أو المقعدين بين أولئك الكفار ، بخلاف ما يوجد في الهند ، حيث إن الرجل الذي يهدد أو يتحدى أو يجرح غالبا ما يكون غير مسلم ، وإما من زميل أو صديق – فيعتبر الأكثر جرأة وشجاعة ، وأولئك الرجال لا يعتبرون أن كل تلك الأفعال الشائنة تعكس أرواحهم الشريرة والخبيثة ، لكن يترك ذلك للرب لأنه هو وحده الذي يأتي منه العلاج والشفاء .

أكثر العملات شيوعاً هو (الفالوز – الفلوس) –"الفلس" ، والذي يسمى في الهند "بازاروكو" وفي البرتغال "ريال" هناك عملة أخرى من الفضة ، وتسمى "لاريم" "لارين" التي تساوي أربعة "فنتين" ، وأخرى تسمى "صكيم" وتساوي واحداً ونصف "بارداوس" أي ستة "توستويس" في هرمز .

كل تلك العملات و"الباتاكوس" الإسباني خاصتنا سارية ، وصالحة للتداول في أي مكان ؛ خاصة "ألباتاكا" .

بعيداً عن إسبانيا فإنها الأعلى قيمة ، ولا يمكن القول إن هناك غيرها حسبما نعرف حتى الآن .

عائدات مكتب الجمارك في هذه المدينة رائعة ؛ لأن كل شيء يأتي من أوروبا إلى آسيا أو العكس يمر عبره ، خاصة تجارة الخيول التي توفر عائدات ضخمة لأنها لا تذهب للهند دون أوامر من هرمز .

على مسافة قليلة من المدينة تقع القلعة التي أمر الملك "جواو الثالث" "Joao III" بأن تبنى لتكون الأقوى وغير الممكن اختراقها طالما

أن رئاستها تأتي بالشرف والربح الوفير ، وفي داخلها يوجد خمسمائة من الجنود البرتغاليين ، وبها ساحة التدريب خاصتهم وغرفة الحراسة .

توجد ثلاثة صهاريج ضخمة بالداخل لا تسحب منها المياه إلا في حالة الحصار والضرورة القصوى ، ولهذا السبب فإنها في أغلب الأحيان مملوءة بالمياه .

هناك مَبْنَيان آخران تصنع فيهما الذخيرة ، وأيضا يوجد ستون مدفعاً ثقيلاً من البرونز ، وسبعة حصون عالية وأجراس مراقبة بنفس العدد والتي تقرع في مساكن البرتغاليين ليلاً ، وكان يحيط بها من ناحية البر خندق عريض وعميق مع جسر للمرور يمد عند العبور عليه .

عند الدخول إلى بوابة القلعة فإن أول ما تشاهده هو تمثال "أفونسو دي البوكيرك" ، فلترقد روحه في سلام بإذن الرب ، ويلبس لحية تصل حتى وسطه .

يختلف عما يلبسه الرجال حالياً ، والتي يضعونها على رؤوسهم (شعر مستعار) ، ونرى نفس التمثال في "غوا" وفي "ملقا" وهي المدن الثلاثة التي تعتبر مفاتيح الهند ، والتي استولى عليها جميعاً من المسلمين ، كما قرأها أولئك من الـ "Commentaries" ووثائق تاريخية أخرى للهند . رأيت الكثير من الرجال الذين يرفعون قبعاتهم لذلك التمثال وكأنه القديس .

بالمدينة خمس كنائس ومسجدان للمسلمين مع مئذنة رائعة في الوسط ومعبد لليهود .

بما أنني ذكرت كل تلك الأشياء ؛ فإنني سأنسب أكثر العجائب في العالم وهي أن ترى رجلا من اليهود والذي أشار لي عليه أحد

"الأوغسطينيين" والذي كان يطعم طفلا وهو يضمه إلى صدره وكأنه أمه ، أعلم أنني أخاطر بما لي من مصداقية ، وأنا أقص هذه الرواية العجيبة ، لكن كل من ينتابه الشك فليقرأ للأب "جواو دوس سانكتوس" إثيوبيا الشرق – (Ethiopia Oriental) والتي أشار فيه إلى رؤيته في مدينة "سوفالا" أحد الكفار ويدعى بيتر ، الذي عندما توفيت زوجته أطعم طفلة له من صدره قرابة عام كامل ، و"جابرائيل ريبيلو" "Gabrael Rebeillo" في بحثه ورسالته التي كانت عن "المالوكاس" يقول إنه رأى في القلعة تيساً يُرضع بعض صغار الأغنام ، وكأنه الأم .

السكان المحليون الذين يسكنون هنا وهم المسلمون ممن يعتنقون دين محمد (صلى الله عليه وسلم) لهم مقابرهم وأضرحتهم خارج المدينة ، عندما ذهبت لرؤيتها كنوع من الفضول رأينا مسلماً تبعه العديد من الكلاب ، وكان يلقي لها بالطعام عند قبور معينة . يبدو أنه يفعل ذلك على أرواح أولئك الأموات .

أبديت دهشتي عن كونه يلقي ذلك الطعام للكلاب ، وكان أجدى أن يقدم ذلك للمساكين والفقراء ؛ أجابني بأن الفقراء يعرفون كيف يستجدون الصدقات ، وهناك الكثيرون الذين يقدمون لهم الخير ، لكن لا أحد يفعل أي شيء للكلاب ؛ لأنها كلاب وهي لا تعرف كيف تستجدي .

أخبرني بعد ذلك عن معجزة قدّمها الرب لامرأة مسلمة عجوز كانت في طريقها عبر الصحراء من مصر إلى المدينة لزيارة قبر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ، رفعت جسداً وروحاً للسماء بسبب

تصدقها وإطعامها كلباً ، وقد أشار بذلك في صوت إنساني لقوم كانوا في قافلة مرت بالمكان حيث حدثت تلك القصة .

أذكر نفس الرواية والتي ذكرت في (Turquesca) التي كتبها "فيسنتي روكا" ؛ قد تكون فقط هي الكلاب التي تؤمن بقصص عن الكلاب ، لكنني لا أريد أن أنكر هذه الصدقة وذلك الخير وأنا أرى القليل منها بين المسيحيين ، وهو ما أشكو منه ، ولكن لأن عمل ذلك سيكون خارجِ التزاماتي ؛ فسأتغاضى عنه مع الأسف الشديد ؛ لأن الآخرين في أَخَويتي يعانون منه أيضا .

خلف تلك المقبرة سلسلةٌ من التلال المليئة بعروق من المغرة ، الكبريت ، الملح والرماد ، وعند القمة يوجد مزار يسمى "نوسا سينهورا دا بنها" "Nosa Senhora de Benha" ، وقد أعطي لها الاسم للتشابه الكبير الذي بينها وبين تلك التي في "سنترا" "Sentra" ؛ في أحد أيام السبت عندما ذهبت ومعي رفيقي إلى هناك للقيام بالقداس .

أخبرنا الناسك (الذي كان هناك نيابة عن الرهبان "الأوغسطينيين") أنه وفي كل سنة يمكن الشعور به يعلو ويهبط (الكنيسة أيضا بدرجة قليلة) ، والسبب في ذلك هي عروق الملح والكبريت التي تظهر وتكبر ثم تختفي بتقاطعات حسب ظهور القمر ؛ مثل البحر في فصل الربيع وحدوث المد والجزر .

بعد أن شاهدنا الأشياء التي تستحق الاهتمام ؛ أعددنا أنفسنا للمغادرة . عندما علم الناس ، وذلك في منتهى السخاء وبروح من فعل الخير ، عرضوا أن يوفّروا لنا كل ما تحتاجه وخاصة القائد الّذي

كان في ذلك الوقت ، هو "دوم بيدرو كويتنهو" ، وقد قدّم لنا هبة من كمية كبيرة من الأشياء ، والتي مقارنة لما كان يودّ تقديمه تعتبر قليلة .

ملك هرمز ، أخوة الكرسي الكنسي وكل البرتغاليين وزعيم الهندوس فعلوا نفس الشيء ، لكن الأبرز من بينهم جميعاً كان العضو الثالث بين الرهبان "الفرانسسكان" الأخ "أنطونيو دي الكاسوفا" "Antonio de Alcacova" ، وزوجته وعائلته ، لأننا في كل مرة نذهب إلى منزلهم كانوا يقبّلون أرجلنا التي دائماً ما تكون دائما مليئة بالعرق والغبار ، ومعتبرين أنفسهم غير جديرين بتقبيل أردية الكهنة التي نلبسها .

كان هذا مثل "دونا ياكوبا دي سبتم سوليز" "Dona Yaquoba de Septem Soles" ، رئيسه رومانية وقيمه عند وفاة الأب الملائكي الحارس لعرش الرب .

الفصل الثاني عشر : عند جمْعنا الأشياء التي سنأخذها معنا ، وظّفنا مترجماً قام بكل شيء ، وكان الاتفاق معه أن يأخذنا إلى مدينة حلب في تركيا ، ويقوم بتزويدنا بكل متطلباتنا على نفقته ، وحتى الدواء الذي جاء به معه بقدر ما استطاع .

ذهبنا لنأخذ الإذن من الملك بالمغادرة ، ونطلب منه نيابة عن ملك إسبانيا إن كان هناك أي شيء يرغب فيه حتى نقوم بترتيب ذلك وخدمته ، لكن ليس من الضروري القول أكثر من ذلك .

رافقنا حتى آخر القاعة حيث أطلعنا على لوحة لجلالته بالألوان ، حيث أبدينا جميعا مدى روعتها بكلمات طيبة .

قدمنا له كل مشاعر الشكر والامتنان للحب والولاء الذي أبداه تجاهنا ؛ لأن المسلمين لا يحبون الصور ، ولا يسمحون بوجودها في منازلهم معتبرين أنها تجلب سوء الحظ .

أيضا ؛ أخذنا الإذن من القائد وشخصيات أخرى هامة في المدينة ، وأخيرا من القساوسة "الأوغسطينيين" الذين رافقونا مع آخرين إلى رصيف الميناء حيث صعَدنا على ظهر السفينة .

بعد ثلاث ساعات دخلنا مرفأ على البر الرئيس لفارس ، في قرية صغيرة تسمى "غمبرون" "Gombron" يعيش هناك المسيحيون والهندوس والمسلمون ، يبلغ تعدادهم المائتين ، في بيوت شيدت من الطوب الطيني كحال القلعة هناك ، والتي تخص سيدنا الملك ، وتقع على البحر ، وهي الوحيدة في كل فارس التي تعود ملكيتها للتاج البرتغالي .

حوصرت في العام ١٦٠٢م من قبل خمسة آلاف فارسي ، وقد تم الدفاع عنها لشهرين بواسطة القائد "جيرونيمو دي كوادروس" "Jeronimo de Quadros" مع ثلاثين من الجنود البرتغاليين الذين توفي واحد فقط منهم وفقد مدفع واحد رأيته في مدينة شيراز .

ثلاثة آلاف من العدو قتلوا في أرض المعركة ، توفي معظمهم نتيجة الأمراض قبل أن يرفعوا الحصار مكرهين ، وفي ذلة شديدة . بما أن هناك رسما لهذا الصراع رأيته بنفسي ، وبما أن الحديث عنه ليس من شأني ، فإنني أترك ذلك الأمر لآخرين قد يصلوا إلى هناك ويشاهدوا ما يثير اهتمامهم .

في الوقت الذي كنا فيه هناك ، رحّب بنا القائد في القلعة بكل محبة

وود وكرم فياض ، وقد رأى أنه سيكون أمراً مثيراً لنا حين قال لنا : "جاء بعض البرتغاليين من هرمز وهم في طريقهم إلى (بقعة مباركة) مواضع فيها منابع وحمامات الاغتسال التي تقع على بعد سبعة فراسخ من قرية تسمى "جينو" "Jeno" . إذا كنتم ترغبون في الذهاب لرؤيتهم فإنني سأعطيكم أمراً للقيام بهذا ؛ اعتذر رفيقي عن نفسه قائلاً إنه غير قادر على السفر ، كما لم أكن أعلم أنا في أي وقت سنغادر .

في منتصف ليل ذلك اليوم وصلنا إلى الحمامات بعد أن عبرنا نحو أسفل التل لأكثر من ساعتين عبر ممر شديد الانحدار والخطورة مما أدخل الرعب في قلوبنا جميعاً . يقع منبع المياه في وادي عميق يوجد فيه نبع محيطه حوالي الثلاث أشبار ، ويرتفع في قوة شديدة حتى إنك إذا رميت عليه حجارة رفعها إلى أعلى من شدة اندفاعه ؛ يقع هذا النبع المائي في وسط بركة بحجم الحجرة ، دخل مائة وسبعة رجال منا ، ثمانية منهم مسيحيون والبقية من المسلمين والهندوس .

كانت هذه أول مرة أسمع فيها بعض الناس يتضرعون لله والقديسة "ماري" وآخرون من المسلمين لله ولمحمد .

يعتبر السكان المحليون تلك الأماكن للاغتسال كشيء غريب ومعجزة ، وقد أكدوا لي أن العديد من العجزة والمعوقين الذين يدخلون تلك المياه يخرجون في كامل الشفاء .

كان بيننا أحد الزنوج العميان في كلتا عينيه ، وقد حث كثيرا على الدخول وسيخرج مبصراً لما لتلك المياه من قدره كبيرة ، ذهبت بعد أن خرج الجميع إلا أنني لم أستطع الصمود سوى لوقت قصير

بسبب سخونة المياه ، وأيضا جراء رائحة "النزيز" الكريهة والكبريت التي ترتفع منها .

في هذا السياق أذكر أنني رأيت في أبرشية "كويمبرا" "Coimbra" على بعد فرسخين خلف مدينة "كاستانهيد" "Castanhede" ناحية البحر ، نبعاً يسمى "فيرونساس" "Veronsas" وهو شبيه لدرجة كبيرة بتلك الحمامات مظهرياً لكن له صفات مختلفة ، لأن مياه "جينو" تقذف بأشياء للخارج أما مياه "فيرونساس" فتجمعها للداخل .

بما أن بليني كتب عنها في مقالته "التاريخ الطبيعي" وأيضا (Cursus Conibrigensis) في الـ (Methauros) وغيرها من المراجع(أ) ، رأيت أنه عليّ أن أذكر تفصيلاً واحداً هنا فات عليهم ذكره ، وهو أن مياه نبع "الفيرونساس" لا تبتلع كل شيء يلقى فيها كما يقولون إنما فقط الأشياء التي تمسك بها الرمال التي ترتفع مع المياه من باطن النبع كأغصان الشجر ، الحطب والملابس ، حيث رأيت ذلك مرات عديدة خلال خمس سنوات .

أيضا فإن شخصاً ما يدعى "ليونيز دا كوستا" "Leones da Costa" ، ابن "بيرو دا كوستا" "Pero da Costa" ، الكاتب السابق في المحكمة العليا ذهب لرؤية نبع "الفيرونساس" ، واقترب كثيراً حتى سقط في إحدى البرك ، وسألته فيما بعد كيف كان الأمر؟ فقال : فقط هي الرمال التي ملأت بنطاله وحذاءه دفعته إلى قاع البركة وليست المياه .

(أ) مصادر هامشية لسلطات تقليدية وإنسانية قد حذفت .

أعلم أن "فاسيو" "Vaseu" يقول في بحثه (De Fontibus) الذي أصدره إن الكاردينال الأمير "دوم انريك" "D . Enrique" وفي حضور الملك "جواو الثالث" ملك البرتغال ؛ أَمَرَ بأن يلقى بحيوان في داخل تلك البرك ، وبالرغم من مقدرته على السباحة بحكم طبيعته إلا أنه واجهته صعوبة في الخروج .

هذا ليس برهاناً ضد ما ذكرته أنا وإنما لعدم وجود أي فراغ يتحرك فيه الحيوان أو أي مساحة يسبح فيها ، وكما ترون فإن كل أولئك الذين سقطوا داخل تلك السبخات نادراً ما تمكنوا من النجاة .

مدهش حقاً أن الحيوان الذي يسقط في بركة عميقة لماء راكد يجب فعلا ألا يتمكن من الخروج ؛ لذلك أعتبر أنه من الجرأة بمكان أن يحدث نفس التناقض عندما نضع بعض القضبان الملساء وأغصاناً دون أوراق فإنها ستقذف عاليا وبقوة كالماء نفسه ، وهذا ما ستفعله حتى وإن كانت له طبيعة تخالف ذلك ، فقد تعمقت في هذا الأمر حتى أصبح الوهم والجهل الذي يضحك عليه الأجانب والذي يحاسب عليه حتى السكان المحليون في "كاستانهيد" .

عندما عدنا إلى "غومبرون" سلمت لنا رسالة تعريف من "دوم بيدرو كوتينهو" كتبت باللغة العربية للملك مبارك الذي علينا عبور أراضيه ، وكانت تلك الرسالة ذات فائدة عظمى لنا كما سأقص عن ذلك فيما بعد .

بينما كنا في "غومبرون" لاحظت بعض الأشياء ، كان الرئيس في المعبد من الهندوس الذي يعظنا دائما بتقديم الشكر والامتنان ، وأن الرب جعلنا مسيحيين ، نشأ على نور الإيمان الذي يسطع من الإنجيل

المقدس ، وأن نصلي في نفس الوقت بأن ينير ويجعل أولئك المساكين يفهمون ، والذين لهم عيون إلا أنهم بالرغم من ذلك لا يستطيعون الرؤية ، ولهم آذان ولكنهم لا يسمعون ، وأفواه ولكنهم لا يتكلمون ، بالرغم من أنهم قادرون على فعل أشياء أخرى تتطلب مهارات عالية وعبقرية عظيمة .

لفهم أفضل لهذا الموضوع يجب أن يعرف أن ما نسميه كنيسة ؛ فإن الأتراك والمسلمين يسمونه الجامع ، والعرب يسمونه مسجداً ، واليهود يسمونه المعبد اليهودي (الكنيس) ، والهندوس يسمونه المعبد ، وما نسميه نحن بالكاهن فإن الأوائل يسمونه قاضي Cassi ، والمسلمين يسمونه الإمام ، واليهود يسمونه الحاخام ، والهندوس يسمونه البراهما "أبوجين" أو "بوغي" .

لتلك الأشياء تماثيل في الأضرحة والمزارات مثل الصينيين ، وهذا هو الأمر الذي لا يسمح به اليهود والمسلمون والأتراك . لليهود عوضاً عن ذلك العهد القديم (الميثاق) والألواح التي أعطاها الرب لموسى ، بالرغم من أن أكثرها قد فهم بالطريقة التي يريدونها وليس كما يفترض فهمها ، وهي كتبت عادة باللغة العبرية على صحيفتين من الورق النفيس في صناديق تشبه صناديق الأديرة ، لُفّت وأدخلت في أسطوانات حتى لا تتمزق ، كما رأيتها في جزيرة Gulpho ، وحيث توجد بكميات غير قليلة .

أما الذيـــن يتّبعون دين محمد (صلى الله عليه وسلم) فعندهم

القرآن ، وهي مصاحف كتبت بعد نزولها من السماء ، وقد تم حفظها وكتابتها أيضـا فـي دمشق ؛ حيث كان الخليفة وبحسب ما وردني من (Theeatro de Principes) فالكلمة (الخليفة) تعني الحاكم أو الإمبراطور .

نعود إلى موضوعنا الأول ، الهندوس أو البانيان لهم مقدرة عالية على المنطق والتنظيم من أي جنس وثنى آخر . لهم مزاج رائق ، هم تجار ممتازون ، وفي كل معاملاتهم يشرفهم دائما قول الحقيقة ويفتخرون بذلك كثيراً ، ولا يخطئون في الأعمال الميكانيكية التجارية ، ويتقيدون بالقانون دائماً .

في كل مراحل حياتهم لا يأكلون اللحم ، ولا يقتلون أي شيء حي ، حتى وإن كان مخلوقاً ساماً قد يؤذي أو يضر أياً منهم . هم مسالمون مع الجميع ولا يحملون أي سلاح ، أو يثيرون عراكاً مع أي شخص أو جنسية ما ، وليس لهم ملك معين يدينون له بالولاء الطاعة .

تملأهم العاطفة بطبيعتهم حتى إنهم عندما يثور البحر يُلْقون فيه الطعام حتى يخففوا من حدّة هيجانه ، هم أيضا حجاج عظماء ، وآلهتهم أو كهنتهم يفرضون عليهم الكثير من الكفارة عن الذنوب وصوماً غير عادي ؛ يتوفى الكثيرون بسببه دون مراعاة لحياتهم .

الكثير من الناس يعتقد أن هذا الجنس والعرق إحدى سلالات الاثنتي عشرة قبيلة الإسرائيلية التي تاهت في الصحراء ، لكن بما أنني لا أجد أي توثيق كتابيّ لهذا الأمر فليفهم كل شخص ما يراه مناسباً .

مع كل تلك الصفات فإنهم حتماً مؤمنون لدرجة كبيرة بالسحر ، وهم يقدّمون القرابين من الحيوانات للشيطان ، ويؤمنون بالفأل الطيب

وبالنحس في نفس الوقت ، ولا يفعلون أي شيء حتى الأكل أو الشرب دون أن يغتسلوا أولاً ، والسبب في ذلك كما يقولون إن الماء يغسل الذنوب ، وهم متحمسون كثيراً لذلك ، ويؤمنون أيضا بالتعميد المقدس .

أصبح أحدهم من أصدقائي في تلك الأيام القليلة ، وطلب مني باسم الصداقة أن أشاهد معبده ؛ قبلت بالدعوة ورغبته لإقناع نفسي وإرضائها لأنني اعتقدت أنني سأشاهد هناك أشياء إذا عرفها المسيحيون فإنهم سيعلمون عن طريقها كم من الناس غير مسيحيين ، وكيف أن الشيطان أفسد عقولهم وأسر رغباتهم .

دخلنا وأول شيء وقع عليه بصري كان تمثالاً لفيل على المذبح . له ثلاث عيون فضية ، اثنتان في المكان الطبيعي والثالثة في منتصف رأسه ، وسألت لماذا يعبدون حيواناً بهذا القبح وليس الرب الذي خلقه؟ أجابني البراهما (الكاهن) بأن إله البانيان قد توفي ، وبعد الموت عاد في صورة فيل ، ولأن هذا التغيير بدا وكأنه معجزة فإنهم عبدوه ؛ لا فائدة من الجدل حول هذا الأمر لأنهم قالوا بأن ذلك هو كل ما يعرفونه في هذا الخصوص .

في وسط المبنى يوجد مذبح آخر عليه عجل صغير مطلي بالذهب وزيت الصندل ، وهو صبغة حمراء يستخدمونها في المعابد ومُغطاة بقماش دمشقي ؛ أمام هذا الحيوان البغيض توجد أربعة مصابيح مشتعلة ، وإذا سألت عن السبب فإنهم يقولون إن تلك هي العادة دون إعطاء أي أساس لذلك .

في جزء آخر من المعبد يوجد مذبح آخر ، عليه شكل (تمثال مثل البقية) "لكيوبيد" وضع على صقر مع كنانة للسهام حول عنقه وقوس على يده اليمنى ، وفي يده اليسار وضع طفلٌ صغيرٌ أعمى في كلا عينيه . تأملت الرسم ورأيت أنه قد أسس لسبب ما ، إن كان هناك سببا لمثل ذلك الأمر المشين .

في الحقيقة الحب ليس بأعمى لكنه يُعمي أبصار أولئك الذين يضلهم ويتملكهم ، وهذا ما يدل عليه ويرمز له الطفل الأعمى . تأثيرات دون أساس ؛ عمياء وأوجدتها نفوس مريضة ، تزين كل المبنى الخضرة وكأن ذلك اليوم كان يوم احتفال لهم .

رأيت تلك الأشياء ، وأحسست تجاهها بالشفقة التي تستحقها ويستحقها أولئك الناس ، أبديت ملاحظاتي عنها لشخص اعتقدت أنه أكثر المسؤولين قدرة على تصحيحهم ؛ لكنه قدم لي قناعات طيبة آملاً القيام بذلك مستقبلاً ، لكنه يبدو مستقبلاً بعيداً ، ولا أدري متى يأتي الوقت الذي يصبح فيه حقيقة .

بينما أنا أشاهد تلك الأشياء كان مترجمنا الألماني الجنسية ويجيد اللغة الفارسية ، التركية ، الإيطالية ، الجرمانية والبرتغالية ؛ يخطط حساباته ، ويرتب كل الأمور الضرورية كونه كان على دراية وخبرة عن الرحلة .

في هذا الوقت ظهرت إشاعة أن "قمبر بيك" ، سيد شيراز وأحد رعايا الصفوي كان في طريقه مع قوة كبيرة من المشاة والفرسان لمهاجمة "موغستان" ، وهي بلاد تقع في فارس لكن تحت سلطة ملك هرمز . من أجل فهم جيد لهذه الرواية علينا أن نتذكر أنه في العام ١٦٠٢م

قام سلطان مدينة شيراز بمهاجمة هذه القرية التي أتحدث عنها الآن ، واسْتولى عليها مع أربعة قرى أخرى أقل أهمية منها ، وبما أنه فشل في حمايتها ثار السكان عند القلعة ضد الجنود الذين كانوا هناك ، وكان ذلك بعد أن شعر الجنود بالأمان إلا أن السكان هاجموهم وقطعوا رؤوسهم بالسيوف .

عندما علمت مملكة "لار" بهذا ، وبحالة الفقر التي يعيش فيها السكان ، جمع "قمبر بيك" قوة ضخمة من أفضل جنود المشاة والفرسان الذين عنده ، وهاجم موغستان وثأر للإساءة والخيانة التي حدثت في ذلك المكان .

أخطر ملك هرمز والقائد "دوم بيدرو كوتنهو" ، وتم تحذيرهم بذلك ، وأمروا قلعة "غومبرون" ، حيث كنت هناك في ذلك الوقت ، بأن تزود الجنود والذخيرة حتى لا يتم الاستيلاء عليها دون أن تكون جاهزة ، وذلك لأن تلك هي المرة الأولى التي تهاجم فيها .

في يوم الأحد السابع والعشرين من شهر أغسطس عندما كنا جميعاً على أهبة الاستعداد رأينا حشداً كبيراً يقترب من ناحية "موغستان" ، وهم يصيحون بأعلى أصواتهم ، ويركضون باتجاه القلعة . بعضهم يحمل الفاكهة وآخرون نصف عراة (مسرعين عندما تركوا منازلهم) يقتربون من القلعة ، ويقولون إن العدو على مقربة ، ويدمرون كل ما يجدونه في طريقهم من القرى دون أن يَنْجُوَ منهم أحد .

وسط كل هذه الضجة والفوضى قررنا التحرك في ذلك المساء ، وقد قمنا بذلك فعلا . استأذنا من القائد "جيرونيمو دي كوادروس"

وبعض البرتغاليين الآخرين الذين كانوا معه لاستقبال الناس الفارين . ما حدث بعد ذلك في هذا الخصوص ليس من مسؤوليتي ، ولم أعلم كيف انتهى الأمر ، لذلك سأترك هذا (لأن بيع البضاعة المشكوك فيها عن طريق الجهل بها خير من أن أبيعها كبضاعة أصلية وهي مزورة) ، وأعود لما يخص هذه الرحلة :

هناك أكثر من مائة وثلاثين شخصاً كانوا جاهزين للقيام بها ، البعض على الأقدام والبعض على ظهور الخيل مع بعض الجمال ، وهي تحمل البضائع التي تعود للتجار الفرس ، والكل على استعداد لمواجهة الموت ، ويخشون أن يقتفي العدو أثرهم ليسرقهم .

في صباح ذلك اليوم الباكر استرحنا بالقرب من بعض البساتين على بعد خمسة فراسخ من "غومبرون" ، ولأنه حتى في تلك الساعة كانت الشمس تلفحنا بحرارتها فقد بقينا هناك طيلة اليوم .

بعيداً عن الطريق أشير لي على نبع كانت مياهه مالحة ؛ الأمر الذي أسفنا له .

في اليوم التالي عبرنا جسراً مكوناً من مائتي قوس ، منها خطط خمسة وعشرين قوساً سالمة غير مهدمة والبقية مهدمة مكسرة ولكن يمكن استخدامها . على كل قوس وفي نهايته برجان صغيران للمظهر والزينة أكثر من الدفاع عند الضرورة . أما النهر (دورت) والذي يجري أسفل الجسر فهو مالح المياه مما أسفنا له أيضا ؛ لكن على بعد فرسخين وصلنا إلى قرية تسمى "كاهوريستان" والتي كانت تعود في السابق لملك هرمز والآن تعود للإمبراطور الصفوي .

حالما دخلنا إلى القرية تجمع معظم السكان لمقابلتنا . سألت عن القائد الذي سلمته الرسالة التي بعث بها إليه قائدنا لتعريفه بنا ، ويقول فيها إن أي معروف يؤديه لنا فسيعتبره وكأنه قد قدم له ، وأنا سنقول ذلك لملك فارس إذا قابلناه في أصفهان حيث نحن في طريقنا إلى هناك .

فرح وسعد كثيراً بتلك الكلمات الأخيرة (لعدم وجود أي شخص لا يرغب في إرضاء الملك) ، وعندما سمعها طلب منا الجلوس ، وفي ذلك اليوم جميعنا نحن الأربعة تعشينا في قلعته .

ذلك لأن أسلوب الأكل عندهم يختلف عنا ، سأحكي عما لاحظته ، أول شيء حدث هو بسط سجادة كبيرة على الأرض ، وضعت عليها طاولة مستديره من الجلد كتلك التي يستخدمها الأخوة حول الكرسي الكنبي ، وضعت عليها الأطباق للقائد ، مترجمنا ، ورفيقي وشخصي ، وكنا نحن الوحيدين الذين سنأكل عليها ، أما الآخرون بما فيهم السجناء ، فقد تناولوا الطعام وهم جلوس على البساط .

قبل أن نبدأ بالأكل شكروا الرب على منحهم ما عندهم من نعمة ، جلسوا جميعاً على الأرض كالنساء ، كانت الأطباق مليئة لحماً مطهوّاً مع الأرز وآخر محمصاً ، لكن لا يوجد لحم خنزير ، لا يأكلون الرغيف لكن بعض اللفائف التي تسمى apas أو curuchas ولا توجد خمور ؛ لأن دينهم يحرّمها ، وبدلا عن الخمر فإنهم يشربون الماء المغلي ، مع الزبيب والسكر ، الأطباق ليست عليها توابل ، والأكل لم يكن لذيذا وجيد الطعم .

تحدثنا قليلاً خلال تناول الطعام كنوع من التأدب ، وعندما حان

الوقت غادرنا ، ولم يكن ليقبلوا منها الجزية التي دفعها كل فرد آخر ، والتي كانت عبارة عن "لاريم" واحد عن الشخص سوى كان رجلا أو حيواناً . منحنا بجانب ذلك مزيداً من الفضل والخير وهو أعطانا اثني عشر حرسا الذين يسمون sipahi والذين رافقونا حتى مدينة لار .

عبرنا في اليوم التالي جسراً آخر على نهر lesdro الذي كانت مياهه مالحة ، كالذي غادرناه خلفنا . بين هذا المكان والمدينة لم نجد شيئاً يستحق الذكر ولا حتى المياه ؛ باستثناء الصهاريج التي صادفناها كثيراً .

وصلنا "لار" في الرابع من سبتمبر بعد تسعة أيام من مغادرتنا "غومبرون" ، أذكر أنني قرأت في مذكرات "البوكيرك" "Albuquerque" عن الطريق بين هرمز و"لار" وكانت مسافته ثلاثة فراسخ ؛ لكن المؤلف كان مخطئاً ؛ لأن المسافة حقيقة أكثر من سبعين .

الفصل الثالث عشر : مدينة "لار" أخذت اسمها من العملة المعدنية "لاريم" المعروفة في كل منطقة الشرق ، وهي "لار" تقع تحت سيطرة فارس بين ثلاث سلاسل جبلية تحيط بها تقريباً بشكل كامل ، حيث تقبع هي في السهل الواسع المنبسط .

لم أتمكن من اكتشاف أي شيء محدد عن حقيقة وجودها ، لأن بعض الكتاب كتبوا عنها كمدينة ضاربة في القدم ، شيدها أسلاف آبائنا الأوائل ، بينما يقول آخرون أن عمرها يقدر بألف ومائتي سنة .

من الأفضل الاعتقاد بأنها ليست قديمة جداً ، فالحقيقة الوحيدة التي نقلها المؤرخون الفرس (ان كانوا صادقين في ذلك) أنه قبل تسعمائة سنة كانت "لار" عاصمة المملكة ، لكن بما أن الأشياء في هذه

الحياة محدودة وتحمل نهاياتها معها ، كذلك هو الرخاء والتقدم ، لأنه عندما أرسل "فيردي خان" سلطان شيراز إلى هناك في العام ١٦٠٢م من قبل "شاه طهماسب" حاكم فارس مع عدد كاف من الجنود في حملة كبيرة ؛ قام بتدمير وتخريب المدينة تماما ، وقبض على ملكها وقتله ، وكانت تلك أفضل عقوبة مستحقة ، فقد كان إبراهيم خان آخر الملوك هو أحد أسوأ وأقسى الرجال الذين عرفهم التاريخ .

بعث الله له العديد من التحذيرات والمعاناة التي توازي ذنوبه وجرائمه ، حتى إن قسوتها كانت لتجعله يفكر في مدى سوء أخطائه ومثالبه ، الشيطان الذي كان يقوده للضلالة قاده أيضا لارتكاب المزيد من الجرائم التي تفوق الوصف ، ولا أي قدر من النصح والإرشاد يمكن أن يثنيه عنها .

عندما رأى الرب أن رحمته هي الحافز والسبب في كل تلك الوقاحة ومصدراً لاعتداءات وذنوب خطيرة ، سلط عليه الله قبل أربعين سنة زلزالاً في تلك المدينة انهار معظمها وقتل العديد من الناس ، وقد حدث كل ذلك ليلاً وفي وقت متأخر .

استطاع الملك أن يجد له ملجأ في إحدى الحصون الثلاثة التي له هناك ، وهرب مع بعض رجاله ، وبما أن الخوف لا يستمر طويلاً عند خبثاء الناس ، وعندما انتهت تلك المحنة ، عاد الملك لأساليبه السيئة السابقة ، وأصبح أسوأ مما كان في ممارساته ، وكما يقول أحد الفلاسفة إن تلك عادات يصعب على أولئك الذين يخضعون لها أن يتغيروا .

لأن الرب لا يأمل من نفس أكثر من هدايتها حتى تستمر في الحياة

ولا تهلك فإن الرب أوقع عليه عقوبة أخرى ، وحرمه من نعمة الأمطار ، ومنع نزولها في تلك المملكة لسبع سنوات متتالية ، مما تسبب في المجاعة ، والعطش واليأس ، مما أدى لموت معظم الناس ، لكن حتى هذا الإنذار الثاني لم يكن كافياً ليتعرف على مدى قسوة فؤاده وعناده ، لأن الوسائل التي يستخدمها الرب لاستعادة نفس ضالة هي في الأغلب السبب في مزيد من الإدانة .

تمثل ذلك في القسوة التي عامل بها ذلك الطاغية البرتغاليين في "نخيلوه" ؛ حيث توفي الكثير منهم .

أمر بأن يؤتى بجماجمهم وعظامهم إلى المدينة كقربان لمحمد ، وشيّدت مئذنة طويلة من تلك العظام ، وكانت جماجم المسيحيين تواجه الخارج لتمثل تذكاراً لانتصاره ومحفّزاً شاهداً يثير المسلمين ضدنا لأبد الدهر .

على أية حال ؛ فإن العناية الإلهية ، والتي لا يمكن أن تتغاضى عن مثل تلك الوقاحة والجرأة ، ولا أن تترك أصدقاءهما ، عاقبته مرة أخرى بزلزال آخر ، أكثر قسوة من الأول حيث تهدمت معظم أرجاء المدينة ، وتوفي عدد كبير من سكانها وسقطت ودفنت المئذنة التي شيدت بجماجم البرتغاليين في الأرض .

يبدو أن الرحمة الإلهية لا تسمح لأولئك الذين فقدوا أرواحهم دفاعاً عن إيمانهم المقدس بأن ترقد عظامهم بلا دفن في مبنى غير مقدس حتى وإن كانت أرواحهم تستمتع بالجزاء عن أعمالهم وخدماتهم التي قدموها .

كان سكان "لار" في غاية الخوف جراء هذا العقاب حتى إنهم صمموا

على عدم القصاص من المسيحيين ، ولا شن الحرب عليهم ، أو إرباك أي فعل عدائي ضدهم مرة أخرى ؛ لذلك انقضت السبع سنوات التالية فقط في إعادة بناء المدينة ، وإصلاح كل الأضرار التي حدثت في السابق ، وخلال هذه الفترة أعيدت المدينة لأفضل وضع ممكن .

بدأت القوافل مرة أخرى في السفر والانتقال كما كان يحدث من قبل ، مما أفرح وأسعد التجار حتى إن أحدهم جاء ببعض المسيحيين من البندقية مع بعض الأموال وأشياء ذات قيمة عالية . عندما علم إبراهيم خان بذلك من بعض المسلمين الذين كانوا ضمن المجموعة ، حرضه الشيطان بأن يقوم بسرقتها ، والطمع الذي كان قد سيطر عليه وبعض من طغيانه وقسوته أظهرت جلياً الحالة الشيطانية التي اعتاد عليها .

أعد خدمه لعملياته المعتادة وتحركاته ضد المسيحيين المساكين فاغتصب ممتلكاتهم دون أي سبب أو عدالة ، وعندما حاولوا حمايتها أمر بقتلهم .

"سانتو فونتي" "Santo Fonte" ابن "جوليو فونتي" "Julio Fonte" أحد سادة البندقية الذي كان في ذلك الوقت في فارس سمع بتلك الأحداث فقابل الإمبراطور الصفوي وأخبره بما حدث ، وشكا له من القسوة والظلم الذي حاق بالمسيحيين الذين يثقون في إيمان رعاياه ، وكانوا مسافرين عبر أراضيه وكأنهم يسافرون عبر أراضي البندقية . تلك الشكوى جعلت الشاه في غاية الغضب ، وأرسل في الحال "فيردي" خان إلى شيراز ليهاجم مملكة "لار" ، وأشعل فيها النيران ، وعاث في الناس بالضرب بالسيوف ، ولم ينج أحد .

تم تنفيذ أوامر الملك حرفياً ، ودمر "فيردي" خان المدينة ، وقتل الملك وخمسة آلاف من المسؤولين وأكثر رجالات الدولة هيبة ، وهدم الحصون وساوى الأسوار بالأرض وكل شيء آخر ، ولم يبق شيء له قيمة ، وعليه خضعت مملكة "لار" للتاج الفارسي .

لقد بدأوا بالبناء مرة أخرى مع اثنين من الصروح التي تلفت النظر وكانت قائمة فعلاً ، إحداها حصن يبلغ محيطه نصف فرسخ ويقع للغرب على ربوة صغيرة تقع تقريباً فوق المدينة . للحصن ثمانية وأربعون بروزاً حصينة على جدرانه قوية جداً ولها أبراج ، "افريز" ، شباك ، شرفات بفتحات على سطح الحصن ، دعامات وجسور .

يقوم أربعة وأربعون رجلا بالحراسة من أعلى الأسوار ليلا مما يجعل عدد نوبات الحراسة تصل إلى مائة واثنين وثلاثين رجلاً في النوبات الثلاثة للحراسة ، وينادون بعضهم بعضاً طيلة الوقت بالليل بأصوات عالية ، وكأنهم في صراع مع العدو .

للملك حامية بها أربعمائة من الفرس مع ضابطهم ، وقد لا يبارحون الحصن لسنة كاملة دون أن يتلقوا أمراً من الملك ، ولا حتى الأجنبي يستطيع الدخول حتى للميدان العام (vero) أو ساحة السوق ، وعليه فهي ليست بدون ضوابط ؛ فهناك بازار بالداخل حيث يباع كل شيء بأسعار رخيصة ومناسبة ، وهو بمكان بحيث لا يستطيع أي شخص معرفة ما يدور في داخل الحصن . لا يسمح لأي رجل ، مواطناً محلياً أو أجنبياً بدخول المدينة وهو يحمل أي نوع من السلاح باستثناء الذين يقومون بالحراسة .

هم جنود يعرفون بالاسم (curqui) وهو يعنى في لغتهم " جندي من المشاة على قدميه .

ليست للمدينة أسوار ، والمنازل المشيدة من الطين أو الطوب ، ليست عليها أسقف من القرميد بل مسطحة مثل التي في هرمز .

الأمر الثاني الاستثنائي هي ساحة السوق أو البازار الجديد وقد شيد على شكل صليب ؛ حيث يباع كل شيء من الملابس ، الطعام ، الأسلحة التي من بينها الأقواس التي يتحمس لشرائها الكثيرون ، كما أنها تصدر لكل مكان حيث يتحدث المحليين عنها بفخر بأنها من "لار" كما نقول عن التفاح في البرتغال "تفاح من ميلهاو" .. لهم عمال مهرة في صناعة الحديد والصلب ، يصنعون السهام الدروع السيوف المعقوفة ، لجام الخيول ، السروج وأشياء أخرى خاصة من نفس النوعية صنعت بإتقان وحداثة ولمسات جمالية مدهشة .

يباع كل أنواع الحرير هنا أيضا المخمل ، المقصب الذي ترتديه النساء عادة .

في وسط البازار تجد كل أنواع التوابل ، المجوهرات ، الفضة والذهب كلها تباع هنا .

أعلى مبنى السوق توجد قبة ضخمة تتزين بالعديد من الرسومات والكثير من ال curredos وأعمال تطريز وخيوط خيالية مما يجعلها تبدو في روعة مذهلة ، ويزيد ذلك الجمال دفق الضوء الذي يدخل عبر النوافذ التي يوجد منها الكثير البديع .

تحت القبة في الوسط يوجد صهريج للمياه العذبة ، والتي جيء بها من مكان بعيد عبر الأنابيب ، وتوزع كل يوم عبر شوارع المدينة بالدور ،

وتتجمع في النهاية على قناة ملكية تؤدي مباشرة إلى حديقة الملك في الخارج ، ولكنها قريبة من المدينة .

لا توجد مياه أخرى جارية أو نبع في كل "لار" باستثناء تلك المياه ، لكن المياه توجد بكميات كبيرة لوجود صهريج في كل منزل حيث يتم تجميع كميات كبيرة من المياه في فصل الشتاء .

لم تبدل نوعية الملابس التي ترتديها النساء ، ولا حتى تلك التي تلبسها النساء الأتراك ، العرب ، الصينيون بالرغم من اختلاف تلك الأمم في لبسهم الفاخر . الزي العادي للنساء الفارسيات هو إظهار وترك شعورهن ذات اللون الأسود دون تزيينها طويلة ، وحتى اللائي لهن شعر فاتح اللون يصبغنه باللون الأسود ، ويلبسن غطاءً للرأس يسمى "araxim" مصنوع في القالب من القماش المذهب إن كن يستطعن توفيره ، أو "tabrelle" وهو يصنع كنوع من القمع الفضي ضيق في الأعلى يعقدن عليه القماش .

يصبغن حواجبهن وهو ليس بالأمر الذي يلفت النظر لأنهن جميعهن بيض البشرة . عادة يلبسن حلية ذهبية مشغولة على أنوفهن بحجم الأنف تقريباً ، ولمنعها من السقوط فإنهن يثقبن الأنف ويضعنها (الزينة) في خطاف حلقي صغير كالدبوس المنحني . تعلو هذه الزينة لؤلؤة تقترب من العين .

كل النساء تقريباً يلبسن ذلك حتى الفقيرات منهن . النساء الذكيات لا يلبسن مثل تلك المشغولات على أنوفهن ، لكن بدلا عنها يثقبن أسفل الذقن ، ويضعن خاتما من الذهب أو الفضة حسب الإمكانيات .

الهندوس لا يهتمون كثيراً لمثل تلك الأشياء باستثناء آذانهم ، والتي تثقب وتوضع على أنفال من الفضة والذهب عديدة تصل حتى الرقبة أو الحلق ، وأحياناً حتى الكتف .

قمصان النساء الفارسيات والتركيات الحريرية ذات ألوان زاهية ومزينة عند الياقة والأكمام . أنهن يلبسن أيضا السديري ، وجاكيتاً قصيراً وعليه روباً مفتوح من الأمام ويصل حتى الركبتين . دائما يضعن أيديهن داخل جيوبهن التي تكون عادة مصبوغة بطريقة رائعة مع طلاء أحمر على الأظافر ، وبالرغم من أن أخريات يحتقرن ذلك التلوين ولذلك لا يستعملنه .

وجوههن دائما مغطاة بقناع من الحرير الأسود يسمونه bouta وهو عام بالنسبة للجميع ، خاصة عندما يخرجن من المنازل ، وكنوع من العباءة يلبسن ما يشبه الملاءة القطنية البيضاء التي تغطي جميع أنحاء الجسم بالكامل حتى إن أزواجهن لا يستطيعون التعرف عليهن عندما يقابلونهن في الطريق ، يلبسن سراويل كالرجال وأحذية وجوارب .

لا يرافقهن أي أحد سوى النساء الأخريات ، يمشين في سرعة ويتحدثن بصورة دائمة . أجسامهن ممتلئة ، طويلات ، ومغرمات بالقيل والقال عن أي نساء في الأمم الأخرى ، خشنات في التعامل ، ولهن مزاج متقلب وكثيرات الخلاف ، يملن للكسل وداعرات جداً لكنهن ماهرات في الخياطة وأعمال الإبرة ؛ خاصة في النسيج وتصميم الأشكال الدمسقية والتطريز والعمل على النول لصناعة ملابس ذهبية أو فضية مع معدات أقل بكثير مما تملكه النساء البرتغاليات .

لا أذكر أنني رأيت أي شخص يغزل الخيوط ، وربما لا يعرفون ذلك ، عندما يذهبن في رحلات طويلة على الطرق يمتطين الخيول كالرجال بل أحياناً أسرع منهم ؛ حذرات جداً لكنهن غير دبلوماسيات في التعامل ، من المدهش أنهن يأكلن مع أزواجهن .

في المناسبات والحفلات يحببن الرقص والغناء مستخدمات مزماراً يسمى rabana يجدن العزف عليه .

كل الرجال يلبسون الساتان أو أكثر الملابس قيمة يتمكن الرجل من شرائها ، بالرغم من أن أكثر الأنواع شيوعاً هو الساتان القروي وقماش مزين بالكثير من الزركشة المذهبة مع الحرير . يلبس الرجال قمصاناً بدون ياقات مع صديريات تكثر بها الزخرفة مع سترات تشبه الـ marlatas حتى منتصف الساق ، ملتصقة جداً بالجسم مع أكمام طويلة .

هذا ليس كما يلبس الأتراك الذين تصل أكمام قمصانهم حتى منتصف الذراع فقط . يلبسون معاطف مع أكمام طويلة عليها خطوط ملونة وزخرفة بالتطريز . لا يختلف الأتراك على ما يلبسون في الرأس ، إما فلنسوة خضراء أو حمراء .

يلبس الفرس عمامة بيضاء وقلنسوة كبيرة عالية مع اثنتي عشرة ثنية والتي تظهر دائماً من فوق العمامة وتسمى qizilbash وهي كلمة بربرية تعنى "الرأس الأحمر" ؛ لأن كلمة bash تعنى رأس وكلمة qizil تعنى أحمر ، وتلك كانت الأداة التي أعطاهم لها الصفوي إسماعيل للمرة الأولى ، وسنرى هذا لاحقاً عندما نتحدث عنه .

الكل رؤوسهم حليقة تاركين فقط خصلة صغيرة يقولون إن قوتهم

وقدرتهم فيها مثل شمشون . بقية ملابسهم هي بناطلين ، جوارب ، أحذية ، لا اختلاف بينها باستثناء أن الأتراك لهم كتلة صغيرة تحت كعوب الأحذية والكثير من المسامير تحت منطقة أصابع القدم ، بينما أحذية الفرس لها مقدمة مرتفعة في الأمام مع كعوب عالية مثل الخف أو الحذاء ذي الكعب العالي مما يصعب عليهم المشي به فكأنهم يمشون على أطراف أصابعهم فيبدون وكأنهم مقعدين .

تفاصيل أخرى عن أزيائهم وطعامهم يمكن الاطلاع عليها في كتابات "أنطونيو تنريرو" "Antonio Tenreiro" و"فيسنتي روكا" . في مكان منعزل بالقرب من البازار شاهدنا ضريحاً لفارسي يعتبرونه قديساً وهناك مصابيح كثيرة مشتعلة حوله ، بالقرب من هناك ثمانية مسلمين يصلون ويسبحون ويسمونهم (الدراويش) وتعني عندهم (الناسك) ، ويقدم لهم الجميع الصدقات ، حيونا بحرارة شديدة ليبينوا أنه بالرغم من أن عادتنا كانت متواضعة إلا أنهم احترمونا .

وجدنا في هذه المدينة أربعة من البرتغاليين ، كانوا تجاراً من شول ، وهم الذين بقينا معهم خلال وجودنا هناك والذي استمر لأسبوع ، وقد عاملونا بطريقة جيدة وبمنتهى الكرم .

في ظهيرة أحد الأيام ذهبنا جميعاً في جولة لنرى المدينة وحديقة الملك والبازار والحصن وهذا الضريح ، وأشهد أن الكثير من الناس جاءوا لرؤيتنا حتى انهم طردوا باستخدام العصي والركلات لأنهم ملأوا الطرقات والنوافذ والشرفات .

لم يتسبب أي أحد في أذيتنا أو إساءة مقابلتنا ، وكان الكل في حالة

اندهاش من الطريقة التي نعيش عليها ، والتي وصفها لهم المترجم والبرتغاليون وللزعيم الذي بينهم .

عندما وصلنا إلى حديقة الملك جاءت فتاة صغيرة في السادسة من عمرها كالحورية ، في منتهى الجمال ، وترتدي ملابس تدل على الثراء ، جاءت لرؤيتنا في الطريق .

عند وصولنا إلى باب منزلها ركضت أمامنا ووضعت يدها على صدرها وأحنت رأسها وقالت :

"السلام عليكم" والتي تعني أقبل أيديكم ؛ فأجاب المترجم والبرتغالي بما قالته وشكرناها بأفضل الكلمات ، والقصة هي أن تلك الفتاة كانت ابنة أحد المرتدين الذي توفي ، ولعل والدها أخبر زوجته أن تلك عادة الأطفال أن يقبلوا رداء الراهب ؛ لذلك بالرغم من أن والدتها كانت وثنية إلا أنها كانت في غاية الفضول لنرى ما سنفعله نحن بها ، وكانت تراقب المشهد من النافذة ، علمنا أنها كانت ثرية وسيدة نبيلة ، وكل مرة يتحدثون فيها معها عنا كانت تبكي وتتأوه وهي تذكر زوجها المتوفى ، أو لأي سبب آخر .

وصلنا إلى حديقة الملك حيث رحب بنا جميعاً من قبل النبلاء والسادة ، وأمضينا وقتاً طويلاً في التحدث معهم . تعشينا جميعاً تلك الليلة في الحديقة ، وطلبوا منا أن نقوم بكل شيء اعتدنا القيام به ؛ لأن ذلك ما كانوا يرغبون في رؤيته . ما أسف عليه الجميع كثيراً هو أن "قمبر بيك" حاكم البلاد كان في مدينة "غومبرون" ، كما قيل ، وإلا كنا عوملنا كما يودون وبما لم نكن نستحقه .

الفصل الرابع عشر : نغادر لار ، أقدم بياناً عن فارس ، نحن نصل مدينة شيراز .

هناك الكثير من الكتب التي تتحدث عن فارس ، كما أن هناك آراء مختلفة بين كل أولئك الذين كتبوها ، لكن حتى لا يشتكي أكثر الناس فضولاً من طريقتي في الإيجاز ولا أولئك الذين لا يعلمون عنها شيئاً فيظلون في جهل ، رأيت أنه من الأفضل أن أتلمس بقدر الإمكان ما أستقيته من السكان المحليين عن بلدهم الخاص بهم ، حيث نشأوا وترعرعوا وعلموا بكل أسراره ، بالرغم من أن العديد من تلك الأشياء يستحق معرفته وأخرى أن تقلد ، وسأختار ما هو موافق مع أهدافي تاركاً جانباً ما لا يتعلق بالتزاماتي .

بعد أن أعددنا كل شيء نحتاجه ، وأخذنا الإذن من التجار البرتغاليين الذين أقمنا معهم في لار ، وهناك أربعمائة من الرجال ينتظروننا الآن على ظهور الخيول وراجلين ، غادرنا في صباح أحد أيام السبت الذي قضينا معظمه تقريباً في الحوار إن كان "تيمورلين" العظيم الذي يسميه المؤرخون الفرس تيمورلنك من مواطني "لار" أم لا؟

يؤكد سكان البلاد أنه ولد وقضى أيامه الأولى هناك ، و"جواو دي باروس" و"أنطونيو دي تيزيرو" "Antonio de Tezero" في رحلته عبر البلاد من الهند يتفق معهم على ذلك ، لكن البابا "بيوس" "Pius" في الجزء الثاني من جغرافيته (وجهات أخرى) تقول إنه كان مواطناً من كيش بالقرب من سمرقند ، التي كان مواطنوها في السابق يسمون Massagetae أو Chagatoys ، لكننا الآن في الهند نسميهم "المغول" ، وأن اسمه الأول هو "تيمور كيرلو" والكلمة تعني "Fortunate Iron" ،

وسمي فيما بعد تيمورلنك ، والتي تعني "مرهب العالم" أو "غضب الرب" "Wrath of God" .

تحدثنا خلال مسيرتنا عن الكثير من المحافظات والممالك والأراضي التي تم الاستيلاء عليها والمعارك التي كسبها ، والمدن التي دخلها ، والانتصارات المذهلة التي حققها على التركي "بايزيد" دون أن يفقد حظوظه أو ينقلب عليه ، وأصبحت له تلك السمعة والشهرة التي لا يوازيها شيء ، والتي تساوت وقوة الإسكندر الأكبر باستثناء عدم وجود شاعر مثل "هوميروس" "Homer" أو "Tully" يكتب نثراً أو شعراً بكل الإبداع والروعة التي تستحقها أعماله .

وصلنا لبعض الجبال العالية حيث شاهدنا أشجار البخور ، الكثير منها والتي امتدت لمسافة ثمانية فراسخ ولم نشاهد سواها ، كانت بأحجام أشجار الزيتون لكن الأوراق تشبه تلك الأشجار ذات الأزهار قرنقلية ، وتنتج عناقيداً من التوت مثل البلسم حمراء اللون ، وقد أكلها العديد من الذين كانوا في مجموعتنا .

لعل هذا كان السبب ليقول "سولينو" "Solino" أن أشجار البخور تنمو في تعريشات الكروم في بلاد العرب ، وهذا حقيقي إذا تم فهم الأمر كما أنها تنمو بين "دورو" و "المنهو" على الأشجار العالية ، لكنني لا أدري كيف يفسر ذلك إن كان يتحدث عن المناطق المجاورة المشبوبة .

يتم الحصول على البخور بعمل جروح عميقة على جذوع الأشجار حيث يسيل منها سائل كالعسل السميك ، ويسقط على أوعية طينية تتدلى من تلك الجذوع ، ثم يقوم أصحابها بجمعها .

في وسط تلك المزرعة مررنا بممر ضيق عبرناه في صف طويل خلف بعضنا البعض وكنا خائفين أن يتسبب سوء حظنا في مواجهة مع بعض اللصوص ؛ لأنهم إن سمعوا أي شيء عنا سيتمكنون من سرقتنا بمنتهى البساطة ، ودون خوف في هذا المكان بسبب وجود تلال على جانبيه ؛ عالية جداً وشديدة الانحدار وكأنها صناعية قطعت بفؤوس حادة عن كونها طبيعية ، وكان هذا أحد أكثر الممرات رعباً في كل المملكة .

خلال رحلتنا من هرمز لم نمر على أي نبع طبيعي أو نهر بمياه عذبة ، إنما وجدنا مياهاً مالحة قليلاً ، لكننا وجدنا الكثير من الصهاريج التي أخذنا منها مؤونتنا من المياه العذبة دون أي معاناة .

في الثاني والعشرين من سبتمبر وعلى بعد اثني عشر فرسخاً من مدينة شيراز مررنا بأول نبع ، والذي فرح ورحب به الجميع ؛ حيث قضينا كل اليوم ونحن ننعش أنفسها بالمياه بعد الندرة التي مررنا بها طيلة الرحلة .

الأيام الثمانية التي قضيناها حتى وصلنا إلى هنا من "لار" لم نشاهد سوى رجال ونساء على ظهور الثيران ، وعليها سروج كتلك التي توضع على ظهر الخيل . تكثر طيور الحجل بكميات كبيرة ورخيصة الثمن في كل فارس ، وقد اشترينا أربعة وعشرين حجلاً مقابل "لاريم" واحد ، وهي في نفس حجم الطيور التي في البرتغال بالرغم من قساوة لحمها بعض الشيء .

بينما كان زملائي يسترخون حول النبع ، وشخصياً أيضا وجدتها فرصة لأقدّم بياناً مختصراً لما رأيت ولاحظت عن فارس .

بعد ضياعه وهزيمته في بلاد بابل ، ومن خلال تعدد الألسنة وتعقيداتها والأفكار المتغطرسة "للنمرود" المتكبر الذي اعتبر نفسه ملك العالم المؤقت ؛ سمح لأتباعه بامتلاك الأراضي التي يقودهم حظهم ونصرهم إليها . بعث "ميدو" ابن "جافيت" والذي يسميه النص المقدس "مهدي" Madai ليعيش في فارس بالقرب من بحر قزوين واشتقاقاً من اسمه سميت "ميديا" وعاصمتها مدينة تبريز .

تحد هذه المملكة من الشرق أراضي "أكبر" المغول العظيم ، والتي يفصلها عنها تقريباً نهر "إندوس" الذي أخذت منه الهند اسمها كما جاء في Monarchia Ecclesiastica . نادراً ما يذهب الإمبراطور (الصفوي) إلى هناك بسبب الجبال العالية التي تقع في الوسط ، مثل جبال "البيرينيه" في فرنسا أو الألب في إيطاليا ، ولهذا السبب فإنه يعيش آمناً في ذلك الجانب أكثر من أعدائه الذين في الناحية الأخرى .

للغرب منه يوجد عدوّه ومنافسه الرئيس ، الأتراك ، الذين ظل في حرب دائمة معهم بالرغم من امتلاكه لعدد كاف من الرجال والمدافع التي يمكن أن يقذف بها الإمبراطور الفارسي ، ويريح حياته ويستولي على معاقله ومدنه وقلاعه ومدنه وحصونه ، إلا أننا لم ندرك أن التركي الأعظم قد عبر إلى داخل فارس ، إما بنفسه أو ضباطه حتى لا يجد نفسه وقد هزم هناك وقتل رجاله وهزئ به .

السبب الوحيد هو أن السكان المحليين سيفرون إلى أعالي الجبال حاملين معهم كل أنواع الطعام ، وطالما أن الجيوش الكبيرة لا تستطيع أن تؤمن وتزود نفسها لمدة طويلة دون طعام ، وعدم مقدرتها على

مهاجمتهم في الجبال حيث يحتمون ، فليس أمام الأتراك سوى العودة من حيث جاءوا ، وبما أن التراجع يكون دائماً بصورة فوضوية وغير منظمة ، وإذا عاد الفرس من أعلى الجبال في أثرهم فسيدمرونهم تماماً ويقضون عليهم ، فهذه الميزة قللت وقلصت من السلالة العثمانية الحاكمة إلى دولة أكثر تحطماً واندحاراً في الوقت الحالي عن أي وقت آخر ، وسيقضي الرب عليها قريباً حتى تنتهي من الوجود .

تحد من ناحية الشمال ببحر قزوين ونهر "أكسيوس" "Oxus" و"شاجاتي" "Chagatay" وأراضي "خان تارتاري" "Tartary" العظيم وهو ليس جاراً قريباً لوجود بعض الحكام الصغار بينهم ، وبوجودهم فهو في أمن منه ، ومثلما أن الممالك المسيحية آمنة من الأتراك عبر البندقية .

من ناحية الجنوب تقع الحدود مع مدينتنا هرمز ومضيق البصرة أو الخليج الفارسي ، ويمتد لأربعمائة فرسخ طولاً ومائتين وأربعة وخمسين عرضاً (......) .

سأقص الكثير إن سمحت الشمس التي تدنو نحو الغروب بقليل من الوقت ، ولو لم يكن أصحابي ينادونني ويطلبون مني الاستعداد ، وقد طلب منا المغادرة عند منتصف الليل حتى نتمكن من دخول شيراز في وقت مناسب .

دب فينا الضجيج الذي أثارنا معلناً وصولنا على مرأى من المدينة عند الساعة الثالثة عصر ذلك اليوم ،لكن قبل دخولنا ، أود أن أحذركم بأن هذه ليست شيراز التي كانت تسمى في السابق "بيرسيبولس"

التي أسسها "سايروس" "Cyrus" على ضفاف الـ "Brindimiro" جاعلاً منها مدينة إمبراطورية وعاصمة لكل المملكة ، لأنه عندما كانت شيراز ، تلك الشيراز ، كانت القاهرة كالقرية مقارنة بها ، مما يشير إلى أنها كانت إحدى أكثر الأماكن أهمية في العالم .

أصدر الإسكندر أوامره بأن تحرق بناء على طلب سيدة (التي كانت كما يبدو صغيرة جداً) كما فعلت Herodias مع Herod عند موت المعمداني العظيم . من تلك المدينة بقيت فقط أطلال من السور ظلت واقفة الآن ، يغطيها الطحلب والرطوبة وكأنها تندب وتتحسر على قدرها المأساوي . كل ذلك يقع على بُعْد اثني عشر فرسخاً من المدينة التي أنا على وشك الدخول إليها ، والتي تقع على أراضي عريضة مستوية بين ثلاث سلاسل من التلال ، واحد من كل جانب والثالث في مقدمتها .

لفَهْم أفضل لكل ذلك ؛ عليك بالاتجاه نحو الشرق ، ومُدّ يدك اليمنى ٍوأبعِدْ الإبهام على الأصبع الأول وتخيل بينهما المدينة ، يظل اسمها شيراز في ذاكرة أولئك الكبار في السن . عند دخولنا لاحظت مظاهرها الاستثنائية .

أذكر أن جميع الأسوار من الطين اللبن ، منخفضة وليست سميكة ومتساقطة في بعض الأماكن . على بعد نحو نصف فرسخ منها تل شديد الانحدار رأيت حصناً عليه مع أحد عشر برجاً يبدو ضعيفاً كالجدران ، وقد بدا لي أن ذاك الحصن وتلك الجدران هي فقط موجودة وقائمة ليس إلا ولكن ليس للدفاع عن المكان .

بجانب المساجد الصغيرة التي يوجد منها الكثير تحتوي المدينة على

أربعة عشر مسجداً من أجمل ما يكون . ثلاثة منها ضخمة على غير العادة مع مآذن على الأسوار (مزخرفة بطريقة غريبة جداً وتشبه رقعة الشطرنج) شامخة كالأذان الذي يطلق منها يوميّا ، وأعتقد أن المكان هو الأروع في كل فارس .

هناك ثلاثة عشر ألف منزل وخمسة آلاف فارس ، وذلك لوجود الكثير من الخيول في تلك الأنحاء ، رخيصة الثمن وممتازة . توجد ساحتان للسوق أقل روعة من تلك التي في "لار" لكنها مليئة بالكثير من الأشياء ومزودة بكل الضروريات .

بالقرب منها أربعة مبان يسمونها الخان (الفندق) في مثل حجم الدير ، وفيها يقيم كل الأجانب من أي دولة كانت أو ولاية . إحداها وهو الذي أقمنا فيه ، به مائة واثنتا عشرة غرفة ، بكل منها (شرفة) برندة ، وتحتها الإسطبلات التي تتسع لخمسمائة فرس وساحة غاية في الجمال ، تقع في وسطها نافورة دائمة لها مياه رائعة .

حالما دخلنا جاء المسؤول ليزن ما معنا من ملابس وبضائع ، حفظت في مستودع ، وأعيدت لنا بنفس أوزانها عند مغادرتنا دون أن ندفع أي مستحقات أو أجور ولا حتى لو ريال واحد طلب منا .

رفيقي الذي اندهش جداً وتأثر للموقف ولتحرر وأمانة أولئك المسلمين قال لي : "هل كان هذا ممكناً حدوثه في بلد مسيحي؟" الخانات الأخرى أكبر عن هذا الذي كنا فيه ، لكن لعدم وجود نافورة فيها فإن التجار يحاولون إيجاد سكن لهم هنا ، وهي أيضا قريبة من قصر الحاكم ، "فيردي خان" ، الذي كان في ذلك الوقت مع الصفوي

(الإمبراطور) ذهبا لقتال الأتراك ، وقد أخذ ابنه "أوشا" (الإمام كولي خان؟ الخان = Ochaa) مكانه ، وهو شاب في العشرين من عمره ، وقد بعثت له برسالة طالباً الإذن بزيارته وقد أبدى رضاه في منحي ذلك الإذن .

أول ما رأيته عند دخول القصر قطعتين من المدفعية ، على إحداها الآثار لخمسة جروح التي ترمز لأسلحة البرتغال . كان ذلك الذي تم الاستيلاء عليه من "باندل" بواسطة رجال من "لار" كما رويت في الفصل (١٢) .

من ناحية سعدت كثيراً لرؤية أسلحة بلادنا بعيدة عنها كثيراً ، ومن ناحية أخرى حزنت لرؤيتها تحت قبضة الكفار .

استقبلني الجميع بمنتهى الحفاوة ، وبعد أن قدمت لهم تفصيلاً طويلاً عن رحلتي كما أفعل دائماً في البلاد التي أقيم فيها ؛ منحنى الحاكم الإذن بالانصراف عارضاً مسؤوليته بكل شؤوني وتأسف على عدم وجود والده ليستقبلني ، كما كان يودّ ، وأضاف كلمات من الأدب وحسن الاستقبال لا أريد أن أضيع الكثير من الزمن في ذكرها .

سألني إن كنت أرغب في التواجد والاستماع لتجمع ملكي كان سيتم في باحة القصر بعد يومين كما جرت العادة .

اتخذت موقعي في إحدى الردهات ، وقد بدأ منذ شروق الشمس ، ولمدة ساعتين ، قرع للطبول وعزف البوق بطريقة غير منتظمة حتى بدأ الأمر كالضجيج الناتج عن هياج واضطراب وأصوات يمكن أن تسمع عبر كل أنحاء المدينة ، كان هذا لاستدعاء السكان للاجتماع .

تم نصب مظلة ضخمة ، وعندما استعدّ الجميع ظهر الحاكم يرافقه كل السادة الكبار والوجهاء الذي أخذوا مواقعهم طبقاً لرتبهم ، عندما تم كل ذلك ظهر أحد الفيلة عليه زخارف من القماش المطرز وشرائط عليها أجراس فضية صغيرة تحدث أصواتاً رنانة ، الخادم الذي على ظهره أخذه حتى (الإمام) أو الخان ، وجعله يركع مع العزف ثلاث مرات اعترافاً بسلطانه ولتحيته ، ثم ابتعد إلى أحد الجوانب ، واستمر في المرجحة يميناً وشمالاً .

جيء بعد ذلك بثلاثة نمور مقيدة بالسلاسل . كان أحدها أبيض وضخماً . الآخران كانا بلون العسل وأصغر حجماً ، قدما للسيد الكبير بواسطة الرجل الذي جاء بهما ، أعطيت الإشارة له لإبعادها بعد ذلك ، وللجنود لحفظ النظام لوجود الناس الذي كان مهولاً .

كل الذين كانت لهم أعمال ويودون أن يسمعهم اتخذوا مواقعهم بالقرب من الحاكم والبعض بعيداً عنه ، تم كل ذلك كتابة لعدم السماح لأي أحد أن يفتح فمه أو التحدث هناك .

أول الأشخاص الذين يتم التعامل بما عندهم هم النساء ثم الفقراء ، قرأ الخان كل الأوراق التي قدمت له ، ثم قام بتسليمها لأربعة قضاة "cacizes" يمثلون القضاة ، هم عادة رجال كبار في السن ومحترمون كما يبدو من مظهرهم ، قاموا بإعطاء إجاباتهم بناء على وجهات نظرهم ، وقد أكد عليها وصادق بموجبها الخان باسمه .

الجميع استمع لهم ، وتم التعامل بكل شيء بهذه الطريقة دون أخذ

أي شيء من مقدمي تلك الالتماسات . لم يكن هناك من الكثيرين منهم ؛ لأن هذا الاجتماع العام يعقد مرتين في الأسبوع ، في أيام الثلاثاء والسبت والقضايا لا تستمر طويلاً ، لأنه حالما يتخذ قرار بشأنها فليس بعده استئناف أو إعادة نظر للقضية .

بينما تتم تلك الأحداث تشعل نار في خندق كالقبر وثلاثة من الرجال من الذين اتهموا بالسرقة أجبروا على وضع أرجلهم في النار ، المساكين الذين عوقبوا بذلك القصاص أطلقوا صيحات وتأوهات جعلت كل من كان هناك يشعر بالأسى نحوهم ، لا أدري عن الشيء الذي اعترفوا بارتكابه ؛ لكنني أؤكد لكم أنهم سحبوا بعيداً ؛ لأن النار كانت قد سلخت جلود أرجلهم .

بعدهم جيء بآخر سيء الحظ وهو مقيد بالحديد قبض عليهم بالجرم المشهود ، وضع على الأرض أمام الحاكم ، استُدعي الفيل ووضع قدميه الأماميتين عليه حتى مات ، كانت النمور تراقب وهي تحاول التخلص من سلاسلها للوصول إليه ، ثم وعلى مرأى من الجميع هاجمته ومزقته إلى أشلاء وأكلته ودفنته في داخلها ، وأسلمت روحه لجهنم . بموت هذا البائس انتهى المشهد ، انسحب القوم وانتهى الاجتماع .

الفصل الخامس عشر : ما هي الأشياء الأخرى التي رأيتها في شيراز ، وميزات الفيل وحصاة أمعاء الحيوان .

بالرغم من أنه يمكنني ترك الأمور التي تتعلق بالقانون في تلك الأنحاء بحسب الحكم والعقوبات التي وضعتها ، إلا أن هناك مظهراً خاصاً جداً سأقوم بوصفه لأولئك الناس في كل مدينة وبلده أو قرية

عمده وهو رجل مسؤول والأكثر ثراء في المنطقة ، والذي ليس له معاشٌ أو راتبٌ (بخلاف ممتلكاته) ؛ إنما فقط ما يعطيه له الملك بناءً على واجباته ودون أخذ أي شيء من الناس مهما كانت الأعمال التي يؤديها ، وظيفته أن يقوم بسجن كل لص في المدينة أو البلدة التي يتولى فيها ذلك المنصب ، وإذا لم يتمكن من القبض عليه فهو ملزم بالتعويض عن كل سرقة أياً كانت عندما يتأكد دون تعمد أو ضغينة أن تلك السرقة حدثت نتيجة إهمال أو اتخاذ الحذر اللازم من قبل العمدة .

إن كانت السرقة على الشوارع أو الطرق العامة ؛ فإن العمد في الأربعة بلدات المجاورة للمكان الذي حدثت فيه السرقة ملزمون بإيجاد اللصوص ، وإن لم يتمكنوا من إيجادهم خلال فترة معينة ؛ فإن الأربعة جميعاً سيدفعون قيمة الشيء المسروق بواسطة اللصوص في مناطقهم .

لذلك ؛ فإن كل الطرق العامة حدودها محددة ومعينة حتى لا يدعي أحد الجهل بموقع السرقة ، ونتيجة لذلك فهناك الكثير من الحراس الذين يستفسرون من المارة عن إلى أي يذهبون ، ومتى وكيف يلبسون ، ومن أي جنس هم ، ويتم القبض عليهم في النهاية نتيجة لذلك الحرص واليقظة ، وتتم معاقبتهم في النهاية بالطريقة التي ذكرتها .

هذا الاجتهاد المستحق جعل من الطرق مكاناً آمناً حتى إن النساء وهن يحملن أموالاً في أيديهن يمكنهن السفر على تلك الطرق دون خوف . إن كان ذلك العمل وتلك الطريقة استخدمت في البلاد المسيحية ، كم من الذين يشترون موظفي العدل هناك يمكن لهم

النجاة لو لم يقوموا برشوتهم؟! للفرس هذه الميزة عنا ، فهم يبحثون عن رجال ليقوموا بتوظيفهم ؛ بينما نحن نبحث عن وظائف للرجال!

في اليوم التالي جاء ناسك (يسمونه "giomayler") ليقابلني ، وطبقاً لما اطلعت عليه فيما بعد ، كان رجلاً محترماً من أسرة ومعروفاً (إن كان يمكن وصف هؤلاء الناس بالنبل) وكانت ملابسه من الحرير الأحمر مع حزام في الوسط من نفس النسيج بخيوط ذهبية وأجراس فضية في نهايتها ، وعلى كتفيه من فوق الحرير جلد نمر ضخم .

كان رأسه عارياً ، وله شعر مسدل طويل وخواتم كثيرة على أصابعه ، يحمل في يديه مجلداً مع مخطوطة كتبت بالفارسية عن حياة محمد وحواره علي ، وأصل وبدايات إسماعيل الصفوي كرجل يستحق التبجيل ، كلها كانت مذكورة في ذلك (الإنجيل) الكتاب الأسود الذي معه .

كان عمر ذلك الرجل المسلم أربعين سنة ، يبدو كثيراً كسيد ونبيل ، قلق النظر ، هادئ ، متأن في حديثه ، وباختصار فإن كل من يراه فسيحكم عليه بأنه رجل مهم ، وله اعتباره في مجتمعه . لترجمة ما يقول جاء معه بخادم مرتد ، كاد أن يحتضن قدماي كما فعلت أنا نفس الشيء .

أخبرني وهو ينظر نحو الأرض أنه احترم كثيراً ذلك الرداء الذي رآني فيه ، واستحوذ عليه سلوكي وتصرفي نحو ابن الحاكم في يوم الأحد الماضي ، عندما كان هو حاضراً ، وقد احتفظ بذلك الشعور الفياض تجاهي حتى إنه وجد لزاماً عليه بحق تلك العاطفة أن يأتي لزيارتي .

شكرته بأفضل ما يكون على حضوره ، وتحدثنا لمدة طويلة عن أشياء كنت أود معرفتها منه ، والتي سأذكرها فيما بعد ، وعدني عند ذهابه

أن يأتي في الليلة التالية ليأخذني ورفيقي لرؤية حديقة الملك ، والتي كانت على مسافة طلقتي بندقية من المدينة .

عند ذهاب الناسك بدأنا جميعاً الحديث عن الفيل ، وأعتقد أن ذلك سيمتع قرائي أن يعلموا شيئاً عن صفاته خصائصه وقدراته التي سأقدم بياناً عنها ، لأنها ذات طبيعة استثنائية ، وسيعتبر كل من قرأها أنها تستحق الوقت الذي صرف في وصفها .

يقول "إليان" "Elian" عند الكتابة بخصوص هذا الحيوان ، إنه الأضخم والأقوى ، وأكثر حيوان غير عادي عرف على وجه الأرض . يبلغ طوله خمسة أذرع وارتفاعه تسعة أذرع ومحيط خصره خمسة عشر ذراعاً ، جلد جسمه سميك جداً وخشن ومليء بالثلول وقليل من الشعر الذي يبدو وكأنه قد خُلق .

يميل لون الجسم إلى الرمادي الداكن مما جعله يبدو في غاية القبح ، له رأس كبير ويبلغ طول أذنيه ثلاثة أشبار وعرضها نصف شبر ، وهي في حركة دائمة وكأنها تصفق .

الشي العجيب أن جبهة الفيل هي تقريباً أقوى جزء فيه ، وتحرك المراكب في المياه عن طريق دفعها برأسه . العيون نشطة لكنها صغيرة مثل أعين الخنزير ، والأكثر غرابة هو الفم ، به نابان هما تبرزان بطول ستة أو سبعة أشبار للخارج وهي لا تتغير طيلة حياته ، لا تملك أنثى الفيل تلك الأشياء وتلك الأنياب ، الذكور فقط ، وهي من مادة العاج . بالرغم من أن "Fuchsius" يؤكد عدم وجود ذلك في العالم الحقيقي ، فإنني لا أرى سبباً لقضاء الوقت في عرض مثل هذا الخطأ الواضح والصريح .

يمثل الخرطوم أنف الفيل ، وبه أربعة ثلول متصلة بالفم وتضيق كلما ابتعدت عنه مثل أنبوب لإدارة تقطير ينتهي بثقبين ، وهي فتحات الأنف .

بهذا الخرطوم يأتي بالأشياء ويحملها بمساعدة حبال تربط على نابيه ، ويحمل الكثير من الأوزان الثقيلة . له عنق قصير ولا نعرف من أين يبدأ وأين ينتهي . له بطن عريض ، والظهر أعلى من بقية الأعضاء والرأس ، لا توجد مفاصل في الأرجل الأمامية أو الخلفية وهي مستديرة وسميكة ، يبلغ محيطها أربعة أشبار .

بكل منها خمسة أصابع وأظافر مميزة تنفصل عن بعضها البعض . بالرغم من أن "بولس جنجنيتا" يمدحها لما له من خصائص طبية مفيدة ليس لنا بها علم ولم يشر إليها أو انتبه لها أحد في الهند أو إثيوبيا .

يمدح القديس "توماس الفيل" لما عنده من كرامة ووقار وليس لما تفهمه لكن يبدو أن له بعض الصلات مع تلك الفضائل .

يمجد "أرسطو" ذاكرته وطبيعته المنزلية أنه الحيوان الوحيد بين المخلوقات غير العقلانية التي تبجل الملوك والأمراء الذين على الأرض ، وأستطيع القول إنني رأيت في "غوا" ثلاثة منها تقدس السر المقدس وهي جاثية على ركبتيها عند بوابة الكاتدرائية في اليوم الثامن من عيد الفصح عند الاحتفال الخاص بـ "Corpus Christi" الذي يجرى في الهند ، وذلك بسبب الحرارة الشديدة .

الفيل من طبيعته الخنوع وملتزم ومتسامح وخجول وعطوف ، يستلقي ويقف كلما طلب منه ذلك . يقول الأب "فيليبي دياز" "Philippe Dias" إنه لا يرقد أبداً ، بل ينام وهو متكئ على جذع الشجرة ، إلا أنه لم يتحقق

من هذا الأمر كما فعلت أنا ، وقد طلبت من الخادم مرات عديدة بأن يجعله يستلقي ويقف ، وقد فعلها أكثر من مرة .

تفهم الفيلة اللغة التي يتحدث بها مواطنو البلاد ، وأي لغة أخرى يتم تعليمهم لها . أحد العقوبات الاستثنائية التي يمكن أن تقع عليها هي إساءتها يقول "Gillius" إنها تبكي وتنتحب بالليل على سوء حظها الذي جعلها تقوم بأعمال منحطة وذليلة ، لكن عندما تسمع أصوات الناس تخفي دموعها ، وتئن حتى لا يُستخف بها .

يعتقد أنها تتميز بكرامة ، لكن هذا الادعاء يشوبه الشك ، ويقال إنها حقودة . في حوض السفن في "غوا" رأيت إحداها وقد ألقى حجراً بواسطة خرطومه على صبي أساء له بينما كان مقيّداً .

يبالغ "إليان" في صفاتها للمدى الذي يؤكد فيه أن أحدها كتب شعراً باللغة اللاتينية ، وأعتقد أن كان هذا ضرباً من الخيال . نحن نعلم من وثيقة عامة في مدينة كوتشين أنه عندما كان ضابطاً معيناً يقوم بنوبته في حوض السفن وهو ينزل القوارب في البحر رأى أن ذلك الفيل الذي كان يقوم بالعمل قد بلغ به التعب مبلغه فذهب إليه ، وقال :

"أيها الأخ ، هل يمكن أن تنزل لي تلك السفينة كخدمة لملك البرتغال؟" فأجاب الفيل "Hoo ، hoo" وهي تعني بلغة المالباري "سوف أقوم بذلك . سوف أقوم بذلك!" حتى وإن لم تذكر تلك الكلمات فقد قام بأداء ذلك العمل الذي طلب منه .

يقول "Oppianus" وهو من أصحاب الرأي إنه لا يشك في أن الفيلة تفهم حديثها مع بعضها البعض بطريقتها الخاصة ، ويقول "إليان" في

الفصل المشار إليه بأعلاه إنها متدينة وإنه عندما تشرق الشمس فإنهم يقدسونها ، وفي موضع آخر يقال إنها تقدم غصوناً خضراء للقمر الجديد كنوع من القرابين .

يدّعي "كريستوفاو دا كوستا" "Cristovao da Costa" أنه شهد بأم عينيه مثل هذا التقديم للقربان ، الأب "جيوفاني دي سان جيميجناو" "Jiovani de San Gemegnao" و"إليان" يمدحان بصورة دائمة عفة تلك الحيوانات وكراهيتها للزنا ، وأنه لا يضاجع سوى أنثى واحدة ، وفي مكان بحيث لا يتم مشاهدته من أي إنسان .

لكن مع كل تلك الفضائل إلا أنها لها نقائصها ومثالبها ، وذلك لأنها شديدة التحسس من البرد ، وتخشى النار أكثر من أي حيوان آخر كما أنها تحزن كثيراً ، ومن رأي أرسطو أنها تعيش لمائتي عام ، ويقول عندما تموت فإنها تدرك مصيرها ونهايتها . أكيد أن ذلك كان أمراً استثنائياً وهو أنها أكثر المخلوقات خوفاً من النمل والفئران لأنها عندما تدخل في أذنيها أو خرطومها فإنها تصيبها بالجنون ، ولذلك عندما تهاجمها تصبح عنيفة وشرسة .

تذهب للحرب مسلحة ومغطاة ، وتحمل على ظهورها حصناً خشبياً بداخله رجال مسلحون ومؤن تكفي لعدة أيام .

من المؤكد وجود الكثير من الفيلة في إثيوبيا (الشرقية) بل أكثر حتى من كل الأبقار التي في أوروبا ، لكن أفضلها تلك التي تأتي من جزيرة سيلان ، فإن قصصاً رائعة ومدهشة تحكي عنها ، وبالإضافة لما ذكره المؤلف فإنني قد ذكرت أنها توجد في الوثائق التاريخية الهندية عند..

Athenaeus, Plutarch, Aristophanes, Porphyrius , Heliodorus, Cicero, Pliny, Afonso Cadamosto . Philostratus

وآخرين كتبوا عنها .

كنا نتحدث عن تلك الأشياء ذات صباح عندما جاء أحد التجار الفرس عبر الباب وهو يحمل علبه مجوهرات مليئة بحصوات أمعاء الحيوان والتي وددت كثيراً رؤيتها ؛ لأن تلك الموجودة في هذه البلاد هي معروفة كونها الأفضل في كل الشرق ، وبما أنها تستحق الذكر لحسنتها الوحيدة فإنني سأصفها باختصار :

هذا الحجر المتميز يوجد في أمعاء الحيوانات التي يسميها الفرس "Pazahr" وتشبه التيس (ذكر الماعز) وأكبر من الشاة ، سريع جداً وفي حالة تحفز دائم ، ويمكن مقارنتها بالغزال البري إلا أنها ذات لون فاقع يميل إلى المخمل .

شكل وألوان الأحجار كثيرة ومتنوعة بعضها كحبة الجوز بعضها طويلة وسميكة مثل البيضة ، بعضها مثلثة وأخرى مسطحة كحبة الكستناء ، بعضها الآخر طويل ومستدير .

الجسم الأساسي لهذا الحجر مغطى بسلسلة من الطبقات المنفصلة عن بعضها البعض كقشور البصلة ، داخلها عادة ما يكون مجوفاً ، لكن ليس دائماً ؛ لأن في بعضها يوجد خيوط مثل عروق القش أو التبن والتي بها إحدى تلك الخيوط هي أكثرها قيمة وتفضيلاً . من ناحية اللون ؛ فبعضها أخضر ناصع أو قاتم ، أخرى لونها أسمر محمر وأخرى صفراء .

في مدينة "كاهريستان" حيث يباع أفضلها تسمى حجر Pazar

ويقول الفرس إن هذا هو اسمها الحقيقي والذي يعني في لغتهم "الأول ضد السم" . كان هناك سببٌ جيدٌ لذلك ؛ لأن كل المضادات للسم التي عندنا في الشرق لم يستحق أحدها أن يكون اسماً مقنعاً وبرهاناً مثل ما يعنيه هذا الاسم والحسنة التي فيه هي أنه مضاد حقيقي فعال وترياق لكل الأمراض والحميات .

يقول المسلمون إنه عندما خلق الله كل شيء للرجل فإنه احتفظ (أي الله) بهذا للرجال ذوي العزيمة والشرف ؛ لأن لها قيمة عليا الآن فإن الخبث الإنساني قد أفرز قيماً مشابهة تماماً وتبدو طبيعية ، حتى التجار الذين يتعاملون ويتاجرون فيها يُخدعون في معظم الأحيان ، لكن حتى لا يمتد جهلهم لنا فإن أي شخص يود معرفة الأصلي منها ما عليه سوى بلها بالماء ومسحها على الجير الكلس فإن تحوّل لونها للأخضر فهي ممتازة وإن لم تتغير فهي مزورة وغير أصلية .

أما أفضالها قد ناقشها من قبل "جارسيا دي اورتا" "Garcia de Orta" ، برتغالي ، في بحوثه عن الطب الشرقي والأدوية .

بسبب الإيجاز فقد حذفت ما ذكره "أماتو لوستيانو" "Amateo Luciano" ، "أندريه ماتيولو" "Andre Matheolo" ، "كريستوفاو دا كوستا" وآخرون ، وأضفت فقط أن الاسم"Pazahr" هو اسمها الحقيقي ، وأن الاسم "bezoar" هو غير صحيح .

في الثانية من بعد الظهر وصل الناسك ليصحبني مع رفيقي والمترجم إلى حديقة الملك ، يبلغ عرضها حوالي نصف فرسخ تخترقها ثلاثة أنهار جارية تقوم بريّ كل شيء . يقع في وسطها العديد من

أحواض الزهور من الهند ومن إسبانيا ، وفي وسطها السرادق الذي يجلس عليه الملك للاستمتاع ، تزيّنه رسومات وأشكال خيالية .

في القاعة الأولى شاهدنا عند دخولنا رسماً على الجدار لملكة الملائكة ومعها الطفل "يسوع" بين ذراعيها ، كان منظراً أدخل البهجة في نفوسنا ، وبكى بعض من رفقائنا من السعادة .

جلسنا على الأرض وقدّمنا تقديسنا كما يجب في وقت قصير . لم يستغرب المسلمون من سلوكنا ؛ لأن الأمور التي تتعلق بالإله تُرضي وتُفرح كل شخص . لا يجب أن يندهش أي أحد من هذا لأنه في مدينة "دابهول" "Dabhol" في الهند رأيت رسالة بعث بها أحد المسلمين إلى مسلم آخر كان مرسوماً عليها أم القديس و"يسوع" على ذراعيها .

أيضا تلك الرسالة شوهدت بواسطة "دوم لويس لوبو" "D . Luis Lopo" وابن أخيـــه دوم "براس لوبو" "D . Bras Lopo" ودوم "أنطونيو لوبو" "D . Antonio Lopo" ورجال آخرون عندما كنا جميعنا مسافرين معاً من "باسين" إلى "غوا" ، كانت تلك الرسالة مختلفة تماماً عن أخريات كتبها أشخاص عندهم الكثير في عقولهم .

عند مغادرة السرادق مررنا بصهاريج ضخمة ، عريضة وعميقة ؛ تطفو عليها سفن ومراكب وقوارب صغيرة . الكثير من النافورات كانت حول الحديقة في شكل صنابير ، تماثيل ، حيوانات ووحوش بحرية أخرى ، غاية في الإبداع حتى إنها لتبدو حقيقية وطبيعية أكثر منها صناعية وخيالية .

أخذَنا الناسك من هناك عبر بعض ممرات اصطفّت على جوانبها

الأشجار التي كانت أغصانها تكاد تلامس السحاب ، وفي وسطها وجَدْنا الحاكم جالساً مع شخصيات أخرى هامة ، رأوا أن عليهم التواجد هناك عند حضورنا .

بعد أن جلسنا سألونا عن رأينا في الحديقة فقلت إنها أجمل ما رأيت في كل فارس ؛ لأن فيها عيسى ابن مريم الذي يسمونه سيدنا المسيح "يسوع" وأم الرب (مريم) المعروفة في تلك الأنحاء .

بدا لي كل شيء في غاية الروعة ، ابتسم الجميع وحيّوا الحب الذي أبديناه في هذه المناسبة .

بعد قضاء نصف الساعة هناك أخذونا لنشاهد مباراة "بولو" التي لعب فيها الخان وآخرون وهم على ظهور الجياد بمهارة عالية بالرغم من الصيحات العالية التي يرددونها عند كل لعبة جميلة ومثيرة . حَلّ الظلام واستأذن الجميع مغادرين إلى منازلهم .

أتعجّب كم من الناس سينتابهم الشك بخصوص صورة ملكة السماوات التي بالسرادق ، لكن بجانبي كبير أساقفة "غوا" في رحلته من مالابار حيث يقدم بياناً عن أشياء أخرى أعظم في فارس . أعتقد أنهم سيثقون أكثر لما أقول ، أولئك الذين يحكمون إن كان الأمر أكثر استغراباً في وجود ملك مسلم تكون عنده صورة لأم القديس في حديقته عن وجود كنيسة في بلاطه!! كما نعلم جميعاً أن في عاصمته أصفهان دَيراً للأَخَوية الدينية الخاصة بالقديس "أوغسطين" "Augustin" .

يقوم هو بحمايته وصيانته على حسابه ، لكن هذا أيضا لا يدهشني ؛ لأن ملكاً بالرغم من كونه ملحداً يقوم بالدخول في حالة انتصاره ، وهو

يلبس صليباً في عنقه وعلى مرأى من قومه ويثمّن ذلك عالياً ، وأنه معه في غرفة نومه ، ويصلي له كل ليلة ، ولا يكتفي بهذا بل يعلم كل من في قصره بأن يقوم كلٌّ منهم برسم الصليب ؛ كونه معلمهم وكلهم راكعين حتى الملك نفسه .

ما الذي يوجد هناك سوى أن الرب رأى أنه من المناسب أن يأتي ذلك من السماء لإنقاذنا وليقدم لهم المعرفة ، وليرفع من الأرض إلى السماء ملكاً وقومه يقدسونه ويجلونه في فارس؟؟

يجب ألا نشك ، لأن ذلك ليس مستغرباً لأنه في بلد حيث صليب المسيح الحقيقي ظل لأربع عشرة سنة ، عليه يجب أن نسمع عن أربعة عشر ألف معجزة كل سنة .

الكثير يمكن أن يقال ؛ لكن لأن كل شيء قد كتب وسجل في الكتاب وذكرت الفصل ؛ فإنني أحذفها وأقول فقط : إذا كانت الأفعال وليس الكلمات هي المظهر والصورة الحقيقية للحب مثل تلك التي أبداها هذا الملك تجاه المسيحيين الذين يسافرون في وعبر بلاده ، ولأنه أمر بأن لا يدفع أي مسيحي أي رسوم على بضائعهم من أي نوع كانت ولا حتى أن تفحص أشياءهم ، ولا أن يؤخذ مسيحي سجيناً دون إذن من الملك حتى وإن ارتكب جريمة ما ، عندها لن يكون هناك أي تشجيع أعظم ولا مؤشرات لحب حقيقي أكثر من ذلك .

ليُنْعم عليه الرب بالرخاء والتقدم حتى نرى (فارس) وقد أصبحت (إسبانيا) أخرى في المسيحية كما كانت من قبل .

الفصل السادس عشر : نغادر شيراز ، نصل إلى رام هرمز ونعبر البحر إلى "اهفاز" .

بعد قضاء اثني عشر يوماً في المدينة كان مترجمُنا مشغولاً في اليوم التالي في استعادة ممتلكاته بنفس الوزن ونفس المقاس كما تسلّمها الحراس عند وصولنا . من أجل هذا العمل وإيجار الإقامة الذي بقينا فيها نحن السبعة مسيحيين ، أي رفيقي وشخصي والمترجم "ديوجو فيرنانديز" "Diogo Fernandes" وخدمنا ، دفعنا مبلغ اثني عشر "لارينز" . كان ذلك كل ما تم سداده من قبل مرشدنا من مستحقات أجور وبقشيش في كل فارس عن كل الملابس والبضائع التي أحضرها والتي كانت بكمية ليست بالقليلة .

أنا أذكر ذلك حتى يعرف العالم كيف أن الجشع يكاد يكون معدوماً في فارس بين المسلمين ، وكيف هو كثير جداً بين المسيحيين .

عندما تم الانتهاء من ذلك العمل الذي لم يكن لنا يدٌ فيه أخذنا الإذن بالمغادرة من بعض السادة النبلاء وآخرين الذين كنا مقدّرين لهم ما قاموا به . عندما تجمعت القافلة التي بها أكثر من خمسمائة نفس ، بعضهم على ظهور الدواب والبعض الآخر راجلاً ، بدأنا التحرك .

غادرْنا المدينة ومررنا عبر بساتين وحدائق ومزارع عنب ، ولم نشاهد أي شيء طيلة ثلاثة فراسخ ، كلها كانت تروى بواسطة العديد من الينابيع وأنهر بمياه رائقة ورائعة ، سافرنا على طول تلك الأماكن ليومين دون أن نصل لمنبعه الذي كان بعيداً عن الطريق ، كان الطريق قد أنشئ بواسطة الله فيردي خان في العام ١٦٠٤م ، ويبلغ طوله أكثر من عشرين فرسخاً حتى حديقة الملك .

حالما ابتعدنا عن النهر دخلنا إلى غابة كثيفة من شجر السنديان وأشجار البخور التي سافرنا عبرها ليومين ونصف بكثير من الغبطة والفرح ، وكنا دائماً نسير تحت ظلالها ، ثم رأينا قرى وبلدات وقرى صغيرة ونحن في ذلك الطريق الذي قطعناه دون أن يكون هناك من شيء يستحق الذكر .

بعد أن قطعنا مسافة خمسة وعشرين فرسخاً عبر هذه الغابة وَلَجنا إلى بعض الجبال المتناثرة التي يقع وراءها وادٍ صغير بجانب نهر صغير حيث عُرضت علينا عظام إنسان كلها مجموعة ومرتبة . عندما سألنا رعاة الجمال عن سبب ذلك أخبرونا أن رفيقين جاءا إلى تلك البقعة ، وقتل أحدهما الآخر ليأخذ منه قليلاً من المال وفرساً كان يركبه . امتطى القاتل ظهر الحصان .

بعد أن واصل الركوب طيلة الليل في سرعة شديدة وجد نفسه في الصباح التالي في نفس المكان الذي سلب فيه حياة صديقه ورفيقه . تم القبض عليه هناك وأعدم حتى الموت وما وجدناه كان هيكله العظمى الذي نراه الآن .

عندما علم الجميع بذلك لعنه الكل وقذفوه بالحجارة ، أعتقد أنهم على حق لقيامهم بذلك لأنه لا توجد جريمة أكبر وأعظم من تلك التي ارتكبها ضد شخص أحبك ، ولا هناك من خبر أكثر من أن تحب عدوك ، لذلك دفع ذلك المسكين عن جريمة السرقة حياته جزاء لها ، واشترى موته بمال شخص آخر .

واصلنا الرحلة بعد أن انحسرت حرارة النهار ونحن نتعجب لأحكام

الرب التي لا يمكن استيعاب مجرياتها ، ونحن نرى عبر تلك الأساليب الغامضة كيف عاقب الرب شخصاً ظن أنه حر وآمن .

نحن في طريقنا كانت هناك قصص أخرى ذاتُ علاقة بنفس الموضوع ، حتى شاهدنا من أعلى تلة بين الكثير من أشجار الصفصاف والحور والدردار نهرا يسميه الفرس النهر الحلو (the doce) ، وهو بعرض نهرنا المسمى "مونديجو" "Mondigo" في "كويمبرا" ، وعلى طول ضفافه نشاهد الغزلان بكل أنواعها ، وقد أكد بعضهم لنا أيضا وجود الخنزير البري وأنواعا أخرى من الطيور والحيوانات .

كان هو المكان المناسب الذي اقترحنا أن نقضي الليل فيه لأننا عندما عبرنا عبر الغابة الكثيفة بأشجارها الباسقة الجميلة كان الغروب قد حلّ فقرّرنا المبيت والاحتماء بأشجارها . حذَّرنا مترجمنا بأن نكون يقظين بقدر الإمكان ؛ لأن بعض الهجمات من بعض الأشخاص الذين يختبئون هنا قد حدثت من قبل ، يأتي اللصوص لتلك الأماكن للسرقة لأنها مناسبة ، وهم لا يتوانون في قتل من يجدونه نائماً كما حدث لآخرين سلكوا هذا الطريق في أوقات أخرى .

بما أن التعب قد أخذ منا فقد أصدرت أوامري بأن تحرس كل القافلة من قبل حراس يتناوبون الحراسة ليلاً ، حتى نتمكن من أخذ الراحة بقدر الإمكان ونحن في مأمن ، وقد شارك الجميع وهم يحملون سلاحهم في أيديهم حتى نواجه من يهاجمنا ، إلا أننا لم نواجه أو نسمع أي شيء .

عند طلوع القمر استيقظ الجميع وتفرقنا آملين الوصول إلى مدينة رام هرمز ، والتي كانت تبعد مسافة أربعة عشر فرسخاً من هناك حتى نصل في وقت مناسب ؛ لأن المعرض كان سيتم في اليوم التالي .

على بعد ثمانية فراسخ من المدينة مررنا بنهر صغير كانت مياهه عذبة عندما يجري لكن في البرك التي تتجمع فيها المياه كانت مليئة بالملح الصافي وقد استخدمناه في مرات في طعامنا ،

بعد عبورنا ذلك النهر ونحن على مرأى من رام هرمز مررنا أيضا بنهر (Ruduana - ye Gerrahi? = Ruganto) الذي كان عريضاً مثل "التانجوس" في "ابرانتس" ، وينقسم إلى سبعة عشر نهراً صغيراً التي تقوم بري الحقول الواسعة في رام هرمز ، التي تزرع في أراض أكثر انبساطاً وخصوبة عن تلك التي في البرتغال عند "سانتاريم" "Santarem" ؛ بالإضافة لمحصول الخضروات فإنهم ينتجون محصولين آخرين ، أحدهما الأرز والآخر القمح .

هذا يؤدي لوجود أسراب ضخمة من الطيور التي تسمى (tugur) حتى إنها تغطي ضوء الشمس عندما تطير وكأنها سُحُب متحركة .

هناك الكثير من الملاحظات في هذه المناطق الريفية ، حجمها لأن من هذا المنطقة يبدأ الدخول إلى الجزيرة العربية بالرغم من عدم اعتبار ذلك محلياً هنا ، هنا كميات وافرة من المياه التي تروى بها المزارع ، المحاصيل التي تنتجها ، التنوع والتعدد في الماشية التي تربى وترعى هنا ، وأيضا الابتلاء بأسراب ضخمة من الطيور حتى إن المزارعين توقفوا عن زراعة الأشجار حتى لا تصبح وكراً لأعشاش الطيور وتزداد أعدادها .

تقع المدينة على سهل مفتوح ، وأقرب تلال لها توجد في فارس .

عندما دخلنا للمعرض الذي أقيم في ساحة السوق رأيت حشداً من الرعاع والمسلمين مما أثار اندهاشي وتعجبي عن كيف لحشد بهذا القدر أن يتواجد في تلك المساحة الصغيرة .

اهتاج الناس عند وصولنا وترك البعض مقاعدهم وآخرون خرجوا من بيوتهم وجاءوا مسرعين لرؤيتنا ، وبسبب ازدحام الناس كان علينا أن نصعد على ظهور الخيل لعدم وجود أي طريقة أخرى لتفادي ذلك ، حتى إننا لم نكن في مأمن في الخان (الفندق) الذي احتمينا فيه . تَمّ إصدار أمر بوضع حراس على الباب مع أسلحتهم في أيديهم لمنع أي شخص من الدخول باستثناء الشخصيات الهامة والنبلاء ، حتى إن البعض دفع نقوداً لرؤيتنا .

الحمد لله وبرحمة منه لم يجرؤ أي شخص على رفع يده ضدنا أو قول أي كلام يسيء لنا ، لكن أثنى الجميع على روحنا العالية ، وحَسَدونا على كل تلك المسافة التي قطعناها في السفر والأشياء التي مررنا بها ورأيناها .

البعض تطلع إلى ملابسنا المتواضعة ، واندهش للشهرة التي حظينا بها ، وانتشرت في كل العالم . لم أذهب قط لمكان بذلك البعد ولم أجد شخصاً لم يسمع عن رهبان القديس "فرانسيس" حتى وإن لم يكونوا قد شاهدوهم . عرفوا عَنّا في تلك الأنحاء عبر الأتراك الذين يتاجرون معهم ويتبادلون البضائع معهم ، والتي توجد في مدنهم أديرة تابعة لنا ، وفي عاصمة الدولة القسطنطينية التي بها بلاط التركي

الأعظم ، بالرغم من كل المسلمين فإن لنا اثنين رائعين (ديرين) حيث يمدحهما الرب دائماً .

خلال تواجدنا في رام هرمز الذي امتد لثلاثة أيام لم أجد شيئاً يستحق الذكر باستثناء أنّ النساء كن بيض البشرة مثلنا ، ويتجولن وهن مغطّيات تماماً الوجه والأيدي والأرجل ، وهناك مسجد عظيم به أربعة وستون عموداً وصالة في منتهى الروعة ، وفي وسطه نافورة صنعت بدقة وجمال . كل شيء ما عدا ذلك كان بائساً ، المنازل منخفضة شُدت من الطين ، وكذلك الجدران كانت مهدمة .

حال وصولنا طلبنا زيارة الحاكم الذي كان يدعى "مير عاصم" ، وتلك كانت عادتي عندما أصل للمدن أو البلدان ، لكنهم أخبروني أنه ذهب لزيارة ضريح الملكة المقدسة "إستير" "Esther" زوجة الملك "أهاسيورس" "Ahasiurs"والذي ذكرت عظمته في الكتب المقدسة .

قيل إن هذا في قرية تسمى "شوشتار" وهي على مسافة نصف يوم من هنا . أعلم أنه ذكر في كتاب "إستير" أنها دفنت هنا ، لكن الأسقف "إيكولينو" "Ecolino" في كتابه عن تلك القديسة و"فلافيوس جوزيفوس" و "أفونسو دي فيليغاس" "Afonso de Viligas" يلمحون لنا أنها عاشت وماتت في مدينتها "شوشان" ، ودفنت هناك مع ملكات أخريات .

لكن بما أن العالم قد تغير كثيراً في أوقات عديدة ، واليوم لا أحد يعلم حتى أين توجد "شوشان" ، فمن الممكن أنه بعد تدمير تلك المدينة قام اليهود انطلاقاً من التزامهم الشديد تجاه هذه المرأة المقدسة للفائدة

والأفضال التي قدمتها لهم في حياتها ، أرادوا أن يُبْدو تقديرهم بنقل رفاتها أو ضريحها لهذه القرية حتى لا تظل مدفونة في مكان منسي .

أعتقد أنه لذلك السبب أعطوها الاسم "شوشتار" ناقلين عبر تلك الكلمات أنه في هذا المكان يرقد جثمان "إستير" ، الذي كان موجوداً في شوشان .

مهما كانت الحقيقة فقد رغبت كثيراً في الذهاب ورؤيته ، لكنني لم أجد لا مسلماً ولا يهودياً تجرأ للقيام بذلك . ظل هذا الأسف يلازمني حتى مغادرتنا في مساء اليوم الثالث ، وصلنا عند حلول الظلام إلى نهر "جوبال" "Kupal" الذي يقسم حالياً فارس من الصحراء العربية ، لذلك فإن رام هرمز هي آخر مدينة على الأقل في تلك الأنحاء تعود للتاج الفارسي .

صحيح أنه في العصور القديمة لم تكن هذه المملكة محصورة كما هي الآن منذ عهد "Artaxerxes" الإسكندر الأكبر و"داريوس" وآخرين كانوا أيضا سادة للبابليين كما يشهد بذلك التاريخ الإنساني والتاريخ المقدس .

هذا يُحسب لأخطاء بعض الكتاب الذين قصوا وأشاروا للأشياء التي حدثت في الجزيرة العربية وكأنها حدثت في فارس ؛ لأن ملكاً واحداً حكم الاثنين معاً بينما كانتا تختلفان عن بعضهما مثل فرنسا وإسبانيا . أنا أذكر ذلك لأنه يلائم حياة محمد ورحلة الحكماء الثلاثة .

بعد عبورنا للنهر دخلنا في الصحراء والتي تعرف "بالصحراء الصغيرة" لأنها تحتوي على العديد من الأنهار ، ونتيجة لذلك فقد

كانت مأهولة بطول تلك الأنهار . بدأ المرشدون الرحلة بالتحرك جيداً في مقدمتنا ، تاركين دائماً الشمس من خلفهم ، ومتجهين نحو غروبها لأنهم كانوا يسافرون بالبوصلة والنجم القطبي .

لم يكونوا يتحدثون مع بعضهم البعض حتى لا يفقدوا الحس باتجاه الطريق الصحيح الذي يسيرون فيه . كنا نسافر دون وجود طريق واضح أو أثر لعدم وجودها عبر كل الصحراء ، وحتى إن كانت موجودة لم يكن من الممكن تتبعها لوجود الكثير من قطاع الطرق واللصوص الذين يسكنون في مخيمات أو عصابات بطول مجرى النهر في تلك البلاد ، ولن يكون صعباً عليهم الاختباء حولها وانتظارنا لسرقتنا في أي وقت .

من المدهش أنه في محيط من الصحراء يبلغ اتساعه خمسمائة فرسخ لا توجد أمطار طيلة السنة ، ولذلك ظلت غير مأهولة ، الأرض قاحلة وجافة ولا تترك حتى آثار أقدام لراحلة تعبر عليها .

بعد أن سافرنا لأربعة أيام دون أن يعترضنا أي شيء حي أو علامة تدل على الحياة ؛ رأينا في اليوم الخامس من على البعد حِصناً بأسوار طينية كان معظمها مهدما وتحت نهر "قارون" "Karun" حيث شاهدنا قوارب تبحر ، عبرنا بواسطتها للناحية الأخرى ؛ لكن مترجمنا ظل خلفنا لوحده ، لأن العرب بكل سخرية لم يأخذوه ليعبر . معتقداً أن تلك كانت حيلة لسرقته فيما بعد وضع يده على سيفه ، واتجه نحو أصحاب المركب الذين فرّوا من أمامه وتركوه ليعْبر ناحيتنا حيث التأم شمله معنا .

لكن الشيطان الذي يلقي حبائله في كل مكان ضايقنا هنا ، لكن الرب الذي أخذنا تحت جناحه أنقذنا منه . قبل أن يصل المترجم إلى اليابسة كان بعض العرب الآخرين ينتظرونه بالعصي ، وقاموا بإلقائه في النهر حتى أصبحت حياته في خطر محدق ، وبدا الرجل المسكين وكأنه قد فارق الحياة .

أغضبتنا تلك الحادثة جداً ، ولم ينس أي رجل تدفعه الشجاعة بقول كلمة من أجله ، وقد هددونا باستخدام أسلحتهم ضدنا ، وفي نهاية الأمر عن طريق الصلوات والهدايا وقليلاً من "اللارينز" انتهى النزاع .

قمت في المساء بكل ما أستطيع لتأمين سيرنا ومواصلة الرحلة ؛ لأنني توقعت إنْ قضينا الليل هناك فإن مشاكلنا ستزداد ، وقد تصبح أسوأ مما هي عليه ؛ لذلك تحرك قائد القافلة ووصلنا في اليوم التالي إلى نهر "كارخيه" الذي استرحنا بجانبه قلقين بخصوص عبورنا للناحية الأخرى .

على أية حال عند انبلاج صباح اليوم التالي أشرنا للمراكب بأيدينا ، وكان هناك الكثير منها لتأخذنا إلى الناحية الأخرى ، وذهبنا جميعاً معاً . رسَوْنا بالقرب في قلعة جديدة ضخمة لها خمسة عشر برجاً محصنة تماماً بطريقة جيدة ، والتي استطعنا أن نرى خلفها مدينة "الكوت" . اكتملت الجدران الطينية ، عالية وسميكة ومربعة مع تسعة عشر برجاً على طول امتداد السور .

لكن مع كل تلك المزايا لم يكن يوجد ولا منزل واحد يقدّم لنا أي خدمة ، وبجانب كونها قليلة العدد كانت كلها مصنوعة من القصب والقش والطين ، ومن الضعف بحيث يمكن للريح أن تقذف بها بعيداً .

الشيخ مبارك ، ملك "الحسا" (الأحساء) أو "Ahvas" قد أمر ببنائها ، وظلت حتى ذلك الوقت قرية بائسة أو بالأحرى مغارة للصوص .

لم نتوقف هنا ، من ناحية حتى لا نعطيهم الفرصة ليمارسوا الحيل والخداع ، ومن ناحية أخرى لأننا كنا فعلاً على مرأى من أسوار الحسا ، على بعد ثلاثة فراسخ ، والتي استغرقتنا قرابة الساعتين ونصف لنصلها .

وصلنا إلى نهر "خوتان" "Khutan" الذي يبلغ عرضه اثني عشر ذراعاً وثلاثة أذرع للعمق ، وعبرناه عن طريق اثنين من الكباري من المراكب على بعد نصف فرسخ من المدينة وبلاط الملك مبارك . كان قد أُطْلع بخبرنا والمعاملة السيئة التي لقيناها عند عبور نهر "قارون" ؛ حيث ضُرب واعتُدي على مترجمنا ، وحالما انتشرت أخبار وصولنا عبر المدينة هجرها الجميع ، وذلك لاحتشادهم لمقابلتنا أثناء الطريق بالرغم من أننا لم نكن بعيدين عنها .

رأيت من بينهم مسيحياً عربياً كان في "غوا" ، وقد بعث من هنا قبل سنوات لكبير الأساقفة الأب "دوم اليكسو دي مينسيس" "D . Alexo de Meneses" ، وقد نال جوائز منه وهدية رائعة ليأتي بها لسيده الملك ، والتي بناء على روايته قد وجدت القبول من شيخ مبارك للكرم البرتغالي .

حتى إنه كان في حيره من كيف يعبر عن أسفه للعداء الذي حيك ضدنا ، وقد أخبرت أنه قبل سنتين كان مرشدنا الحالي يقوم برحلة أخرى عبر هذا الطريق في تلك الأرجاء عندما هاجمه تسعة من اللصوص بين نهري "كارخيه" و "قارون" وأطلقوا نحوه السهام وأصيب بجروح بليغة .

كان الملك مصمماً على الثأر لتلك الحادثة ؛ لكنه لم يتمكن من وضع يديه على أولئك اللصوص ، وانتظر حتى ألقي القبض على اثنين منهم واللذان يقبعان الآن في السجن مكبلين بالحديد .

قبل ساعة من وصولنا ، وليظهر غضبه الشديد ، فقد أمر بإعدامهما وشنقهما في الحال . تم ذلك في خلال ساعة واحدة ، دون أن يكون لنا علم بأي شيء ، باستثناء أنه عند وصولنا كانا قد قتلا . اعتبر مترجمنا أنه قد تم الثأر له بطريقة جيدة من أولئك الذين كانوا يودّون قتله .

حذرناه من إبداء سعادته بطريقة مكشوفة لأولئك الذين جاءوا له بالخبر ، وطلبوا منه جائزة عن الأنباء السعيدة التي حملوها له ؛ لكننا أخبرناهم أن كل ما في داخل قلوبنا هو الأسى والحزن لوفاة أولئك الرجال ، وأننا لآسفون لعدم وصولنا في الوقت المناسب حتى نطلب لهم العفو .

السرعة التي أمر فيها سموه لتنفيذ العقوبة عليهم أظهرت في حقيقة الأمر أنها تمت بناء على اعتبارات أخرى عن كونها من أجلنا ، لأنه إن كان الأمر كذلك لكان أصدر الحكم في وجودنا ليكون تعظيماً وتقديراً أكبر لنا .

قدمنا لهم كل تلك الأسباب ؛ لأن من بينهم من اغرورقت عيونه ، ولعلهم أقرباء لأولئك الرجال ، وخشينا أن تحدث بناءً على ذلك بعض الإشكالات لنا ، لكن الحمد لله فقد سلمنا .

وُضعت جثامين أولئك الضحايا خارج بوابة المدينة حتى نراها عند دخولنا ، وأعلى نفس البوابة وضعت رؤوس اثنين وعشرين تركياً كان الملك قد أخذهم أسرى عندما هاجم البصرة .

في الداخل ثلاثون حارساً وستة مدافع برونزية كلها جاهزة . هنا وضـعنا أنفسنا تحت عناية المسيحيين العرب ليجدوا لنا مكاناً نأوي إليــه ، وقد نجحوا ، وبقينا لثمانية أيام نشاهد ونسجل ما في تلك البلاد ، كما سنرى ونقرأ في الفصل التالي .

نص مفقود (..)

وصولنا ومن ثَمّ اعتقدنا أنه قد تم الانتقام لمترجمنا ، غير أننا نقلنا عزاءنا لكل فرد في الأموات المفقودين .

كان هناك حوالي ثلاثين حارساً يقومون بحراسة بوابة المدينة ، وفوق سطح الباب كنا قد شاهدنا رؤوس اثنين وعشرين من الأتراك كان هذا الملك قد تمكّن من أسرهم ساعة هجومه على باسورا . كان المسيحي قد دعانا إلى منزله حيث قضينا معه ثمانية أيام .

تمهيد للقارئ ولمحتويات كل العمل

... ينقسم العمل إلى ثلاثة أجزاء ، وصفت في الأول الضرر الذي أصاب سفينة العلم "نوسا سنهورا دي بيتانكور" والسفينة التجارية "ساو جاسينتو" "Sao Jacinto" ، وكيف أن كليهما وصلتا إثيوبيا مع كل الذين كانوا عليهما بأمان .

توقّفت إحداهما في ممباسا والأخرى في موزمبيق ، ثم كان عليهما بعد ذلك أن يتخذا الطريق الذي يناسبهما ، وصلنا ورفيقي إلى البحر الأحمر وعبر ساحل بلاد العرب وصلنا إلى رأس مسندم التي تقف عند المدخل الذي يؤدي إلى مضيق البصرة .

هبطنا في جزيرة هرمز ، وعبرنا إلى فارس وسافرنا خلالها حتى وصلنا الصحراء العربية ، ودخلنا "خالدية" (Chaldea) وبابل .

عندما رأينا برجها في بلاد الرافدين العراق عبرنا صحراء فلسطين التي وصلنا في نهايتها إلى سوريا ومدينة الخليل عاصمة (Camogena) حيث تركت لوحدي دون رفيق في قلب تركيا . ذهبت من هناك إلى "Antioch" .

بعد الإبحار عبر جزء من البحر الأبيض المتوسط رسوت في جزيرة قبرص حيث انتهى هذا الكتاب الأول .

(الكتاب الثاني : يصف القدس

الثالث : عودته إلى البرتغال عبر البندقية ، "نابولي" ، "ساردينيا" ، "مايوركا" ، "دينيا" ، "فالنسيا" ، "مدريد" ، "لشبونه")

أحداث عام ١٦١٢م

صدرت رسالة من الملك إلى "دوم جيرونيمو دي أزيفيدو" "D . Jeronimo de Azevido" نائب الملك في الهند ، في السادس والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٢م ، بشأن تحصين القلاع في هرمز ، وتشديد الدخول والخروج من هرمز تحسباً لأي اعتداء : (٦)

من خلال رسائلي التي قمت بإرسالها بواسطة السفن في السنوات ١٦٠٩م ، و١٦١٠م ؛ كتبت إلى نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" عما تم تقديمه لي عن ضرورة تحصين جزيرة هرمز ، وذلك برفع بعض التحصينات السابقة الموجودة في المرفأ ، أو بناء حائط أو حصن خندقي مائي وبه حجارة على جانب معسكر "لاراديميرا" يمتد من البحر وإلى البحر ، وإغلاق الشوارع بأبوابها ومداخلها ، والأمر بإقامة التحصينات

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

بالشكل الأكثر ملائمة ، وتلك على مداخل الممرات الضيّقة حيث يمكن تهريب البضائع .

يجب وضع الأبواب على أساس أن تكون مغلقة عندما تقترب السفن المحملة بالبضائع من الميناء خلال فترة الليل ، وإغلاق كل الذي يكون في المنازل على جانب البحر حيث يجب أن تكون السفن ؛ نسبة لأنها تمثل مدخلاً إلى الممرات ، كما سوف تعلم بواسطة الرسائل .

عندما ذهب "جارسيا روميلو" "Garcia Romello" إلى هناك كمراقب للحسابات ؛ كتب لي قائلاً إنه نسبة لأنه وجد القائد والناس قد بدأوا في عمل المتاريس كبداية لإغلاق المدينة على أساس ضريبة النصف في المائة المسموح بها ، وبعد أن قمت باطلاعه على الأمر قمت بإصدار أوامر بإيقاف العمل ، وعدم تحصيل الضريبة ؛ فقاموا بالتوقف عن العمل ، واتفقوا على ذلك ، وبخصوص التحصينات فقد زعموا أن مقابل (النخيلو) و (نيوتاق) وكل الأراضي والممرات الضيقة المفضية إلى البحر يتم إغلاقها .

مع وجود أبواب فيها ضرورية للخدمات ، وستكون هذه الأبواب مفتوحة أثناء فترة النهار ، ويتم إغلاقها ليلاً ؛ حيث سيتم إغلاق البحر من ناحيتها من جانب الميدان مع وجود حائط وحيد تفتح أبوابه وتغلق ، وبواسطتها يكونون آمنين ، ولكن ليسوا محصّنين ؛ حيث إن الذي يقومون به يضر بالحصن .

بما يتعلق بالتحصينات ؛ فقد تم فهم أنها تمت بصورة مغلفة ، وأنا

آمرك بتنفيذ ذلك إذا لم تقم بذلك من قبل ، وأما ما يتعلق بضريبة نصف المائة فلا يجب فرْضها بعد الآن ... إلخ

لقد تمّ لفْت انتباهي عبر السنين بأن أقوم بإعفاء الأرمن والذين يذهبون إلى حصن هرمز من الضرائب والتي يسمونها الخراج ، ولم أعتقد أن هذا صحيحاً ، وأمرت بالرغم من ذلك بإعطائهم عناية خاصة من البضائع ، والتي يفهم أنها تخصهم (١) .

كتب لي "جارسيا روميلو" موضحاً بأنه من المناسب إعطاء هؤلاء التجار بعض الفوائد نسبة لأهميتهم ؛ إلا أن هذا لا يعني أن يتوقفوا عن دفع الضرائب كما تم اقتراحها عليّ ، وأخبرني بأنه توصل إلى اتفاقية معهم ، وأنهم يقومون بالدفع من دون أي ضغوط تمارس عليهم ، وقام "جارسيا روميلو" بتجاوز التزامه وذلك بوضعه لترتيبات في خزانتي كنت قد قمت بمنعها ، وذلك بواسطة اللوائح إلى المراقبين هناك ؛ بصرف النظر عن عدم قيامه بإبلاغي بالطريقة التي قام بها بهذا العمل حتى أدرك الفوائد والأضرار المترتبة عليها .

لهذا السبب فأنا آمرك بأن تقوم بإبلاغهم بهذا ، وأن تقوم بإرسال معلومات محددة عن الجهة التي تقوم بدفع ضريبة الخراج ، وما هو مقدارها ، وما هو الشيء الذي يتم دفعه ، وأيضا ؛ فإذا كان الأرمن والذين أصبحوا تابعين للشاه سوف يستفيدون من هذه المنة والتي كان يستمتع بها الذين كانوا من قبل يتبعون له والأنصبة المحددة لكلا الجانبين .

إلى جانب هذا فعليك الأمر بإحضار صورة من القانون المنظم ، والتي قام نائب الملك دوم "أنطونيو دي نورونها" "D . Antonio de Noronha"

بإرسالها من هرمز إلى هناك هذا بالإضافة إلى قوانين أخرى تَمّ إصدارها بواسطة الحكام ونواب الملك السابقين ، وسجلات دار جمارك هرمز ، وأن الأمر بالصرف المطبّق عند القيام بإرسال البضائع ينبغي أن تتم مراجعتها وأن يتم إدارتها حسب أسمائهم .

يتعين عليك إرسال معلومات عن كل شيء : عن الوزراء والأشخاص الذين يقومون على خدمتهم ، وعن "الخوجا ماميد" ، وهو من المسلمين والذي تقلد منصب المراقب هناك ؛ (لأنني أحتاج أن أعرف) ما هو الذي يُدفع له في العادة منذ أن اتضح أن هذا المبلغ المدفوع ينبغي تعديله .

بناء على ذلك وكل المعلومات الأخرى والتي يمكن الحصول عليها من تلك المدينة وبالتشاور مع الخزانة ؛ أن تأمر بإصدار قانون إلى دار الجمارك في هرمز ، وعندما يتم إعداده وقبل أن يتم تطبيقه ؛ فعليك أن تقوم بإرساله لي حتى أتمكن من مراجعته وأن آمر بما يصبّ في مصلحة إدارتي .

تم إبلاغي بأن هناك نقصاً في مدفعية حصن هرمز والموجود منها هناك قديم جدّاً ، ويحتاج إلى المعدن ، وإذا دعت الحاجة لاستعمالها فلا توجد هناك قطعةٌ واحدة تكفي للقصف لمدة يومين ، لقد فهمتُ أن هناك نحاساً جيداً ورخيصاً في السند وهي قريبة من هنا ، وحيث إنك تدرك أن لهذا الحصن أهمية بالغة وهو يقع في منطقة نائية ؛ لذا فأنا أحثك بأن تعمل على أن يتم النظر إلى هذا الموضوع بأسرع فرصة ممكنة ، وسوف تقوم بإرسال سباك معادن إلى الحصن لهذا الغرض ، وستعمل على إرسال المعدن إلى

"غوا" أيهما الأفضل لك وأقل تكلفة ، وذلك حتى يتم توفير المدفعية الضرورية ، وسوف نعلن أن النحاس الذي تتم إذابته يكون من النوعية التي لا يمكن استخدامها في السفن ، وذلك تحسّباً لتعرضه للسرقة .

بنفس الطريقة ؛ فإنه إذا لم يتم إنجاز العمل الضروري حتى ذلك الحين ؛ فأنا أعهد لك بأن تقوم بجدّية بإصلاح الحصن ، والذي أمرتُ مراراً بأن يتم الاهتمام به كما سوف تعلم من رسائلي ، وعليك تنفيذ الإصلاحات من دون تأخير ، والاهتمام بذلك تحديداً ، (وأنا أيضا آمر) بأن الواحد في المائة والتي تم دفعها هناك لعمل التحصينات هذا إلى جانب النصف في المائة والتي أمرت بأن تفرض ؛ ينبغي ألا يتم صرفها في أي شيء آخر .

يجب حفظ حسابات كاملة عن هذا في كل سنة ، ولقد أمرت أيضا ببناء سور حصن مسقط والأشياء الضرورية لتحصينه والتي أخبرني "جارسيا دي ميلو" "Garcia de Milo" بأنه شرع فيها وسوف تتوصل إلى ما تم القيام به وأن تأمر بأن الذي قمت بالأمر به قد تم التقيد به وإنجازه ، وحيث إنني أمرت القائد في هرمز بأن لا يقوم بإرسال البريد عن طريق البر من دون إذن الحاكم هناك إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة لا تتحمل التأخير .

آمرك أيضا أن تقوم بإبلاغ القائد ومراقب خزانتي واللذين يعملان هناك ؛ فإذا كانا يريدان إرسال البريد عن طريق البر فسيتم ذلك بعد الاتفاق بينهما ، ولا ينبغي كتابة الأشياء الشخصية وتلك ذات الأهمية إلا بالشفرة ، والتي هي بحوزة القائد لاستخدامها في مثل هذا

الغرض ، وكل من القائد والضابط الأعلى للخزانة يمكنهما مساعدة بعضهما البعض .

(نص غير مكتمل)

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

صدر أمر من الملك ، بشأن بناء أساطيل إضافية في هرمز ، لشبونه ، بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦١٢م : [٧]

أمْر من الملك

بوصفي أنا الملك ؛

أعلن لأولئك الذين يطّلعون على هذا الأمر بأنه تم إبلاغي بأن قادة حصن هرمز يمارسون عادة بناء أساطيل إضافية ؛ حيث يقومون بإنفاق أموال مهولة من خزانتي من غير مبرر إلا لخدمة مصالحهم واعتباراتهم الخاصة .

أنا اعتزم أن أضع حداً لهذه الممارسة الضارة ، وأنها رغبتي بأن هؤلاء الضباط الذين تم ذكرهم آنفاً في الحاضر والمستقبل على السّواء أو أي شخص يقوم بالخدمة في ذلك المنصب ؛ ألا يقوم ببناء أساطيل إضافية قبل أن يقوم بطرح الموضوع أمام مجلس مكون من أولئك الأشخاص المتواجدين في الحصن والذين تتم استشارتهم عادة .

---

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

مثل هذا الأسطول ضروري ويصب بناؤه في مصلحتي ؛ فليتم بناؤه في هذه الحالة ، وأن يقوم المجلس بالموافقة على ذلك كتابة وموقّعة بواسطة كل شخص تتم استشارته مصحوبة بإعلان عن الأسباب والدوافع التي بَنى عليها كل واحد منهم رأيه وظنونه ؛ فيتم إرسال نسخة من هذه الاتفاقية إلى نائبي في الهند في أول فرصة لاحقة .

إن أي ضابط يقوم ببناء أسطول إضافي لا ينسجم مع ما قمت بإقراره ينبغي عليه أن يقوم بالدفع من ممتلكاته الخاصة إلى خزانتي عن كل ما قام بصرفه على ذلك العمل ، وسوف يتم تحصيل هذه الأموال خلال القنوات الرسمية ، ومعها إعلان من المسؤولين عن لماذا تم الصرف هذا ، بالإضافة للعقوبات الإضافية التي يستحقونها لأجل ذلك ؛ فسوف أعطي تعليمات يتم بموجبها اتخاذ الإجراءات في مواجهتهم بما يخدم مصالحي .

بهذا ؛ فأنا أبلغ نائب الملك أو حاكم أقاليم الهند في الحاضر والمستقبل على السواء ، وآمره هو وقادة هذا الحصن وكل قضاتي والمسؤولين والأشخاص المسؤولين العمل على مراعاة ، والتقيد بهذا الأمر في سجلات سكرتارية خزانتي وحسابات "غوا" وحسابات الوكالة التجارية لحصن هرمز ، وهذا الأمر ستكون له قوة الخطاب الصادر باسمي مع أنه سوف لن يصدر بواسطة المجلس على الرغم من أن الأوامر في الكتاب (٢) الفقرات (٣٩ ، ٤٠) تنص على العكس .

صدر هذا في ثلاث نسخ واحدة فقط منها ستكون سارية المفعول .

قام "دومينجوس فيليس دي سيماس" "Domingos Feles de Simas" بكتابته في "لشبونه" في : السابع والعشرين من شهر فبراير ١٦١٢م ، وأمـــرت أنا السكـــرتير "أنطـونيـــو فيلـــيس دي سيمـــاس" "Antonio Feles de Simas" بكتابته الملك .

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

صدر أمْر من الملك ، بمراعاة الاتفاقيات مع ملوك هرمز عند الوفاة وتنصيب الملك الجديد ، لشبونه ، بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير ١٦١٢م : (٨)

بوصفي أنا الملك ؛

أعلن لأولئك الذين يطّلعون على هذا الأمر ، أنه في خدمة الرب ونفسي ، ولأسباب أخرى مشروعة ، والتي تمسّني ، ومراعاة للاتفاقيات المبرمة مع ملوك مملكة هرمز ؛ فإن رغبتي وسعادتي أنه من الآن وصاعداً ، أو عندما يحدث أن ينتقل الملك إلى جوار ربه ، ويصبح منصب الملك في مملكة هرمز شاغراً ؛ فإن قائد الحصن الذي يتبع لي هناك لا يمكنه ولا يحق له تنصيب ملك جديد ، وإن الشخص الذي يأتي خلفاً للملك سوف يحمل فقط لقب حاكم ، وعلى القائد أن يرسل إلى نائبي في الهند معلومات عن أبناء وأقارب الملك الراحل الذين هم على

---

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

قيد الحياة ، وعن صفاتهم ووضعهم ، وبالإضافة ما هو الشيء الذي يناسبهم لإقامة حكومة صالحة ، والحفاظ على أمن الحصن .

على نائبي على وجه التحديد أن يطّلع على هذه المعلومات بنفسه في مدينة "غوا" ، وأن يرسل لي تفاصيل مدعّمة بوجهة نظره ، وألا يقوم بإجراء أي تغيير حتى أقوم بإرسال الأوامر من هنا ، والتي تتناسب مع مصالحي ، وإن قادة الحصن والذين يعارضون ما أقرره الآن ، ويقومون بتنصيب ملك لتلك المملكة سوف يتعرضون لمصادرة جميع ممتلكاتهم ، والتي سوف يُستخدم عائدها في تقوية الحصن ، وسوف يتم إبعادهم من الحصن على الفور ، ويتم استبدالهم بآخرين يستطيعون الوقوف في وجههم .

بموجب هذا ؛ فأنا أبلغ نائبي أو حاكم دولة الهند وأمره هو وقادة الحصون في الحاضر والمستقبل وقضاتي والموظفين أصحاب المسؤولية التقيّد بهذا بدون تردد أو معارضة من أي نوع ، وبالرغم من وجود أي قوانين ونُظُم وفقرات وتوجيهات أو ممارسات معاكسة .

أعتقد أن كل هذا لاغ بما في ذلك الأمر من الكتاب الثاني الفقرة ٤٤ ؛ يضمن هذا الأمر في سجلات سكرتارية دولة الهند ، والمحطة التجارية والمحكمة العليا في "غوا" ، وبما أنه صدر فإن نسخة واحدة من هذه النسخ سوف توضع في (Torre do Tombo) في تلك المدينة ، ويكون لها قوة الخطاب ، ولن يقوم المجلس بإصدارها ، وعلى الرغم من الأوامر المتضمنة في الكتاب ٢ الفقرات ٣٩ و٤٠ ، والتي تنص على

النقيض . قام "جواو تافاريس" "Joao Tavares" بكتابة هذا في "لشبونه" بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير ١٨٨٢م ، وأمرت أنا السكرتير "أنطونيو فيليس دي سيماس" بكتابتها الملك .

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه في الهند ، بشأن شخص في هرمز يقوم باتخاذ الأمر للدفاع عن حصن هرمز لأي اعتداء على هرمز ، بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦١٢م : (٩)

بوصفي أنا الملك ؛

أبعث إلى صديقي ونائب الملك في الهند "د . جيرونيمو دي أزيفيدو" بتحياتي الزائدة ، وبواسطة خطابي الذي تم إرساله إلى تلك المناطق بواسطة السفن في عام ١٦٠٩م ؛ حيث أمرت أن يتواجد في هرمز شخص يعمل كقائد أعلى في البحر يتبع لذلك الموجود في الحصن . هذا الشخص لابد أن يكون شجاعاً وموثوقاً به ، وهو المطلوب في هذا التكليف ، والذي يرجى منه أن يتمكن من الوصول إلى النتائج المبتغاة ، والذي سوف يتم إرساله فوراً ومعه سفينة كبيرةٌ للاهتمام بالأحداث

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

التي ربما تحْدث ، وأن يعلن الحرب على أولئك الذين هاجموا ذلك الحصن ، وأن يقوم بإحراقها وبخاصة سفن النخيل .

حتى يجبرهم على السؤال كما قاموا في الواقع بالسؤال أن يتحوّلوا إلى بعض الجزر المهجورة ، والتي تقع بالقرب من هرمز ويصبحوا رعايا لملكها ، وأن يقوموا بإعطاء الضمانات التي ربما تبدو مناسبة حتى لا يتصرفوا بأي طريقة ضدها ، وإذا أقدموا على ذلك يمكن بسهولة عقابُهم ، كما يمكنك أن تدرك ذلك في نفس الخطاب .

بما أن نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" كتب لي ذاكراً بأن التجارب أثبتت أن وجود سفينة شراعية سيكون عديمَ الجدوى هناك ؛ لذا سيقوم بإرسال أسطول مع القائد الأعلى المذكور آنفاً مكوناً من مراكب متينة ، والتي يمكنها أن تعبر المضيق بسهولة ، فأعتقد أن ما قاله عن السفينة يجب أن يتم التفكير فيه ملياً .

آمرك بشكل جدّي أن تقوم بوضع ذلك بدلاً عنها ، وحتى يمكنك تزويدها فلسوف ترسل مع بقية المراكب اثنتين من السفن الشراعية الصغيرة مزوّدة تزويداً جيداً بالبحارة والجنود ، وبالتالي قم بتنفيذ ما أمرت به بفعالية .

آمر القبطان بأن يمتثل للقائد الأعلى ، وقم بنصحي عن كل ما يمكن عمله في هذا الصدد ، وقم بتنفيذه بنفسك .

بواسطة السفن التي ذهبت إلى تلك المناطق في عام ١٦١٠م قمت بالكتابة إلى نائب الملك "لورنسو دي تافورا" ليصدر على الفور أوامره التي تقضي بأن يكون في حصن هرمز حامية متواجدة في كل الأوقات ؛

قوامها خمسمائة جندي ، وفيلقاً فعالاً ، وخدمات دائمة ، والتي أعتقد أنه من المناسب أن تكون فيه بشكل دائم .

علاوة على ذلك ؛ فينبغي عليه مَدّ الحصن بمائتين آخرين ليكونوا في ظل نفس الظروف السائدة في القلعة ما دامت المخاوف التي تنتابهم والمتعلقة بمحاولة (أكسا) ببعض التحرشات ضدّهم قائمة(أ) .

مع أن نائب الملك كتب لي بأنه أصدر أمراً بأنه يتعين على الخمسمائة رجل الذين تم ذكرهم آنفاً الحضور إلى القلعة مع ذلك ؛ فإنه لم يصدر أوامره فيما يتعلق بالمائتين الآخرين ، وهو ما يثبت على العكس أنه يتعين أن يتم الاعتذار لهم ، وأنا يبدو لي بأن "أكسا" متورّط في حروب مع الأتراك والتتار ، وفُهِم من ذلك أنه لم تكن له أهدافٌ حتى يتصرف بعدوانية ، ومع ذلك فأنا أعتقد أنه من الصواب أن يكون هناك في تلك القلعة .

كما أمرت أنا في رسائلي والتي أرسلت في السفن في السنة الماضية وأن يتواجد داخل قلعة هرمز عدد السبعمائة رجل الذي تم ذكره آنفاً ، كما أمرت في رسائلي في عام ١٦١٠م ، وبالطريقة التي أشرت إليها ، وأن يكون هناك حوالي سبعمائة رجل من دون نقصان ، وعليهم أن يقضوا ليلتهم في القلعة .

أصدرت أمراً إلى قائد ذي خبرة لكي يكون قائداً لواحدة من الوحدات الموجودة هناك ؛ حيث يعمل على توجيههم حتى يتمكنوا من العمل في الجيش الإسباني ، وأمرت أن تتم عملية تعيين الشخص الذي سوف يخدم في هذا المنصب حتى يستطيع الإبحار في السفن والتي سوف تسافر في هذه السنة .

(أ) في الهامش : تم تمرير بند يتعلق بالمائتي رجل ، وذلك في الرابع من فبراير ١٦١٣م .

إضافة إلى ذلك كتبت إلى "روي لورنسو دي تافورا" كما ستطّلع بواسطة الرسائل بتاريخ السادس عشر من شهر مارس لعام ١٦١٠م على أساس الأسباب التي تم الإعلان عنها في هذا الخصوص .

التي رأيت أنه من غير المناسب أن تتم إثارتها كما فعل "دوم هنريكو دو نورونها" "D . Henriquo de Noronha" قائد حصن هرمز أو محمد شاه لمنصب المليك عند وفاة "فيروكسا" "Veroxa" والذي حكمها ، وأنه ينبغي عليه أن يرسل الأسباب الماثلة في هذا الموضوع ، ومن أين أتى بالمعلومات التي قام بإرسالها لي ، وما هي الدوافع التي جعلته لا ينفّذ ما أمرت به من دون أن يتلقى أوامر إضافية مني ، وأخرى تم إصدارها .

أعتقد أنه من المناسب في الوقت الحاضر ، وأعتقد أنه من المناسب في الوقت الحاضر ألا يتم وضع طريقة جديدة فيما يتعلق بتوريث العرش ، والذي تمت الإشارة إليه آنفاً والذي ارتأيت أن أنصحكم وألفت انتباهكم إلى أن اسم ولقب الملك والذي منح "محمد شاه" المذكور آنفاً ؛ لا يسبب ضرراً بأي طريقة لأولئك الذين يعتبرونه حقهم في مملكة هرمز ، وهذا ما يجب عليك إعلانه من جانبي ، وأنهم ربما يطالبون بتطبيق العدالة بكل ثقة .

حتى لا تتم منازعات وإخلالات أمنية مشابهة في المستقبل ، وأنني لي وحدي تقع مسؤولية وضع طريقة تصعيد وتنصيب الملوك ، وأمرت بتمرير قانون يتم اتباعه عندما تصبح المملكة المذكورة آنفاً من دون ملك ، وسوف يرسل مع هذا .

وفقاً لتعليماتي ، والتي أرسلت بواسطة السفن ، والتي ذهبت إلى

تلك المناطق في عام ١٦٠٩م ، والتي أسست على المعلومات التي تلقيتها في ذلك الوقت ؛ أمرت بأن يتم سؤال الشيوخ والأفراد والأشخاص الآخرين ، والذين يملكون أسهماً في دار جمارك مسقط لمعرفة إذا كان بإمكانهم التنازل عنها لي .

ذلك حتى أتمكن من الاستحواذ على كل شيء ، وأن الإيراد الناتج من أسهمهم سوف يجدون منه العائد الذي يستحقونه ، وكتب لي نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" حول هذا الموضوع ، وأنه قد عهد بهذا الأمر إلى "جارسيا دي ميلو" والذي أرسله إلى هرمز كضابط خزانة ، وقام الأخير بالتعامل مع الموضوع ؛ إلا أن الشيوخ والأفراد الآخرين لم يوافقوا على ذلك ، بل أبدوا في الواقع تذمّرهم .

قام أحد الأشخاص بإخباري بأنه سوف يقوم ببيع أنصبته الثلاثة التي يملكها[أ] ، وقام "روي لورنسو دي تافورا" بإبلاغ "جارسيا دي ميلو" بأنه سوف يقوم بعملها بنفس الطريقة ، وأنه سوف يقوم بإجراء المفاوضات حتى أتمكن من الاستحواذ على كل دار الجمارك لنفسي متى ما كان ذلك مناسباً .

مع ذلك ؛ فقد تم التوضيح لي بأن هناك العديد من الأضرار التي قد تنتج جراء شرائي أنصبة الشيوخ والمسلمين الأقوياء ، كما أن الخزانة سوف لن تنتعش ؛ هذا إلى جانب المخاطرة الناجمة من تقلص إيرادات دار الجمارك ، وفي حين أنه إذا كان هؤلاء الأفراد يملكون نصيباً

(أ) نصيب أو جزء من الميراث .

فيها ؛ فعليهم مفاوضة التجار للذهاب إلى هناك ليتأكدوا بأن الضرائب لا يساء استخدامها ، ويساعدون في عمليات المراقبة في الحصن ، ويساعدون الذين يريدون الدفاع عنها .

طالما أن هذه الحجة تبدو نيرة ؛ قررت وآمرك بأن تقوم بإبلاغي بالشخص الذي يريد بيع أنصبته لهم حتى يقوموا بالشراء منه ، وفي حالة كونهم مسلمين أو شيوخاً سوف تستمر في هذا الموضوع ، وتخبرني عن كل شيء يتم عمله في هذا الصدد .

تمت كتابتها في "لشبونه" بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير ١٦١٢م . الملك . "الكونت أميرال" .

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه بشأن فارس ، بتاريخ العاشر من شهر فبراير عام ١٦١٢م ، ويذكر فيها السفير "روبيرتو شيرلـي" "Roberto Cherley" سفير ملك فارس ، ويتوقع الملك البرتغالـي أن "روبيرتـو شـيرلـي" يضمـر القيام بعمل ضد هرمز : (١٠)

نائب الملك والصديق ،

أبعث لك أنا الملك بعظيم تحياتي .

ليكن معلوماً أن "دوم روبيرتو شيرلي" ، رجلٌ إنجليزي كان مع الشاه ؛ لعدة سنوات مضت جاءني كسفير له ، وقد نسي المعاملة الطيبة والتكريم والإحسان مما أمرتُ مَن هنا بأن يقدم له ، وهو في طريقه إلى إنجلترا للعمل في مسألة تسليح أربع سفن حتى تعبر تلك الأنحاء ، وأنه على وشك المغادرة بنهاية شهر فبراير هذا متجها إلى جزيرة "باريم" (البحرين) .

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

بناء على النوايا التي نعلمها ؛ فإن "دوم روبيرتو شيرلي" يُضمر القيام بعمل ضد قلعة هرمز ، ونخشى أن يقوم بمهاجمتها بتلك السفن ، وأن لـ "دوم روبيرتو" نفس الترتيب ، أو قد يكون الأمر الاستيلاء على تجارة الحرير ، ويفتح الطريق لتجارة من فارس مع إنجلترا ، وفي كلا الحالتين فإن الشر والضرر سيكونان كبيرين .

رأيت من السليم أن أبعث وفي الحال بهذه النصيحة والرؤية برّاً إلى قائد هرمز حتى يعلم ويحذر مسبقاً ، ويتمكن في حالة وصول السفن إلى هناك من القيام بكل ما يلزم للإضرار بها وتدميرها ، كذلك وليقوم بالمحاولة في الحال بجانب تجميع الأسطول وكل السفن التي يتمكن من حصرها وإعدادها وتزويدها بما يلزم حتى عند وصول تلك السفن .

قبل أن تبادر بأي شيء يهاجمها بكل ما عنده من قوة ، وقد حذّر بأن يمارس أعلى درجات الحرص مع تجار فارس الذين يأتون إلى هناك للتجارة بطريقة لا تجعلهم يعتقدون أن أحدا يشك فيهم ، وأن تتم كل الاستعدادات بصورة هادئة حتى لا تساورهم الشكوك في أي نوايا شريرة حتى يتمكنوا من القيام بأعمالهم بطريقة هادئة .

أيضا ؛ أبلغ وآمر القائد المذكور أنه وعند تأمين الرسول الذي سيذهب بهذه الرسالة عليه تقديمها لك في الحال بسلام ، سوى عبر البر أو البحر حسبما يرى أنها الطريقة التي تصل بها لطرفك بأسرع وقت ، حتى لا يتأخر وصول المعلومة لك ، وما يحدث هنا بخصوص هذا الأمر ، ويأمرك ويكلفك مثلي قبل فوات الأوان أن تقدم لتلك

القلعة كل الإمدادات والضروريات التي يحتاجونها حتى تتمكن من الدفاع ضد أي هجوم قد يتم من قبل العدو .

عند التقدم لذلك الساحل عليك بالاستعداد حتى لا تتعرض لأي أضرار من جانبهم ، بل عليك مواجهتهم والقيام بكل ما هو ممكن في تسبب الأضرار لهم ، وآمرك بوجه خاص أن تتقيد بكل شؤون دولة الشاه وما تراه ، والاتصال بالمجلس إن كان من المناسب عبر وسائل وسبل ترى من خلالها محاولة إقناعه بعدم قبول أولئك القوم كونهم قراصنة ويتقدمون إلى هناك دون إذن مني ، وتظهر له مدى المسؤولية والواجب الملقى على عاتقه للإيفاء بذلك .

حفاظاً على الصداقة والعلاقات الطيبة التي بيننا ، وعند إنزال السفن لسفير الملك وآخر أبعث به له ؛ ستكتب لي بالتفصيل عن ذلك ومواضيع أخرى .

لأهمية الوضع حالياً ؛ فلا بد لهذا الرسول والآخر الذي بالسفن أن يصلا بأسرع ما يمكن ، وقد رأيت ضرورة إرسال هذه الرسائل عبر هذا الطريق .

كتب في مدريد بتاريخ العاشر من شهر فبراير عام ١٦١٢م

الملك

"دوق دي فيلا هيرموسا" "Duke de Vila Hermosa" الكونت دي فيكالهو" "Conde de Vicalho" .

العنوان :

من الملك

إلى "دوم جيرونيمو دي ازيفيدو" ،

العضو في مجلسه ونائبه في الملك بالهند

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن السيد "دون هنريكو دي نورونها" ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٢م ، ويأمر فيه كذلك أن يتم ترتيب مهنة الوسطاء في هرمز ، حيث تمّ ترخيص خمسين وسيطاً وأن يتواجد اثنان من هؤلاء الوسطاء يومياً : (١١)

إلى الصديق ونائب الملك في الهند "دوم جيرونيمو دي ازيفيدو" ، بوصفي أنا الملك أرسل لك تحياتي الزائدة .

تم إبلاغي بأن "دون هنريكو دي نورونها" وهو قائد سابق لحصن هرمز عندما كان في الخدمة قام بالتصرف ضد واجباته وخدماتي ، وقام بتبديد قدر كبير من إيرادات الجمارك نتج عنها خسارة كبيرة لخزانتي ولأتباعي والتجار الأجانب ؛ بالإضافة إلى ذلك فقد كان هو سبب التمرد الذي قام به الجنود ، المتعلق بدفع علاوات بعينها كانوا

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

يستحقونها منذ حقبة "دوم بيدرو كوتينهو" ، النصيب الأكبر منها يرجع لآخرين أدركتهم المنية أو غائبين ، وأمرهم بأن يقوموا بسؤال مراقب الخزانة "جارسيا دي ميلو" عن هذا ؛ لأن الخبر غير متيقن من قيامه بالدفع لهم نسبة لأنه دين قديم .

لذا تمنوا قتله حيث ذهبوا إلى دار الجمارك للنيل منه ، وهم مسلحون ، وقاموا بتهديده ببنادقهم ، وذلك ليجبروه على دفع مستحقاتهم ؛ حيث استجاب إلى مطالبهم ، وقام أيضا بالدفع إلى أشخاص آخرين لديهم مستحقات . إلا أن "دوم هنريكو" لم يتأثر بالتمرد ، وقام حتى بالصفح عنهم .

إنه من مصلحتي بأن تكشف حقيقة كل الموضوع ، وأنا أفهم أن التقرير عن الفترة التي قضاها "دون هنريكو" في المنصب ربما تمت بواسطة المرخص "جولياو دي كامبوس باريتو" "Joliao de Campos Barreto" .

منذ أن تم إبلاغ "دوم هنريكو دي نورونها" بأن يتوقف عن خدمتي في تلك الدولة ولا يستطيع إعداد تقرير مناسب ، والتقرير الذي قام بإعداده يعتبر فارغاً ، وأعتقد أنه من المرغوب فيه تجاهل أي تقرير تم إعداده بواسطة "جولياو دي كامبوس" ، ومعه الحكم الذي ربما يكون قد نتج عنه ، وينبغي إحراق كلا الوثيقتين ومعها أي نسخ ربما قام بأخذها .

يتم عمل ذلك علناً ، ويتم إبلاغ الشهود الذين أدلوا بشهاداتهم حول هذه المسائل ، ويقوم المفوض "ديوغو لوبو بيريرا" "Diogo Lopo Perriera" والذي تم تعيينه من هنا في البرتغال كقاض للمحكمة العليا ورئيساً للمحكمة المدنية العليا في "غوا" ، وإذا توفي أو تغيَّب فإن "أنطونيو باريتو

دا سيلفا" "Antonio Barreto da Silva" قاضي المحكمة العليا في نفس المحكمة سيقوم مقامه ، وفي حالة غياب الاثنين يقوم قاضي محكمة عليا آخر ، والذي سوف تقوم بتعيينه لهذا الغرض ، بإعداد تقرير آخر عن حصن هرمز نفسه ، وعن تصرفات "دوم هنريكو" خلال فترة قيادته لذلك الحصن .

ينبغي سؤاله عما إذا كان يعتبر مسؤولاً عن الاختلافات وتباين وجهات النظر ، والتي حدثت بين الملك والحاكم هناك أو إذا قام بإثارتها أو التسبب فيها وبأي طريقة ، وبغَضّ النظر عن التقرير ، والذي سيتم إعداده في الحصن ؛ فإن تقريراً آخر سيتم إعداده في مدينة "غوا" ، وسوف يتم الحكم عليه وفقاً لهذه الأسس .

حيث يرغم بإرجاع المال الذي ثبت أنه قام بالحصول عليه وتبديده فوراً وبدون إبطاء ، مهما يكن أكانت قد نتجت من التراخيص أو أي شيء آخر ، وسوف لن يتوصل إلى اتفاق حول هذا الموضوع ، وإذا تم الوصول إلى ذلك فسيكون غير ساري المفعول .

لا بد لكل ما هو مستحق الدفع من "دوم هنريكو" أن يدفعه ، وفي حالة عدم استطاعته الإيفاء بهذا الالتزام فيجب أخذه من الوسطاء في هذه الاتفاقية .

بنفس الطريقة يتم إجراء تحقيق في التمرد الذي حدث ، والتحقيق عن المسؤولية الملقاة على عاتق "دوم هنريكو دي نورونها" فيما يتعلق به ، ومن هم قادة هذا التمرد ، وعما إذا كان المراقب المالي من الأسباب التي أدت إليه ، ويتم اتخاذ الإجراءات ضد أولئك الذين تثبت

إدانتهم ، وتتم معاقبتهم وفقاً لدرجة جرمهم ، وذلك إحقاقاً للحق ، وحتى يكونوا عبرة لغيرهم ، وأوجهكم بأن تأمروا بأن تسير الأمور وفقاً لذلك ، وأنك سوف تقوم باتخاذ الإجراءات الضرورية لتحقيق تلك الغاية .

بالإنابة عني ؛ فسوف تكلّف واحداً من قضاة المحكمة العليا بإعداد هذا التقرير بكل عناية ودقة ، وأنا أثق في أنه سوف يقوم بإبرازها .

كتب لي نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" بأنه نسبة ؛ لأن قادة هرمز ولأسباب خاصة بهم ومن دون أن يكون ذلك ضرورياً ؛ قاموا ببناء العديد من الأساطيل غير العادية ؛ حيث قاموا بصرف أموال طائلة تخصّني عليها ، لذا قم بإصدار أمر بأن لا يتم بناء الأساطيل إلا بعد أن تتم مناقشة المسألة أولاً في المجلس وتتم إجازتها بأغلبية الأصوات ، وحيث بدا لي هذا صائباً لذا قررت بأن يتم إصدار أمر في هذا الصدد ، وأن أقوم بإرساله لك مع الخطاب الحالي ، وسوف تقوم بتنفيذه وبكل تفصيلاته .

تم إبلاغي بأن "دوم هنريك دي نورونها" ، الكابتن السابق لحصن هرمز والمفوض "فرانسيسكو دي جوفيا" "Francisco de Govia" ، ومن دون أوامر حاكم الدولة قاما بفرض رسوم جديدة تم وضعها على البضائع التي يقوم التجار بشحنها بغرض التصدير من الشاطئ ، وقد قيل بأنها بغرض الدفع "لدوم هنريكو" مبلغاً ، والذي قام باستلامه لدفع (Cambarbeque) عندما ذهب تحت محفوراً إلى جزيرة قشم .

أمّا قيمة هذا القرض فلم يتم الإعلان عنها ، وتم قرضه بواسطة

"دوم هنريكو" وبمبادرة شخصية منه ، وقام نائب الملك "لورنسو دي تافورا" بإصدار أمر ينصّ على أن هذه الرسوم يجب إلغاؤها ، ويتم جرد حسابها ، وبما أن "دوم هنريكو" تجاوز في هذه النقطة ما يستطيع عمله وما يجب عليه عمله ؛ فأنا أعتقد أنه من الإنصاف أن آمر بأنه إذا وافق الناس على ذلك .

إن كان دفتر إيصالات قد تم الاحتفاظ به حتى يكون ذلك دليلاً على المال الذي قام بفرضه ، وإذا كان المال الذي قام بأخذه أكثر من قيمة القرض ؛ فإن على "دوم هنريكو" إعادة الفَرْق ، وإذا لم يتم الاحتفاظ بالإيصالات بالطريقة المقررة ؛ ففي هذه الحالة تتم مطالبته بكل ما قام باستلامه ، ويتم إرجاعه إلى أصحابه .

يمكن "لدوم هنريكو" الاحتكام إليَّ موضّحاً تصرفاته ودوافعَه ، وسوف آمر بالتنازل له عما هو مستحق ، وأتعهد لك بضمان أنه سيقوم بذلك ، وأن تقوم بتنفيذ ما آمرك به .

قام نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" بإسداء النصح لي بواسطة المراكب التي وصلت السنة الماضية بأنه منعاً للخسارة التي ربما تتعرض لها خزانتي ، والتي يتسبب فيها التجار الذين يُبحرون من تلك المناطق ("غوا" والموانئ القريبة) إلى مضيق هرمز ، ولا يتوقفون في هرمز أو مسقط ؛ لذا قام بإصدار أمر يلزمهم فيه بإحضار شهادة عند رجوعهم تُثبت بأنهم كانوا في تلك المناطق ، وفي توجيهٍ أمرت بأن يتم تمريره إلى نائب الملك نفسه أمرته فيه بمنع المراكب المغادرة "غوا" في طريقها إلى هرمز ، ومِن أن تتوقف في أي ميناء آخر .

كما عليه إلزام الأشخاص الذين فيها ، ومعهم بضائع على ظهرها أن تكون بحوزتهم شهادة بالبضائع يتم إصدارها بواسطة المسؤولين في دار جمارك "غوا" ، وإذا لم تكن بحوزتهم فعليهم دفع الرسوم المناسبة في هرمز والعطايا للمسؤولين أنفسهم ، كما تم النص عليه في واحدة من بنود عقد دار الجمارك .

هذا ينبغي أن يكون شكل الممارسة في المستقبل .

في توجيهٍ آخر بتاريخ السادس من شهر مارس عام ١٦٠٩م أمرتُ جميع المراكب والسفن الأخرى والتي تبحر من "غوا" والنقاط الحصينة في الشمال أنّ عليها أنْ تذهب إلى هرمز ؛ حيث تقوم بالتسجيل أولاً في الموانئ ، والتي يقومون بشحن كل بضائعهم منها ، وإذا ما كانت تابعة للمسيحيين أو المسلمين أو أي أشخاص آخرين .

يجب أن يحفظ دفتر التسجيلات في أيدي المسؤول والذي تكون هذه هي مسؤوليته ، كما يجب إرسال صورة إلى المراكب والسفن حتى تكون بصحبتهم ، وسوف تتخذ الإجراءات ضد أولئك الذين يرسلون بضائع من دون القيام بتسجيلها طبقاً لقوانيني وأوامري .

إنه من مصلحتي وفائدة خزانتي أن تتم مراعاة هذا الأمر ، وأنا أعهد إليك بتنفيذه ، وإن أولئك الذين لا يتقيدون به ، أو يمتثلون له ؛ تتم معاقبتهم بالعقوبة المناسبة والقاسية .

لديّ معلومات تفيد بأن الود مفقود بين الملك ونائب الحاكم في هرمز ؛ حيث إنه من الصحيح والمناسب أن يكونا صديقين ، وألا تنشب بينهما

خلافات ، أعهد لك أن تقوم بتحقيق ذلك ، وأن تتخذ أي إجراء تعتقد أنه ضروري لتحقيق هذه الغاية .

أنا آمر بنفس الشيء بالنسبة لقائد القلعة بواسطة خطابي ، وكما تم إعلامي كذلك بأن "دوم هنريكو دو نورنها" عندما كان قائداً قام بإثارة هذه الضغائن لتحقيق أغراضه الشخصية ، وآمر أن يتم التحقق في ذلك في التقرير الذي سيكتب عنه ، والذي تمّ ذكره من قبل .

كتب لي نائب الملك "لورنسو دي تافورا" بأن "جارسيا دي ميلو" والذي خدم في هرمز في وظيفة مراقب خزانة الدولة أخبره بأن النظم الأساسية لدار الجمارك تشترط أنه في حالة وفاة واحد من المراقبين المسلمين الأربعة الموجودين هناك (هناك أيضا اثنان من البرتغاليين) ؛ فلن يتم تعيين آخر في منصبه ، وإذا كان ذلك ضرورياً فإن مراقب خزانة الدولة ربما يقوم بإسداء النصح إلى نائب الملك حتى يتمكن من تعيين أحد الأشخاص .

قال إنه من الصعوبة بمكان أن تعمل دار الجمارك من دون وجود مراقبين من المسلمين ؛ نسبة لأنهم يفهمون لغة التجار الأجانب ، والذين يذهبون إلى هناك ، بينما البرتغاليون لا يعرفونها .

كما أن هؤلاء المراقبين المسلمين يعملون من دون ترخيص من نائب الملك ، ومن دون أجور ، وهم قانعون بما يقدّم لهم من عطايا ، والسماح لهم بإرسال بعض البضائع بأسمائهم الخاصة من دون تحديد الكمية ، ولهذا السبب ونسبة لأنهم يعرفون اللغة فإنهم في وضع أفضل إذا ما قورن بأي أجر قد يتلقونه مهما كان كبيراً .

قام "جارسيا دي ميلو" بهضم هذا الحق ، وأمَر بأنه يتعين عليهم العمل بالعطايا التي تمنح لهم ، وقام بإصدار تراخيص للوظائف انسجاماً مع أمرٍ كان قد تلقّاه إلى أن يتم تأكيد المسألة ، ورغب في أن تتم مناقشة هذا الموضوع هنا ، وكان رأيي أن "جارسيا دي ميلو" قد تصرف بصورة سليمة حيال هذا الموضوع ، وقام نائب الملك بنصحي بأن الموضوع قد تم رفعه إلى مجلس الخزانة .

حيث تمت مناقشته بموجبه حتى أقوم بإصدار أمرٍ مخالفٍ لهذا الأمر ، وأعهد إليك أن تقوم بضمان تنفيذ هذا الأمر ، وعندما يحين الوقت الذي يبدو فيه أنه بات من الضروري تغييرُ هذا الأمر سوف يتم إبلاغي حتى أتمكن من مراجعته ، وسوف آمر بما يصبّ في مصلحتي ، وسوف تعمل على إتمام الموافقة على هذا ، وسوف تقوم بإعداد مذكرة حوله .

كتب لي نائب الملك "روي لورنسو دو تافورا" قائلاً بأن "جارسيا دي ميلو" اعتقد أن هناك العديد من الوسطاء في هرمز تمّ تعيين بعضهم بواسطة الملك وآخرين بواسطة الجوزال وقائد الحامية ورئيس الوسطاء ، ولا يملك واحد من هؤلاء الوسطاء رخصة لهذا المنصب .

قام "جارسيا دي ميلو" بمناقشة هذا الوضع غير القانوني مع الملك والقائد والجوزال ، وذلك بقصد إيجاد حل ؛ حيث اتفقوا على أن يتم اختيار خمسين وسيطاً ، وأنه يتعين أن يتم الترخيص لهم ، وهذه التراخيص قام بإصدارها "جارسيا دي ميلو" ، وتم إبلاغي بأنه انسجاماً مع عقد دار الجمارك في هرمز ؛ فإن اثنين من هؤلاء الوسطاء ينبغي أن يكونوا متواجدين في كل يوم لإعطاء معلومات عن التقييم ، ويجب أن يخدموا تباعاً .

أعطيت أوامر في رسالتي بتاريخ السادس من شهر مارس عام ١٦٠٩م والتي تم إرسالها لمراكب تلك السنة ، ومعها بعض البيانات التي توضح أن هذه الشروط يجب وضعها موضع التنفيذ ، وهذا يشمل إعلاناً ينص على وضع (حكم أوزان) هناك بواسطتي ، وأعتبر أن هذا يصب في مصلحتي ، ولابد من التقيد به وطاعته ، وآمرك بأن تقوم بإصدار أمر حتى يتم الامتثال لهذا .

تم إبلاغي عن حجم الضرر الذي لحق بقلعة هرمز ، وعن الأموال الزائدة التي تم تبديدها بواسطة الوسطاء التجاريين في أعمال التشييد والبناء ، والتي ادَّعَوا بأنه قد تم تنفيذها .

نسبة لأن هذه الأقوال تبدو زائفة ؛ أمرتُ بإجراء تحقيق حول إذا ما تم تنفيذ هذه الأعمال ، وعن درجة جودتها ومدى أهميتها ، وما يمكن عمله بخصوص التكلفة ، وسوف تطلع على تفاصيل هذا في خطابي بتاريخ الثالث عشر من شهر فبراير عام ١٦١٠م ، وبالإضافة إلى هذا وبعض الحسابات بحوزة بعض الوكلاء التجاريين ، تم إرسال قائمة لي تحوي الأموال التي تم صرفها على هذه الأعمال .

ما تم إرساله لي يتعلق بفترة الوكلاء الآتي ذكرهم : "جواو رودريجيز دي سوتو" "Joao Roderigues de Soto" ، "مليشيور مونتيرو دي ريبيلو" "Melchiore Montero de Rebello" ، "دومينجوس فيريرا إسكوريو" "Domingos Ferreira Escorio" ، و"مانويل كابرال فورتادو" "Manuel Cabral Fortado" ، يوضح بأنه في الفترة التي عملوا فيها ؛ فإنه تم صرف واحد وثمانين ألف وسبعمائة ستة وثلاثين اكزرافين على

تلك الإشاعات ، وبحوزتي رسالة مكتوبة إلى "أنطونيو بنتو دا فونسيكا" ، والذي قمت بإرساله كمشرف وزائر إلى الحصن ، وعندما يذهب إلى هرمز فعليه أن يعاين هو والمسؤولون الذين سيقومون باصطحابه حجم المال الذي تم صرفه في فترة كل واحد من هؤلاء الوكلاء .

عليه أن يقوم بإبلاغي بكل شيء حتى أتمكن من إعطاء الأوامر ، وذلك للحفاظ على مصالحي ، واعتقدت أنه من الصواب أن ألفت انتباهكم لهذا حتى تكون على علم بها .

تمت كتابتها في "لشبونه" بتاريخ السابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٢م . الملك . "الكونت اميرال" .

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه بشأن سفير فارس ، بتاريخ السابع من شهر مارس عام ١٦١٢م ، ويذكر فيها أن السفير في حالة حرب مع الأتراك : [١٢]

إلى صديقي "دوم جيرونيمو دي أزيفيدو" نائب الملك في الهند ، بوصفي أنا الملك أبعث إليك بتحياتي الزائدة . طلب مني "دانغويسبك إيوسباكسي" سفير ملك فارس ، والذي يسافر بواسطة هذه السفن ؛ السماح له بأن ينقل إلى فارس الشباب الذين يتعين عليه أخذهم معه ، وأعطيته رسالة تخصني لأخذها معه ، وبواسطتها سوف تعلم أنني أمرت بأن يسمح لهؤلاء بالذهاب معه إلى فارس ، والذين ربما لا يكونون مسيحيين أو من عنصر رفع ... إلخ ، ومن ثَمّ سوف تقوم بإعطاء الأمر الضروري ... إلخ

كما طلب السفير مني أيضا السماح له أن يأخذ معه بعض البنادق

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

والرماح ، وذلك على اعتبار أن الملك المذكور آنفاً هو في حالة حرب مع الأتراك عدونا المشترك ، وأنه في حالة سلام وصداقة مع تلك الدولة ، ولا يشن أي حرب ضد المسيحيين ، وهذه الهبة يمكن إعطاؤها له مدعّمة بوجهة نظر كبير أساقفة مدينة "غوا" والذي يحكم البحر الخ الخ ؛ مضيفاً أنه شريطة أنه في حالة إبلاغه بأن الملك المذكور آنفاً دخل في حروب مع تلك الدولة فإنك سوف لن تسمح لهم بالعبور .

طلب مني السفير كذلك السماح له بأخذ ما قيمته أربعة آلاف "كروزادوس" من التوابل والملابس من دون أن يقوم بدفع الرسوم إلى دور جماركي ، وأنا أرغب أن يتم إعفاؤه من مدينة "غوا" من دفع رسوم على البضائع حتى قيمة أربعة آلاف "كروزادوس" .

في هرمز أيضا ، وبنفس الطريقة لا يقوم بدفع الرسوم على البضائع التي هي بنفس القيمة ، وأيضا لا يقوم هو أو أفراد أسرته الذين يسافرون معه بدفع الرسوم على المجوهرات والمتعلقات التي في حقائبهم لاستخدامهم الخاص ولمنازلهم ، كما أمرت أيضا أن يتم الإعلان عن خطابي الذي يحمله بأن تأمر بكل ما هو ضروري لوضع هذا موضع التنفيذ ، وأنه قد تم باسمي .

الأمر كذلك بأن لا يجب عليك أن (تعتقد) بأن ، أربعة آلاف "كروزادوس" هي لتلك البضائع المذكورة آنفاً ، ومقسّمة بالطريقة التي تبدو لك الأفضل .

كما طلب مني السفير السماح للفرس الذين يذهبون إلى هرمز بأن يكون لهم حمام عمومي ، ولأسباب عادلة في خدمة الله ونفسي ، أرى أنه غير من المناسب أن امنحهم هذا .

آمرك ألا تسمح لأي شخص أن يفعل ذلك ، وألا توافق على إعادة بناء الحمام الموجود أصلاً هناك ، وعليك أن تأخد هذا كأمر مفروغ منه ، ومن الآن وصاعداً يجب الامتثال له ؛ لأنني أرغب أن يكون كذلك .

تمت كتابته في "لشبونه" بتاريخ السابع مارس عام ١٦١٢م .
الأسقف "دوم بيدرو" . "الكونت أميرال" .

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

قدم مقترح مخصوص ومحدد تقدم به "أنطوني شيرلـي" "Antony Cherley" ، مدريد ، بتاريخ التاسع من شهر إبريل عـام ١٦١٢م ، ويبين فيه الضرر لو أقام الإنجليـز حـلفاً مع الفرس : (١٣)

(يقوم "أنطوني شيرلي" بإبراز الضرر الذي ربما ينتج وحتى فقدان الهند إذا قام الإنجليز بإقامة حلف مع الفرس ، ولقد كشف الشاه عن نواياه مسبقاً وذلك بمهاجمته لهرمز مع الإنجليز . كما أن الصداقة بين ملك الفرس وملك بولندا والتي يحتاج لها ملك فارس بشدة يتعيّن تعزيزها ، ويمكن "لأنطوني شيرلي" أن يكون مفيداً في هذا الخصوص) .

سيدي ،

قام جلالتكم بإصدار تعليمات إلى الفارس النبيل (قائد ليون) بأن يقوم بقراءة بعض الوثائق من "أنطوني شيرلي" ، والتي توضح

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

الضرر الذي ربما يلحق بجلالتكم إذا قام الإنجليز بالذهاب إلى فارس ، وأقاموا تحالفاً مع الملك ، وبالتالي سوف يتم فقدان الهند ، وأن الملك الفارسي بعد أن كشف الغطاء عن مخططاته ضد هرمز (والتي قام الآن بتوضيحها) ، وبمساعدة الإنجليز فسوف يستطيع في هذه الحالة الحصول على ما يحتاجه وما يريده ، وبالتحديد القوة البحرية .

هذا سوف يعوضه عن الآمال المحبطة والتي تم إعطاؤها له هنا ، وإذا لم يتم وضع علاج لهذا ، وهو ببساطة الحفاظ على صداقة ملك بولندا ، والذي يحتاج إليه الفرس كثيراً ؛ فسوف يصبح الأمر صعباً فيما بعد .

بالتالي ، ونسبة لقربه من القرم يمكنه من خلال تكوين هجوم يمكن أن يغيّر الوجهات ، وأن يعمل ضد الأتراك بسهولة بالغة ، وشدّد بأن هذه المسألة تحتاج أن تُعالَج بمقدرة فائقة ، ومن دون تبديد الوقت قبل أن يقوم أخوه بإعاقة هذا الاتجاه ، وهو مقتنع تماماً بأن كل الضرر الذي ربما ينتج عن وجود الإنجليز في تلك المناطق سوف يتم الاهتمام به من قبله ، وأن خطته في أن يقدم خدمة كبيرة لجلالتكم سوف تنجح في هذه الحالة .

ذلك نسبة لمعرفته وفهمه للشؤون البولندية ، ونسبة لصداقته بكبار الوزراء لذلك الملك ، وأن الفوائد التي سوف يجنيها جلالتكم سوف تكون عظيمة .

أقترح أنه يمكنه الذهاب إلى بولندا بذريعة وفاة الإمبراطور ، أو لحضور بعض الزيجات المقامة هناك ، وهذه الأحداث سوف تمنحه عذراً مناسباً .

في وثائق أخرى التي أعطاها الأب "كروزولو" "Crosolo" إلى شعبه ؛ أوضح بأنه يتعين عدم اتخاذ قرار في هذا الموضوع ، وحيث إن هذا الأمر يصب في مصلحة جلالتكم ؛ فهو يفكر في الحملة لأنه لا يجب أن يكون عاطلاً ، وعلى أيّة حال فإن "كروزولو" يلمح بأن "دون أنطونيو" يريده أن يواصل الحياة التي كان يستمتع بها في "غرناطة" أثناء غيابكم .

أما النبيل الفارس قائد ليون فلا يعتقد أنه من المناسب له منحه المناصب التي قام بطلبها نسبة للضجة التي ربما تثيرها ، ومن الاضطرابات التي ربما تنتج عنها ، ولكن كما ذكر فإنه يريد القيام بالحملة لقناعته الشخصية .

سوف تصب في مصلحة جلالتكم ، أو على الأقل فإنها سوف لن تضر بخدمتك ؛ حيث إنه عرض القيام بذلك ، وبالتالي وفي غيابك ، فإنه يجب أن يسمح له بمواصلة الاستجمام الذي أعطى له في غرناطة حيث إنه يستمتع بأن يكون هناك من دون أي عمل ، وربما أن المكان الذي يريد الذهاب إليه سوف يكون ذا فائدة ، وسوف يأمر جلالتكم بما يراه مناسباً .

في مدريد بتاريخ التاسع من شهر إبريل عام ١٦١٢م

النبيل قائد ليون في التاسع من شهر إبريل عام ١٦١٢م بخصوص مقترح تقدم به "دون أنطونيو شيرلي" .

الهامش : يمكن التأكد من خلال "كريزولو" إذا ما كان "دون أنطونيو" يرغب في المغادرة من دون المناصب التي قام بطلبها نسبة لأنها لن تُعطى له .

أرجو إبلاغي بما يريد أن يفعله ، وعن الخدمات التي سوف يتمكن من تقديمها .

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

وردت رسالة من "دوم فيليبي" إلـى صاحب المقام السامي الأمير الشاه عباس ، ملك فارس ، بتاريخ الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٢م ، ويؤيده على انتصاره على الأتراك العدو المشترك : (١٤)

ليكن معلوماً لشخصك الجليل أن "دنقوز بيك يوزباشي" السفير لديكم جاءني وقابلته بكل ترحاب ، نتيجة للحماس والزخم الذي أشعر به جراء الصداقة التي بيني وبين جلالتك ، وما تظهره أنت من سعادة يجب المحافظة عليها ، خاصة عن الأخبار التي حملها لي بصحتك الطيبة والانتصارات التي تحققت على الأتراك عدونا المشترك ، وهي أخبار تهمني كثيراً ، ولا بد أن السفير تفهم جيدا كل ذلك خاصة مما رآه من مظاهر الترحيب والاهتمام ، الذي أمرت بأن يحظى به في شخصه ، وعن الرد الذي أمرت بتقديمه له عن الأشياء التي

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

اقترحت من جانب معاليك لطرفي ، والتي حملها معه كتابة ، والتي تؤكد رغبتي الحقيقية في المحافظة دائماً على هذه الصداقة ، والتواصل الرائع بكل السبل الجيدة ، وما هو مستحق لك من ممالكي ودولة الهند ، ويسعدني أن أوفر لك دائماً كل الرضا .

الجناب العالي صاحب السلطة الأمير الشاه عباس ، ملك فارس ، ليزيد الرب من قدرك ويشملك بنعمته ويحرسك أنت ودولتك .

كتب في "لشبونه" بتاريخ الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٢م .

رد يسلم لمبعوث فارس ، قدم له في هذه المملكة

إن جلالته قد اعتبر بعد تفكير عميق أن الأشياء التي اقترحت من جانب صاحب المعالي ، القوي ، الأمير شاه عباس ملك فارس ، بجانب ما جاء في رسالته التي قدم فيها شكره عن الصداقة والتواصل الرائع الذي يبديه من جانبه ، مؤكداً له مدى الاعتبار الذي يوليه لصداقته ، وسيحاول جاهداً دائماً المحافظة عليها ، أَمَرَ بأن يتم الرد عليه بهذا الشكل عبر فخامة مبعوثه "دنقوز بيك يوزباشي" .

إنه وفيما يتعلق بإغلاق ، وسائل تجارة الأتراك في البحر الأحمر ؛ فإن جلالته أصدر منعاً باتّاً تحت شروط قاسية في هذا الأمر ، وتنفيذاً لذلك قامت أساطيله في تلك الأنحاء ، وفي مناسبات عديدة ، بالاستيلاء على العديد من السفن التي كانت تبحر هناك ، والآن وقد قام بما يلزم من جانبه ، ويرجو أن ينال الرضا عن كل ذلك ، ستتم مواصلة هذا

العمل ليَفي بالغرض الذي كان الهدف منه إيقاف التجارة ، وأيضا يجب معاملة جزيرة سوقطرة التي أشير بها له ، أو أي ميناء آخر مناسب أو عبر أساطيله بحسب ما يرى أنه الأفضل في تنفيذ ذلك ، وسيبعث له بمعلومات .

أما ما يتعلق بالحرير والبضائع التي عرض إرسالها إلى هرمز ؛ فإن جلالته تحمس بسبب أن ذلك سيكون تواصلاً بين رعاياه ورعايا جلالته مما يزيد أواصر الصداقة أكثر فأكثر ، وقد أمر جلالته بمعاملة تجار فارس بصورة ممتازة ، وأن يجدوا الاستحسان عند أقامتهم في هرمز ، سيبعث بأوامر جديدة تطلب معاملتهم بكل ترحاب والعمل السريع في تسليم وإرسال بضائعهم وإنجاز معاملاتهم ، وأمر بتزويد المكاتب بالضباط والموظفين للقيام بتنفيذ ذلك الأمر .

بالرغم من عدم تسوية هذا العمل ؛ لأن المفروض إكماله بحيث ينال الرضا من رعايا جلالته ، بحيث تظهر فائدته أو أضراره بناء على هذا العقد الذي ارتبطا به ، وحتى تتضح ، فإنه يتمسك بصداقته ، وكيف أنه حاول دائماً المحافظة عليها بكافة السبل ، وأنه يأمر نائب ملك الهند بأن يرسل سفينتين إلى هرمز حتى ينقل عليهما الحرير إلى جوا ، ومن ثَمّ ترفع على ظهر سفن هذه المملكة كل البضائع والأشخاص الذين جاءوا بها من فارس .

سأفيدك بالتاريخ المحتمل الذي ستقل فيه تلك السفن إلى هرمز ، حتى تلتقي كلها في وقت واحد ، فتأخذ الحرير وأي بضائع أخرى قادمة من فارس تعود لرعاياها إلى هذه المملكة ، ولن تؤخذ منهم أي رسوم في

هرمز ، بل تسجل فقط هناك بحسب سجل كل حمولة من التبن ، تؤخذ عنها خمسة "لارينز" ، والتسجيل عبارة عن ضمانة ومراقبة للرسوم الملكية ، والتي ستجمع في هذه المملكة التي تؤدي فيها رسوم بنسبة سبعة بالمائة وثلاثة بالمائة كمصاريف قنصلية ، عبارة عن دخول الحرير ، ويمكن أخذ بضائع بدلاً عنها ، وسيقيم كل رطل من الحرير الخشن والناعم بعشرين ريالاً ، أما البضائع فيمكن أداء عشرة بالمائة بعد تخمين قيمتها .

أما عن الشحن من هرمز إلى "لشبونه" فتسدّد مائة ريال عن كل بالة من الحرير ، وستمائة ريال عن كل طن من البضائع الأخرى ، وقد اقترح عليه أن يهتم من جانبه ويبدي كل الحرص ، وسيوجه له النصح والتعليمات متى ما رأى ذلك .

يضع جلالته اعتباراً كبيراً لمطالب ملك فارس ، ويأمل أن يحقق له كل شيء حتى ينال رضاه ، وله النية في أن يكون هناك شخصٌ ما يهتم بأن يجد رعايا جلالته العدل والمعاملة الكريمة أثناء إقامتهم ، ويسعى لحل خلافاتهم ، وقد عيّن جلالته كقنصل في فارس "فرانسيسكو بارترادوس دي جوفيا" "Francisco Partrados de Govia" ، شقيق "دوم فري أنطونيو دي جوفيا" "D . Frei Antonio de Govia" ، أسقف "سيرين" "Seren" .

أن يكون جلالته قد أمر ببذل كل الجهد بأن رسالة البابا التي كتبت رداً على رسالة ملك فارس ؛ يجب أن تأتي في وقت مناسب حتى يأخذها المبعوث ، إلا أنها لم تصل ، لكن يتوقع وصولها يومياً ، بناء على ما كتبه "دوم فرانسيسكو دي كاسترو" ، وهو مبعوث جلالته بروما

في رسالة بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير ، إنه بعدم وصولها في الوقت المناسب ليأخذها المبعوث مسترسل براً إلى هرمز ؛ بحيث تصل قبله ، وعليه يمكنه المغادرة من هناك دون الشعور بأي قلق لهذا الأمر .

وفي العام نفسه (١٦١٢م)

صـــــدرت رســـالة مـــــن "فيليب الثاني" إلـى الأسقف "دوم بيدرو دي كاستيلهو" "D . Pedro de Castelho" ، نائب ملك البرتغال مبعوث اعتيادي ، مدريد ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٢م ، وقد تمّ تجهيز سفن إنجليزية في إنجلترا بترتيب من "روبرت شيرلـي" لنفس الأهداف التي تم تجهيزها في هولندا : (١٥)

الأسقف المحترم ... إلخ ... إلخ

لقد اطلعت على التقرير الخاص بجلسة مجلس الهند الذي أرسلته لي في إرسالية مؤرخة في السابع والعشرين أكتوبر حول المعلومات الواصلة هناك عبر التجار بشأن خمس عشرة سفينة ثم تجهيزها في هولندا للمغادرة إلى الهند الشهر الماضي (نوفمبر) ، وكذلك في فبراير من العام القادم ، وكذلك وصلت معلومات عن سفن تمّ تجهيزها في أنجلترا لنفس الأهداف .

---

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

السير "روبرت شيرلي" كان يفترض أن يغادر في تلك السفن وهي محملة ببعض البضائع متوجّهة إلى مضيق هرمز لبدء تجارة الحرير مع ملك فارس ، يشير التقرير أيضا إلى طائفة النظام الأوغسطيني الذين يعيشون في تلك المناطق الفارسية والذين كتبوا عن خطط الملك .

من معلومات أخرى وصلت بطرق مختلفة ، سمعت كذلك أن ما يعرف بشركة الهند أخطرت دولتي هولندا وزيلندا بأنه سوف لن يكون في مقدورهما أن تستمرا في التجارة مع تلك المناطق بدون اللجوء إلى السلاح ، وذلك لمقاومة رعاياي المقيمين هناك ولاحتواء الأهالي بتخويفهم ، وبهذه النوايا فإنهم يجهّزون لإعادة تسليح ست سفن كبيرة بواسطتها سوف يبحرون في الربيع في صحبة سفن أخرى (بما مجموعه خمس عشرة سفينة) ؛ إضافة إلى تلك السفن التي ينبغي أن تعزز وتدعم ذخيرة ومدفعية من تلك الدول .

لقد وافقوا على الاقتراحات ، ويأملون في أن تفعل الدول الأخرى نفس الشيء ، وذلك لأنهم جميعاً يؤمنون بأن عليهم التفاوض بشكل مختلف عما ساروا عليه لغاية الآن إذا ما أرادوا ألا يكونوا خاضعين لرغبات الأهالي في تلك المناطق بتأسيس مجمعات سكنية محمية ومستعمرات بشرية .

حيث يمكن تشكيل حكومة دائمة ودولة ليتمكن هؤلاء الأهالي للتجارة معهم عافين لهم الرسوم والدفع الفوري من التجارة التي يأخذوها إلى الخارج . من بين هذه السفن الخمس ، عشر ستكون حمولة سبع منها ثمانمائة طن ، وكل واحدة مسلحة بمائة وخمسين رجل ، وسوف تصحبها أكثر من ست أطواف .

إنهم يطلبون من الدول مساعدة في حدود أربع سفن حربية حتى تصبح أسطولا ملكياً للشركة فيما خلف خط الاستواء ، أما فيما يخص قسم الإنجليز فإنهم يطالبون أن توافق الشركة على قبولهم ، أو أنهم سوف ينضمّون إلى الأسطول الكاستلامي والبرتغالي ، ويدخلون في معركة معهم في "ملوخا" ، هذا وتركهم بشكل رئيس بسبب غضب الإنجليز لعدم السماح لهم بالتجارة في "أمبيونيا" "Ambyona" .

عندما قدّم بعض قاطني تلك الجزر بضاعتهم للبيع ، والتي لم يقبل بها ملك أنجلترا ؛ في تلك الحالة فإن الشركتين كان لا بد لهما أن تعملا متضامنتين وبما يكفي ، ليس فقط لإبعاد القشتاليين من ملوخا بل للمقاومة والهجوم ضدهم ، ولكن في كل الأحوال أعتقد أنهم إذا ما مُنحوا بعض المقاومة ، وإذا ما عانوا من بعض عثرات الحظ ؛ فإنهم سوف يذهبون بقلوب مرتاحة (؟) .

بالنظر إلى فحوى كل هذه المعلومات والغاية الكافية التي يستدعيها الأمر ويجبر عليها ، ومدى ضرورة اتخاذ إجراءات وقائية ضد المخططات الهولندية بحسب ما يسمح به الوقت ، وما تسمح به موارد خزانتي المحددة ؛ فلقد قررت أن أنصح سموّكم حول كل شيء بواسطة بريد خاص على أن ألحق بكم عاجلاً .

عندما تستلمون هذا البريد سوف تدعون رئيس الخزانة لدولة الهند والمسؤولين الآخرين الذين عليهم واجب تجهيز المراكب ، وأن تأمرهم باسمي لتأمين العمل وإنجازه بدقة متناهية حتى يمكن الفراغ منه بالسرعة القصوى على افتراض أنه سوف تجهز خمس مراكب حسب أمري .

عليهم بذل كل جهد وعناء ، بل عليهم المغادرة في مطالع مارس بدون إبطاء حتى لا يمكن للأسطول الهولندي أن ينجح في منعهم وصدهم عن رحلتهم . عليهم الذهاب مزودين بالذخيرة الضرورية والمدفعية وبتشكلات كما لو كانوا سوف يقاتلون فور مغادرة الميناء .

كلي ثقة أنك سوف تتفهم أهمية إنفاذ هذا بالنسبة لخدمتي ، وأنك سوف تخلص في هذا الأمر ؛ بحيث إن كل المشكلات التي سوف تطرأ سوف تذلل ، وأن المال الضروري لشراء الفلفل الذي جمع والاهتمام بكل صغيرة وكبيرة ونصحي في كل الأوقات بما سوف تقوم به ؛ لضمان نجاح مهمة المراكب في الأسطول أن تبحر مجتمعة وبدون أن تتفرق طوال زمن الرحلة .

هذا ؛ وسوف يضمن بواسطة الأوامر التي سوف تعطى للقائد الأعلى وللقباطنة فرداً فردا ؛ بحيث يتضح للجميع أنه بخلاف ذلك سوف يتم اتخاذ إجراءات قاسية رادعة ضدهم ، وبالمثل ضد رؤساء القباطنة والضباط الآخرين في الأسطول الذين يهملون أو يقعون في أية أخطاء .

عون الرجال مهم جداً إذا أرسل إلى الهند في هذا الظرف ، وعليك أنت تأمين أكبر عدد من الرجال والجنود وترحيلهم إلى هناك . عليك أن تأمر بوضع سِجِلّ للذين يأتون من تلك الدولة والموجودين في البرتغال على أهبة الاستعداد للانضمام والاستعداد ، والرغبة في الإبحار هذا العام ؛ بحيث يكون معلوماً كم منهم متوفون ، وعليك إرسال نسخة لي من ذلك السجل ، وبدون التعامل مع أولئك المتغيبين ، فيجب مراجعة

مسوغاتهم وفحصها ، ولأجل هذا ؛ عليك ترك أية أعمال أخرى حتى يكون لديك الوقت للاستجابة لطلباتهم ، أما الذين سبق لهم أن تسجلوا ؛ فيجب إخطارهم بضرورة الإبحار بالحضور إلى المراكب ، وإذا لم تتم استجابتهم فعليك بالغائهم من السجلات .

فيما يخص استعداد أنجلترا وهولندا وتسليحهما للجيوش ؛ فإنني آمر بإرسالية عاجلة براً إلى نائب الملك في الهند ، وأن تتأكدوا أنها سوف تصل في الوقت المناسب ، وكذلك قررت إرسالها بالبحر أيضا ؛ لهذه الغاية عليكم إصدار الأوامر لتجهيز قافلة فوراً لتغادر ، وإذا ما توفرت قافلة جاهزةٌ فيجب أن تكون تحت قيادة رجل ثقة وخبرة(أ) .

كما يجب أن تكتب رسالة بهذا المعنى بواسطة مجلس الهند إلى نائب الملك ، وأن ترسل لي للتوقيع ، تخبره بما يعرف عن الهولنديين والإنجليز وسفنهم المجمعة للذهاب إلى تلك المناطق ، وعن خططهم حتى تنذرهم ؛ ليتمكنوا من تحذير القلاع في الجنوب للتصرف حسب الضرورة ؛ فإذا ما تعدى الهولنديون ما هو موافق عليه في التعهد ؛ فشَنّ الحرب عليهم يصبح أمراً واقعاً ، وعليه بشكل سري اتخاذ الإجراءات لضمان عدم استقبال الأهالي لهم (الهولنديين) .

إعلان الحرب يجب أن يكون علناً ضد الإنجليز في كل أنحاء الدولة ، ويجب عقابهم بموجب مواد القانون دون الرجوع إلى الأمر أو انتظار أيّة أوامر . كذلك يجب ارسال العون والدعم لموزمبيق فوراً لتُعدّ العُدة للدفاع .

(أ) في الهامش : إن قافلة هي الآن في طريقها الهند بهذه المعلومات .

القبطان والبحارة الضباط المغادرون في الحملة/ القافلة يجب إعطاؤهم أوامر للذهاب إلى الحصون والتوقف عندها ، والتقدم بنفس المعلومات للذين هناك يخبرونهم كتابة بضرورة وضع كل شيء على أهبة الاستعداد لحماية أنفسهم إذا ما مرت لأي سبب تلك الأساطيل بمناطقهم .

كذلك يجب نصح نائب الملك في الهند بما كتبه ممثل الطائفة الأوغسطينية في بلاد فارس حول نوايا ملك فارس ضدّ قلعة هرمز وعن الرسول الذي ينوي إرساله إلى الهند ، حتى إذا ما لم تصله هذه الإخبارية عن طريق آخر يكون عارفاً لكل شيء يمكنه من اتخاذ الإجراءات مع حلفائه الحكام في الدولة ، ومع غيرهم من غير المتحالفين ؛ بحيث لا تتقدم التجارة التي ينوي مباشرتها حاكم فارس في ذلك الاتجاه حتى يفهم إلى أي مدى هي في صالح الأمن والسلام العام .

عليه لا يسمح له (حاكم فارس) باختراق الحدود الفارسية واتخاذ مبادرات جديدة في الهند .

٢٤ ديسمبر عام ١٦١٢م

كبير القساوسة المحترم

بعد الاطلاع على التقرير في مداولات المجلس في الهند حول استعادة جزيرة البحرين ، وما قاله ملك هرمز[أ] حول هذا الأمر في رسائل تمّ استلامها في البر الرئيس ؛ قررت أن ألزمك حسب علمي الآن أن تأمر بإرسال تقرير إلى نائب الملك في الدولة (الهند) في مراكب

(أ) في الهامش : الدولة قصدت مجلس الهند لمناقشة إعادة جزيرة البحرين .

مبحرة هذا العام حول ما يقترحه ملك هرمز من منح ملك فارس سبعين ألف بطاقة (patacas) لإعادة الجزيرة (البحرين) ؛ بحيث يمكنه رؤيته وإعطاؤه معلومات حول ما يجري ويقع حقيقة .

أحداث عام ١٦١٣م

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن السفن الهولندية التي ستغادر هولندا طلباً لشركة الهند الهولندية ، بتاريخ الأول من شهر فبراير عام ١٦١٣م : [١٦]

"الدوم جيرونيمو دي أزيفيدو" ، نائب ملك الهند وصديقي ؛ أبعث لك أنا الملك بعظيم تحياتي .

أبلغت عبر وسائل كثيرة أن في بلاد "هولند" و"جيرلاند" خمس عشرة سفينة أعدّت لتغادر في الربيع إلى تلك الأنحاء ، بما أن البعض لم تبدأ في نوفمبر الماضي ، كما كان التوجيه الذي قررته وصممت عليه ، من بينها هناك سبع حمولتها تبلغ ثمانمائة طن لكل واحدة ، وقد جهزت بناء على شركة الهند ، بجانب ستة مراكب شراعية ضخمة هي أيضا في طريقها للإبحار ، وأربع سفن حربية كمعونة من الدول والتي

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

كان يعتقد السماح لها لأنهم لم يبلغوا بعدم إمكانية حملهم للتجارة تلك الأماكن دون استخدام السلاح لمقاومة الرعايا المواطنين الذين يعيشون هناك ، ولبث الخوف والرهبة في المواطنين المحليين هناك .

كما أنهم علموا ضرورة ممارسة التجارة تحت أشكال مختلفة ، وأن يجدوا أماكن محصنة ، ويؤسسوا مستعمرات ويكوّنوا حكومة ودولة دائمة حيث يمكن للمواطنين التجارة وإعفاؤهم من المستحقات ، ودفع ثمن بضائعهم التي يحضرونها نقداً .

للشركة المذكورة السلطة في مهاجمة والصعود على ظهر كل سفن البرتغاليين التي يقابلونها وراء خط الاستواء . يفترض الإنجليز أن الدولة ستقبل بهم في شركتها وعلم أنهم سيبرمون اتفاقية ، لأسباب معينة قائمة ، وبالرغم من أن هذا قد يسبب أضراراً فعلية على الأقل للقشتاليين (الإسبان) في جزر الملوك ، إلا أنه إن أصابهم ضرر وحاولوا المقاومة سيصيبهم الذعر بكل سهولة .

وصلتني أنباء من إنجلترا أنه في ليلة المغادرة في نفس شهر فبراير ، أعدت سفينة مركب شراعي ساهم به الملك ، والذي سيصعد على ظهره "دوم روبيرتو شيرلي" ، الذي كان قد جاء قبل سنوات مضت من فارس ، ستتحرك جميعها إلى مضيق هرمز ، ولن تتفاوض بهذه الطريقة مع ملك فارس فقط ، وتأخذ الحرير من تلك المملكة ؛ لكن ستسرق وتنهب كل الذي قد نجده أيضا ، وإن ملك فارس المذكور يفاوض الأتراك في مسألة السلام ، وله تخطيط شيطاني ضد قلعة هرمز معترفاً بذلك التأثير عليها ، وإرسال سفير لملوك الدول المجاورة .

بناء على هذا التوجيه الذي تلقيته في وقت متأخر لإعانة أخرى ترسل في هذا المونسون غير السفن التي تبحر في الخط ، إلا أنني أمرت بتزويدهم بأكبر عدد من الجنود يمكن الحصول عليه ، وأخذ المدفعية وكل الذخيرة الضرورية .

بسبب تأخرهم الذي قد يحدث للرحلة التي لها أهمية كبرى لأعمالي كما هو واضح وحتى تتلقى أنت هذه النصائح عبر الرسائل الممكنة السريعة ، لتتمكن من تجهيز كل الأشياء الضرورية للدفاع عن الدولة وقلاعها ، بجانب ما كتبته لك في رسائلي التي بعثتها برّاً ، أرسلت لك مركباً شراعياً بقيادة القبطان "بيلشيور رودريجز" غادر من هنا في الثامن والعشرين من شهر يناير الماضي بأوامر لك لتقدم نفس الإرشادات لقلعة موزمبيق ، وأبعث بها من هناك لقلعة "ممباسا" .

من هناك أيضا أبعث بها إلى قلعة هرمز إن كان ذلك ممكنا ، ناصحاً القادة عبر رسائلي للاستعداد للدفاع ، وآمرك بتقديم التعزيزات لهم ، كما أبعث بهذه النصيحة لقلاع الجنوب ، وللآخرين في هذه الدولة ومناطقها ، وبالمثل للفلبين حتى يكونوا على أتم استعداد متحلّين بالشجاعة عندما تتطلب الضرورة ، وبالمثل تكون أنت نفسك على استعداد حتى لا ينجح الأعداء في أي مخطط يودّون تنفيذه .

أرجو عند تسلمك هذا أن يمنح الرب وصولاً آمناً للمركب الشراعي .

أكتب لك لما رأيته من حماس أظهرته أنت من خلال خدمتك لي ، ستقوم بأداء كل ما أمرتك به ليس فقط على أساس أهمية الموضوع الذي أوصيتك به ، لكن على أن تقوم به هو المواصلة بنفس الطريقة ، وأن تعدى

الهولنديون على أي من نصوص معاهدة الهدنة فستشنّ عليهم الحرب ، وبكل سرية وحذر ستقوم بذلك مع الملوك المجاورين ، وتحثهم على عدم استقبال أي من أولئك الأجانب ، وحرمانهم من النزول أو التجارة في موانئهم ، وطردهم من المحطات التجارية ، وعدم التعامل معهم ، وبهذا الفهم وبهدف مساعدة أولئك الملوك المذكورين ؛ يمكنكم استخدام كل الوسائل المتاحة التي يكون هدفها القيام بطرد الأجانب المذكورين .

أما مع الإنجليز فعليك شن الحرب عليهم في كل أنحاء البلاد ، وعند إلقاء القبض عليهم ؛ يجب معاقبتهم حسب القانون دون تحويلهم إلى هنا أو انتظار أوامر لاحقة .

كما أكلفك بالمثل أن تؤدي تلك المهام مع الملوك المتحالفين في تلك البلاد ، وإن التجارة التي يأمل ملك فارس تأسيسها معهم لن تمر ، وبذلك تتقيد وتتناقص تخوم فارس لمحاولتهم إنشاء مشاريع في الهند ، وستكتب لي بالتفصيل عن كل ما تفعله ويحدث هناك .

كتب في "لشبونه" في الأول من فبراير عام ١٦١٣م

- الملك - "الكونت اميرال"

عبر رسالة بواسطة شخص موثوق به كتب في "انتويرب" "Antwerb" بتاريخ السابع عشر من شهر سبتمبر :

(إسباني)

تأكَّدَ تماماً أن خمس عشرة سفينة من هولندا غادرت في الثاني من يوليو الماضي ، وسلكت الطريق خلف إنجلترا حتى تلحق بسرعة

سفننا القادمة من الهند ، وكان ذلك هو تخطيطهم ، يقال أيضا إنهم غادروا إنجلترا بنهاية مايو ، الاثنتا عشرة سفينة التي جاء ذكرها في رسالة أخرى ، وأن كل ذلك كان علنا ، ولا يوجد تاجر في "الفلاندرز" لم يتلق تلك التوجيهات ، وإن لم تقابل الاثنتا عشرة سفينة الخمس عشرة سفينة من هولندا ؛ فإن الأخيرة ستنتظر الاثنتي عشرة سفينة في جزيرة "موريشوس" "Mauritius" ، وأن العقد الذي أبرم بين إنجلترا وهولندا وحلفائهم في هذا الخصوص سيرسل عبر بريد أخر ، لصعوبة القيام بذلك لأسباب خاصة .

علاوة على ذلك ؛ فقد أشير إلى أن أربع سفن من هولندا قد غادرت قبل تاريخ الخامس عشر من الشهر المذكور بأعلى ، وأن أخباراً وصلت إلى هناك عن أخرى عبرت ساحل البرازيل ، عليه هناك شعور بأنها قد عبرت رأس الرجاء الصالح طالما أن مسارهم أبعد كثيراً في البحر عن مسارنا .

بند :

أشير علينا بأن تغادر في شهر أكتوبر هذا عشرون سفينة من هولندا ، اثنتا عشرة سفينة كبيرة وست سفن سعة ثمانين طناً واثنان من المراكب الشراعية الصغيرة ، ولن يرسلوا حالياً المزيد ؛ لأن سفن البرتغال قد انسحبت للشاطئ ، لذلك لا حاجة هناك لأكثر من العشرين تلك المذكورة .

إن السفن الثمان التي غادَرت بموجب التوجيه الأخير من إنجلترا مع تلك السفن لم تبدأ بعد لنفس السبب ، كل تلك العشرين سفينة جهزت بطريقة متسرعة ، وكان ذلك بشهادةٍ من أشخاص شاهدوها

في "انتويرب" ، وستتحرك مباشرة إلى بريطانيا ، ستقوم بإنزال ألف وخمسمائة رجل ، وتتقدم البقية بحراً لتلتقي بأسطول جلالته في الهند ، ويسبّبوا لها الكثير من الأضرار ، ويحاصروا ويهاجموا القلعة حفاظاً على سلامتهم ومصلحتهم .

يقال أيضا بعدم وجود أي أخبار حالياً عند الهولنديون من الهند لكن يتوقعون ذلك في شهر أكتوبر ، وبناء على ما يستجدّ سيفكرون إن كانوا سيرسلوا المزيد من السفن وأي شيء آخر عليهم القيام به ، والرجل الذي ينصح بكل ذلك يتوقع أن يمنح جائزة ، وقد أحس باليأس لتأخيرها ، وبالرغم من تطمينه إلا أنه يشعر بالانزعاج .

سيكون من الأفضل خسارة ألف دوكات يمكن إعطاؤها له الآن ، بدلاً من وضع أنفسنا في مواقع الخطر الذي قد يتأتى من ذلك .

ألم يقدم لنا كل تلك النصائح عن الأشياء ، وقال بأنه سيقنع الجنرال القائد للعشرين سفينة ليقوم بما يرغب فيه جلالته إن توفرت له السبل ، والتي يمكن تقديمها له عبر نفس الوسيلة؟ لكن يجب أن يتم ذلك بالطريقة التي سيبلغ بها وليس بأخرى ، لأنه بخلاف ذلك سيضيع كل شيء في الحال .

كما يقول أيضا إن في الهند حالياً تسعة وأربعين سفينة هولندية ، كبيرة وصغيرة ، ويشمل العدد تلك التي غادرت في يوليو الماضي ، في الطريقة التي ذكرت في ورقة أخرى ، لكن في هذا العدد لم تحسب تلك التي توجهت إلى "مينا" و"ليفانت" "Levant" عن طريق "طرابلس" أو "سونا" .

كما جاء التوجه أيضا ، بناء على ما علم به من الهولنديين ، بوجوب إرسال المراكب الشراعية في الحال إلى الهند ، كإمداد إضافي لحاجتهم للسفن ، ولأن مثل هذه المراكب الصغيرة يمكن أن تعبر في كل وقت ، وعليها أموال يستطيع نائب الملك التأثير من خلالها على الأساطيل لتقاوم أولئك الأعداء ، هذا ما كُتب الآن والذي يؤكد كل ما جاء في الرسائل السابقة التي كتبت .

(إسباني)

السبب في معاملة الهولنديين السيئة للكاثوليك ، وتعريض حياتهم للخطر ؛ ناتج عن الاحتجاجات العادية التي يقوم بها الناس للقناصل وللجنرالات ، وأنه في جزر الهند الشرقية ، مينا وغينيا وموانئ أخرى في إسبانيا ، فإنهم يعاملون سكانهم بطريقة سيئة ، ويقتلون الآباء والأمهات والأطفال والمواليد ، وينهبون ويصادرون بضائعهم ؛ بينما هناك هدنة سارية .

متعهّدو القنصليات في جزر الهند الشرقية ، الذين في أمستردام وروتردام ، يطالبون بالعدالة والثأر للقتلى والخسائر الهائلة التي تكبدوها في جزر الهند الشرقية تحت يدي دون جوان دي سيلفا وسادة البلاد ، و"الكونت موريشيو" منحهم الإذن بتسليح اثنتي عشرة سفينة بأحجام كبيرة .

كانت تلك قد بنيت مؤخراً وهي تحمل العديد من القطع الثقيلة من البرونز وملابس الحرب وعدداً ضخماً من الرجال في انتظار السفن التي قد تذهب إلى البرتغال ، وتلك القادمة من الهند في جزيرة

"سانت هيلينا" "Sant Helena" وأماكن محددة ؛ حتى يقوموا بتدميرها وإغراقها وحرقها وأسْر الذين على ظهرها ، وأخْذهم إلى هولندا ، وهم يُعدّون ويجهزون أنفسهم بسرعة في الوقت الحاضر قدمت لهم البلاد و"الكونت موريشيو" مبالغ ضخمة من الأموال والقوات أكثر مما فعلوا في السابق ، كما يسلحون السفن الحربية لساحل غينيا لنفس الخطط والأعمال العدائية الشيطانية .

نسخة من التوجيهات والنصائح

(إسباني)

ستجد مع هذه نسخة من القرار الذي اتخذه الجنرال قبل عدة أيام بخصوص الأوضاع في شركة جزر الهند الشرقية ، والتي يستفيد منها قداستك .

لم تكن أحوال الهند بهذا السوء عما هي عليه الآن ، ومن المحتمل ، إذا ما تشجع شعب الفلبين واتخذ التحرك ، فستتغير أحوال الهولنديين هناك .

السفن التي عليها المغادرة ما زالت في "تيسيل" "Tecil" تنتظر هبوب الرياح ، وقد لا نجد رياحاً مواتية لبعض الوقت ، حالياً ، لهذا الانتظار الطويل فإن فرصة المونسون ستضيع عليهم ، لأن السفن التي ما زالت ننتظر في "تيسيل" ، بأي حال ، وتحت ظروف طيبة ، ولا يمكنها الوصول إلى المولوكاس قبل شهر نوفمبر أو ديسمبر للعام ١٦١٤م ، وفي الوقت الحالي سيجد الإسبان الفرصة لترتيب كل أوضاعهم ، وإن أحسنوا ذلك يمكنهم طرد الهولنديين من هناك ، وسيأخدون منهم أيضا كل التجارة مع جزر الهند الشرقية .

استنزفت نصف الوسائل لجلالته للقيام بذلك ، والتي للشركة ، لأنهم في هذا الوقت لم يتحصلوا على أي معونة من البلاد ، وإن كان لهذه الحرب أن تنتهي فإنهم لن يقوموا بما يكفي للحصول عليها ، لأنهم ينفقون ويبدّدون كل وسائلهم دون أن يَجْنوا أرباحاً من تجارة التوابل التي حصلوا عليها ، لأنهم يبقون هناك دون أن يجدوا من يشتريها ، والثوم الذي وصل على السفن الأخيرة قد تعفّن وضاع الجزء الأكبر دون أن يحصل عليه أحد .

لذلك إذا في إسبانيا إذا ما حذروا مسبقاً فسيهتمون بأوضاعهم ، وسيبقون الوحيدين في تجارة تلك الأنحاء ، ورأيت من الصواب أن أنصح جلالتك ، ولا أشك في أنك ستحتفظ بالأمر سرّاً .

المذكرة التي قدّمها رئيس الشركة لشرق الهند نوقشت في المجلس ، والقرار الذي استمع له من نواب الجنرال ، والنصائح التي فحصت والتي وصلت على السفن الأخيرة ، لأولئك الجنرالات أعلاه ، وعرف منها على الحالة المحفوفة بالمخاطر للأوضاع هناك ، وتلك السارية ، هناك مقاومة صغيرة واجهت الاعتداءات التي استمر فيها دوم "جواو دا سيلفا" "Joao da Silva" والبرتغاليون من جانب ملك إسبانيا ، خاصة في "الملوكاس" ، بالرغم من أن تحذيرات أُرسلت بصورة متكررة للمذكور دون جوان والبرتغاليين أن ذلك مخالف لمواد الهدنة التي أبرمها .

أخيراً ، بين كل المحافظات تمّ الإعلان عن ذلك ، وأنه من أجل خدمة الاتحاد والحفاظ على تلك المحافظات ، بسبب العديد من الاعتبارات ذات الأهمية الكبرى ؛ فإن شركة شرق الهند تستوجب المحافظة عليها ، وهو ما يقومون به ، ولن يتم ذلك دون قوات كافية .

تم الاتفاق على أن تلك الشركة المذكورة تظل مستمرة ، وسيمنح الملتمسون الإذن والسلطة حتى الآن لإدارة الشركة المذكورة ، وتقدم السفن وتكون مجهزة ومؤثثة بالطريقة التي يرون أنها سريعة ومستعجلة للحفاظ والدفاع عنها ، وحتى عندما يعتدي الأعداء ويصبح الملتمسون ملزمين بالتقدم عندما يكون ذلك ضرورياً .

المعلومة المتعلقة بإدارتهم للخمسين سنة الماضية ، وضرورة إعلان هذه المعلومة ، وفي وجود أكبر عدد من الذين يودّون الاستماع لها ، وبنفس الطريقة أن يتصرفوا ويسلموا البلدان كبيان مفصل وإفادة عندما يتم عمل ذلك لكل الشركة في كل سنة بطريقة منفصلة لموافقة الذين يشاركون فيها الذين يودّون وضع نسخة من كل بيان .

بند :

إنهم سيتمكنون من التخلص من بعض بضائع الشركة المذكورة بدون توجيهات سابقة ، ويضعوا فواتير في أماكن الأسواق والميادين العامة حتى يعلم بها الجميع ، وفي الأوقات التي سيقابلون فيها المسؤولين السبعة عشر سيكون عليهم إخطار البلاد ، ويحققوا لهم بالمثل بياناً عن المواد والفقرات التي يجب مناقشتها مع الطغمة المذكورة حتى إن أرادوا منازعة أي أحد من جانبهم عليهم إخطاره مسبقاً .

حتى بكامل رضا وقناعة الأعضاء ليتمكنوا من مراجعة ما يتم التعامل معه ، وهذه النقطة تبقى مطاعة ؛ لأن محافظات "جلدرز" ، "رسوترخت" ، "فريسا" ، "جرونينجا" و"امويلاندس" من منطلق أن أتباعهم يملكون مبالغ ضخمة استثمرت في الشركات المذكورة .

نودّ أنه من جانب كل طرف من المحافظات المذكورة لا بد أن يكون منها مندوب بين رؤساء الشركة المذكورة ، على أن يفهم ذلك بطريقة خاصة لأولئك الذين من فريسا الذين يرغبون في طلب الإذن ليتسلحوا على حسابهم ، وإن لم يحصلوا على ذلك يمكن أن يرغبوا في تركها معاً بناء على النفقات التي تتطلبها التجهيزات .

أيضا استمرارية الشركة ، الذين من "جرونينجا" و"اميلاندس" يعلنون مثل ذلك الاحتجاج غير المتعلق بها ، وفيما يتعلق بالعون المفترض وبنود أخرى أُضيفت للمذكرة المذكورة والتي معظم المحافظات لا تميل لتبنيها ، ظلت بلا تحديد حتى الآن .

أحد السجناء الذين قدموا إلى هنا من حصن "مينا" أعلن أن الحصن المذكور يظل في معظم الأحيان بحوالي ثمانية أو عشرة رجال يمثلون الحامية ، أما البقية فإنها تذهب مع المراكب في مشاريع مختلفة مما يجعل الاستيلاء على هذا المكان ممكناً بأقل عدد من الرجال ، أو استخدام المنجنيق .

ستٌّ من تلك السفن التي عليها المغادرة إلى شرق الهند تم إعدادها مؤخراً وتنتظر فقط الرياح المناسبة ، وعلى ظهرها كميات كبيرة من الحجارة والجير ومواد أخرى تتعلق بأعمال التحصينات .

سترسل شركة الهند الشرقية خلال شهر بقية السفن التي ننتظر وقد عين "ن . رينز" "N . Reins" قائداً لها ، وكان قد غادر البلاد يوم الأحد الماضي ، عندما قدموا له سلسلة ذهبية .

سبع سفن أخرى غادرت من هنا قبل عدة أيام في أوقات مختلفة ،

البعض من "زيلاندا" ومن موانئ "ميوسا" ، وكانت كل سفينة تحمل مجموعة من المشاة يبلغ عدده مائة مع الكثير من المواد للتحصينات .

اقترحوا إرسال خمس عشرة سفينة في مجملها ، لكن كان العدد ينقص ثلاثاً منها ، وسترسل في السنة القادمة عندما يرغبون في إرسال سبع أخرى .

المشورة الأولـى :

الهولنديون الذين في شركة جزر الهند الشرقية في نزاع مع الإنجليز بخصوص أحكام القضاء ، المفاضلة واقتسام الأرباح ، ومن أجل ذلك أرسلوا لإنجلترا عمدة مدينة يدعى "بوان" "Poan" من مدينة "أمستردام" الذي عاد حاملاً رداً مختلفاً عما هو متوقع ، ولهذا السبب يقال إن أربع سفن فقط هي التي غادرت لجزر الهند الشرقية ، وبالرغم من أن الأخرى كانت كلها جاهزة للتحرك ، إلا ألا أحد يعلم متى سيتم ذلك .

آخرون يقولون إن ذلك حدث لعدم حصولها على عدد كافٍ من الضمانات التي تتعهد بتأمين ثلاثة ملايين وثلاثمائة فلورين ، والتي يقال إنها هي قيمة ما رفعوه على ظهر السفن .

المشورة الثانية :

الأسطول الذي كان سيغادر من هولندا لشرق الهند تقلص عدده لعشر سفن حربية جيدة ، وتبقى البقية للسنة القادمة ، ويقولون إن عددها سيكون أكبر من التي غادرت هذه السنة .

وفي العام نفسه (١٦١٣م)

صدر أمر قضائي من نائب الملك ، "غوا" ، الرابع من شهر فبراير عام ١٦١٣م ، وذكر فيه بأن شاه فارس قد أرسل سفيره إلى ملك البرتغال ، ومن ضمن ما ذكر السماح بتجارة الحرير : (١٧)

أنا "د . جيرونيمو دي أزيفيدو" و ... إلخ ؛ أعلن كل الذين سيطلعون على هذا أن الأمر القضائي الذي حررته يتخذ صيغة التنوير بأن شاه فارس قد أرسل سفيره إلى مولانا الملك ، وهو الآن في طريقه عائداً مع هيئة الدبلوماسيين .

من ضمن الأشياء التي أرسلها ، عرض إلى ... تأكيداً لعلاقات الود والصداقة بيننا ، موجهاً بتجارة الحرير وتجارة عناصره عن طريق هرمز ، حسبما تم التفاوض حوله بواسطة "كوند دي بنافينت" "Conde de Benavent" ، وأمر نائب الملك ... لجلالته ، بضرورة أن يجد هذا الأمر العناية اللازمة ؛ نظرا لأهميته ، ولقد صدرت لي الأوامر كي أرسل اثنتين من السفن إلى قلعة هرمز لاستخدامهما في نقل الحرير إلى مدينة "غوا" .

---

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

من هناك يتم شحنه للبرتغال في السفن المتجهة إلى هناك مع التجار والأشخاص الذين يجلبون الحرير من فارس ، ويجب عليّ أن أبلغ الملك بالمواعيد التي ستكون السفن موجودة في هرمز كي يعمل على أخذ الحرير إلى هناك .

لا يجب دفع رسوم جمركية على هذه البضائع في هرمز أو على أية سلع أخرى يتم إرسالها بواسطة العناصر الفارسية كي تشحن للبرتغال ، وإنما يكتفي فقط بتسجيلها في دائرة جمارك تلك القلعة ؛ على أن يدفع مبلغ خمسة "لارين" عن كل بالتين يتم تسجيلهما .

يفاد من هذا التسجيل بصفة تأمين ضد الضرائب الملكية المستحقة الدفع فقط في البرتغال بواقع سبعة بالمائة إلى جانب ثلاثة بالمائة تدفع للقنصلية ، وبما مجموعه عشرة بالمائة على المستورد من الحرير والبضائع الأخرى التي تجلب مخاطرة ، وتحسب الرسوم المستحقة عن كل ليبرة من الحرير طويلة كانت أم قصيرة بواقع عشرين "ريلز" .

أما البضائع والسلع الأخرى المستوردة ؛ فتفرض عليها نفس نسبة عشرة بالمائة من قيمتها ، أما رسوم الشحن من هرمز إلى "لشبونه" فهي بواقع مائة "ريلز" عن كل بالة من الحرير وستمائة "ريلز" عن كل طن من السلع التجارية .

هذا كل ما أمرني به جلالته وفق الأوامر التي أصدرها في "لشبونه" في تاريخ الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ١٦١١م ، وهذا ما يجب أن أعلنه في القرار ، ولأجل أن يجهز هذا ويحرر ؛ فلقد أصدرت تعليماتي ؛ لأن يعلن القرار حتى يتمكن الأب كاهن "سيرين" والذي يرافق الآن

هيئة دبلوماسي جلالته للشاه يتمكن من إبلاغه بما تم الوصول له ، وبما أمر به جلالته ، وإذا ما رضي الشاه ووافق على ما ورد أعلاه ؛ فبوسعه إخباري حتى أتمكن من إرسال السفن إلى قلعة هرمز لجلب الحرير وبقية البضائع والسلع لتلك المدينة .

يمكن أن ينشر هذا الأمر القضائي في قلعة هرمز وإدراجه في سجلات إدارة الجمارك والمحطة التجارية هناك ، حتى يقف الكل على أوامر جلالته كي تكون معلومة لدى الجميع في الوقت الحاضر وكذا في المستقبل ، وأن يتم التقيد بها ووضعها في مسالك التنفيذ دون أي اعتراض .

كتب هذا "مانويل ليناو" "Manuel Lenao" في "غوا" بتاريخ الرابع من شهر فبراير عام ١٦١٣م .

أنا "فرانسيسكو دي سوسا" "Francisco de Susa" ، أمين السر ، أمرت بنسخه .

نائب الملك .

وفي العام نفسه (١٦١٣م)

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن شكوى شرف الدين ، بتاريخ الثاني من شهر مارس عام ١٦١٣م ، ويذكر فيها سيرة العائلة المالكة لهرمز : [١٨]

صديقي "دوم جيرونيمو دي أزفيدو" ، نائب الملك في الهند ،

أنا الملك أرسل لك تحياتي وسلامي .

لقد أرسل لي ملك هرمز رسالة أبلغني فيها عن بعض الشكاوى التي يقول إنه تلقاها بشأن ريس نور الدين (القاضي هناك) ويطلب مني أن أسمح له بتنحيته عن ذلك المنصب ، وأبلغني "القاضي" أيضا بشكاوى أخرى عن الملك ، ولقد طلب مني الإيعاز للملك كي يفيد من خدماته ، والاستجابة لمطالبه واحترام حقوقه الخاصة وامتيازاته ، وهكذا يمكنه أن يستعيد سلطاته في هذه "guazilado" . أيضا ناشدني أن أجد له الحل لبعض الأمور التي يزعم أن الملك يفعلها .

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

أما نائب الملك "روي لورنسو دي تافورا" فقد أرسل لي تقريراً عن تلك الخلافات وأبلغني أن الملك يعتبر ملاماً بشأنها ، وأن قائد القلعة المدعو "دوم هنريك دي نورونها" يقع عليه اللوم الأكبر ، إذ قال إنه يثير تلك الخلافات ويجني من ورائها الكثير ، كما فعل البعض في الماضي ، وعليه فقد أمرت بكتابة رسالة إلى نائب الملك وإلى الكابتن في هرمز بضرورة التصرف وكأن الملك والقاضي صديقين حميمين ليس بينهما أية خلافات .

أعلنت أيضا عن الإجراء الوقائي بشأن مسكنه وأن تتم مساءلة الكابتن عما فعل في هذا الموضوع .

هكذا يبدو أنه لم يبق هناك منشئ يمكن عمله أكثر من تكليفك بهذا الأمر ، وهو ما أفعله على النحو الذي يرضيك ، شريطة أن يكون ذلك عن طريق الكابتن في هرمز ، للتوفيق بين الملك والقاضي حتى يسقطا خلافاتهما ويصبحا صديقين ، والآن إنني آمر بكتابة رسالة للكابتن مبيناً له أنني أعتبره قد قدم لي خدمة جليلة إذا ما عمل جاداً على إصلاح الوضع وإعادة العلاقات الودية بين الطرفين ، وعكس ذلك إذا ما فشلت مساعيه . أيضا أمرت بكتابة رسائل مماثلة بما ورد في هذه السطور وتوجيهها إلى كل من الملك والقاضي .

أرسل أيضا لي ملك هرمز طالباً إرسال الرداء كما جرت العادة المتبعة لخزينتي بإعطاء الكسوة لملوك تلك الدولة ، وبعد طلب تلك المعلومات عن هذا الأمر ، تم التأكد أن هذا "الثوب" الذي يعرف بأنه عبارة عن "كبايا" (cabaia) كان يُمنح دائماً للملك ، قد أعطى مبلغ ألفين "كروزادوس" من دائرة الجمارك خُصصت له عندما تخلى عنها ؛

خاصة وقد فهم أن هذا أفضل له من دفع الجزية التي فرضت عليه في ضوء تصرفاته الأخيرة التي اتسمت بالتمرد ضد خدماتي .

تم أيضا التحقق من أنه في مناسبات أخرى أن نائب الملك قد قدم للملك وفقاً لأوامري "الكبايا" ومبلغ ألفين "كروزادوس" ، وآمرك أن تحصل على المعلومات الخاصة بهذا الموضوع ، فإذا كانت مستحقة الدفع فمن الأصح أن تدفع له ويجب عليك التأكد من أنها قد دفعت له بالفعل ، ولأن ملك هرمز قد طلب مني أيضا تخصيص منحة للمدعو "علي كشازندي" الذي يعمل محاسباً في خدمته .

إنني آمر بكتابة رسالة له كي يقوم بمقابلتك في هذا الموضوع كي تستجيب إلى مطالبه بعد الاطلاع على نسخة الرسالة التي أرسلتها إليه ؛ بعدها يترتب عليك أن تخبرني بمطالبه وما تعتقده بشأنها .

أيضا أرسل لي الريس نورالدين بمناسبة وفاة الشاه "فاروكو" ملك المملكة السابق ووالد الملك الحالي ، ولقد توفى ملك هرمز ، وله اثنان من الأبناء تركهما مع شقيقات ريس نورالدين ، يدعى أحدهما "مير فاروكو شاه" والثاني "مير ساميجيل شاه" ، ولقد أصبحا الآن رجالاً ، وبما أن الملك قد رغب عن إعالتهما فقد طلب مني ريس نور الدين أن أجبره على ذلك ، وذلك خصماً من دخل المملكة بما يتناسب مع منزلتهما .

لهذا السبب وبعد أن تم استدعاء الملك لسماع أقواله ، فإنني أكلفك بضرورة إصدار الأمر إلى كبير قضاة الدولة للشؤون المدينة أن يصدر حكمه في هذه القضية في المحكمة العليا .

يجب عليه أن يجيز هذا الأمر حالاً وبالسرعة الممكنة ، بحيث يعاونه في

ذلك النواب الذين سوف تقوم بتعيينهم كمساعدين له ، وطالما استمرت هذه القضية يجب على كبير القضاة أن يقوم بتقييم المنحة الخاصة بمقابلة نفقات المعيشة والتي يجب على الملك تقديمها في هذه القضية ، وعليه فسوف آمر الريس نور الدين كي يعتمد عليك في هذا الأمر .

أيضا طلب مني ريس نورالدين مكافأة عن خدماته وأيضا عن خدمات والده ريس شريف وكذلك مبلغ عشرين ألف "كروزادوس" التي قد أنفقها على القوة التي كانت تحاصر البحرين ، والتي كما يقول كانت السبب في وفاة أبيه ، وأن يمنح شرف أنه كان يقوم بتعيين الناس في وظائف المحطة التجارية وكتبة الخزينة في قلعة هرمز حيث استمر ذلك مدة ست سنوات لكل منهما .

أيضا ككاتب في إدارة الجمارك مدة أربع سنوات . كل ذلك من أجل أن يتمكن من توريثها إلى "مارتن غونسالفيس" "Martin Goncalves" ، أحد مواطني الهند الذي يعاونه في أداء تلك المهام . يذكرني ريس نور الدين أنه كان مثال الخادم المخلص ، وأنه ابن وجَدْ لأناس ظلوا يقدمون لي خدماتهم بكل إخلاص وتفان ، وكان حضورهم ملموساً في ذلك المنصب بشخوصهم وبأعمالهم ، وكي أتمكن من إجابة طلبه هذا ؛ يجب عليك أن ترسل لي المعلومات التي بحوزتك ووجهة نظرك الخاصة في هذا الأمر بأسرع وقت .

أبلغني نائب الملك "روي لورنسو دي تابورا" أن ابنة ملك هرمز التي تدعى "دونا مارجريدا" قد اعتنقت المسيحية ، وبالمثل فعل ابنه الأكبر "دوم فيلبي" ذو العشر سنوات . أيضا أخبرني عن التكريم والتشريف

الذي أحاطهما به وذلك كي آمره بأن يكون مسؤولاً عنهما ؛ غير أنني لم أتخذ قراراً نهائياً بعد ، برغم ذلك وفيما يتعلق بـ "دوم فيلبي" ؛ فإنني آمرك بأن تطلب منه أن يلجأ إلى الدير "الأغسطيني" في "غوا" ، ومن ثَمّ تخصص له علاوة معيشة هناك ، بعد ذلك يجب أن تخبر الرهبان كي يتعهدوه بالرعاية ومحاولة إقناعه بأن يصبح راهباً .

أما إذا كبر ، ولم يحدث ذلك ؛ فيجب أن تعمل على تجنيده في خدمتي كي يجد التشريف والتكريم الذي يبدو مناسباً له .

حرر في لشبونه ، الثاني من شهر مارس عام ١٦١٣م ، الملك ، "الكونت الأميرال" .

وفي العام نفسه (١٦١٣م)
بعث الملك رسالة إلـى نائبه ، بشأن أمير هرمز ، بتاريخ الثامن من شهر مارس عام ١٦١٣م : [١٩]

"دون جيرونيمو دي أزيفيدو" ، نائب الملك في بلاد الهند ... إلخ

كتب إليّ "مير علي شاه" ، أمير هرمز المزعوم شاكياً بأنه هو الابن الأكبر الذي على قيد الحياة للملك "فاروكو شاه" الذي كان متزوجاً من والدته وفقاً لعادتهم وبينما عادت إليه وراثة عرش تلك المملكة ، ولأنه كان مدفوعاً بواسطة الحقوق عند وفاة أخيه "فيروشاه" ، أعطى "دون هنرك دي مورونها" .

هذا الذي كان في ذلك الوقت قبطاناً للقلعة ، والمجاز "فرانسيسكو دي جوفيا" ، مراجع الحسابات حينذاك ، العرش إلى أخيه "ماميدي شاه" ، وهو صبي صغير جداً وغير قادر على توليه ، بسبب أشخاص وقفوا إلى جانبه بشكل رئيس أخت له ، أصبحت مسيحية ، ومتديني

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

طائفة القديس "أوغسطن" الذين أعطاهم مكتباً لوالده ، يكلف أربعة آلاف كروزادو ورئيس الوزراء الذي تفضل عليه من خلال كونه ابن عم أول له ، وبواسطة مبالغ كبيرة من المال ، التي أعطاها إلى "دون هينرك دي نورونها" والمجاز "فرانسيسكو دي جوفيا" ، اللذان ألقيا القبض عليه حينما أرادا أن يضعا أخيه المذكور على العرش ، والاحتفاظ به سجيناً حتى بعد أن كانت قد رحلت السفن .

لكي لا يقدم النصيحة إلى نائب الملك ، وأن "محمد شاه" المذكور كان قد تنازل عن كل المملكة إلى الشباب الذين تعاملوا معه بألفة شديدة ، وإلى بعض "البانيان" ، ويتم وضع الإيرادات في أيدي أولئك الذين يحكمون .

إن المرأة التي تزوجها والتي كانت زوجة لـ "تورون شاه" ، وبعد ذلك للأمير "فيروشاه" أخيه ، قتلت بالسم "فيروشاه" ، وكان من الممكن أن تفعل بالمثل مع "ماميدي شاه" .

إذا هو لم يشعر بالخوف من أن المملكة كان من الممكن أن تُعطي إليه ، لأنها كانت عضوة في جماعة "الزودشت" ، وابنة طاغية قوي وعقدت العزم على تدمير الطائفة الكاملة لأسرة "فاراكو شاه" ، وهو يعيش حياة شريرة ، ويتظاهر بأنه يجعل من ابن له ملك : وكان قد جعله مقبوضاً عليه ، وقد حبس إثنين من أخواته وأطفالهما قبل عامين إثنين دون أن يقدم إليهما طعاماً لكي تأكلانه .

أن "ماميدي خان" زوج أخته "بيبي جابو" بشاه منصور ، رئيس قباطنة "اللاردي خان" ، سيد شيراز وأعطاه كل أسلحة التاج لتلك

المملكة ، التي كانت بكميات كثيرة : باحثاً عني لكي آمر بأن يتم تقديم قضيته إلى العدالة وأصدر قانوناً بأن يعطي له جزء من مدخولات المملكة لكي يجعله محمولاً بواسطة القانون ، لأنه كان فقيراً جداً ، ولذلك فهو غير قادر على أن يستعين بالعدالة .

حيث إنه من الضروري أن تعرف حقيقة ما صدر من أحكام في هذه القضايا ، وفيما يتعلق بالدون "هنريك دي نورونها" ؛ فإنني كنت قد أمرت من خلال رسالتي المؤرخة في يوم الثامن من شهر مارس عام ١٦١٠م .

التي كانت مرسلة بواسطة سفن نفس العام ، بأن تقدم الإدانة في التحقيق الذي أجري في هذه القضية ضده ، لما يجب أن يتم إثباته أنه قد وقع ارتكابه في تمرد "ماميدي شاه" المذكور : وإذا كان بغرض أنه استحق القبض عليه ، فيجب أن يقبض عليه ، وإذا أثبت بالدليل الكافي أن المال كان قد طلب أجراً له ، لكي يلزمه بإيداع المال على الفور ، كما أنكم سوف ترون ذلك من خلال نفس الرسالة .

قد أمرتُ بالتحقيق للقضية الأولى الذي قام به المجاز "جولياو دي كامبوس" لكي يتم إحراقه ، وأن يجري تحقيق آخر ، كما سوف ترون أيضا من خلال رسالتي المؤرخة في يوم السابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٢م ، إنني أوعز إليكم ، بأنه إذا لم يتم سحب القضية الجديدة المذكورة ؛ أن تأمروا القاضي الذي يجب عليه أن يقلل من دور القبطان "دون جورج دي كاستيلو برانكو" ، لكي يفعل هذا ، وفيها لكي يسأل بكل الحيطة ويتقصى الحقائق عما إذا كان مير على شاه أكبر في العمر من "ماميدي شاه" ، وما السبب الذي أجبر "دون

هنرك" على أن يعينه ويرقيه إلى مرتبة الملوكية ، وإذا تم إعطاؤه فعل هذه الرشاوي ومن أي نوع .

إذا تم الآن سحب القضية الثانية فيمكنكم أن تأمروا بأن يجري نفس التحقيق فقط على الأشخاص الذين كان من الواجب أن يكونوا مذنبين في هذه القضية ، وعلى كونها مثبتة بواسطة الدليل الكافي بأن "دون هنرك" المذكور ، أو أشخاص آخرين كان عندهم التهم من أجل الوصول المذكور إلى مال العرش أو قطع الذهب ، وأن يودع الجميع في دار عجزة سانتا ، التابعة لمدينة جوا تلك .

مفيدين إياي بما كان يجب أن يفعل ، مع نسخة من نفس القضية ، من أجلي ، فيما يتعلق بالمال فقط ، لكي آمر بما يجب أن يكون عادلاً .

فيما يتعلق بالذنب الذي سوف تفعلونه بالطريقة العادية ؛ وأن يعاقب وفقاً لوقائعهم الموضوعية والحكم المنطوق به الذي سوف ترسلون إليّ نسخة منه .

بالإضافة إلى كل هذا ، فإنكم سوف تجمعون معلومات بشكل سري ، ومن مصادر موثوق فيها ، فيما يتعلق بالطريقة ومناطق "الماميدي شاه" المذكور الذي يحكم الآن مملكة هرمز المذكورة ، ومن هم الأشخاص الذين يرافقونه ويقودونه إلى الضلال ، وكيف يمكن التوسع في قيمة الإيجار للمملكة ، وعما إذا كان قد تم التخلي عن أسلحتها ، وبأي كميات ومن أي نوع هي وبالنسبة للقبطان شاه منصور ، وعما إذا كان متزوجاً من أختٍ له ، وعما إذا كانت زوجته ، هذه التي كانت أيضا تابعة "لميرا فيروشاه" ، قد قتلته بالسم .

فيما يتعلق بما يطلب مير على شاه بأنه يجب أن يكون معترفاً بإقرار العدالة في قضية تولي عرش مملكة هرمز المذكورة .

إنكم من طرفي سوف تأمرون القضاة بأن يسمعوه ، وأن تخبروه به ، وسوف تقدم له كل العدالة .

حررت في "لشبونه" في يوم الثامن من شهر مارس عام ١٦١٣م

الملك . الكونت أميرال

وفي العام نفسه (١٦١٣م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه في الهند ، بشأن خلافة العرش في هرمز ، بتاريخ العشرين من شهر مارس عام ١٦١٣م : [٢٠]

نائب الملك في بلاد الهند صديقي ، أنا الملك أرسل إليكم تحية كثيرة .

يكتب إليّ رئيس وزراء هرمز أنه في أثناء القضية المتعلقة بخلافة العرش لذلك الملك بين "فيروشاه" ، الذي كان مستولياً على الحكم ، وتورو شاه ، كل منهما هو ابن للملك "فاراكوشاه" ، حيث كان "توروشاه" مولعاً بالعدالة ، وكان ابنان له مفوضين من قبلي لكي يستمرا في القضية التي قد ظلت معلقة ، وتزوجت والدتهما (زوجة تورو شاه) "ماميدي شاه" ، الذي هو الآن على رأس حكومة المملكة .

والذي ، (ليس له من ابن لكي يخلفه على العرش) يطالب بأنه لا يجب على ما ميدي شاه أن يدافع عن القضية ، ولا يظهر بوضوح الحق

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

المحتفظ به من قبل "فيروشاه" المذكور إلى حدّ ما لدرجة أنه يجب عليه أن يتفضل على ابني تورو شاه ضمنياً من خلال الكراهية .

بواسطة الانحياز إلى الابنين الشابين الاثنين للملك "فاراكوشاه" المذكور ، الذي تزوج مؤخراً أختاً لرئيس الوزراء المذكور ؛ متوسلاً إليّ كعم له ووصى عليه ، أن أجعل القضية تستأنف مرة ثانية ، لإعادة حقوقه ، وأنه بدون هذا ، لا يجب أن أصدر الحكم النهائي فيها ، مفترضاً توضيح كيف كان "فيروشاه" المذكور ابناً شرعياً طبقاً لعاداتهم وقوانينهم ، وأنه لهذا السبب عند وفاة "ماميدي شاه" يكون أبناء الأخ هؤلاء هم الورثة للملكة .

عند وضع جميع الأشياء في الاعتبار ؛ فإنني مسرور أن يكون ابنا الأخ المذكورين للوزير المذكور من خلال أنفسهما ، ومعلمهما ، مسموعين في القضية المذكورة ، والتي يجب أن يتم حملها مراعاة لما قد أمرت وبدون أن تكون مستأنفة الآن .

بالنسبة لبقية المعارضين ، فإنه لم يتم اتخاذ أي قرار .

إنه في حالة النظر في القضية المذكورة بمثل هذه الشروط للحد الذي فيه من المستطاع إحالتها إليّ ، مثلما كنت قد أمرت ، فإنها لم ترسل إليّ ، حتى الانتهاء في المستقبل من جلسة السماع إلى أبناء أخ الوزير المذكور ، والتي سوف يتم تنفيذها بسرعة وبإيجاز في شكل قانون .

إنني آمركم بهذه الصورة أن تجعلوها منفذة ، معطين لذلك المعنى كل الأوامر الضرورية ، وباسمي أصدروا بنداً قانونيا من أجل أبناء أخ الوزير المذكور لكي يتم سماعها ، بالصيغة المذكورة سابقاً .

حررت في لشبونه ، في يوم العشرين من شهر مارس عام ١٦١٣م .
الأسقف "دون بيدرو"
الكونت أمير البحرية

وفي العام نفسه (١٦١٣م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه بشأن قلعة البحرين ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٦١٣م : [٢١]

"دون جيرونيمو دي أزيفيدو" ، نائب الملك في بلاد الهند والصديق ... إلخ .

فيما يتصل بوضع قلعة "البحرين" فإنني أجعل نائب الملك "لورينسو دي تافورا" مكتوباً إليه من خلال رسالتي المؤرخة في يوم الخامس عشر من شهر مارس عام ١٦١١م ، ما سوف ترونه من خلالها ، وعند النظر في هذا ، بما هو نفس الموضوع ، كتب إليٍ نائب الملك .

كما سوف ترون من خلال هذه الرسالة المؤرخة في يوم الحادي والعشرين من شهر ديسمبر من العام المذكور ، هناك تم استلام رسالة "ماميدي شاه" القادمة عن طريق البر ، هذا الذي هو الآن في حكومة مملكة هرمز ، وهذه الرسالة التي من خلالها يكتب إليّ أنه إذا

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

كنتُ مسروراً أن تؤخذ القلعة المذكورة وأراضي "موغوستان" بواسطة الصــداقة فينبغــي أن آمره بأن يعطي سبعين ألف باتاكا من فئة الثمانية ريالات .

ذلك عند إعطائه المبلغ إلى ملك بلاد فارس فإنه من المحتمل أن يتخلى عنها (البحرين) ؛ فالمال الذي طلبه مني ، الذي هو إما كمنحة أو كقرض ، عليه أن يعيده إلى خزانتي في خلال سبعة أعوام وإذا لم أكن مسروراً بفعل هذا ، فسوف يكون الخيار هو أنني سوف أحصل عليه بواسطة الحرب .

لأنهم انتموا إلى أسلافه ، وهو لا يرغب في أن يبقوا في أيادي الفرس ؛ لهذا السبب فإنني أرى أنه من المناسب أن أنصحكم وآمركم ، كما أفعل ، بأن تهتموا بهذا الذي يذكره الملك ، وأن تخبروني بما يحدث في هذه القضية ، وأن تقدموا رأيكم حول ما سوف يكون الأكثر صواباً لكي يتم تنفيذه بشأنها .

نظراً لأن ما هو مفهوم من نوايا الفرس تجاه هرمز يفيدنا بحذر أشد بأمور تلك القلعة ، فإنني أصدر إليكم تعليمات بأن تسعوا بشكل جاد جداً إلى أن تظلوا في حراستها وحراسة المضيق في يقظة تامة ، وتصرون على بقائها محافظاً عليها دائماً ومجهزة بصورة حسنة من أجل دفاعها حتى لا تواجه أية مخاطرة .

من خلال رسالة أخرى مرسلة مع هذه ، أكتب إليكم فيما يخص دفع ما هو مدين به إلى أسقف الصين ... إلخ

يكتب إليّ نفس الأسقف طالباً الإعفاء لكي يتخلى عن منصب

الأسقفية ذلك ، حيث كان المنصب معطى إلى أسقف آخر ، أو القيام بإعطاء المسؤولية إلى أسقف "ملقا" التي كانت أسقفيتها في السابق معطاة إلى أحد أساقفة اليابان الذي لم يكن من أتباعي ، وله ممتلكات ومرتب معين ، ... إلخ

حررت في "لشبونه" في يوم السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٦١٣م

الأسقف "دون بيدرو" .

الكونت أمير البحر

وفي العام نفسه (١٦١٣م)
بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن تعيين سفير في فارس ، بتاريخ السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م : [٢٢]

أيها الصديق ، نائب الملك في الهند ، أنا الملك أرسل لك تحياتي وسلامي . في رسالة أخرى سوف تصلك مع هذا الخطاب ، ثم إبلاغك بأنني قد أمرت بتعيين "دوم جارسيا دا سيلفا فيجويرا" "D . Garcia da Silva Vigueira" عضو مجلسي في منصب السفير لدى ملك فارس بحيث تم تحديد المعاش الذي سوف يتقاضاه إلى جانب منحه نصف تكلفة نفقات المعيشة وعلاوة الإقامة .

ذلك على حساب موافق به وعلمي بالمنصب الذي سوف يشغله ولكي يؤدي المهمة التي أنيطت به بكل الاحترام والتقدير فإنني أنصحك وأحثك على ضرورة التصرف معه بكل الاحترام .

من جانبي يترتب عليك أيضا أن تبلغ هذا الأمر إلى كل من

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

الكابتن ومفتش الخزينة في هرمز ، حيث يجب أن يعملا على التواصل ومراسلته والتشاور معه في جميع الأمور ، وأن يقدما له كل الاحترام والترحيب . يجب عليهما أيضا أن يعملا على مساعدة وتسهيل أمور الناس القادمين إلى عن طريق البر ، وذلك حتى يتمكنوا من القيام برحلتهم على أتم وجه .

يجب عليك أن تتصل به قبل مغادرته إلى هرمز وتخبره عما تعلمه عن طبيعة الأوضاع في مملكة فارس وعن محاولات ذلك الملك ، وبالمثل بكل الأمور ذات الصلة بك شخصياً ، لأجل التنسيق بينك وبينه لمعالجة كل الصعوبات والتعامل معها بالوسائل الممكنة مما يحقق الغاية المرجوة ، وذلك حتى يذهب وهو متفهم لكل شيء .

هكذا وعندما تكتمل الصورة ويكتمل المفهوم ؛ فلا شك في أنه سوف يقوم بتنفيذ ما اطلب منه تنفيذه .

حرر في "سيرديدلها" في السابع من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م ، الملك "الكونت في سالينـاس" و"ريفـاديو" . "دوق فرانكفيلا" "Duke Frankvila" .

مكتوب على الغلاف من الملك إلى "دوم جيرونيمو دي ازفيدو" عضو مجلسه ونائب ملكه في الهند .

وفي العام نفسه (١٦١٣م)
بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن إرسال سفير لملك البرتغال إلى ملك فارس ، بتاريخ السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م : [٢٣]

سعادة نائب الملك في الهند والصديق ... إلخ

بالسفن التي أبحرت من "لشبونه" في العام الماضي ١٦١٢م ، والتي يقودها "الدوم جيرونيمو دي الميدا" "Jeronimo de Almeida" بصفته القبطان ، وأبحرت معها السفينة "دينغوزباي إزباكزي" التي أرسل لي ملك فارس على متنها ببعثة برفقة كل من "الدوم فري أنطوني" و"دي جوفيا" ومطران "سيرين" الذي وجهناه بأن يتباحث عنا مع ملك فارس حول بعض الأمور ، وفي هذه الأثناء .

حيث لم يصل مبعوثنا الذي وافقنا على إرساله بسبب ضيق الوقت إلى جانب أسباب أخرى طارئة ، ولرغبتنا في إبداء بعض الاهتمام الواجب

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

إبداؤه تجاه ملك فارس ليدرك جلالته كم نقدر صداقته التي يجب أن تتأكد ويتم تأمينها بالشكل المطلوب .

قد قررنا فوراً إرسال "الدوم جارسيا دا سيلفا فيجويرا" من مجلسنا كسفير لنا وليسلمكم خطابنا ونحن واثقون بأنه بفضل كفاءته وما يتمتع به من الصفات الضرورية لمثل هذه المهمة سيؤديها بالشكل المرضي الذي تتطلبه ، ولأجل أن يقوم سفيرنا بواجبه بالسلطات المطلوبة خصصنا له عشرة آلاف كروزادو كراتب سنوي للفترة التي تتطلبها المهمة .

إلى جانب عشرين ألفاً كمنحة لمساعدته في تغطية نفقاته ، تسلم منها هنا عشرة آلاف ، على أن يتم صرف عشرين ألفاً أخرى له في ميناء هرمز ؛ كما سيتم تخصيص عشرة آلاف كروزادو سنوياً للتزود بالمؤن بالشكل اللائق .

كما عزمنا وأمرنا بأن تؤدى كل تلك المخصصات له ، وأكلفكم بتوجيه مفتش خزينة الدولة في هرمز بصرامة لتجهيز كل من المبلغ بالإضافة إلى الراتب وصرفها بكل دقة ، وكما ورد آنفاً لصالح الدوم غارسيا .

كتب في "سيردسيليا" في السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م .

(بالإسبانية) : وبما أنكم ترون أهمية ما تقدم ، أكلفكم بتنفيذ ذلك كما ينبغي . بواسطة خادم الملك "الكونت سالليناس إي ريفادوس" و"دوق فرانكافيلا" .

بختم جلالة الملك إلى "الدوم جيرونيمو دي آزيفيدو" رئيس مجلس جلالته ونائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٦١٣م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه بشأن بلاط ملك فارس ، بتاريخ السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م : [٢٤]

سعادة نائب الملك في الهند ، وصديقنا ... إلخ

(بهذا الخطاب يخبره بأن "الدوم جارسيا دا سيلفا فيجويرا" من مجلس جلالته سيذهب إلى بلاط ملك فارس كسفير وما إلى ذلك ، وثم بوجوب إصدار التعليمات لدفع راتبه ، ويعلمه بالأحوال في بلاد فارس وبخطط ملكها وغيره)

(كُتب في "سيرسيديليا" في السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م ، بواسطة خادم الملك "الكونت ساليناس إي ريفادوس" ، "دوق فرانكافيلا") .

بختم جلالة الملك مرسل إلى "الدوم جيراويمو دي آزيفيدو" من مجلس جلالته ونائب الملك في الهند

---

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

وفي العام نفسه (١٦١٣م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه بشأن بلاط ملك فارس ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م : [٢٥]

سعادة نائب الملك في الهند والصديق

نرسل لكم نحن جلالة الملك كل التحية .

أرسلنا في الخامس من يناير بخطابات بيد "سيباستياو دي فيغيريدو" "Sebastiao de Viguerido" مؤرخة كالتالي : العاشر من شهر فبراير والرابع والعشرين من شهر مايو والثامن من شهر يونيو والثاني والعشرين من شهر ديسمبر من العام الماضي ، بها نشير عليكم بما يجري بالتفصيل حتى علمنا برغبة الدوق في المرور بتلك الولاية وبالاستعدادات الجارية في إنجلترا فيما يخص نفس الموضوع وبالمساعدات التي كانت سترسل إليكم عن طريق خط السفن لهذا العام .

حيث وجد المذكور أعلاه "سباستياو دي فيغيريدو" سفينة في

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

مرسيليا ليعبر إلى سوريا ، نفترض أنه لابد استأنف رحلته بسرعة من هناك ، ويمكن أن تكون الآن قد استلمت خطاباتي التي حملها معه ، والتي ضمت نسخاً متكررة لكي تعرفوا محتواها في حال الإخفاق في حملها .

لقد غادرت سفن خط هذا العام (وعددها أربع) بإمرة القائد والقبطان "دوم مانويل دي مينسيس" "D . Manuel de Meneses" من ميناء "لشبونه" في الخامس من إبريل ، وعلى متنها النبلاء ورجال الجيش المجهزين جيداً بالذخائر وبكل ما يحتاجونه ، بالإضافة إلى ما كتبناه إليك .

لكن وبسبب الرياح المعاكسة والتيارات والسكون لم تتمكن سفننا من الدوران حول رأس الرجاء الصالح ، فعادت جميعها إلى "لشبونه" في أوغست الماضي ، مما كدرنا كثيراً إذ كانت لدينا رغبة كبيرة في أن تصل السفن إلى تلك الأرجاء في الوقت الذي تتعرض فيه لأطماع الكثير من الأعداء من أوروبا ، ولأننا رغبنا كذلك بإرسال بعض الدعم لكم في موسم الأمطار في سبتمبر وما إلى ذلك .

نظراً لخسارتنا لسفن هذا العام ، في الوقت الذي غادرت فيه العديد من السفن الهولندية من غير تلك التي توجهت سابقاً إلى تلك الأرجاء ، فقد أصبحت شؤون تلك الولاية مصدر توتر بالنسبة لنا .

لعلمنا بصلابتك وحكمتك نحن واثقون بأنك ستلجأ بطريقة لائقة إلى حل للضرر الذي نخشى أن يكون قد لحق بالولاية وبما يحفظ مكانتها ووجودنا فيها لئلا تسمح للأعداء بتنفيذ خططهم .

لذا ولتطلع على تلك الخطط سنزودكم بما تحتاجونه أولاً بأول وبما نراه مناسباً لنشير عليك به مما يجري حتى هذه اللحظة :

يتم في هولندا تجهيز خمس عشرة من السفن للإبحار إلى تلك الأرجاء ، وتبلغ حمولة كل منها ألف طن وبقوة ألفين من الرجال بين جنود وبحارة ومائة وخمسين مدفعاً من البرونز إلى جانب مدفعية الحديد المعتادة .

تم تعيين الجنرال "فولانو كلوز" "Volano Claos" على رأس تلك القوة بصفة حاكم الهند وماليزيا .

ذهب مع الحملة رجل من "الفلمنك" كان قد عاد للتو من مانيلا وجزر الفلبين بخرائط وتقارير عن تلك الأماكن والمرافئ والحصون ، وعند وصوله تم إرسال اثنين من القوارب المسطحة في نفس الوقت مع مبلغ كبير بالريالات وببعثة مكلفة بدفع أجور للسكان الأصليين لتلك الأراضي في حال قبلوا العمل معهم .

كما يقومون في هولندا أيضا ببناء السفن بالمجاديف بـثماني عشرة وعشرين مصطبة لكي يتم نقلها قطعاً فيتم تجميعها معاً حيثما توجد حاجة لها .

كما يتم نقل الحجارة والمواد الأخرى الضرورية لبناء حصن وتحصينات .

لقد أبحرت عشر سفن من هذه القوة مجهزة جيداً بحسب ما وصلنا بالإضافة إلى قاربين مسطحين بسبب عدم وجود المزيد من السفن لتجهيزها . أما في العام القادم فقد تأكد بأنهم سيقومون بجهد عظيم لتجهيز أسطول أكبر بكثير .

قد مرت على طول سواحل جزيرة ملايو ثماني سفن في فترات

مختلفة اثنتين في كل مرة ، وبسؤال ثلاثة من الهولنديين تبين أن حمولتها تعدت الـخمسمائة طن ، وعلى متن كل منها مائتين وخمسين رجلاً ، وكانت متجهة إلى ماليزيا حيث يتجمع الأسطول تقريباً خلال شهر سبتمبر الجاري ، وأكد أولئك الهولنديون الثلاثة بأن مجموع ما تم تجهيزه قد بلغ عشرين سفينة .

كما علمنا أنهم أبحروا بنية البقاء هناك لـسبع سنوات وأخذ سفن الخط وأية سفن يستولون عليها من سفننا ليعوضوا الخسائر التي يزعمون أنهم تلقوها بسبب الحرب في البحر وفي البر ، مهددين بذلك الملاحة في البحر الأحمر .

كما أنهم عازمون على طرد القشتاليين من مانيلا وجزر الفلبين ، مستغلين التناغم القليل الموجود بين القشتاليين والبرتغاليين ، وبأنهم كانوا سيتوجهون مباشرة إلى ماليزيا بهدف الاستيلاء على المدينة .

كما أن لديهم أوامر لإقامة حصن في "غوا" بمساعدة أحد ملوكها ليؤسسوا هناك الإمبراطورية الدائمة التي يرون أنها ضرورية ، رغم أنهم يخشون أن يحول ملك بريطانيا دون ذلك بحصار السلع والطاقم الذي لهم هناك .

من المخطط له في هولندا أنه في حال تصدرت سفننا الموقف فاتحد البرتغاليون والقشتاليون مع بعضهم البعض ملحقين الضرر من بعيد مهددين بذلك تجارة الصين وإمدادات الغذاء التي تأتي من ماليزيا ، ويمكن لكل ذلك تدمير الهولنديين وطردهم بعيداً عن الجنوب بأكمله بدون أدنى قتال أو مخاطرة ؛ ذلك لأن الشركة التي يسمونها شركة

الهند (والتي يتم تسليح السفن على نفقتها) ليست بالمستوى الكافي من السمعة والإمكانات ، فهي تتكبد فوائد عالية بدون إعطاء أية تقارير للأسهم أو للأرباح ، وإذا كان الهولنديون سيتكبدون في الوقت الحالي الخسائر ، فلن يتبقى لهم ما يجهزون به أسطولاً جديداً مما سيمنعهم إضافة إلى ما تقدم من مواصلة الملاحة .

لما كانت مملكة هولندا و"غيلاندا" لا تقدمان العون الذي وعدتا به لإقامة الحرب ، لذا ليس هنالك من شك في أنهم إن لقوا مقاومة ، وإذا لم يحصلوا على منافع كافية من أسطولهم الذي يرسلونه اليوم ، فأنهم سيتحملون تلك النتائج المريرة ، وكذلك نظراً لكون سفنهم قد أبحرت متأخرة ، فقد لا يتمكنوا من الوصول إلى ماليزيا قبل نهاية العام القادم ، أي ١٦١٤م ، وإلى ذلك الوقت قد يكونوا قد أزيحوا عنها وعن كل التجارة في الجنوب .

كما وصلنا أيضا من إنجلترا بأنه تم تركيب السفن ويتم النظر حالياً في اتفاق من نوع ما بين الهولنديين والإنجليز بهدف شن الحرب معاً .

وفقاً لكل ما تقدم من أخبار ، لابد ستدرك الضرورة الملحة لتكريس كل الجهود لإفشال تلك الخطط بإنذار الحصون وتعزيز دفاعات الأساطيل ليتمكنوا من تمشيط المياه وتأمين سلامة السفن التجارية التي يجب ألا تبحر من دون حراسة ، وعليك الحكم على الأمور جيداً بحسب حالتها ، وتركيز الجهد وكل الوسائل الممكنة ليس ليعاني الهولنديون ليسترجعوا قواهم فحسب ، بل لإلحاق ذلك الضرر بهم ، والذي سيبعدهم عن الملاحة والتجارة في هذه الأنحاء .

كما هم أنفسهم يتوجسون حدوثه إذا لم يحصلوا على الفائدة المرجوة من أساطيلهم ، وفي سبيل ذلك ستشنون الحرب عليهم إذا تجاوزا أي بند من معاهدة الهدنة .

كما أمرت مسبقاً في خطاباتي التي أخذها "سباستياو دي فيغيريدو" وبكل السبل والطرق التي تؤدي لتحقيق ذلك الغرض ستستخدم السكان الأصليين في المناطق التي قصدوها ، إذ لا يجب على هؤلاء السكان استقبالهم ، فانشر بينهم عدم الرضا أو الثقة ؛ لكيلا يجد الهولنديون فرصة لإقامة حصن جديد ، وليتنحوا عن تلك الحصون التي أقاموها بالفعل .

أما الإنجليز ، فعليك بالحرب المفتوحة معهم ، دون الرجوع لنا أو انتظار أوامر أخرى .

لما كانت خطط الهولنديين تنطوي على مهاجمة ماليزيا ومانيلا والفلبين ؛ فيجب أخذ الاحتياط الكامل في تلك الأماكن ، وعليك إرسال هذه التوجيهات بدون تأخير إلى "دوم جواو دا سيلفا" لتنبيهه بكل ما علمته وما قد يبدو جديراً بالإشارة له ، كما يجب عليك تنبيه قبطان ماليزيا ، ودعمه بشكل لن يتضرر معه في حال ذهب الهولنديون إلى هناك .

كذلك عليك التنبيه ودعم الحصون الأخرى في الجنوب والانتباه إليها جميعاً لتكن تلك الحصون أمينة ومحصنة ضد ما يدبر لها ؛ لذا أثق انك ستقوم بكل ما يلزم رغم أنه ينقصك المدد من سفن المملكة ، وعليك الاستفادة من كل السبل الممكنة لتجاوز العوائق والصعوبات

التي قد تواجهها لكي لا تتعرض لأي محنة أثناء سعيك للحصول على الدعم .

لك أن تتأكد بأن أية خدمة تقدمها في هذه الحالة ستلقى دائماً التقدير من لدننا وسنقدم شكرنا وتقديرنا لها بحسب أهميتها .

فيما يخص حماية وتأمين حصن هرمز فمن الضروري توخي الحذر الشديد لمراقبة أية طارئ وإخماده في حال قام به الهولنديون بمساعدة الإنجليز ، ولما كان من المهم أخذ الحيطة بكل ذلك لن يفوتك أن تأمر بالاستعداد بكل طريقة ووسيلة لكل تلك الاحتمالات وبإرسال كل ما وصلك من توجيهات إلى القبطان .

عليك إعلامي بالتفصيل وبكل دقة عبر البحر والبر بكل ما يتم فعله هنا وبما تسمعه وبما يصلك عن السفن الهولندية والإنجليزية ، وبما تنوي فعله .

في مارس الماضي وصلت السفينة سانتا هيلينا إلى خليج "ساجرس" "Sagres" ، بعد أن أمضت الشتاء في الموزمبيق ، وهي بحالة سيئة ، بعد وفاة ومرض عدد كبير من طاقمها ، وبعد عدة أيام توقف في ذلك الخليج دخلت "لشبونه" بسلام .

كُتب في "سيغوفيا" "Segovia" في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م .

بواسطة خادم الملك ، "الدوق فيلهيرموسى" ، "الكونت دي فيكالهو" . بختم جلالة الملك إلى "الدوم جيرونيمو دي آزيفيدو" رئيس مجلس جلالته ونائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٦١٣م)

صدر أمر قضائي من نائب الملك ، "غوا" ، في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦١٣م ، بشأن الرقابة على قلعة مسقط : (٢٦)

أنا "د . جيرونيمو دي أزفيدو" عضو مجلس صاحب الجلالة ، نائب ملكه والقائد في الهند ... إلخ ، أبلغ كل من سيطلع على هذا الأمر أنه في إطار أهمية حماية القلعة في مسقط لابد من توفير حامية عسكرية من المحاربين كي تفي بذلك الغرض ، سيما وأن اللوائح الداخلية تنص على ألا يكون هناك أكثر من ثلاثين جندياً ، ونادراً ما تكون لهذه القوة أية فعالية بسبب ممارسات المكر والخداع الممارس هناك .

من أجل مواجهة هذا الأمر وفق ما تقتضيه الحاجة لخدمة صاحب الجلالة ، فقد قررت بأن آمر "د . لويس دا جاما" "Luis da Gama" الذي على وشك استلام منصبه كقائد في قلعة هرمز ، كي يرسل إلى مسقط عشرين جندياً من مجموعة السبعمائة جندي ، أمر جلالته بضرورة

---

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

بقائهم في الموقع العسكري هناك ، ويجب عليهم أن يظلوا في مسقط إلى جانب عشرين جنديا الموجودين هناك بموجب اللائحة الداخلية طالما بقي الخطر يهددهم من جراء هجوم الأعداء من أوروبا .

الآن يجب أن يصار إلى زيادة الأموال التي ترسل من هرمز كي تدفع كأجور للقوات العسكرية في الموقع بعد أن أضيف عشرين جندياً لتلك القوة ، وسوف يعهد بها إلى أحد الرجال المخلصين يمكن الاعتماد عليه في اختيار من يثق فيه لينقل تلك الأموال إلى قلعة مسقط ويسلمها إلى العامل في القلعة بموجب وصل استلام .

بعد ذلك يجب أن تدفع أجور الجند فوراً بحضور عامل القلعة المذكور ، وفي النهاية بوسعه أن يعطي الأوامر التي يرى أنها ضرورية والتي يجب أن يذعن لها وتنفذ وكأنها صادرة مني .

سوف يقوم "د . لويس دا جاما" بإرسال من يثق فيه كي ينجز هذه المهمة ، وذلك حتى لا تزداد التكلفة على خزينة صاحب الجلالة ، وأيضا يجب أن يتأكد من رغبة الشخص في القيام بهذه المهمة من أجل الحصول على الأهلية والمكافأة بشكل آخر ، ويجب عليه أن يرسل لي في كل عام قائمة موثقة بتلك المدفوعات .

بسبب موافقتي على إرسال أحد القادة مع ثلاثين من الجنود للبقاء في القلعة الكائنة في الجبل لأجل أحكام الرقابة على قلعة مسقط ، فإنني آمل أن يصار إلى دفع أجورهم بنفس الطريقة ، وعندما يتركون "د . لويس دا جاما" يجب أن يبلغوا بما سيقبضونه من أموال .

إنني آمر السلطة الكاملة للعمل بكل ما ورد في هذا الأمر القضائي ،

كما إنني آمر بتعطيل كل السلطات والأوامر التي أصدرتها ، إذا ما كانت تتعارض مع هذا الأمر ، وذلك حتى لا يسعى أي واحد من الوزراء أو أي مسؤول آخر للتشكك أو الاعتراض على هذا الأمر أو يسعى لوقف تنفيذه ، ولا يسمح لأي فرد أن يقوم على ذلك ، سيما وأن الأمر يتوافق مع خدمة جلالته ، وقد قصد به توفير الحماية لتلك القلعة .

من خلال هذا الحماس الذي يدفعه لخدمة جلالته ، ولأن هذه المدفوعات سوف تنفذ أمام ناظريه ، فإن "د . لويس دي جاما" سوف يضع حداً للخلافات التي تحدث عادة في مثل تلك المناسبات ، وسوف يُتخذ في الإجراءات ما هو كفيل بضمان عدم تكرارها .

لقد أعطيت إشعاراً بهذا الأمر إلى كبير المسؤولين في هذه الخزينة ولحسابات المملكة وإلى قلعة هرمز المذكورة والوسيط التجاري وبقية الموظفين والمعنيين ، وآمرهم بضرورة مراعاة الأمر والتقيد بما ورد فيه وتنفيذه دون تردد أو اعتراض ، ويجب أن يسجل في المحطة التجارية في هرمز وسوف يكون نافذ المفعول بشكل لفظي ، ولن يصدر من قبل مكتب قاضي القضاة بصرف النظر عن الأمر النقيض في السجل ٢ البند ٤٠ ، وذلك بسبب أن مصلحة جلالته توجب ذلك .

كتب هذا "سلفادور غونسالفيس" "Salvador Goncalves" في "غوا" بتاريخ التاسع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦١٣م .

أنا "أفونسو رودريجيز" "Afonso Roderigues" قد أمرت بكتابته ، نائب الملك .

أحداث عام ١٦١٤م

ورد التقرير الإسباني المرسل من مقرّ سفارة "دوم جارسيا دا سيلفا" في فارس ، بتاريخ عام ١٦١٤م ، يبيّن أن هجوم القوات الفارسية بقيادة حاكم شيراز في "لار" بعدما تم الاعتداء وإهانة السفير المرسل إلـى فارس : (٢٧)

وصل "دوم جارسيا دا سيلفا فيجويرا" ، كسفير لدى فارس إلى مدينة "غوا" في الهند في بداية أكتوبر عام ١٦١٤م ولما كان في عجلة من أمره ، فقد استأذن نائب الملك في ذلك الوقت "د . جيرونيمو دي أزفيدو" بالذّهاب إلى هرمز عابراً من هناك إلى فارس لتنفيذ مهمته وأخذ الهدايا التي أعطاه إيّاها صاحب الجلالة كي يسلمها إلى الملك .

في بداية الأمر كان نائب الملك قد كشف عن عدم رغبته في السّماح للسّفير بمواصلة رحلته ، وفعلاً عُلم بهذا الأمر في إسبانيا قبيل مغادرته ،

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

إذ لم يكن البرتغاليون سعيدين بإقدام التاج القشتالي على إرسال هذا السّفير إلى فارس ، ولقد بيّن سعادة نائب الملك ، بكلّمات رقيقة ، حقيقة ضعف موقف الخزينة الملكية في ذلك الوقت .

بعد مضيّ أيّام قليلة وصلت الأخبار إلى "غوا" تفيد باندلاع الحرب مع هرمز ، وهذا ما استدعى تأجيل الرّحلة ، وهنا قام نائب الملك بتجهيز أسطول قويّ من السّفن ذات الجوانب العالية بهدف الإبحار إلى سورات لمهاجمة الإنجليز الموجودين هناك في ثلاثة من السّفن ومركب شراعي كبير ، وقد غادر معه دون أن يرسل أيّة مساعدات إلى هرمز بالرّغم من خوفه من أخبار تفيد بتعقيد الأمور واحتدام القتال .

كما أنّه لم يترك أيّة أوامر في "غوا" لها صلتها بمهمّة السّفير ، بالرّغم من أنّه ذكر أنّ رئيس الأساقفة في المدينة هو المسؤول عن إدارة شؤونها .

كما ثبت مؤخّراً فقد كانت تلك مجرّد مراوغة ؛ لأن رئيس الأساقفة تصرّف بينهما كما فعل نائب الملك ، ولم يأت بجديد في غياب الأوامر [.......] ، وقد أرسل له نائب الملك كي يخبره بالتأجيل ، بالرّغم من أنّني لا أعرف أي سبب لذلك ، وأنّه لن يخرج كي يبحث عن الأعداء .

لم تأت عملية القوّات الفارسية ضدّ هرمز كنتيجة لتدخل ملك فارس ، وإنّما كان السّبب فيها القائد في هرمز ، الذي أثار حفيظة وغضب حاكم قلعة شيراز في لار ، وعندها نشبت الحرب . لقد تسبّب في إهانة السّفير ، عندما أمر باعتقاله بشكل لا يخلو من الفظاظة لأنّه قدم وجاء يطالب بتعويض عن بعض المراكب ، وهي مراكب أشبه بمراكب التّجّار ، كان قد تمّ القبض عليها قبل أيّام قليلة

مضت ، وهي غير مسلّحة ، وكانت تحمل بعض المؤن إلى هرمز لدعم القلعة ، وقد تعرّضت للنّهب والسّلب بأمر من الحاكم في هرمز ، وتعرّض التّجّار للقتل .

هنا أصاب الذّعر مجموعة المسيحيين والمسلمين على السواء ، ولكن [.........] قام بإلقاء خطبة أجاز فيها تلك العمليّة الوحشيّة .

توقّف القتال ، وقد علم الملك الفارسي بهذا الأمر بعد مضيّ عدّة أيّام ، وبعدها أرسل خطاباً ضمّنه الكثير من المدح ، وأشار فيه أنّه يترقّب وصول السّفير ، وهنا أدرك مدى أهميّة المحافظة على مملكة هرمز وتجارتها وضرورة استمرّار السّفير في أداء مهمته .

نظراً لأن السّكّان في القلعة شرعوا في التّوسّل إليه لفعل ذلك ، فقد أسرع السّفير مجدّداً يناشد نائب الملك ، الذي كان وقتها قد عاد من سورات بعدما شهد أحداثاً عرفت بأنّها فاشلة ومهينة ، كي يعطيه المراسلة ، ولقد بيّن مدى أهمّيتها بالنّسبة لمصلحة صاحب الجلالة من خلال الأسباب المشار لها أعلاه .

باختصار سوف أشير فقط إلى أنّه قد ضغط على نائب الملك مشدّداً على الكثير لخلق مشكلة بينه وبين القائد في هرمز ، حيث أخبره بسلسلة من الأكاذيب الملفّقة التي لم تخل من تشهير وقدح في شخصه ، وقد كتب له عن وجهة نظره في شخصه ، وقد فعل ذلك مع كثير من النّاس في البلاط الإسباني ، وكان القائد نفسه قد اعترف لي بذلك في كثير من الأحيان ، ولأسباب خاصّة ، كما أنّه أيضاً أطلع السّفير على تلك الرّسائل .

بعد مرور عامين وسبعة شهور والكثير من الخدع الاستثنائية ، قام نائب الملك في نهاية الأمر بتسليم السّفير مهامه ، وذلك بسبب الضّغط المتواصل الذي مارسناه عليه ، لكنّه لم يسلمه ما أمر به صاحب الجلالة كإضافة للهدايا التي أتى بها من إسبانيا لأجل ملك فارس ، وإنّما تضمّنت القليل من الفلفل ، وهي كمية أخذت من السّفينة "ميدويس" بعدما تعرّضت للرطوبة إثر تحطم السّفينة في ذلك العام عند حاجز "غوا" .

نظراً لتأخرها في الوصول ، ولقد أعفته هذه من [........] الأموال مستحقّة الدّفع ؛ إذ إنّه لن يقوم بدفع أيّ شيء من التّعويض لقاء مواجهة نفقات السّفارة بالرّغم من أنّ صاحب الجلالة قد أمره بالقيام بذلك في رسالة بتاريخ الخامس عشر من شهر أغسطس عام ١٦١٩م من "فالادولد" .

لقد احتفظ بالأموال التي أخذها من قبطانيات الفلبينيين التي باعها وكذا الرّسوم التي تمّ استيفائها من قوافل السّفن التي قدمت من الصّين وأيضاً من مراكز جمارك صاحب الجلالة التي حقّقت أرباحاً عظيمة عن طريق استيفاء الرّسوم . لم تكن كميّة الفلفل الرّطبة التي قدّمها تزن أكثر من ربع الكميّة التي أمر صاحب الجلالة بإضافتها للهديّة كما قلت .

كان السّفير قد أدرك في ذلك الوقت الذي قضاه في الهند أنّه يجب أن يبقى صاحب الجلالة على علم بالأوضاع المتدهورة وبأوضاع الحكومة هناك (سوف أترك تفاصيل هذا الأمر الآن كي أتعرض لبيانها فيما بعد ، خشية الإسهاب ، بالرّغم من أنّ هذه أمور عاجلة في ظلّ الضّرر الذي لحق بصاحب الجلالة بسببها) .

عموما عمل نائب الملك على إصدار أوامره ، واتّخذ إجراءات مشدّدة لأجل القبض على كلّ الرّسائل التي يكتبها سعادة السّفير إلى صاحب الجلالة ، بل ولقد عمل على القبض على جواسيسه ومن يقومون بحمل الرّسائل ، وبالطّبع لم يكن ذلك بالأمر الصعب بالنّسبة له ؛ إذ إنّه كان يدفع المال لمن يقومون بالحراسة في البرّ الرّئيس كي ينفذوا أوامره .

أيضاً كان يساعده في ذلك كابتن القلعة في هرمز ، الرّهبان "الأوغسطينيون" في فارس . كانت جميع الطّرق والمسالك في كلّ من سوريا وحلب تخضع لتغطية القنصل الفرنسي ، وكانت الأموال التي تنفق في ذلك ضخمة .

من الملاحظ أنّه بالرّغم من سوء العلاقات بين "الأوغسطينيين" وكابتن هرمز بسبب توتّر العلاقات وسوئها مع الرّهبان "الكرمليين" الحفاة في نفس المدينة المقرّبين من الكابتن ، فقد تعاونوا جميعهم في هذا ؛ بحيث لم ينجح أي شخص أرسل من المرور .

قد عمل كابتن هرمز على إيقاف البعض منهم ، وهذا أمر معروف علانية لدى السّكّان في هرمز وفي فارس ، وقد حدثت جرائم كثيرة بسبب ذلك ، وكانت ترتكب بحريّة على نحو لا يمكن أن يتخيّل المرء أنّها تحدث دون أمر من صاحب الجلالة الذي يعتقد أنّها تصبّ في مصلحة خدمته ، ولا شكّ أنّها تمثّل نوعاً من الخزي والعار وعدم الاحترام تجاه الملك ؛ لأن مرتكبيها ليسوا سوى عناصر وأتباع له .

على أنّ نائب الملك والقادة في هرمز وبقيّة النّبلاء البرتغاليين حتّى

ولو اختلفت عنهم بقيّة النّاس في الهند ، فقد ظلّوا يبدون خصومتهم علناً مبررين ذلك بقولهم إنّه ليس من المنطق ولا المفيد لسمعة الجنس البرتغالي أن يذهب السّفير القشتالي إلى فارس ، وهذا القول ليس بقصد إبداء الكراهية لشخص السّفير بالتّحديد وإنّما هي كراهية عامّة تستشعر تجاه التّاج القشتالي .

في إطار حذف الكثير من هذا الموضوع ، فإنّني سوف أشير هنا فقط إلى ما حدث عندما كنت موجوداً في الهند : فعندما وصل د . "جواو دى سيلفا" الذي أصبح حاكماً في الفلبين من "ملقا" بأسطوله الرّائع ، أرسل إلى نائب الملك في الهند طالباً منه أن ينضمّ إليه بأسطول قويّ لأجل ضرب الهولنديين الذين تمكّنوا حينذاك من الاستيلاء على سولار في الهند .

كانت إحدى القوى قد استسلمت وخضعت للهولنديين دون أي قتال ، أضف لذلك سقوط قلعة "سريام" في "بيجو" "Pegu" والاستيلاء عليها من قبل ملك "أراكان" الذي قبض على قائدها "فيليب بريتو" "Phillipe Breito" وقتل جنودها ، وكان السّفير قد شجّع نائب الملك على الذّهاب .

حيث أخبره أنّه سوف يفعل ذلك ، غير أنّ سكرتيره أبلغ البرتغاليين علناً ، وكان البعض منهم قد حكي ذلك ، إنّ الأمر ليس سُبة للبرتغاليين إلى أيّ حد لكون الإسبانيين قد وصلوا إلى "ملقا" "كثر الحديث عن وفاة "د . جواو دا سيلفا" التي حدثت فيما بعد في منطقة ملقا .

ذكروا أيضاً أنّه عند وصول "د . جارسيا دا سيلفا" فإنّهم سوف يقومون

بتدمير الجسر حتّى لا يتمكّن السّفير الإسباني من الوصول إلى فارس" وقد تمّ إنجاز ذلك على حساب مملكة هرمز -الأمر الذي أدّى لسقوط جزيرة قشم وقلعة "غومبرون" في أيدي حاكم شيراز ، وما كان ليفعل ذلك لولا إحساسه بالغضب والغُبن تجاه حاكم هرمز كما ذكرت .

على الرّغم من صحّة غضب ملك فارس تجاه مطران سيرين ، وذلك لعدّة أسباب كما قلت أيضاً ، كان ساخطاً تجاهه ؛ نظراً لأشياء أخرى حدثت في فارس إبان وجود المطران هناك ، لكن ليست تلك هي الأسباب التي أدّت إلى نشوب الحرب ، خاصّة إذ لم يكن للملك أي دور فيها ، ولقد أخبر وزراء وحكام شيراز سعادة السّفير نفسه ، بعد شكاوى عديدة واحتجاجات ضدّ قائد هرمز أنّ أسبابها تكمن في قتل التّجّار وعملية الاستيلاء على السّفن التي تمّت بأمر من قائد القلعة .

بعد أولئك الوزراء كان دوق شيراز أوّل من بادر بإخطار السّفير ، وبنفس الكلمات ؛ حيث قال إنّ وزراء صاحب الجلالة هم أعداء له ، وإنّه قد أدرك تلك الحقيقة من خلال مفاوضاتهم في فارس ، وإنّه في خلاف مع الملك عندما صرّح أنّ السّفير قادم ، فقط لأجل إثارة الحرب وأشياء أخرى لا أريد التّحدّث عنها ، وكان لابدّ من عمل ذلك عندما علم أنّ السّفير قادم إلى هرمز أو عندما وصل إلى هناك .

في هذا الوقت كانت هناك مجموعة كبيرة من المبعوثين يزرعون المنطقة ذهاباً وإيّاباً بين هرمز وفارس دون أن يعلم السّفير بالأسباب ، وقبل هذا ، أخبر الرّاهب "ملشيور دي لوس أنجليس" "Melchior de Los Angles"

الذي كانت له اليد الطّولي في تلك الأعمال المزعجة . أخبر ملك فارس أنّ صاحب الجلالة غير راغب في استمرّار مهمّة السّفير .

بالتالي يتبيّن أنّ ذلك هو السّبب في تأخر السّفير في الهند . كان أيضاً الرّاهب يتصرّف بنفس أسلوب السّفير ؛ إذ إنّه ظلّ يحاول بشكل دائم أن يبرهن أنّ صاحب الجلالة لا يقدم على عمل أيّ شيء قبل أن يستشيره ويأخذ برأيه .

لما وصل السّير "روبرت شيرلي" في هرمز قادماً من فارس حدثت عدّة مشاورات معه لأجل إفشال سفارة صاحب الجلالة ، وكان له فيها النّصيب الأوفر .

مؤخّراً في "غوا" ؛ حيث أصبح يتمتّع بالكثير من الحريّة ؛ بحيث إنّه كان يتحرّك حسب هواه على طول القنال ، وهناك من يقول إنّه كان يقوم بسبر الأعماق واستطلاع الرأي ، وهذا ما أحسبه .

لكن ما أدهشني كثيراً ذلك الاستقبال الرّائع الذي حُظي به في هرمز و"غوا" من قبل مسؤولي صاحب الجلالة ؛ إذ إنّني أدرك أيّ نوع من الرّجال هو ولقد لاحظت ذلك الفتور الذي كانوا يخصّون به "د . غارسيا" بالرّغم من كونه سفير صاحب الجلالة وهم ليسوا سوى أتباع ورعايا له ، بينما ذلك الرّجل هو وكيل الملك الذي قام ضبّاطه مؤخّراً بالاستيلاء على جزيرة قشم وقلعة "غومبرون" ، وهو المكان الذي يتلقّى منه سكّان هرمز كلّ المؤن والغذاء والمياه وكلّ ما يعتمدون عليه في معيشتهم .

من الأشياء السّخيفة الأخرى ، أنّني سمعت بعض الأفراد العشائر يقولون أنّ قلعة "غومبرون" تلك ليست ذات أهميّة لدى صاحب الجلالة ،

واليوم أبلغني بعض البرتغاليين هنا في "فالادولد" الأمر نفسه ، لقد رأيت بأمّ عيني إلى أيّ مدى تدهورت الأوضاع في تلك القلعة خاصّة بعد عودة السّفير من فارس .

أضف لذلك تلك الرّسوم التي تُستوفى في "غومبرون" من القوافل المتّجهة من وإلى فارس ، وبالتالي أصبحت جزيرة قشم الخصبة والتي تقع بجوار البرّ الفارسي هي المموّن الرّئيس لهرمز ، فمن هناك تجلب الخضرة والفواكه والمياه والغذاء ، وفي هرمز نفسها توجد كميات من الملح ، والآن يعيش سكّان هرمز معتمدين على الفرس وعلى ملك فارس .

لا يوجد شيء في جزيرة هرمز سوى تلك القلعة الصّغيرة ، بدعاماتها وحيطانها وواحد أو اثنين من الصهاريج العالية لحفظ المياه ، بالإضافة إلى مبانيها . ليست هنالك باحة للاستعراض أو أيّ ملجأ ، فقادتها اهتمّوا فقط بمواقع الرّاحة فيها ، وكانوا يقومون بتشييد مباني طينية تقيهم حرارة الجوّ في موسم الصّيف .

في الماضي كانوا قد حاولوا بناء سور حول المدينة بأكملها ، وقد ساهم السّكّان في هذا العمل بمحض رغبتهم ، غير أنّ هذا العمل توقّف نتيجة قرار خطأ ، والآن تقف المدينة من دون سور مكشوفة ؛ بحيث يمكن دخولها من كلّ الجوانب ، خاصّة حيث الآن لم يعد في هرمز ما يكفي من القوّات العسكرية لمنع ذلك .

كما لم يعد هنالك أيّ وجود لمجموعة الجنود الدّائمة التي تتلقّى أجورها من قبل صاحب الجلالة ، بل أصبحت القلعة تعتمد على المتزوجين المقيمين محليّاً ، وهذه فئة لها خبرة في أعمال الحرب

والعسكرية ، وطالما كان ملك فارس عليماً بكلّ ذلك ، فإنّني لا أستغرب أن تتّجه أنظاره وأطماعه للجزيرة بل ولقد تمّ إقناعه بأنّه من السّهل أن يستحوذ عليها ، وهناك اثنان من عناصره يُعتبران مصدر أذًى للمملكة على اتّصال دائم ببعضهما بعضاً وهما ملك هرمز وأحد المسلمين من أغنى الأغنياء من أقاربه وهو القاضي ، فالملك يتلقّى نصف عائدات مركز جمارك صاحب الجلالة .

بالإضافة إلى ما يحصل عليه من الخزينة الملكية خلسة وبطرق ملتوية ، وتقريباً يفعل معظم بقيّة الوزراء الشّيء نفسه ، وفي ظلّ ترحيب صاحب الجلالة بالمسلمين والمسيحيين من الجزيرة العربية وفارس ممّن يقومون بجلب السّلع التّجاريّة فإنّ ذلك أدّى إلى وفرة في السّلع التّجاريّة بمختلف أنواعها في فارس مثل الأدوية والتّوابل من الهند ، وهي رخيصة الثمن في مناطق صاحب الجلالة .

عموماً لم يذكر شيء قط لصاحب الجلالة بخصوص ذلك المسلم القاضي ؛ إذ إنّ ذلك من مصلحة القباطنة في هرمز ممّن يتلقّون الرّشاوى والهدايا التي يقدّمها عليهم القاضي ، فمن خلال تلك توطّدت العلاقات الوديّة بين القادة في هرمز مع الوزراء والحكّام في دولة فارس ، فكانوا يخصونهم بالهدايا نظير حصولهم على تراخيص للقوافل التّجاريّة التي تأتى من فارس إلى هرمز ، وبالتالي تورطوا في هذا الفساد ولم يعودوا يهتمّون بشيء سوى جني المزيد من الأموال لاكتنازها .

إنّ الهدف من كلّ هذا هو توضيح ضعفهم وافتقارهم للوازع الأخلاقي ، الأمر الذي دفعهم لممارسة الابتزاز على سكّان هرمز

والمسيحيين الذين يسافرون من وإلى فارس في أعمالهم التّجاريّة ، بل دفعهم الجشع إلى التّهديد بحرمان سكّان هرمز من المؤن الغذائية والمياه ، وفوق هذا وذاك اتّجه الحكّام الفرس والوزراء في المناطق الحدودية إلى إجبار القادة في القلعة على تقديم الهدايا لهم ، وكان ذلك أمراً يسهل تنفيذه في إطار الطّاعة والخضوع والخوف منهم .

في ديسمبر من عام ١٦١٧م ، وبعدما غادرت فارس ، كان القائد في هرمز قد أرسل كمية كبيرة من الهدايا إلى حاكم شيراز ، وهو نفس الرّجل الذي كان في فترة القائد قد استولى على جزيرة قشم وقلعة "غومبرون" واغتال بدم بارد مجموعة كبيرة من الجنود البرتغاليين بالرّغم من أنّهم أعلنوا استسلامهم وأُخذوا في الأسر ، هذا لا يعنى الكيفية التي تصرّف بها سابقاً كلّ من ملك فارس ودوق شيراز ، وإنّما هو عمل فئة حقيرة لا رقيب لها .

الآن تُعدّ "غومبرون" من أفضل المناطق المربحة التي تستوعب عناصره ويمكن تعيينهم فيها كحكام طالما أصبحوا مسؤولين عن أسعار المواد الغذائية لسكّان هرمز ويتحكّمون في زيادتها وتخفيضها حسبما تقتضي المعاملات التّجاريّة ، وهكذا يصبحون أغنياء ومن الأشياء التي أدّت إلى تدمير المملكة ، وألحقت بها أضراراً جسيمة ما زالت تعاني منها حتّى الآن ، هي الاستمرّار في العمل بخطة تحديد فترة قبطانية القلعة لمدّة ثلاث سنوات .

إذ في هذه الحالة ينصب اهتمام القائد على الأمور التّجاريّة فقط طالما ظلّ هناك طيلة الفترة ، خاصّة في إطار الحقّ الذي كفله لهم الأمر

القضائي الصادر من صاحب الجلالة ؛ بحيث يحقّ لهم امتلاك السّفن وتعيين الوكلاء في مختلف المناطق ، الأمر الذي جعلهم يمارسون الابتزاز والقسوة على بقيّة عناصر صاحب الجلالة والتّشديد عليهم وإعاقة نشاطاتهم التّجاريّة .

لقد سبق أن أشرت أعلاه كيف أضحى وجود ملك هرمز مضرّاً بالمملكة ، وفوق ذلك أضيف ، إنّ تواصله ومراسلاته مع ملك فارس تمثل إضافة جديدة لنواياه السّيّئة ما لم يكن ذلك بسبب خوفه من قسوة وبطش ذلك الملك الطاغية الذي يخافه ويخشاه حتّى أبنائه وبقيّة اتّباعه باعتباره ملك هرمز المحسوب عليها ، ومنذ قيام قباطنة صاحب الجلالة بتولّي أمر القلعة فقد سمحوا له باستلام "الجبة" سنوياً من ملك فارس ، وكان هذا الأمر يتمّ على مرأى الجميع في مناسبة احتفالية ، تماماً كما يفعل أتباع وحكام الملك الفارسي .

بعدما اتّجهت أنظار ملك فارس نحو هرمز ، كانت له مفاوضات مع الإنجليز في فارس في هذا الأمر ؛ حيث منحهم العديد من الامتيازات ، وهذا أمر تأكّدت من صحّته ؛ إذ إنّني عندما غادرت هرمز مؤخّراً وسافرت مكرهاً عبر تلك المقاطعة–فإلى جانب العديد من الجنود الذين أتوا إلى تلك المنطقة الحدودية مؤخّراً وعبر مملكة لار–فقد أخبرت عن وجودهم هناك في انتظار وصول خان شيراز ، كما أنّهم يتوقّعون في شيراز قدوم الملك .

هذا بالإضافة إلى ما يتردّد علنًا أنّهم سوف يقومون بشنّ هجوم على هرمز .

لم أخبر أولئك المسلمين عمّن أكون ؛ إذ إنّهم حسبوا أنّني

بريطاني ، وتساءلوا عمّا إذا كنت ذاهباً إلى البلاد لمناقشة الأمر مع الملك ، لأنّهم يعلمون تماماً أنّه من خلال تدخّلنا وتشجيعنا فلا شكّ أنّ الملك سوف يقدم على تنفيذ تلك العملية .

بإغفالي عمّا يمكن أن يحدث لي قبل أن أصل إلى مدينة أصفهان حيث يقيم الملك ، فقد وجدت هناك نفس الأقوال وأيضاً ما يقال عن قيام دوق شيراز باستدعاء وحدات جيشه .

بالرّغم من قيام وزراء الملك والدّوق بنشر شائعات تفيد بعزمه على الخروج لمقاتلة جيرانه العرب ، الذين يغيرون على إقليمه ، إلا أنّ عامة النّاس وبعض الفرس الآخرين يصدّقون فقط ما قلته ، وربّما أمكن أن يستنتج أنّه من وراء اهتمام البريطانيين هنا بأمر تجارة الحرير في فارس فلابدّ أن يكون لهم بعض تفاهم آخر مع الملك ضدّ مصلحة صاحب الجلالة .

مع أنّ الاقتراحات التي طرحت هنا للنّقاش من قبل "روبرت شيرلي" ، السّفير الفارسي بالإنابة عن الملك ، ليست سوى ضرباً من العبث والتّسلية ؛ بحيث يشعر جلالته ووزراؤه بالطّمأنينة ويتجاوزون عن اتّخاذ أيّة خطوات في سبيل معالجة مواطن الضّعف .

لقد بدت مدينة هرمز كبيت لا عائل له عرضة للاستغلال لمن يرغب ، فلواؤها العسكريّ لا يجد كفايته من عدد الجنود المفترض تواجدهم وفق ما قرّره صاحب الجلالة ، وبالمثل لم يتوفر لها أسطول المراكب العاملة بالمجاديف لأجل حماية المضيق من اللصوص والقراصنة الذين يجوبون تلك المياه ، ومن تجار التوابل وبقيّة المسافرين العاملين في مجال تهريب البضائع الذين حصلوا على اتفاقية بشكل صريح من

خلال مسؤولي صاحب الجلالة وبعض الشّخصيات من ذوي النفوذ في تلك الأقاليم ، وليس من أولئك وحدهم وإنّما أيضاً من البريطانيين الذين يقومون بإنزال بضائعهم بحرية دون أن يعترض عليهم أيّ فرد أو يحاول منعهم ... بل الأدهى من ذلك أنّهم يعملون في زوارقهم على الاستيلاء على كلّ سفينة تواجههم .

لقد بقيت هناك طيلة هذه الفترة ، أي منذ يناير وحتّى نهاية شهر فبراير ، ولم يحدث قط أن رأيت واحدة من السّفن التي عادة ما تأتي من الهند قد وصلت إلى هرمز ، ولا شكّ أنّ هذا يضرّ كثيراً بمصلحة مركز جمارك صاحب الجلال ؛ نظراً لأهميّة ما يمكن الحصول عليه من أموال يتمّ استيفاؤها كرسوم جمركية من السّفن القادمة ، فالسّفن القليلة العاملة بالمجاديف والتي أوكلت لقائدها مهمّة تمشيط المنطقة والدّفاع عن المضيق قد شغلت بالإبحار من البصرة والموانئ الأخرى ؛ حيث أصبحت تعمل في تجارة بيع المؤن الغذائية .

لقد عمد قبطان هرمز وكذلك قائد الأسطول إلى إبقائها مشغولة بشكل مستمرّ الأمر الذي بثّ الرّعب في نفوس السّكّان في هرمز خوفاً من قيام سفن البريطانيين بعمل محاولة أخرى .

كان الشّيء الوحيد الذي أنجز في هرمز هو تقسيم مهام المراقبة على السّفن المبحرة ، والتي أصبح اهتمامها مركّزاً بصورة أكبر على ما يمكن أن يحدث ، وليس على مهمّة حراسة الجزيرة ، فمعظم الرّجال من الهواة ممّن لا خبرة لهم بأمور الحرب والأنظمة العسكرية ، وهذا فشل ملحوظ في معظم أقاليم الهند .

حيث لا يعرف المحاربون سوى القليل من الأنظمة والقوانين العسكرية بسبب ما أدخل من تقاليد سيّئة في المنطقة ، فالجنود بشكل عام غير ملتزمين بطاعة الأوامر ، وليس هناك من رادع ، ولقد تبيّن من خلال الحروب الأخيرة والدّمار الذي أصاب الهند من جراء اختلال الأنظمة وحدوث الاضطرابات والاختلافات في أوساط القادة أن قُتل الكثيرون من أفضل الجنود في الهند .

إذ حمل الجنود والمحاربون الأسلحة كي يستخدمونها في قتل بعضهم البعض أمّا المصونات والمواد المتفجّرة التي تعتبر موادّاً ضروريّة في العمليات الحربيّة فإنّ من يعرفون استخدامها قلّة بل لا توجد أيّة مؤسّسة عسكرية في طول بلاد الهند وعرضها يمكنها أن توفر لهم أيّ تعلي ؛ إذ إنّني كثيراً ما شاهدت في معظم أنحاء العالم وجود معاقل عسكرية تؤدّي خدمات تعليمية ، وهذا ما لا يوجد في الهند ، وأحد الأسباب التي ما تزال الهند تعايشها .

حيث يوجد شعب مهان غير ميال لملكه في بلاد بجوارها العديد من الحكّام من ذوي الرّغبات المتباينة ، بحيث إنّه لا يتوقّع أن يتمّ الاتّفاق بينهم في ظلّ تضارب مصالحهم ، وينصبّ جلّ اهتمامهم على التّبادل التّجاريّ بينهم وبين مسؤولي صاحب الجلالة ، فالسّفن العاملة بين إسبانيا والبرتغال تقدّم لهم خدمات جليلة ، وبالتالي فإنّ مملكة الهند تعتمد عليهم كثيراً في التّزوّد بما يلزمها .

يستدلّ من هذا على حجم الضّرر الذي يسبّبه الأعداء الهولنديون الذين وطّدوا أقدامهم في المنطقة ، ومن ثمّ بدأت

محاولاتهم في الاستحواذ على أكبر قدر من حجم التّجارة ، خاصّة بعدما تمكّنوا من امتلاك بعض القلاع في الجنوب ، دون أن يتمكّن أحد من منعهم .

هذا هو واقع الأمر منذ وفاة "د .جواو دا سيلفا" حاكم الفلبين ، بل أكثر من ذلك إثر مغادرة القائد "د .جيرونيمو" من جزر ملقا . في هذا السّياق لن أتناول بالحديث مسألة الضّرر الذي أحدثه الهولنديون في حركة التّجارة والقلاع التي استولوا عليها وقت وجودي في الهند ؛ إذ إنّ ذلك يعد موضوعاً آخر ، لكن لا شكّ أنّ صاحب الجلالة على علم به ؛ نظراً لأهمّيته ولأنّ أعداء جلالته الآخرين في الهند يدركون مدىً ضعف قوّاته التي يشجّعونها .

قد دأب الموجودون منهم (بخاصّة من الملباريين) على غزو تلك المملكة ؛ بحيث أصبحوا مصدر رعب بالنّسبة للبرتغاليين خاصّة وهم قراصنة في المناطق المجاورة ويجدون المساعدة من قبل ملك "كالكتا" ، وقد ألحقوا الكثير من الدّمار في المناطق الواقعة على طول السّاحل الممتدّ جنوباً من كوتشين .

أما بالنّسبة للمناطق الباقية في شمال ذلك السّاحل فقد ظلّت مراكب التّجّار العاملة بالمجاديف تبحر على مرأى من الشّاطئ لأنّها إذا ما توغّلت في البحر فلا شكّ أنّها سوف تواجه أولئك القراصنة . لقد كانت لديهم سفنٌ تعمل بالمجاديف يستخدمونها لنقل الأرز ، ويتراوح طول السّفينة ما بين ستين إلى سبعين قدماً وتتّصف تلك السّفن بسرعة مذهلة ؛ بحيث لم توجد في الهند كلّها سفينة تماثلها في السّرعة ، وهي سفن خفيفة وسريعة

يصعب على بقيّة السّفن الأخرى مجاراتها في السّرعة أو تجاوزها ، وعادة ما تحمل ثلاثين ، أربعين أو خمسين رجلاً بحسب طولها ، ويقوم هؤلاء الرّجال بالتّجديف والقتال ، وهم يتميّزون بمهارات عالية في استخدام السّهام والحراب والسّكاكين .

أمّا أهل البرتغال فإنّهم من خلال إقامتهم في الهند في ظلّ تلك الظّروف المناخية القاسية التي لا يمكن أن يتحمّلها غير السّكّان المحليين فقد باتوا يتهيّبونهم ويعملون لهم ألف حساب .

ما عدا ذلك ، فيمكن القول إنّ البلاد عامرة بالكثير من الخيرات ، فالغذاء متوفّر ، وتتوفّر أيضاً أنواع كثيرة من المربّى التي تصنع من السّكر ، وهي الأفضل على المستوى العالمي .

بسبب الحرارة المفرطة في البلاد ، نجد النّاس هنا عديمي الأخلاق حيث الرذيلة متفشية بينهم بشكل كبير . أما بالنّسبة للنشاط التّجاريّ فقد أصبح كلّ من ملك رأس المال يمارس هذا النّشاط ، بل ولقد أضحى ذلك حال البرتغاليين الذين انخرطوا أيضاً في هذا النّشاط فتخلّوا عن بطولاتهم وانغمسوا في حياة الفجور والملذّات .

في المواسم الشّتويّة حيث تتّسم الحياة بالرّكون للكسل والتّراخي بسبب عدم إبحار الأساطيل تحدث الكثير من الجرائم في "غوا" بسبب تواجد المجرمين الذين يمارسون نشاطاتهم الإجرامية تحت مظلّة بعض النّبلاء من ذوي النّفوذ الذين لا يتلقّون أجوراً جيّدة أو مقنعة بسبب سوء الأنظمة المالية وأيضاً لأسباب أخرى ، ودائماً ما ترتكب تلك الجرائم ليلاً تحت جنح الظّلام ، فيقوم المجرمون باجتياح المنازل

فيقتلون وينهبون ويرتكبون مخالفات ضدّ القانون ، وحتّى إذا ما كان هناك قانون في الشّرق فكثيراً ما يرتكب القضاة أنفسهم الظّلم والجور ؛ حيث ينال المجرم حكماً بالبراءة .

فانتشار الفساد في الهند وافتقار القائمين على القانون للاستقامة والحكم بالعدل سواء في الإجراءات العقابية أو غيرها هي سبب كلّ تلك الشّرور والمحن ، وحتّى الوظائف نفسها فإنّها غالباً ما تُعطى إلى من يسعى لنيلها بكلّ السّبل ، وليس من يتمتّع بالأهلية والكفاءة .

على كلّ فسوف أترك جانباً هذا الموضوع وغيره من الأمور المماثلة الأخرى بالرّغم من أهمّيتها ؛ إذ إنّ الحديث عنها يحتاج للكثير من الوقت .

عندما وصل سعادة السّفير إلى هرمز في بداية شهر مايو ١٦١٧م ، واجهته حينها نفس تلك الصّعوبات الجمّة ، فقد بدت تصرّفات كبير مسؤولي الخزينة في القلعة مختلفة تماماً ، لأنّه في الماضي كان يميل كثيراً للسّفير ، ولقد أبدى حماساً ملحوظاً لخدمة صاحب الجلالة ، وكان قد أرسل عدّة رسائل من هرمز أثناء وجود السّفير في "غوا" .

بالرّغم من أنّه لم يكن متفاهماً مع الكابتن وكانت بينهما خلافات ما في الكثير من الأمور فقد هدف بسبب ذلك إلى تعقيد مسألة رحلة السّفير إلى "غوا" ، وذلك من خلال حجب الأموال المفترض دفعها من مركز الجمارك هناك .

أمّا ما ذكره نائب الملك عن فاتورة الاستبدال للقائد في هرمز ، فإنّها لم تكن سوى خدعة ، كما ظهر مؤخّراً ، لأنّ نائب الملك نفسه هو من قام باستلام المال في "غوا" من مركز جمارك القائد ، وحسب اعتقادي فإنّ كلّ

ما قدّمه للسّفير نظير تلك الرّحلة هو مبلغ سبعين ألف ريس ، وهو مبلغ يعتبر مستحقّ الدّفع للسّفير لشراء قبطانية القلعة المذكورة التي باعها نائب الملك مع كلّ ما تبقى من مملكة صاحب الجلالة في الشّرق ، وبهذه الطّريقة يكون قد خدع جميع الرّجال وظلمهم بعدم إعطائهم حقوقهم المشروعة التي منحت لهم لأنّهم كانوا مناسبين لها .

على كلّ إنّني لا أعلم شيئاً عمّن أسدى تلك النّصيحة لجلالته ، إذا ما كان ذلك قد تمّ بموجب أمر ملكيّ ؛ إذ إنّ ذلك لا يخدم مصلحة جلالته الملكية في شيء وسواء أكانت تلك القلاع قد منحت كتركة أو ميراث أو إلى أبناء وورثة اعترافاً وتقديراً لخدمات ماضية دون الأخذ في الاعتبار حقيقة جهلهم أو عدم النّضج خاصّة فيما يتعلّق بتلك القلاع بحكم أنّها مراكز حدوديّة فإنّها تحتاج إلى إدارة خاصّة .

إنّني في إطار إدراكي البسيط والمتواضع أرى أنّ ذلك واضحٌ ومثبتٌ ، وأرى أنّ كلّ من يتفحّص هذا الأمر بشكل نزيه يمكنه أن يتبيّن ذلك بوضوح ، فعندما تمّ بيع تلك القبطانيات والقلاع لم تكن الظّروف تستدعي أن يقوم مجلس جلالته على جمع المال من خلال فرض أجهزة ضرائبية شديدة الضّرر بمركز الجمارك .

باختصار شديد ظلّ السّفير باقياً منذ شهر مايو وحتّى بداية شهر أكتوبر من نفس العام دون أن يعبر إلى فارس ، كما أنّه لم يتمكّن طيلة هذه الفترة من الحصول على أيّة أموال سواء من كبير مسؤولي الخزينة أو من الكابتن نفسه ، فكلاهما كان يتعلّل ويلتمس الأعذار .

لم يتمكّن السّفير بالرّغم من تحليه بالصّبر وتقديم عدّة التماسات ، وتحمّل

خلال ذلك الكثير من الأسى حتّى لا يفسد الأمور ، لم يتمكّن في نهاية الأمر إلا من الحصول على مبلغ اثني عشر ألف "ريس" من الكابتن من دخل مركز الجمارك والرّسوم التي كانت يتمّ استيفاؤها من السّفن القادمة في تلك الفترة من "دابهول" و"بيسين" ومناطق الهند الأخرى .

إذا تمّ اقتسام هذا المال بين الكابتن وبين كبير مسؤولي الخزينة الذي صرّح بأنّه سوف يقوم بتسديد مبلغ كبير من المال المستحقّ الدّفع لصاحب الجلالة .

اعتماداً على ذلك المبلغ ومبلغ آخر بسيط أعطي له في الهند استمرّ السّفير في رحلته ، وفي منتصف شهر نوفمبر وصل إلى شيراز ، حيث قضى الشّتاء هناك ؛ نظراً لعدم تمكّنه من مواصلة رحلته بسبب برودة الطّقس الشّديدة ، إذ كانت البلاد مغطاة بأكملها بالثّلوج . هذا إلى جانب وجود الملك آنذاك في فرح أباد ، وهي منطقة تبعد كثيراً من هناك .

في هذه الرّحلة كان السّفير قد قابل السّيّد "ملشيور دى لوس انجليس" في مدينة "لار" إذ كان في طريقه إلى هرمز وكان بحوزتهم شيئاً قد عهد له بحمله للكابتن (لا علم لي به) وبعدما وصل إلى هرمز توطدت أواصر الصداقة بينه وبين الكابتن ، ومن وقتها ظلّ على ذلك النّحو كما سبق أن ذكرت -الأمر الذي بدا في الآونة الأخيرة مكلفاً وخطيراً بالنّسبة للسّفير .

إذ كان هناك الكثيرون من ناقلي البريد الذين ظلّوا قبيل مغادرته هرمز ، في حركة دائبة دخولاً وخروجاً من هرمز دون معرفة السّرّ في

ذلك بشكل واضح ، إذ لم يُعرف عنهم من شيء سوى أنّهم يأتون ويغادرون بأمر الكابتن والرّهبان "الأوغسطينيين" .

في مارس من العام التالي ١٦١٨م ، غادر سعادة السّفير ، بعدما قضى فترة الشّتاء في الرّاحة والاستجمام ، أما "نيكولاو كارفيلهو" "Nicolao Carvelho" الذي قدّم كمرافق من إسبانيا بصفته المترجم والخبير في البعثة فقد ....

..... (نصّ ناقص)

وفي العام نفسه (١٦١٤م)

وصلت بعثة الملك "فيليب" إلى الشاه عباس بقيادة دوم "جارسيا دا سيلفا" ، بتاريخ عام ١٦١٤م ، وقد ذكر وصفه للمناطق التي تحت يد البرتغاليين وهي أولاً من موزمبيق حتى البحر الأحمر ، وثانياً من البحر الأحمر حتى جاسك بما فيها فارس ، وثالثاً من جاسك إلى الهند : (٢٨)

بيان بالمعلومات التي حملها المبعوث من قبل الملك "فيليبي" ملك قشتالة والبرتغال إلى ملك فارس بقيادة دوم "جارسيا دا سيلفا فيجويرا" كسفير .

١ـ جزيرة موزمبيق وتجارة سواحلها وجزرها ، جزيرة القديس "لورنزو" (مدغشقر) وبعض الأمور الهامّة التي تتعلّق بها ، وسكّان ساحل "كافريرا" وحتّى البحر الأحمر

٢ـ سواحل الجزيرة العربية وفارس من البحر الأحمر حتّى رأس

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

جاسك ، والأهالي الذين يسكنون فيها ، وقلعة مسقط وصحار في مضيق هرمز ، وإنّ كليهما يخصان جلالته .

٣ـ السّواحل التي يحكمها المغول بواسطة مالك وعادل خان ، والقلعة التي على طول تلك المنطقة يملكها جلالته ، وعن أمور هامّة عديدة في تلك السّواحل .

٤ـ السّاحل من "غوا" حتّى "رأس كومورين" "Comorin Cape" ، النّاس الذين يسكنون هناك وحكامهم وقلعة جلالته هناك وحكام الشّمال .

٥ـ شعائر وعادات الهندوس في الهند ، الأشجار وفواكهها .

٦ـ جزيرة ومدينة "غوا" .

٧ـ شبة جزيرة "ساليسيت" والمزيد عن مدينة "غوا" .

٨ـ كيفية مغادرة السّفير لغوا ووصوله إلى "باندل غومبرون" ، أشياء جديرة بالذكر عن جزيرة هرمز .

٩ـ كيفية مغادرة السّفير "لغومبرون" وقبل وصوله إلى "لار" قابل رئيس دير أصفهان مع جثمان الأب الموقّر "جويلهيرم" "Guilherm" ، استقباله في "لار" ومن ثمّ في شيراز ، دوق شيراز ، ولماذا قتل الملك والده .

١٠ـ كيفية مغادرة السّفير لشيراز في طريقه إلى أصفهان وكيف قتل مترجمة خلال الرّحلة ، المدن الثلاث القريبة من مدينة أصفهان وسكّانها .

١١ـ كيف غادر السّفير أصفهان واستقباله في المدن التي عبرها وكيف وصل إلى قرية تسمّى "ألباندا" تبعد مسافة فرسخ من "قزوين" .

١٢ـ كيف استقبل ملك فارس السّفير ، وعن مناسبة أخرى عندما كان يبحث عنه وقابله في الطّريق وإحداثيات الحاضر .

١٣ـ كيف أنّ السّفير والملك بعد أن تقابلا في الطّريق ذهبا إلى حديقة ، الكلمات التي تبادلاها هناك خاصّة الحديث الهام الذي قاله الملك .

١٤ـ كيف غادر السّفير "قزوين" في طريقه للبلاط ، وانتصار الملك على الأتراك .

١٥ـ شعائر وعادات الفرس ، الحكومة وأمور أخرى .

١٦ـ الأسلحة التي يقاتل بها الفرس ، عقوباتهم وأمور أخرى .

١٧ـ بيان عن الشّجار الذي حدث بين رجال السّفير والمسلمين ، كيف تمّ اعداد الاحتفالات لوصول الملك وكيف ترجل هو عند باب السّفير .

١٨ـ دخول السّفراء ، وكيف تمّ الترحيب بهم من قبل الملك ، الهديّة التي بعث بها الملك للسّفير الإسباني ، وكيف طلب الإذن بالمغادرة منه . كيف غادر أصفهان ووصل إلى هرمز ، الاستعدادات التي تمّت في هرمز ووصوله إلى "غوا" .

١٩ـ كيف غادر السّفير "غوا" إلى إسبانيا وعاد مرّة أخرى إلى "غوا" بعد ست شهور بالبحر ، مخاطر عودته وكيف غادر "غوا" مرّة أخرى إلى إسبانيا لكن قبل وصوله كانت مشيئة الرّبّ أن يختاره إلى غواره على مرأى من شاطئ الأزور .

٢٠ـ كيف أنّ سبع سفن أبحرت من خليج قادس وصلت أربعة منها إلى موزمبيق .

٢١ـ كيف أنّ سفينة واحدة أبحرت إلى جزيرة مدغشقر وواصلت

إلى الهند ، عن العون الذي ذهب إلى هرمز وكيف وصل إلى مسقط ، وجد أخباراً هناك وغادر هرمز .

٢٢ـ (الأصل مفقود) .

٢٣ـ "أنطونيو" يشير إلى السّبب في خسارة قلعة قشم والاستيلاء وتحرير "روي فريرا دي أندراد" "Rui Freire de Andrade" .

٢٤ـ كيف قابل الأسطول قارباً كان يأتي بأشخاص من هرمز ويشير إلى ضياعه وأمور أخرى .

التفاصيل :

بعثه لشاه عباس بقيادة دوم "جارسيا دا سيلفا فيجويرا" ، ١٦١٤م ١٦٢٣م .

(٢) سواحل الجزيرة العربية وفارس البحر الأحمر إلى "رأس جاسك" والأهالي الذين يسكنون فيها ، وقلاع مسقط وصحار التي على مضيق هرمز كلاهما من ممتلكات جلالته .

بما أنّنا تحدّثنا عن السّاحل الذي يمتدّ جنوباً من البحر الأحمر فإنّنا سنأتي الآن على ذكر السّاحل الذي يمتدّ نحو الشّمال من هناك وهو السّاحل الممتدّ بطول الجزيرة العربية :

كلّ الأراضي التي هناك ليس عليها ملك إنّما شيخ وهو الذي بسبب أنّ أسلافه كلّهم استمرّوا يحوزون على السّلطة هناك فأصبح يسمّى إمبراطور الجبال عبر مضيق هرمز .

هناك آخر يدعى ملك (كشن) وهو السّيّد على البرّ الرّئيس الذي

يقع في منطقة البحر الأحمر والأبناء الأكبر سنّاً هم الملوك على جزيرة سوقطره ، التي يسكنها مسيحيو القديس "توماس" . هناك أيضاً طوائف منشقّة وأيّ شخص يرغب في تعلّم شعائرهم الغريبة عليه قراءة كتاب كتب عنها وعن مسيحيي (....) والذي قام بتأليفه دوم "فرانسيسكو دي جوفيا" ، أسقف سيرين .

مواصلين عبر ساحل الجزيرة العربية حتّى رأس الحدّ يكاد يكون معظمها عبارة عن صحراء ويسكن في جزير منها بعض العرب الذين ليس لهم ملك وإنّما يخضعون لشيوخ يمثلون دون أي تناقض القول الذي يقول إنّك تساوي بقدر ما تملك ؛ لأنّ الشّيخ اليوم قد يخشى جانبه لأنّه قويّ وصاحب سلطة ويملك كلّ احتياجاته التي تجعله في ذلك الموقع ، وإن تقاعس به الحال غداً وأصبح معدماً لن يخشاه أحد ولن يكون له أيّ اعتبار ، كلّهم مسلمون .

ملابسهم محترمة ومهيبة ، يلبسون رداءً طويلاً مع ما يشبه البلوزة (وزار) يصل حتّى الأرض وأيضاً له أكمام طويلة وواسعة أيضاً ، يغطّون رؤوسهم بعمامات من الكتّان وغطاء رأس من قماش كاللباد (طواقي) ، ويستخدمون أحزمة واسعة حول الوسط ؛ حيث يضعون خناجرهم وخيوطاً من الجلد الأبيض مثبتة على طرف غمد الخنجر ، تشبه الأحزمة الجلدية التي تستخدم في إسبانيا ، وكلّما كانت حزمة الأربطة على عمد الخنجر كبيرة كان ذلك يدلّ على أهميّة الرّجل .

يلبسون سيوفاً عريضة ومقوسة نوعاً ما وتتدلّى من حزام السيف وحتّى الذين يبيعون سيوفاً عريضة ومقوسة نوعاً ما فهي تتدلّى من

حزام السيف وحتّى الذين يبيعون الفاكهة معهم سيوف أيضاً ، كما يحملون عصا طويلة أيضاً وعندما يحيّون شخصاً ما فإنّهم يحنون أحد طرفيها إلى الأسفل ونفس الشّيء مع الرّمح .

معظمهم يتمتّعون بمزاج رائع ، منازلهم من ناحية عامّة تتكوّن من أربعة جذوع من أشجار النّخيل ومغطاة حتّى يجلسوا تحت ظلها .

يعرف البعض منهم بالبدو ولا يوجد لأولئك أيّ مساكن أو مقرّ إنّما دائماً هم في تحرّك مستمرّ على ظهور جمالهم يجوبون مختلف المناطق وينهبون أسلحتهم عبارة عن رماح وسيوف مقوّسة ، يسيرون عراة الرّأس ولهم شعر طويل في شكل خصل وضفائر عديدة .

طعامهم العادي عبارة عن سمك غير مطبوخ مع البلح المسحوق مع الزبدة .

بعض النّساء بيض لون البشرة وقبيحات ولهن جميعاً نفس غطاء الرّأس الذي تلبسه نساء الفلاحين في "Estremadura" كما يلبسن جاكيتات واسعة وسراويل واسعة أيضاً تصل حتّى كاحل القدم .

متّجهاً من رأس الحدّ إلى داخل المضيق توجد قلعة وبلده صغيرة تخصّ جلالته وهي قويّة ومنيعة جدّاً لأنّها مشيّدة على جرف صخريّ عالي يقع في نهاية سلسلة جبال وعرة وكأنّها جدار عال شيّدته الطّبيعة لحراسة مدينة مسقط لأنّ ذلك كان اسمها من جميع النّواحي تاركاً فقط ثلاثة ممرّات للاتّصال بالمدن المجاورة .

مسقط مدينة صغيرة تسكنها قلة من البرتغاليين وبعض الهندوس

والمسلمين واليهود . جميع السّكّان باستثناء البرتغاليين يتنقلون إلى البرّ الداخلي نحو الأودية الباردة تحت ظلّ سلسلة الجبال الوعرة والجافة بالجزيرة العربية ليجمعوا التّمر لغذائهم وللتّكسّب من بيعه ومن ثمّ تصبح المدينة مهجورة طوال المدّة التي يتمّ فيها جني المحصول ، كما ينتجون أيضاً العطور (والعنب) .

يوجد في مسقط دير "أوغسطيني" أسقفه هو كان حارس وكاهن الأبرشية . أيضاً لها ميناء ممتاز بالرّغم من أنّه لا يستقبل العديد من السّفن إلا أنّه آمن جدّاً من غزو الأعداء ؛ لأن في جانب منه يعدّ محروساً بواسطة قلعة وحصن وفي جانب آخر بحصن آخر غير قابل للاختراق أكثر من القلعة نفسها لأنّه يقع على صخره شديدة الانحدار تفصلها عن السلاسل الجبلية ويتمّ الوصول إليها عبر برزخ منبسط ضيق .

يوجد بين القلعة والجبال فتحة واسعة وهي أيضاً تحميها القلعة لأنّها تمثل مرسى مناسباً للسّفن الصّغيرة .

ليس فقط بسبب ذلك أقول إنّ مسقط لا تحتاج لدفاعات أرضية من ذلك الجانب .

بعيداً نحو المضيق وعلى طول ساحل الجزيرة العربية يمكن للمرء أن يرى أطول وأوسع شاطئ تمتدّ فيه مياه المحيط ، على بعد ثلاثين فرسخاً من مسقط توجد قلعة في مكان يدعى صحار الذي كان قد استولى عليه من العرب دون "فاسكو دا جاما" "Vasco da Gama" الذي أصبح فيما بعد حاكماً لهرمز والتي فقدت فيما بعد ثمّ أعيد الاستيلاء عليها مرّة أخرى .

في الوقت الذي غادرت فيه الهند كانت قد استعيدت مرّة أخرى لصالح جلالته من سلطة الفرس والعرب بواسطة القائد "روي فيريرا دي أندراد" لكن على حساب أرواح الضبّاط الشجعان والأبطال ، "جواو دي سوزا" "Joao de Susa" والـ"Portocarrero" الطيّب وضبّاط آخرين شجعان وجنود هاجموا بكلّ جدارة كما كان يتوقّع منهم قتلوا برصاص الأعداء دفاعاً عن ملكهم ودينهم .

عندما استولى دوم "فاسكو دي جاما" على القلعة وكلّ مباني العرب والفرس كانت القلعة دائرية في شكلها من قوالب ضخمة من الطوب ، فيما بعد عندما أصبح "جواو دي سوزا" قائداً هناك قام ببناء امتداد للسّور نحو الوسط حتّى يتمّ الدّفاع عنها برجال أقلّ ، لكن عندما استولى عليها العرب والفرس مرّة أخرى قاموا بتقويتها وشيّدوا حصناً صغيراً في منتصفها ، وكانت على تلك الحالة عندما أعاد الاستيلاء عليها "روي فرير دي اندراد" واستسلم الأعداء له .

على مسافة ستة فراسخ حول قلعة صحار وجد الكثير من الطوب مدفوناً في أماكن عديدة ، وعلى منطقة مساحتها ثلاثة فراسخ وجدت في كلّ مكان معالم تكشف على أنّ الشّاطئ والرّيف كانت عبارة عن مدينة عظيمة تذكر آثارها بقدمها والتي كانت مختفية .

كل البرّ الرّئيس والسّاحل في صحار إلى داخل المضيق يقطنه العرب وحتّى نهايتها ؛ حيث يلتقي البحر بالنّهر دجلة بعد أن يلتقي بالفرات حيث يختفي اسمه عند تلك النقطة .

تستجيب البصرة لكلّ أمر يرسله عظيم التّرك للباشوات ونواب

الملك الذين يحكمونها وهي تخضع لباشا لن يجعلهم يدخلونها مع أيّ تجمع ، والباشا الذي بعث كونه وحيداً فقد سمح له بالدّخول .

الباشا الحالي يطيعه كلّ الأتراك كونه يمثل نائباً للملك ، كما تفعل نفس الشّيء حامية الأتراك التي معه والتي يؤدّي أجورها منذ أن بعث إلى هناك كنائب للملك ، لكن عند نهاية الثلاث سنوات من فترة حكمه أرسل عظيم التّرك خليفه له ، واستقبله بالطّريقة التي وصفتها ، وقام بذلك مع كلّ الذين تمّ ابتعاثهم قائلاً إنّه أحد أتباع عظيم التّرك وإنّه في تلك القلعة لأنّه يعلم أنّ ذلك أمراً له أهمّيته لخدمة جلالته الملكية ، وبتلك الطّريقة فإنّه يخفي طموحه ومسايرته الأتراك .

عائداً عبر السّاحل الآخر الذي يخص فارس وتحت سيطرة الملك الفارسي فهناك توجد بعض الجزر بين الاثنين ، البحرين الغنيّة التي تؤدي جزية تتألّف من لؤلؤ غالي الثمن للفرس وجواهر لسيدها السّابق ملك هرمز . جزيرة "كمزار" "Kumzar" التي في (La Azecal) مليئة بحيوانات الصيد لكنّها خالية من البشر .

أما قشم وهرمز فكليهما قد فقدا لكن هناك الأمل في الاستعادة والاستيلاء عليهما من سلطة شاه عباس ملك الفرس الذي يمتلكهما وقد استولى عليهما بمساعدة الإنجليز والهولنديين وبإهمال من القائد في هرمز في ذلك الحين . قبل القلعتين اللتين في قشم وهرمز استولى نفس الملك على أخرى كانت تخصّ جلالته في البرّ الرّئيس وتسمّى "بندل غومبرون" .

كل السّاحل من هنا وإلى الأمام يقع تحت سلطة ويمتثل لملك فارس

وحتّى "جاسك" ، ومن الموقع الذي شنّ فيه الضّابط الشّجاع "روي فيريرا" معركته البحرية الأولى ضدّ الأعداء من أوروبا .

يوجد بعض القراصنة على هذا السّاحل الذين يسمون "Nodhaki" وهم أتباع لملك فارس ، ويمكنهم حشد ما بين خمسمائة إلى ستّمائة زورق وهي خفيفة وآمنة وسريعة وتبحر عن طرق أشرعة ثلاثية الشّكل كبيرة الحجم ، كما أنّ لها عدداً من مجاذيف يبلغ اثني عشر أو خمسة عشر مجذافاً في كلّ جانب . القرصان Nodhaki أبيض البشرة متناسق الجسم ويرتدي ملابس على الطّريقة الفارسية لكن له لحية كبيرة وعديم الخجل .

(٨) * كيفية مغادرة السّفير لغوا ووصوله إلى "بندل غومبرون" وأشياء تستحقّ الذكر في جزيرة هرمز*

غادر السّفير دون "جارسيا دا سيلفا فيجويرا" خليج "غوا" على ظهر مركب أبحر في رياح هادئة ومعتدلة ، وبعد تسعة عشر يوماً أبعد أرض بلاد العرب ؛ ماراًّ بطول السّاحل وحتّى رأس الحدّ عندما دخل إلى المضيق تحت ظلال تلك السّلسلة من الجبال ذات القمم السّوداء والتي يرتفع بعضها إلى علو شاهق حتّى ليظنّ من ليس له معرفة بها أنّها كانت سحباً سوداء .

وصل "دوم غارسيا" إلى ميناء مسقط وولجها ليلاً قريباً جدّاً من بعض الصّخور التي تكاد تلامس صواري الأشرعة حتّى إنّ بعض من بداخل تلك الزّوارق ظنّوا أنّها أبنية . دخلوها بقليل من البهجة بالرّغم من أنّ الرّحلة حتّى ذلك الوقت لم يمض عليها سوى ثلاثين يوماً في طقس جيّد لكنّهم افتقدوا فيها أمن الأرض .

ظلّوا هناك لثلاثة أيّام توجّهوا بعد انقضائها إلى هرمز ؛ حيث وصلوا إليها بعد ثمانية أيّام في الأوّل من مايو من العام ١٦١٧م . حالما رسا الزورق ووصلت الفلوكة (سفينة القائد) .

الخاصّة وكذلك أخرى مع كبير خدم الملك وبعض الرّهبان "الأوغسطينين" ، ولأنّ السّفير رغب في الذّهاب إلى الشّاطئ في تلك السّفينة الصّغيرة التي تخصّ القائد فإنّ كبير الخدم والرّهبان انتقلوا إليها من التي كانوا على ظهرها .

استقرّ المقام بالسّفير في الدير "الأوغسطيني" ، وبعد أن قام القائد بزيارته غادر عن طريق البحر ليرى القلعة .

كانت الحامية تصطفّ على الجانبين من الطّريق الذي يبدأ من منصّة الوقوف وحتّى غرفة الحراسة ، وبينما هو في طريقه للشّاطئ أطلق رجال الحامية نيران بنادقهم تحيّة له ثمّ حيّته القلعة بالكثير من طلقات المدافع حتّى إنّ الجزيرة كادت أن تهتزّ .

في البوابة الأولى قوبل السّفير بكلّ ضبّاط فرقة المشاة وعمدة القلعة ، وفي البوابة الثانية من قبل قائد القلعة ، الذي جمع هناك مجموعة من الأعيان وسادة هرمز ، ذهبوا جميعاً عند باب مقرّ إقامة القائد الذي لجأ إليه هو والسّفير .

يبلغ محيط جزيرة هرمز ثلاثة فراسخ وهي الأغنى والأكثر شهرة في العالم . تلالها جافة وكلها عبارة عن كبريت وملح ، وبسبب ذلك لها ألوان مختلفة ، بما أنّ القمم كلّها من الملح فهي تزداد في حجمها وعلوها مع الزمن .

تتكوّن السّهول من الكبريت والأنهر الصّغيرة التي تجري عبرها ذات مياه مالحة وتغطيها طبقة من الملح وفي الجبال الباردة في فصل الشّتاء تتدلّى منها كتل جليدية .

الجزيرة ذات حجم متوسط لكن لها مظهر يدلّ على كبرها وتبدو أكثر روعة حتّى إنّ القلعة تعكس نفس الصّورة .

يتكون سكّانها من المسيحيين ، الهندوس ، المسلمين والهنود وهناك خمسون ألفاً من السّكّان على الجزيرة .

أحد الجنود الظّرفاء اعتاد القول إنّ هرمز لها أربعة أيّام آحاد ؛ لأنّ المسلمين يحتفلون في يوم الجمعة واليهود في يوم السبت والهندوس يمجدون يوم الاثنين .

منازل السّادة رائعة جدّاً وتلك التي تخصّ الملك وأقربائه ورئيس الوزراء وأيضاً منزل أمين صندوق الخزينة التي بالرّغم من أنّها شيّدت على النّمط الإسلامي إلا أنّها مساكن ملكية . لا يوجد قرميد على الأسطح لعدم وجود القرميد لكنّها مسطحة ومن على سطح أيّ منها يمكن السّير عليها جميعاً والعبور منها لأخرى ؛ لأن الشّوارع على قناطر مقوسة وهي ضيقة جدّاً ويمكن للمرء أن يقفز من سطح لآخر دون مشقّة .

في ليالي الصّيف فإنّ الأسطح تتحوّل إلى غرف للنّوم لشدّة الحرارة ويصبح النّوم على الأسطح المرتفعة مع ملاءات مبلّلة يقلّل من شدّة الحرّ . هناك ليال تكون فيها الحرارة غاية في الشدّة حتّى إنّ أي شخص يصل إلى البلاد دون أن يعلم بتأثير تلك الحرارة سيصاب بالإحباط من ذلك العذاب .

للغرف وغرف النوم منافذ تشبه المدفأة ، منصوبة على الأركان ومفتوحة الجوانب لدخول الهواء لتبريد الغرف "براجيل" ، لكن في بعض الأيّام تهبّ رياح يسمّونها كوشي /Cauxi) شديدة الحرارة وتؤثّر على المعادن حتّى يصعب لمسها باليد ، والعلاج لتفادي تلك الحرارة التي تحملها تلك الرّياح هي أن يغطي ويلف الشّخص نفسه بالملابس .

لها فائدة أخرى حيث إنّها من شدّة حرارتها تبرد المياه ممّا يسبّب انفراجاً قليلاً من تلك المعاناة وأيضاً مع وصول الفواكه التي تأتي من فارس ، مثل العنب والبطيخ والشّمام وغيرها .

لا شكّ أنّ الأمر رائع بالرّغم من أنّ هذه الجزيرة جافّة جدّاً ولا تنتج أيّ شيء لإعاشة النّاس فإنّها غنيّة حتّى إنّ فترة الثلاثة السّنوات مدّة الرّئاسة فيها تستحقّ ما مقداره ثلاثمائة ألف دوكات (ducats) .

سفينة تجارية واحدة من "دابهول" قد تأتي بأربعين ألف دوكات لدائرة جمارك جلالته ، ومن الممكن أن تكون قد أخفت الكثير أيضاً ، وهذا يعطي فكرة عن نوعية السّوق والتّجارة التي كانت في هرمز .

هناك الكثير من الأشياء التي يمكن ملاحظتها عن هذه الجزيرة الصّغيرة التي لا ماء فيها والتي وصف جفافها وموقعها جيّداً من قبل شاعر لوسيتاني عندما قال (إنّها كهيكل لمدينة أخرى) وهذا هو ما يبدو عليها في الحقيقة .

هناك قول في المضيق بأنّ الشّخص ذاهب إلى أرض الملح ؛ لأن الجزيرة وأسوار مدينة هرمز كلّها شيّدت من الملح والشّخص يذهب للبحر من أجل المياه العذبة في منطقة توجد فيها ينابيع للمياه العذبة ، وتلك يؤتى بها

بواسطة البحّارة الذين يغطسون داخل البحر وعند وصولهم للقاع ؛ حيث الينابيع يفتحون فتحة في الوعاء الجلدي (القرب) ويملؤنه بالماء ثمّ يربطونها حتّى لا تدخل المياه المالحة داخلها عند صعودهم ، وبهذه الطّريقة يحصلون على المياه العذبة .

يبحثون أيضاً عن الحطب في البحر من الأشجار التي تنمو على الشّاطئ تحت سلسلة الجبال وأيضاً الحجارة التي يبنون بها موجودة في البحر ، ويقال إنّ الرّجال ينامون وهم مدفونون في التّراب وقد وصف ذلك تماماً ، وإنّ النّساء يدفن أنفسهن بين القوارب . يلاحظ أيضاً أنّه وحتّى بعدم وجود الماء في جزيرة هرمز فهناك توجد غزلان وأرانب .

عندما استقرّ السّفير المبعوث في مسكنه ذهب لملك هرمز ليزوره مع العديد من المرافقين المسلمين وبعض المسيحيين ، وقد قام السّفير فيما بعد برد الزّيارة .

بالرّغم من أنّ لغة ملك هرمز كانت الفارسية إلا أنّه كان عربيّاً ، وكان في السّابق حاكماً وسيّداً لمناطق واسعة لكن في الوقت الذي وصل فيه السّفير إلى هرمز كان قليلون تحت طاعته وسلطته ، كان تابعاً لجلالته ولم يكن يستطيع مغادرة الجزيرة دون أمر من القائد وحاكم هرمز ، عندما ذهب للقلعة كان الضّابط ملزماً الإمساك بركاب فرسه عندما يصعد أو ينزل من على ظهر غواده .

التّرفيه العادي للملك كان الذّهاب إلى بعض الحقول ، وهناك مع رئيس وزرائه وأبناء إخوته وبعض المقرّبين إليه يسلّي نفسه بلعب البولو من على ظهر الخيل ، وعندما يذهب القائد يلعبون ضدّ بعضهم البعض .

عندما خرج القائد كان عليه أوّلاً أن يطلق مدفعاً من القلعة ليستدعي المواطنين لمرافقته ، ولذلك رحل مع مجموعة كبيرة من المرافقين والحراس والمواطنين .

كان المبعوث في هرمز من مايو وحتّى سبتمبر ، بعد أن تمّ إعداد الخيام والأشياء الضّروريّة الأخرى للرّحلة ، عبر الخمسة فراسخ من الجزيرة وحتّى البرّ الرّئيس على ظهر سفينة شراعية . كانت الخيام قد أعدت ووضعت هناك بالقرب من أطلال قلعة كان قد استولى عليها الشاه قبل عامين ، ومقابل قلعة أخرى كانت قد شيّدت بعيداً عن البحر ؛ حيث يعيش السّلطان أو الحاكم لتلك المناطق .

عندما نزل السّفير عن ظهر السّفينة ذهب السّلطان إلى الشّاطئ لاستقباله يرافقه حرس جيّد من حاملي الأسلحة النّارية ، وبعد الترحيب به ذهب معه إلى الخيام وقضى بعض الوقت معه قبل أن يعود السّلطان إلى قلعته ، ومن ثمّ أصدر مرسوماً للجميع بعدم بيع أي من الأشياء الضّروريّة للسّفير أو رجاله ، لكن يجب أن يقدّم له كلّ شيء على نفقة السّلطان .

ذهب في اليوم التّالي أيضاً لرؤية السّفير وقال إنّه من الضّروريّ تأجيل المغادرة لأربعة أو خمسة أيّام حتّى يتمّ تجميع الأمتعة والجمال المطلوبة .

عندما تمّ تجميع كلّ شيء بدأت الرّحلة بالطّريقة التالية :

(٩) * كيفية مغادرة السّفير "لغومبرون" ، وقبل وصوله إلى "لار" قابل كبير أساقفة أصفهان ومعه المبجل الأب

"جولهـيرم" ، استقبالـه في "لار" ومـن ثمّ في شـيراز ، ومن هو دوق شيراز؟ والسّبب الذي جعل الملك يقتل والده*

بعد أربعة أيّام من الرسوّ بالميناء غادر السّفير قلعة "باندر" ، سافر في محفة حملها جملان وفي الممرّات الوعرة كان يحمل في نقالة يحملها ثمانية رجال وهناك رجل يقود فرساً أمام المحفة ، الـ chatirs رجال مشاة وهم الرّسل الذين يتقدّمون الأشخاص المهيبين ، البعض منهم في فارس سريعون جدّاً حتّى إنّهم يستطيعون قطع مسافة ، قدرها ثلاثون فرسخاً في اليوم .

بقيّة الإسبان سافروا على ظهور الخيل وعلى ظهورها كانت سروجاً فارسية مع مساند على النّمط الإسباني ، كان هناك حوالي الأربعين منهم بما فيهم الرّهبان "الأوغسطينين" الاثنين ، ومعهم كاهن وعبيد وخدم وأصحاب حرف مثل الغسالين الخبازيين ، الترزيه ، صانعي الأحذية والحلاقين وآخرين كانوا في ذلك الوقت ضمن مجموعة السّفير ، ويبلغ عددهم حوالي المائة شخص .

حملت أربعمائة جمل الأمتعة من الملابس والهدايا من جلالته بالإضافة لأمتعة أخرى كانت في طريقها إلى "لار" على ظهور الأفراس ومن ثمّ على البغال .

بدأت الرّحلة في تمام السّاعة الرّابعة بعد الظّهر في الثامن من أكتوبر ، لأنّ هذا هو اليوم الأوّل للرّحلة مثل كلّ الأيّام الأخرى فقد تمّ ذلك في المساء .

وصل السّفير في السّاعة الثانية عشرة إلى قرية خارج مدينة "لار"

وقد نصبت الخيام خلال اللّيل في الرّيف الذي يقع حول المدينة وسط أكثر من ألف وخمسمائة صهريج وهي الطّريقة التي يستخدمونها للاحتفاظ بالمياه وتفادي النّقص فيها .

القرية التي توقّف عندها السّفير تبعد مسافة فرسخ واحد من المدينة ، بينما هو هناك وصل الأب "ميلشيور دي لوس أنجليس" كبير أساقفة دير أصفهان من "فيراباد" جالباً معه إمدادات للرحلة من ملك فارس ، كما أحضر أيضاً بطريقة سرّيّة جثة الأب الجليل "جويلهيرم" الرّاهب الذي ذهب يبحث عن الجثامين المجيدة للقديسين في جبال أرمينيا .

بينما كان يعمل هناك ليجد تلك البقايا الأثرية المقدسة نال الشّهادة من الجلالة الإلهية ، وقد أحضر جثمانه بينما كانت روحه تستمتع بالمجد ، وحتّى يصبح جثمانه أثراً مقدّساً لا يغطّيه التّراب النّجس وتضمّه الأرض الكافرة . ، لكن سيؤخذ إلى دير أخويته المقدّسة في "غوا" ، لتشريفه وشفاعة المسيحيين .

الأب الجليل أحضر أيضاً معه فتاتين جورجيتين تلبسان الملابس الرّجالية ؛ حيث إنّهن في هذا التّنكّر لهنّ الحرّيّة في نكث العهد ، بما أنّهن جميلات ويسلبن العقول في مملكة فارس فإنّ سوء حظ الجثمان سيتبع عار الرّوح إذا ما تزوجنهن رجال مهمّون من الفرس .

غادر السّفير القرية في طلوع النّهار وقابل في الحال سلطان "لار" الذي كان في مجموعة كبيرة ، بعضهم راكباً والبعض الآخر راجلاً ، ورقص فريق الأطفال والنّساء الذين رافقوه إلى الخيام .

بعد قضاء نصف ساعة في محادثات تشريفية لطيفة مع السّفير

عاد مرّة أخرى إلى المدينة ، تاركاً مندوباً في المعسكر ظلّ مع السّفير كلّ الوقت الذي قضاه في "لار" وزوّده بكميات كبيرة من كلّ شيء يحتاجه ، حتّى لا يعاني من أيّ نقص في أيّ شيء . أكيد أنّ الكثير من الطعام قد ترك حتّى تمّ تزويد بعض الفقراء منه في القرى المجاورة والذين جاءوا إلى المعسكر .

قبل مغادرة السّفير قدّم له السّلطان هديّة عبارة عن حصان ، وكان هو الخيل الثالث الذي تلقّاه كهديّة ، إحداها جاء من حاكم "باندار" والآخر من حاكم "جيهون" ، وهي مدينة في منتصف الطّريق إلى "لار" وهذا الأخير من حاكم "لار" .

جاء قائد القلعة وحامية "لار" أيضاً إلى المعسكر لزيارة السّفير ، وقام السّفير بزيارة القلعة ليرى كيف هي وأيضاً لردّ الزّيارة .

بالرّغم من أنّ "لار" كانت بطريقة ما خاضعة لملك فارس إلا أنّها كانت مملكة مستقلّة ، لكن بسبب بعض الشّكاوي التي قدمها بعض الإيطاليين للشاه عباس ، قام ملك فارس بشنّ حرب على ملك "لار" واستولى على المملكة منه وأعطاها لخان شيراز والد الخان الذي على رأسها الآن .

للدّفاع عنها قام ببناء القلعة التي تقع الآن أعلى المدينة والتي يحتفظ فيها بحامية من الفرس أو الأتراك والتي يسمّي الفرس فيها أنفسهم : رعايا عظيم التّرك ويعرفون بـ "Rumis" (الروم) .

لذلك خان شيراز هو سيّد مملكة "لار" وكلّ الحكّام فيها يطيعونه وهو يصدر أوامره .

لكلّ منطقة ساحل البحر الذي يبلغ طوله مائتي فرسخ وقد غطى السّفير مائة فرسخ في البرّ الرّئيس من مقاطعته .

الخان الحالي أو الدوق ، الذي يعادل في منصبه ورتبته الخان ، يسمّى الإمام كولي خان . كان اسم والده الله فيردي خان الذي كان جورجياً وابناً لأب مسيحي ، اشتراه الملك في حداد ووجد أنّه يتمتّع بقدره جيّدة ممّا جعل منه ضابطاً على مائة من الرّجال ومن ثمّ ارتقى درجة بدرجة ليصبح جنرالاً في الوقت الذي ثار فيه دوق شيراز ضدّ الملك .

"فيردي بيك" كما كان يعرف حينها بعث ليتعامل مع هذا الأمر ، وعندما هزم الدّوق الخائن وتمّ أسره قام الملك بمنح الجنرال "فيردي بيك" دوقية شيراز ومعها لقب خاني خانان الذي يعني الدّوق العظيم .

كان الدّوق مفيداً جدّاً للملك والمملكة في الحرب وفي السّلم وقد كسب العديد من المعارك جراء شجاعته وبسالته وحنكته ، وأفضل الأعمال العامة التي تمّت في المملكة كانت نتاج صناعته وتخطيطه مثل جسر أصفهان وحدائق "شاهار باغ" "Chahar Bagh" .

هزم مملكة "لار" وبها الكثير من الكنوز ، وقد أحبّه ملك فارس كثيراً حتّى إنّه كان يناديه فقط بـ "ابتاه" لكن بالرّغم من حبّه الشّديد له إلا أنّ حبّه للفتاة الجورجية وغضبه من قناعته بأنّه لا يطاع كانت أقوى وتلك الأسباب كلّها لها التّأثير التالي فيما بعد .

من بين العديد من النّساء الأسرى اللاتي أخذن أثناء الحرب ضدّ الجورجيين وقدمن للملك كانت هناك واحدة أحس تجاهها بعاطفة كانت هي المفضّلة عنده من بينهن جميعاً .

دخل الملك في يوم من الأيّام إلى سكن الحريم ؛ حيث تعيش زوجاته ومحظياته ، اللائي يقال إنّ عددهنّ يبلغ الخمسة آلاف ووجدها في غاية الحزن للدّرجة التي جعلته يضغط عليها لتخبره عن السّبب لحزنها . شجّعها إصراره الشّديد وبكثير من الدّموع أجابته بأنّ حزنها يمكن فقط أن يتحوّل إلى سعادة إذا تمكّنت من شقيقتها التي كانت أسيرة في مملكته .

قام الملك بتحقيقات كثيرة ووجد أنّ الأسيرة خادم تحت سلطة دوق شيراز فطلبها منه ، وعندما رفض ذلك الطّلب أمر بأن يتمّ البحث وسط حريم الدّوق وعندما لم يعثر عليها دفعه حبّه لشقيقتها بأن يسمّم الدّوق في وليمة جمعته معه ، أدرك الرّجل العجوز بذلك وهو يشعر بروحه تفارق جسده قال تلك الكلمات للملك قبل وفاته :

"أيها الملك والسيد ، أيّها الابن المحبوب ، أعلن أنّ أيّامي قد انقضت وليس معي ما أتركه لك في وصيتي ، أيّها الابن العزيز ، سوى عبدين متواضعين ، وهما أبناء أسيرك المخلص ، لذلك يا ملكي وسيّدي أترك لك هذين الابنين ليصبحا عبيداً لك ، وبما أنّني والدهما فهما محظوظان كونهما عبدين لك .

اغرورقت عينا الدّوق بزخم من الدّموع ممّا أثار عاطفته وحتّى الملك بكى أيضاً ، ووعده بأن يكون لولديه دائماً الاعتبار الذي يستحقّانه لنبل وشجاعة وإخلاص والدهما ، وقام بضمّه إليه يخالجه الكثير من الأسى والأسف عليه ، ومن ثمّ غادر .

أحسّ بقرب نهايته فقام الدّوق بطلب أبنائه وأخبر أكبرهما أين يجد

الخادمة التي كان الملك يسأل عنها ، وأمر بأن تسلّم له قائلاً بما أنّها كانت السّبب في موته فلربّما تكون في يوم ما السّبب في موت ابنه ، ثمّ تُوفي الدّوق العجوز ، وعندما ذهب ابنه وقدّم الخادمة للملك منحه دوقيه شيراز التي يحكمها الآن ، وهو حالياً الإمام جولي خان .

أمّا للابن الأصغر الذي يدعى داوود ، فقد منحه مملكة "لار" ، ولقب الدّوق ، وهو شاب في مقتبل العمر يبلغ العشرينات ، كان شخصاً لا بأس به وضابطاً شجاعاً لكنّه كثير الغرور حتّى إنّ الملك اعتقد أنّه يملك روحاً ومعنويات أكثر ممّا هو مطلوب في شخص شاب وضع في مملكة حديثة العهد .

لذلك لم يسمح له بالبقاء بعيداً عنه ، وشقيقه أيضاً دوق شيراز حكم "لار" ، وهو رجل معتدل يحبّ العيش في أجواء رفيعة ، وبما أنّ المملكة كانت تثق فيه فقد سمح له بزيارة البلاد في أشهر الصّيف ، ما عدا الأوقات التي يكون فيها أيّ تهديد بالحرب ، لكن في الوقت الذي وصل فيه السّفير كان الدّوق مع الملك .

غادر السّفير "لار" سالكاً في طريق الرّحلة عبر المدن والقرى حتّى وصل إلى "كابريستان" "Cabristan" التي قدم له حاكمها هديّة عبارة عن حصان ، وبعد مدّة بلغت اثني عشر يوماً وصل عند حلول الظلام إلى موقع يبعد مسيرة يوم واحد من شيراز ؛ حيث بعث بإسباني في مجموعته برفقة مترجم ليطلع حاكم ولاية شيراز بخبر وصوله وليجد له مسكناً في المدينة لقضاء الشّتاء الذي كان على وشك أن يحل .

ذهب في اليوم التالي إلى قرية على بعد فرسخ من شيراز لينتظر

الجواب . الإسباني والمترجم وصلا شيراز وذهبا ليتحدّثا مع الحاكم الذي كان يدعى "فيردي بيك" ، الذي كان الرّجل الذي أصبح جنرالاً ضدّنا عندما تمّ الاستيلاء على قلعة "باندار" .

استقبل الإسباني بالكثير من مظاهر الصداقة والودّ والكياسة ، وبعد أن سأل عن صحّة السّفير وتبادل معه بعض الأسئلة والإجابات والتي كان بعضها عن وفاة المترجم ، وقام حاكم الولاية بالنّظر نحو حاكم مدينة شيراز الذي كان حاضراً وأخبره بما أنّه رجلٌ شابٌ فإنّ عليه تقديم سبل الضّيافة للشاب الإسباني .

أجاب حاكم المدينة بقبول تلك المكرمة التي منحه له سيادته حتّى وإن كان عليه معاناة الإحساس بالحرج بسبب القليل من الثّراء والنّعم التي سيقدّمها لضيفه خاصّة وأنّه أسباني الجنسية والإسبان من الصّعب إرضاءهم .

أجاب الإسباني بطريقة فظّه أكثر منها مهذّبة بأنّ الإسبان يستطيعون النوم على السّيف ولا يحتاجون إلى طعام .

أجاب المسلم : "يقال ، أيها السّيّد الإسباني ، إنّ النوايا الطبيعية تغني عن النقائض" واستأذن من حاكم الولاية

غادر الرّجلان وامتطيا غواديهما والكثير من الخدم والسّادة في رفقة حاكم المدينة ، راكبين عبر بعض الشّوارع حتّى يجعل من الرّحلة أطول ممّا يجب وصلا إلى منزله ، وعندما ترجّلا رحبّ بضيفه كثيراً وكأنّه يراه للمرّة الأولى .

دخل هو السّادة الذين معه إلى المنزل وجلسوا في غرفة طليت جدرانها بأشكال من أوراق النبات وتمّ تبريدها ببركة من المياه في وسطها تحيط بها قوارير من الخمر وأطباق من الخضروات والجبن وأشياء أخرى ، ولبث المزيد من الحياة على المناسبة جاء موسيقيون مع آلاتهم وست من الفتيات للرقص ، وبذلك كان التّرفيه الذي استمرّ طيلة الوليمة التي انتهت في السّاعة الثانية عشرة ليلاً .

كانت عيون الحاكم قد غطّاها النّعاس فطلب صقراً وُضع على ذراعه وطلب الإذن بالمغادرة من أمير "لازجيس" الذي كان هناك كأسير وكان ضيفه .

عند طلوع النّهار أسرجت الخيول وذهبوا للبحث عن منازل .

أعجب الإسباني ببعض المساكن التي كانت تخصّ الملك والتي كانت داخل حديقة ما ، وقال الحاكم إنّه لا يستطيع إعطاءها له ، ولن يستطيع منعه من السّكن فيها .

عندما تلقّى السّفير تلك المعلومات قام بإرسال الأمتعة والأحمال التي تحتوي على الهدايا ، لكن دخوله إليها تأجّل لثلاثة أيّام حتّى تتمّ الاستعدادات الكافية لاستقباله .

*** الاستقبال في مدينة شيراز ***

في رفقته حشد كبير من راكبي الخيول ومن المشاة ذهب حاكم الولاية لاستقبال السّفير في وجود العديد من الرّاقصين على اختلاف أشكالهم على طول الطّريق ، ليس فقط من طلب منهم الذّهاب بل مع آخرين جاءوا من أنفسهم وبرغبتهم .

كانوا جميعاً في شارع واسع يؤدّي من المدينة إلى منزل الملك والحدائق . عندما استقرّ بهم المقام بدأت بعض المنافسات والألعاب وسباقات الخيول والمصارعة بين الرّجال وأشكال مختلفة من التّرفيه قام بها سكّان شيراز طيلة اليوم وبعضاً من اللّيل .

كان الشّارع العام منظراً يستحقّ المشاهدة وبطول نصف فرسخ وباتّساع مضمار سباق ممتلئ بالنّاس ، إمّا عليهم معاطف سوداء أو لابسون نوعيات من الملابس الملوّنة ، بعض الرّجال على أقدامهم وآخرون على ظهور الخيل مشاركين في أحداث ترفيهيّة مختلفة والكلّ سعيد ومبتهج احتفالاً بوصول السّفير .

*** أسلوب السّفر في مملكة فارس ***

حتّى لا نعالج الأمر بطريقة فردية بخصوص البلدات والقرى التي مر بها السّفير فإنّ المدن فقط التي وجد فيها الإقامة والطّعام من الضّروريّ وصفها وكيفية إعدادها ، ونبدأ بسلطان "باندار" كأوّل حدث : تلقى هذا الرّجل أوامر من حاكم ولاية شيراز وعليه أصدر أوامره تلك بأن تقدم كلّ الأشياء الضّروريّة وتمنح للسّفير على نفقته الخاصّة .

عندما تمّ إعداد كلّ شيء بعث بأحد الوجهاء لمرافقة السّفير حتّى مدينة "لار" مع خدم يرافقون قافلة الجمال وآخرين في المقدمة لإعداد الأمور الضّروريّة في المكان الذي سيتمّ التوقّف فيه .

في الأيّام التي لا يسافرون فيها كانوا يقيمون في خان أو نزل وهي مباني حصينة مع إسطبلات كبيرة والعديد من الغرف حول الباحة ، تمّ توفيرها لاستضافة المسافرين في مملكة فارس .

عندما لا يتواجد مسافرون كانت الخيام تنصب ويذهب خدم المرشدين للقرى المجاورة ويلزمون العمد ووكلاء القصور والإقطاع بأن يبعثوا للمكان الذي يتواجد فيه السّفير كلّ ما هو مطلوب .

كان سلطان وحاكم "لار" يوفرون دواباً بحالة جيّدة ومرشدين جدد ومرافقين في المخيم لإدارته مع سلطات كبرى عن الأوّل ومعهم نسخة من تعليمات الملك التي سلّمها لهم .. ليس فقط سلطة شاملة لتلزم وتحلّ ، ولكن أيضاً لتعاقب ولتحكم بالإعدام إمّا عن طريق أيدي وكلاء أو بأيديهم شخصياً .

بهذا التّرتيب والإعداد ارتحل السّفير من "باندار" إلى شيراز وإلى المنزل حيث سكن والذي كان رائعاً بحيث يجب التّحدّث عنه .

بالرّغم من أنّ الطّريق الذي يقود من المدينة إلى المنزل والحدائق كان طويلاً كما وصفته وهناك منزلان بحديقتين عليه ، كان منزل على كلّ جانب وتعود ملكيته للدوقين الشقيقين .

في نهاية هذا الطّريق يقع قصر الملك وهو فسيح ورائع مع رواق عريض في مواجهة المدينة والحدائق والمنازل التي للسّادة النّبلاء والطّريق الذي بينها ، ومن الثلاثة أروقة الأخرى التي تطلّ على الحدائق ومن التي في المنتصف تطلّ نحو طريق قديمة من أشجار السرو الضّيّقة التي تمتدّ حتّى منزل آخر في منتصف الحديقة على بعد نصف فرسخ .

للمنزل الأوّل بركة على جانبيه وللثاني خمسة برك في الفناء وهناك بركة مياه أخرى منفصلة وكبيرة حتّى إنّ هناك بعض القوارب عليها مع ستة مجاذيف على كلّ جانب . من هذا الطّريق من الأشجار عن النّوع

الآخر من التّفاح ومن أشجار الكمثرى وتلك من أشجار الرّمّان ... إلخ ، الجوّ الملائم في الصّيف حتّى يستمتع برقة الجوّ والفاكهة .

*** وصول الدّوق ***

بعد شهر من وصول السّفير إلى شيراز وحضور الدّوق وجيشه والأبناء الذين تحدثت عن قدومهم منحت النّاس في شيراز الفرصة لترتيب استقبال حي ، كما أعطى وجوده حركة نشطة من الاحتفالية ، زار عند وصوله السّفير ، وفي اليوم التالي قام السّفير بردّ الزّيارة ...

*** وليمة من أجل السّفير ***

أقام الدّوق مأدبة رائعة جدّاً وليستعرض مدى ثرائه ، فإنّني لن أذكر أكثر ممّا ظلّ على المائدة وأعطي لسائسي الخيل والنّصيب من التّحلية الذي تلقّاه كلّ شخص بيع من ثلاثين إلى أربعين ريالاً ، بالإضافة لكل هذا ذهب السّفير لزيارته عدّة مرّات وفي كلّ مرّة كانت الولائم أكثر سخاءً .

كان الدّوق يأتي للحدائق خاصّة بعد وصوله ، فقد أصبح ذلك شبه دائم خاصّة في أيّام الجمع عندما يكون الطّريق ممتلئاً بالمارة والرّاكبين على الدوابّ الذين يقضون اليوم في تسليات مختلفة إمّا بالتّسابق بخيولهم أو في المصارعة أو استعراض القوّة مع مجموعات كثيرة من النّاس الذين في الحشد .

استمتع الإسبان بهذا المنظر من الرواق وهم ينظرون نحو الطّريق . إن كانوا قد ذهبوا إلى داخل الحديقة كان من الضّروريّ أن يختفوا وسط البساتين البعيدة ؛ لأن كلّ الطّرق التي تحيط بها الأشجار خاصّة

تلك التي على جانبيهـا أشجار السرو كانت مليئة ليس فقط بالرّجال والنّساء ، وإنّما أيضاً بقوارير الخمور ؛ لأن قلة هي التي دخلت تلك المتاهة .

منازل الدّوق كانت مناسبة تماماً لأمير وخدماته في منتهى الأبهة والفخامة . أعتقد أنّه أعظم نبيل في فارس لأنّه متى ما استدعي بواسطة الملك كان يأتي مع عشرة آلاف من الفرسان الأكثر شجاعة وبسالة في المملكة وخيولهم التي يركبونها هي الأفضل .

يحبّه اتّباعه بدرجة مذهلة ويخدمونه بكلّ إخلاص ويقدّمون له الهدايا والتي استفاد منها السّفير أثناء وجوده هناك لأنّه حالما وصلت البغال وهي محمّلة بالفواكه أو الطيور أو اللحوم قام الدّوق بإرسالها جميعها له وهو يلوم نفسه على تقصيره ناحيته .

(١٠) * كيـف غـادر السّفـير شـيراز إلــى أصفهـان وكيف قتل مترجمــة أثناء الرّحلــة ، وعن الثلاث مدن القريبــة من أصفهان والسّكّان المقيمين فيها *

عند حلول شهر مارس وبدأت الأشجار تزهر وأذابت الشّمس الجليد ونظّفت الشّوارع غادر السّفير شيراز . بعد رحلة استغرقت يومين في قرية سمّيت بسبب المسجد الذي فيها باسم "إمام زاده" دخل السّفير في خلاف مع مترجمة وأمره بعدم مرافقته له في اليوم التالي ، ولكن عليه مواصلة الرّحلة مع القافلة .

أطاع المترجم الأمر وفي منتصف اللّيل قبل مغادرة القافلة غادر هو بمفرده .

* اغتيال المترجم *

ممّا تلا كلّ ذلك فمن الواضح أنّ كلّ من تبعه كان يبحث عن فرصة

مماثلة ، وعندما رآه مسافراً لوحده وعلى مسافة نصف فرسخ متقدّماً عن الآخرين فاجأوه في الطّريق وقطعوا رأسه وأخذوه معهم ، تاركين جثته ملقاة دون رأس .

لم يتمّ التّعرّف على من قام بذلك أو بأمر من تمّ كلّ ذلك ، لكن هناك شكّ ولعله اليقين أنّ ذلك كان بأمر من الملك وإلا لكان الأمر قد انكشف بخلاف ذلك ؛ لأن أي جريمة لا تظلّ مجهولة الفاعل في مملكة فارس ولو لم يسمح بها الملك لما كانت حدثت في الأصل أو سيكون من السّهل الكشف عن المجرم .

لكن كان المترجم أمريكي الجنسية وعاش في مملكة فارس وتورّط في تهريب أسقف "سيرين" وبالرّغم من وجود أسباب أخرى إلا أنّ هذا كان السّبب الأساسيّ ، وذلك عند وصول "جوزيف سالفادور" "Joseph Salvador" ، وكان هذا اسم المترجم ، إلى شيراز قال له حاكم الولاية في محادثة بينهما :

"جوزيف" كان من الحكمة أن تهرب مع أسقف "سيرين" ، لكن بالرّغم من أنّ صديقك الإغريقي قد انطلق حرّاً إلا أنّني ألقيت القبض عليه عندما استوليت على قلعة "باندار" ، وقد دفعت له ثمن غضبي عليه وذلك بقطع رأسه" .

*** وصول السّفير إلى أصفهان ***

بعد ذلك الحدث المؤسف غادر السّفير "إمام زاده" ، وبعد مسيرة ثمانية عشر يوماً نصبوا خيامهم بالقرب من إحدى المدن الأربعة المتجاورة بالرّغم من أنّها منفصلة عن بعضها إلا أنّها تؤلف مدينة واحدة :

اثنتان منها يفصلهما نهر عريض والأخرى التي تقع أمامه تسمّى "جولفا" "Gulfa" يسكنها المسيحيون الأرمن الذين جاءوا من "جولفا" التي في أرمينيا ، لهم كنائس وأساقفة وكهنة ، وبالرّغم من أنّ الكهنة متزوّجون إلا أنّهم يعملون في طاعة الرّبّ .

المدينة الأخرى تسمّى مدينة "الجيورز" الصائبة والتي تعني "مدينة الوثنيين" ، السّكّان الذين يعشون هناك من الفرس الذين من الطّائفة القديمة ، الوثنيون الذين يعبدون الشّمس ، وهم يتميزون بالجسم والهيئة الجميلة ، ولأنّهم يطلقون لحاهم الطويلة يبدون مثل الأوربيين ، ملابسهم وألوانها تتشابه عند الكلّ ، لأنّهم يلبسون ملابس تغزلها النّساء عبارة عن عباءات طويلة فضفاضة مثل التي يرتديها المسلمون وعمائم على رؤوسهم .

أمّا أولئك الرعاة فتصنع ملابسهم من وبر الجمال ذات اللون الأسمر الداكن . تجارتهم وأعمالهم عبارة عن حمالين وعمال حدائق ، أما النّساء فيشغلن أنفسهن بغزل الملابس .

ترتدي النّساء أيضاً عباءات طويلة داكنة وسراويل صفراء حتّى أخمص القدم وأغطية رأس أعلى الخمار الأصفر ، عندما تعاني إحداهن من دورتها الشهرية فإنّها تسحب نفسها في غرفة وتظلّ هناك دون الاتصال مع أي شخص لمدّة ثلاثة أيّام والتي في نهايتها تقوم بالاغتسال وترتدي ملابس نظيفة .

يعيش الوالدان والأطفال في نفس المنزل وكلما ازداد عددهم بنوا غرفاً أخرى جديدة . عند وفاة أحدهم فإنّه لا يدفن ولا تحرق جثته لكن

يتمّ وضع ملابسه العادية عليه ويوضع داخل دائرة تحيط بها أسوار عالية والتي شيّدت لهذا الغرض على مسافة بعيدة من المدينة ، وهناك سلالم للتّسلّق عليها لعدم وجود بوابة لذلك البناء المقفل ، ثمّ تدلى الجثة عبر درج حجري شيّد في الجدار الداخلي وتوضع على مقاعد حجرية مستندة على الجدار . المتوفي الذي تنقر الطيور عينيه بسرعة يعتبر محظوظاً .

أقام السّفير بالقرب من مدينة الصائبة "جيورز" (Giaours) حتّى دخوله إلى أصفهان يرافقه الراقصون ورفقة مهيبة من كلّ الفرسان الحاضرين في البلاط والقساوسة التّابعين للأخويات "الأوغسطينية" و"الكارمليت" الذين لهم أديره هناك وأيضاً السّفير الإنجليزي .

عندما ترجل السّفير من فرسه عند وصوله إلى مساكنه شكره على الحفاوة والرفقة وقال : "لينعم الرّبّ بالرخاء على ملك إنجلترا الكريم" .

استأذن من المجموعة وانتحى جانباً مع الرّاهب ، حاكم البلاط وكبير الوزراء للملك .

بعد يومين وبعد أن زار الأديرة ، قام بزيارة الحاكم ورئيس الوزراء في حصن خارج أسوار أصفهان وهو حصن ضخم به الكثير من الشّوارع والسّكّان حتّى إنّه يبدو كبلدة صغيرة .

داخل حدود الأسوار يوجد الكثير من قطع المدفعية لمجرد المظهر فقط حسب اعتقادي ؛ لأن الفرس قليلاً ما يستخدمونها ، وأنّ هناك الكثير من المدافع الجيّدة التي استولى عليها الملك من الأتراك فإنّها قد دفنت في الرمال عند مدخل القصر .

رأينا كلّ ذلك بعد أن قمنا بزيارة الحصن .

*** قصر الشاه ***

يقع القصر بين الأسوار وتبدو عليه الفخامة بدءاً من ساحته : الغرفة الأولى التي عند البوابة الأولى والتي لا تمثّل أكثر من كونها مبنى مطلاً على منظر رائع ، هناك العديد من الغرف والصّالات كلّها ذات أسقف مطلية بالذّهب وأيضاً الجدران . الغرفة السّفليّة لها صالة ضخمة وأربع قاعات صغيرة وفي كلّ منها توجد أربع غرف في الأركان كلّها عليها قباب .

أعلى هذه الغرفة خمس غرف عادية عليها رسومات ، البوابة التالية على بعد مائتي خطوة من البوابة الأولى وعبرها يدخل المرء إلى حديقة خضراء باردة ؛ حيث توجد ألف جناح مختلف مع برك متقنة الصنع . في منتصف الحديقة يوجد مبنى الحريم ، منطقة النّساء ، على جانب واحد من القصر توجد الإسطبلات والتي بها على الأقل أكثر من ألفي حصان .

*** الميدان (السّاحة) ***

الميدان/ السّاحة ضخمة جدّاً والمباني التي حولها شيّدت كلّها لتتلاءم بعضها البعض مع القصر . مقابل القصر يوجد مسجد ، وفي الناحيتين الأخريين توجد مبان ؛ حيث يذهب الفرس لشرب نوع معين من المشروبات التي يسمّونها "قحفا" (qahva) وهناك أيضاً مسجد كبير .

حول الميدان حلقة من أشجار الحور التي يجري تحتها نهير يحيط بها من الخارج تحيط به سلسلة من الأشكال المقدسة ؛ حيث يجلس تحتها الحرفيون الذين يمارسون مختلف الحرف . تبلغ دائرة كلّ تلك الأبنية المقوسة حوالي الفرسخ .

هناك شوارع أخرى تأتي من منزل القهوة مع العديد من المنازل الرّائعة والمحلات التي تعرض السّلع ، وفي وسط كلّ ذلك يوجد دار سك العملة .

في الجانب الآخر للميدان المزيد من الشّوارع تؤدّي إلى منازل حرفيي الملك وصانعي السّلاح ونسّاجي الحرير والأقمشة وسجاجيد الحرير والذّهب والمهن الأخرى والتي يعمل في كلّ منها أكثر من مائة عامل . يمكن تقدير حجم المبنى من عدد نول الحرير التي فيه : مائة ، وهذه إحدى أعظم الأشياء في مدينة أصفهان .

*** عباس أباد ***

المدينة الأخرى القريبة من أصفهان تسمّى "عباس أباد" ، أسّسها القوم الذين أحضرهم الملك من تبريز عندما استولى عليها . بنفس الطّريقة التي يقسم فيها النّهر هاتين المدينتين عن المدينتين الأخريين فهنا أيضاً تنقسمان الواحدة عن الأخرى عبر طرق وجادات من الحدائق صمّمت على شكل صليب يجري عبره ثلاثة أنهر صغيرة التي لأوسطها وأكبرها بركاً منقعة التّكوين ، بينما الاثنان على الجانبين لهما برك أصغر .

كلّ الثلاثة تصب في قاعدّة مجموعة من أشجار الحور الخضراء ، حتّى إنّ المرء الذي يتمشى بطول تلك الممرّات إنّما يمشي بين أنهر وبين برك من المياه وتحت ظلال الأشجار الخضراء وهو يشاهد مبان ضخمة ؛ لأن لكل حديقة سرادقاً مطليّة بالذّهب وجدراناً وقباباً برسومات رائعة . صنعت جدران الحدائق من الطّوب وعلى شكل فراغات بينها حتّى إنّ المكان يوفر منظراً بهيجاً لمن يمرّون به .

من هاتيك المدينتين يعبر المرء النّهر للمدن الأخرى عبر جسر شيده الدون العجوز لشيراز ، والجسر بخلاف حجمه وقوته غريب جدّاً لأنّه بدلاً عن متراس على كلّ جانب أعلى الجسر فهناك أروقة شيّدت بطريقة جيّدة مع نوافذ تطلّ على النّهر وزينت برسومات عديدة متنوعة بعضها ليس مهذّباً جدّاً ، كلّ من تلك السّرادق له سطح مسطّح ؛ حيث أولئك الذين يستمتعون بذلك المكان الجميل قد يجدون فيها الهواء البارد والنسيم الطيّب في ليالي الصّيف .

(١١) * كيف غادر السّفير أصفهان واستقباله في المدن التي مرَّ بها ، وكيف وصل إلى قرية تسمّى ألبندة (Albanda) على بعد فرسخ واحد عن "قزوين" . *

بعد عشرين يوماً جاء رسول إلى أصفهان من "فيراباد" وهي مدينة بالقرب من بحر قزوين ، يحمل رسالة من الملك للسّفير يخبره فيها بالانطلاق لمدينة "قزوين" عاصمة "ميديا" .

تمّت الاستعدادات الضّروريّة للرّحلة وعُيّن حاكم البلاط أحد أبناء أخيه كمرشد له وأيضاً كبيراً للخدم .

في معظم الأيّام كانت الرّحلة تنتهي في بساتين تخصّ الملك حتّى وصلوا إلى مدينة "قزوين" . سافروا من هناك عبر الكثير من البلدات والمدن ولقوا الكثير من الاستقبالات الاحتفالية في كلّ منها ، لكن في مدينة تسمّى "قم" كان هناك الكثير من النّاس عن أي مكان آخر مروا به لأنّه بالإضافة إلى كون المدينة كثيفة السّكّان فإنّها كانت تسيطر على منطقة كبيرة .

كانت مدينة "سافيه" "Saveh" قد وفّرت أكبر عدد من الفرسان المرافقين ، ولزيادة العدد استخدم حاكم المدينة بعض أفراد الجيش الذين كانوا يرابطون في المدن المجاورة .

كانت مدينة "كاشان" أكثر حيوية عن كونها ضخمة وتجد فيها الكثير من النّاس الراجلين والقليل من الراكبين على الدواب . إنّها مدينة صغيرة لكنّها غنيّة لوجود الكميّة الضّخمة من الحرير الذي تنتجه ، وفيها الكثير من البطيخ الشتوي الكبير الحجم حتّى قيل إنّ عشرة منها تكفي لحمولة جمل ، وهي جيّدة جدّاً مثل تلك التي في إسبانيا .

هناك منازل رائعة جدّاً هنا ، بعضها غاية في الرّوعة تعود ملكيتها للشاه ، وفيها الحدائق الغناء ، تمّ إسكان السّفير فيها ، وعندما استقرّ به المقام فيها أقيمت الولائم ومنافسات المصارعة في الميدان الذي يقع أمام القصر .

الشيء الذي كان أكثر إثارة هي المصارعة التي تقام بين الثيران ، وكان الذين يهتمون بالأمر من الجانبين ليسوا فرداً أو اثنين لكنّهم أكثر من ثلاثة آلاف ، واحد فقط يسمح له بالوقوف بجانب الثور لتشجيعه والكلمات التي تستخدم في التشجيع وحفزه على القتال لتشريف مشجّعيه قد تجعله يضحك إن فهم معناها ، ويقولون له إنّ الكراهية التي يكنها له أعداؤه ليست أمراً عابراً لكنّها فيهم منذ خمسة أجيال وعليه أن يتصرّف كثور شجاع ومقدام ؛ لأن الثّور الآخر مخلوق خجول وقد تمّ ضربه

قد تمّت هزيمته الآن ، عندما تبدأ المعركة فالذي يهرب هو الخاسر ،

وينسحب مشجّعون كما تسحب الأسلحة من الحضور وعدم الدّخول بها للميدان .

الحاكم فقط معه سهم معدّ مع قوسه في حالة أي هجوم .

عندما جاء السّفير إلى القرية التي تسمّى "Albanda" عند حلول الظلام والتي تبعد فرسخاً واحداً من "قزوين" وجد حاكم "قزوين" موجوداً في ذلك الوقت هناك يجهّز في موقع الإقامة الخاصّ به . عاد إلى المدينة بعد أن أنجز كلّ شيء ، لكنّه جاء في اليوم التالي ومعه الرّسالة والأمر بدخول السّفير .

كان دخوله على الوجه التالي : الأمتعة والأحمال التي على ظهر الجمال ، الخدم والعبيد انطلقوا وعندما وصلوا إلى المدينة غادر السّفير القرية يرافقه قومه والحاكم والفرقة التي ترافقه .

على بعد نصف فرسخ من "قزوين" قابلهم حشد ضخم من السّادة والأعيان الذين في معية الملك وفي مقدمتهم للترحيب بالسّفير كان داوود خان ، شقيق دوق شيراز .

ركب مع السّفير وتحادثا مع بعضهما البعض حتّى وصلا إلى حديقة مكان الإقامة ؛ حيث تحدث لجميع السّادة الذين رافقوه وشكرهم جميعاً .

بعد أن استراحوا لمدّة يومين فتحت الصناديق التي تحوي الهدايا . الثلاثمائة حمولة من الفلفل تركت في أصفهان ، لكن ما جيء به إلى "قزوين" أخذ إلى الملك في نفس اليوم الذي زاره فيه السّفير ؛ حيث إنّه تسلم رسالة بذلك المعنى والتي جاء بها إليه كبير خدم الملك .

كيـف استقبل ملك فارس الشاه عباس السّفير ، وبشأن مناسبة أخـرى عندما خيل إليه أنّه التقاه مصادفة في الطّريق ، وعن وقائع الحاضر ومفرداته .

قبل أن يغادر السّفير مقرّ إقامته بسبب الأمر الذي أحضره له كبير خدم البلاط فقد تمّ تسليم الهديّة . أكثر بين ثمانمائة رجل وصبي تمّ استخدامهم لنقل الهديّة ، كلّ واحد يعمل بعضاً منها ، إذا ما تمكّن من حمله ، وإلا فقد حمل ما قدر عليه وكان ضرورياً ، وكانت مكونات الهديّة كما يلي :

سيف وخنجر مطليان بالذّهب

مائة وأربعة عشر مهرا وكثير من ....

(اثنان من الملفات مفقودة)

.... ، وهي كبيرة بالمقارنة مع هذه .

صعد السّادة بعض خطوات وعند القمة وجدوا اثنين من النبلاء : كان أحدهما قصيراً لكن .... في المظهر ، بالرّغم من كونه كان محترماً ، كان يلبس عباءة من القطن المتين القرمزي اللون مع سيف مقوس مزيّن بالذّهب وقطع من الحجارة الكريمة متوسّطة الحجم وأحذية خضراء وعلى رأسه عمامة غالية الثمن ملفوفة حول قلنسوه وهي رمز يشير إلى الفرسان الفرس .

الآخر كان أكثر امتلاءً في جسمه وأطول ، يلبس عباءة مذهبة خضراء ، وحلبة للرأس من الريش والجواهر ذات بياض فاقع ، وفي هذا الزي بالإضافة للزينة الأخرى فقد تفوق على رفيقه .

لأنّهما بديا من ملابسهما بأنّهما من النبلاء قام السّادة الحاضرون بالانحناءة المعهودة عند مرورها والذي قام أصغرهما سنّاً بالابتسام كردّ فعل ذلك .

عندما وصل السّفير وكان قد تمّ تحذيره من قبل السكرتير بأنّ الرّجل القصير هو الملك فذهب ليركع أمامه ، لكن الملك أوقفه بذراعيه وهو يقول : "أهلاً بسفير ملك إسبانيا ، أخي ... أهلاً ومرحباً ... ؛ لأن سعادتي وفرحي جاءت بك إليّ" . قبل رسائل المجاملة التي قدمها السّفير إليه ، وتحرّكا معاً بعيداً .

في منتصف البركة كانت هناك حظيرة مسيحية تحيط بها أروقة يتمّ الوصول إليها عبر ممرّ ، وعندما وصل الملك جعل السّفير الإسباني يجلس بين السّفراء الآخرين بينما وقف هو عند المدخل .

وصل بعد ذلك ملك "مكران" يحمله اثنان من الخدم لمرضه وعجزه ، وقد أشار له الملك بالذّهاب والمغادرة ، ثمّ أمر بعد ذلك السّفير الإنجليزي بالجلوس مع السّفير التّركيّ .

أثناء هذا الوقت حملت الهديّة عبر طول البركة وبينما مرّت الأسلحة القديمة الصنع طلب أن يشاهد إحداها . لحسن الحظ فقد قدّمت له بندقية كانت أفضلها وأغلاها والتي كانت مزيّنة برسومات مذهبة بارزة وخزن البارود عليه صورة" لفينوس" عارية وهي تواسي ابنها الذي كان يشكو لها من لدغه نحله .

كان الملك مبتهجاً بتلك الصناعة الرّائعة ، وحاول اختبار مدى سلامة ماسورة البندقية .

عندما تمّ استعراض جميع الهدايا وأخرى مر بها الرسل أمام الملك وانحنوا احتراماً له وهم يقبلون جانب البركة ، وفي تلك الناحية تسلم السكرتير الرّسائل التي جاءوا بها .

كانت تلك الهدايا عبارة جمال محمّلة بالحرير والسجاد والخيول والأحصنة الصّغيرة وأشياء أخرى كثيرة .

عندما قدمت الهدايا كانت الطاولات قد أعدت سلفاً تحت الأروقة وأيضاً بطول الجوانب الأربعة للبركة ، والتي كان كلّ منها يبلغ طوله مائة خطوة . في جانب كان الإنجليز ، وفي جانب آخر الأتراك ، وفي الجانب الثالث الإسبان بينما في الجانب الرابع يحتله مائتان من الفرسان الفرس الذين دعاهم الملك .

حل الظلام عندما بدأ تقديم العشاء ، وقد أحيطت البركة بثلاثة صفوف من الأضواء :

الأوّل منها كان قريباً للحافة على شمعدانات فضية لحمل الشموع التي توفر الضوء باستخدام الزيت .

في منتصف الطاولات هناك صف آخر .

الثالث هو الصف الأعلى الموجود خارج طرف البركة مع شمعدانات فضية طويلة مثل تلك التي يحملها مساعدو الكهنة في القداس الديني ، تلك كانت في علو وسماكة الرمح ، وفي أعلى العمود قفص دائري يضعون فيه لبادات مغموسة في الزيت الذي يعطي ضوءاً شديداً ، تلك هي المشاعل التي يستخدمها الفرس ، أما التي من الشمع فإنّهم يحتفظون بها للجنائز .

كانت هناك الكثير من النيران ، ومصابيح كثيرة بدت وكأنّها كانت مصباحاً واحداً ، كما كانت كلّ البركة محاطة بخدم الملك الذين كانوا موجودين وهم يلبسون جلاليب ذات ألوان عديدة وقلنسوات عليها ريش وجواهر وخيوط ذهبية تلمع عند الضوء ولها ألوان عدّة تسر الناظرين .

بعد أيّام قليلة رغب الملك في الاستماع إلى ما جاء به السّفير وبدأ الاستماع له وهما على ظهري جواديهما في الميدان ، مع الرفقة المعتادة من الأعيان والنبلاء المتواجدين في ليال الصّيف عندما يكون الملك موجوداً .

عندما أصبحت السّاعة الواحدة رشت عليهم المياه من القرب التي يحملها مائة من الرّجال ، وفي السّاعة الثانية امتلأ الميدان بالفرسان الذين أمضوا فترة بعد الظّهر على ظهور خيولهم حتّى يطلب منهم الملك القيام ببعض الحركات والتمارين ، وأشهرها تلك التي تنقسم فيها المجموعة إلى فريقين ليلعبوا البولو أو رمي السهام على برتقالة معدنية على قمة عمود في وسط السّاحة .

في هذه المناسبة ، والعديد غيرها ، طلب الملك من السّفير مشاهدة تلك التمارين ، وفي خلال ذلك كانا يمضيان الوقت في أحاديث توافقيه ؛ لأن الملك كان يستمتع كثيراً لأحاديث السّفير .

حدث في يوم من الأيّام أن حانت فرصة لرسول أن يُبعث برسالة ، فذهب السّفير يبحث عن الملك ، إلا أنّه فشل في إيجاده ، وفي طريق عودته إلى مقره قابله في الطّريق ومعه مرافق واحد فقط ، وعندما رآه السّفير بدأ في الترجل من دابته إلا أنّ الملك لم يسمح له بذلك ، وتباحث الاثنان في الأمر وهما على فرسيهما .

عند تسوية الأمر سأل الملك السّفير عن وجهته فأجاب السّفير إنّه كان قادماً بخصوص ذاك الأمر ، وإنّه سيذهب إلى أي مكان يأمر به سموه ، وبعد إذنه فإنّه على استعداد لمرافقته .

أجاب الملك بإشارة تعني مواصلة السّير ، وتحرّكا قريبين من بعضهما ، وقال الملك : "أيها السّفير ، كان معي بعض الضيوف البارحة ، ولأقول لك بكلّ صدق أنّني شربت كثيراً فدعنا نذهب ونجلس في حديقة ونمضي الوقت في حديث شيق" .. بهذا الحديث واصلا السّير وترجلا عن فرسيهما في إحدى الحدائق التي على جانب الميدان .

(١٣) * كيـف تقابـل السّفير والملك على قارعـة الطّريق ، وذهبا إلـــى حديقة ، والكلمـات التي تبادلاهـا هناك خاصّــة الأقوال الهامّة التي قالها الملك*

دخل السّفير والملك إلى احدى الحدائق ، وقصدا بركة لها سقف مذهب يدعمه اثنا عشر عموداً ، يمكن الوصول إليها عبر ممر رصف بحجارة بيضاء من رواق على جانبيها حتّى الأعمدة الأولى ، تظلله أغصان خضراء من أشجار الفاكهة .

جلسا بجانب البركة وسط أشياء متنوعة ، وتباحثا في أمور تتعلّق بأوروبا وآسيا ، وتحدث الملك بما يلي : "يدهشني أنّ أمراء أوروبا كثيرو العدد وأقوياء جدّاً ، يجمعهم كلهم دين واحد والعديد منهم أقرباء بعضهم البعض ، ولا يتعصبون معاً لتدمير عدو مشترك مثل الأتراك ، ويقتسموا فيما بينهم الأراضي التي يستولون عليها ويحتلون المدينة المقدسة (بيت المقدس) من قبضتهم .

أنا وحيد وليس معي من الرّجال مثل ما معهم ، لكنّني أشن الحرب ضدّ الترك ، عندما يجد فرساني أنفسهم في مواجهة التّرك فإنّهم يبيعون لي ولبعضهم البعض رؤوس أولئك الذين يهددون ملكي . إنّها مشيئة الله أن حبانا بتلك الروح والبهجة لنهزمهم دائماً ولنستولي منهم على مئات القوّات بالشهامة" .

قال الملك وهو يرفع صوته عالياً : نواب ، "Navvab" (وهذا لقب قديم للنبلاء) ، يشاء الرّبّ إضعاف اليد عندما يريد فلا يقطع السيف ولا يركض الفرس" .

أجاب السّفير "لذلك نؤمن نحن الكاثوليك أيها الملك ، لكنّني أجيب عن ملكي ملك إسبانيا فأقول إنّه قوي ويخشى جانبه الجيران الذين هم أعداء للعدو المشترك وهم الترك . هؤلاء لا ينفعونه كثيراً في الحرب ضدّ الأتراك ، وسيكون أمراً بلا منفعة لسيدي الملك أن يشنّ حرباً عليهم ، لكنني سأكتب لك تفصيلاً تستطيع منه سموك أن ترى مدى الضّرر الذي حاق بالأتراك في تلك الأنحاء بواسطة سيدي الملك بواسطة أساطيله وتشجيعه وأمواله لمدّة أربعين سنة" .

أجاب الملك بأنّه سيسره جدّاً أن يطّلع عليها .

عند هذه اللحظة وصل العديد من الغلمان وهم يحملون قوارير مذهبة مليئة الخمور وكؤوساً حتّى يمارس الملك عادة احتفاله المعتادة ، لكن هذا الملك حذر جدّاً وشديد التّركيز حتّى إنّه ودون أن يتوقّف عن الحديث مع السّفير كان يصغي لمعلومات هامّة من نبيل كردي على مسافة منه كان قد وصل في تلك اللّيلة من كردستان ، بالرّغم من كونه كان منتبهاً لكل هذا

إلا أنّه لم يصرف النّظر عن مواصلة الشراب الذي يحبّه جدّاً ، لكن لم يره أي أحد وهو يتناول الكثير منه .

يقال إنّ ذلك بسبب حجر على رأس خاتم يضعه على إصبعه . يجب أن يرى أصدقاءه يشربون ولا يخشون الاستسلام لسطوة الشراب ؛ لأن ذلك دلالة على أنّهم لا يخفون عنه أيّ شيء ، وقد تعلم هو من أشخاص لعبت برؤوسهم الخمر أفشوا تفاصيل عن خيانة وغدر نجا هو منه .

في خضم هذا الحديث أرسل في طلب الأب "جواو تاديو" ، كبير أساقفة "الكرمليت" الحفاة والسّفير البابوي . عند حضوره قال له : "أيها الأب ، هل تمّت ترجمة ترانيم داؤود للفارسية؟" أخذ الرّاهب كتاباً من حضنه مربوطاً على الطّريقة الفارسية . قام بتقبيله وتقديمه له قائلاً" "سموك ، لقد تمّت ترجمته لك" .

أخذ الملك الكتاب ووضعه على رأسه وهو في غاية السرور ، وأجاب إنّه سعيد بهذه الهديّة الرّائعة ، واستدعى سكرتيره وسلمه له قائلاً "أيها السكرتير ، حافظ على هذا الكنز الغالي من أجلي" .

رأى الدهشة بادية على وجه السّفير ابتسم وقال له : "أعتقد أيها النواب أنك مندهش وأنت تراني أبجل هذا الكتاب كثيراً بالرّغم من كوني لست مسيحياً ، لكن لا يوجد سبب لذلك الاندهاش ؛ لأن أي شخص يقرأ تلك الترانيم عليه بتوقيرها ، وأي شخص يؤمن بما جاء في إنجيل المسيح عليه بتبجيله لأنّه من أنفاس الرّبّ .

هذا الرّجل غير المحظوظ خدع في طريق خطأ هرطقي وايمان بمحمد

(صلى الله عليه وسلم) . استمرّ الملك في حديثه وقال : "أقدم شكري لله لأنّه منحني هذه المعرفة ، ولهذا ولأفضال أخرى كثيرة منحني إيّاها فإنّني أدين له بأكثر ممّا أدين به لكل الرّجال" .

تحدث هذا الكافر بأشياء عن تلك المواضيع التي تتعلّق بالإيمان والدين أدهشتني خاصّة معتبراً أنّ المعرفة الكثيرة التي يملكها لم تجعله يدين بتلك الأديان . تحدث كثيراً عن موضوع معين بالكلمات التالية من خلال هذه المحادثة :

"أنا فارس فقير ، سيدي السّفير ، ولا أملك أي ثروة سوى السيف الذي اتشح به ولا أتوقع أن أترك جواهر ذات قيمة عالية أكثر من الفضيلة التي أعلمها لهم وأفعالي المشرفة . إن كان أولئك الأولاد لا يتحمسون لهذا الميراث فمن الأفضل ألا يكون لي أبناء ، وكما أنّ الموظفين ملزمون بالدوام في المناصب التي كلفهم بها الملك وما تترتب عليه تلك الوظائف فإن الرّجال ملزمون بتأدية ما أناطه الرّبّ بهم ، الملك تجاه مملكته ، الراعي لماشيته . حصلت على هذه المعلومة ولولاها سأصبح فرعوناً آخر"

عندما نطق تلك الكلمات الأخيرة أراد أن يغسل وجهه ولم يكن يريد أي مياه سوى تلك التي في البركة ، والتي قام بالاغتسال فيها ، بعد أن قام بذلك طلب من أحد الخدم إعطاءه بشكيراً من تلك التي كان يحملها ، وبعد أن جفف وجهه بالقطعة قام بغسلها في البركة ونشرها لتنشف على غصن شجره ، مكرراً لنفسه القول : "جندي ، جندي ، جندي" .

في كلّ الوقت الذي كان فيه السّفير في "قزوين" كان يقوم الملك

بالتّرفيه عنه بأخذه للصيد وتقديم الكثير من الهدايا له ، أرسلت له ثلاثمائة من جلود السمور والكثير من الأقواس والسهام ، وسائد الريش وحصاناً قصيراً رائعاً ، وفي العديد من الاحتفالات التي أقيمت على شرف الملك كان السّفير دائماً بجانبه .

بعد مرور بعض الأيّام قرّر الملك المغادرة إلى "سلطانية ؛ حيث تجمع جيشه هناك ، فقد كانت معه أخبار بأنّ الأتراك يحاصرون مدينة "تبريز" .

قبل مغادرته أصدر أوامره للسّفير بأن يغادر في نفس الوقت إلى البلاط أو العاصمة أصفهان .

(١٤) * كيف غادر السّفير قزوين في طريقه إلى البلاط ، وانتصار الملك على الأتراك *

في الوقت الذي غادر فيه الملك رحل السّفير إلى أصفهان وبرفقته الدّوق الكردي الذي ولسبب ما كان الملك قد بعثه ليكون هناك وستة من الجورجيين النبلاء الذين كانوا من أنصار الشاه ، وكان قد بعثهم ليقيموا في أصفهان ، وأيضاً أحد أصهار الملك الذي كان برفقة زوجته وكان سيصبح حاكماً لأصفهان .

مع الخدم وبتشجيع من كلّ أولئك الأشخاص كان هناك أكثر من ألف مسافر ، وقد اختلطوا مع بعضهم البعض ، والأميرة فقط هي التي حاولت الذّهاب إلى الأمام أو الخلف ، ولم تنصب أي خيام بعيدة عن بعضها البعض .

المرشد وكبير الخدم كان ضابط حرس الملك ، وبالرّغم من كونه قد قدم المساعدة لكل شخص إلا أنّه أمر للسّفير ومجموعته بالمؤن

الضّروريّة ، ولم ينقصهم أيّ شيء ، عند وصولهم إلى أصفهان اتخذ السّفير مقاماً في المنازل التي كان قد سكن فيها من قبل ، والتي كانت جيّدة جدّاً ومريحة .

كانت في كلّ يوم تصل أخبار مختلفة عن الجيش إلى أصفهان ، لكن من التي وصلت أخيراً والتي كانت صحيحة فقد علم أنّ "تبريز" غير المحظوظة قد عانت كالعادة ؛ حيث اعتادت لسنوات عدّة على ضربات مماثلة .

بما أنّ الأتراك كانوا في طريقهم لحصار المدينة بستّمائة ألف رجل فقط ، فقد أمر الشاه السّكّان بالتّقهقر نحو "أردبيل" ، وعندما وصل الأتراك إلى تبريز وجدوها مهجورة وقام الشاه . بوضع جيشه على بعد ميل من المدينة متظاهراً بأنّه على استعداد للاستمرّار .

عندما وجد الشاه نفسه تحت الضّغط أصدر أوامره بإخلاء مدينة "أردبيل" وصمم على نبش عظام أسلافه الذين يجدون التّبجيل في تلك المدينة خاصّة تلك التي تعود للزّعيم الكبير إسماعيل ، جدّه الأكبر . أصدر الأوامر لجيشه بأن لا يرتاحوا حتّى يروا الأتراك تحت بصرهم .

كان عدد الجيش الفارسي مائة ألف فارس وستة آلاف من المشاة ، كان القائد من المرتدّين الأرمن ، وهو ضابط شجاع وجسور . علم من أحد الجواسيس أنّ خمسين ألفاً من الفرسان المختارين قد غادروا الجيش التّركيّ للقبض عليه في غفلة بمساعدة من الجيش الذي يتحرّك في الخلف . بهذه المعلومات قرّر الفرس تقسيم قوته إلى فرقتين ، إحداها تحت قيادة داوود ، شقيق دوق شيراز والأخرى تحت قيادة الجنرال شخصياً .

صدرت الأوامر لداوود بعدم الهجوم حتّى يبدأ الجنرال بالهجوم . بما أنّ الجيش انقسم لمجموعتين فقد بقيت المجموعتان في كمين تاركين الخيام كما هي وبداخلها ستة آلاف من الجنود المشاة وألفان من الفرسان وكلّ الخدم وحاملو الأمتعة .

عندما استقرّوا في مواقعهم قسم كلّ من الضبّاط قوّاته إلى فرقتين ، وهذا الترتيب الجيّد والاستراتيجية كانت تعني أنّ الأتراك والتتر قد وصلوا منقسمين لأنّهم زحفوا في تشكيل تاهت فيه إحداها عن الطّريق ، والذين وصلوا هاجموا الفرس الذين في الخيام والذين كانوا أقلَّ عدداً إلا أنّهم قاوموا ببسالة .

عندما رأى داوود أنّ عدد الجنود الأتراك في ازدياد صرخ في ضبّاطه قائلاً : "أيها الأصدقاء ، ليس معي أمراً بالهجوم من قبل ، ولا معي الروح والمعنويات التي أشاهد بها أخوتي وهم يقتلون ، وعليه فلسوف لن انتظر لمزيد من الوقت الأوامر بالهجوم عليهم ..." وهو يقول هذا شرع يهاجم بقوّاته .

النصف الآخر من قوّاته فعل نفس الشيء ، وقام الجنرال أيضاً بالهجوم بقوّاته ، والأتراك والتتر الذين كانوا يتقدمون للدعم تمّ حصارهم في الوسط ، وقتلت منهم أعداد كبيرة وأسر ضبّاطهم بمن فيهم اثنان من نواب الملك ، باشوات "فان" و"اريزروم" ، بعد هذه الكارثة وبدء فصل الشّتاء تقهقر الأتراك وهم يتحسرون على فقد قادتهم .

استعرض الشاه قوّاته وأعفى وكافأ من يستحقّون ذلك . منح

الجنرال "Cachica" "كاشيكا بيك" لقب دوق تبريز ، ومنح مكرمات أخرى ثمّ ذهب إلى "فيراباد" .

هذا الأمر أحبط آمال أصفهان ، وحاز عدم قبول السّفير الذي كان يأمل في المغادرة إلى هرمز قبل بداية الشّتاء ؛ لكن لأن الملك استقرّ في "فيراباد" كان مجبراً على قضاء الشّتاء في أصفهان ، لكن بما إننا كنا باقين في أصفهان فإن التفاصيل التالية عن الطقوس وعادات الفرس يمكن الحديث عنها بينما نحن جلوس بجانب المدفأة :

(١٥) * عادات وطقوس الفرس ، عن الحكومة وأمور أخرى *

نبدأ بالمباني : هناك بعض منها في منتهى الروعة ، خاصّة المساجد التي في المدن ، لكن ليس أياً منها قد شيد من الحجارة ، فجميعها من الطوب والطين ، خاصّة تلك التي تهدّمت . يوجد مسجد يسمّى "Chihil Minar" على بعد مسيرة يوم من شيراز ، والذي يعتقد البعض أنّه تهدم نتيجة لحريق في زمن الإسكندر لأنه قديم جدّاً ولأنّ بعض الحجارة عليها علامات تدل على احتراقها .

إنها خرائب في منتهى الروعة تعكس إبداعاً قديماً وحروفاً وخطوطاً بأشكال مقوسة ... حجارة بعض الأبنية المقوسة لازالت واقفة وعليها أشكال بارزة واضحة وشفافة حتّى إنّ خدم السّفير قاموا بمهاجمتها لأنهم رأوا أشخاصهم منعكسة على سطحها بعد أن أثارهم اندفاعه وحركاته .

مسافة الأرض التي تحتلها تلك الخرائب كبيرة جدّاً ولأنّه يوجد هناك أربعون عموداً لأحد الأسقف مازالت واقفة فإنّهم يسمّونها "Chi-hil Minar" والتي تعني "أربعين برجاً" .

أسقف المنازل الفارسية ليست عليها قراميد لكنّها مسطحة كتلك التي في هرمز ، وتستخدم أيضاً للنوم عليها في ليالي الصّيف ، كون الحرارة غاية في الشدّة مثل البرد في فصل الشّتاء ؛ حيث يسقط الجليد الذي إن لم يجرف من الأسطح لتسبّب في انهيار المنازل .

في المدن خاصّة هناك أنهار تجري عبر الشّوارع تروي الحدائق وتزود الحمامات والصهاريج التي في المساجد التي تستخدم مياهها للوضوء لإيمانهم أنّ ذلك ينظفهم من الذنوب التي ارتكبوها . الروم "Rumes" أو الأتراك يختلفون عن الفرس في الطّريقة التي يمسكون بها أيديهم عند الصلاة ، لأنّهم بالرّغم من كونهم جميعاً أتباع محمّد فإن هاتين الأمتين تختلفان في أتباع خلفائه .

زعماء الطوائف المسلمة يحتقرون استخدام الصور ولا يتمّ رسم محمّد (صلى الله عليه وسلم) قط .

يعتبر الفرس ملكهم هو حاكمهم في الأمور الدنيوية والروحية ، وهم يصومون لكن ليس مثل المسيحيين لأنّهم يأكلون اللحم ، ويبدأ صيامهم عند بداية النّهار فلا يأكلون ولا يشربون أيّ شيء ولا يبتلعون حتّى لعابهم ، ولكن يأكلون طيلة اللّيل .

يصومون لثلاثين يوماً ومرة أخرى لتسعة أيّام والتي يقف خلالها (الملا) على المنبر ويتحدث والدموع في عينيه عن وفاة أحد أحفاد محمّد (صلى الله عليه وسلم) وآخرون تحت المنبر ينشدون .

خلال تلك الأيّام التسعة يتجول الكثيرون شبه عراة أعلى الوسط

يحملون حجارة يضربونها مع بعضها وهم يصرخون بصورة مستمرّة "حسن ، حسين" .

في اليوم الأخير هناك احتفال وتجمع من كلّ مقاطعة ، يحملون الأعلام ويتّجهون نحو الميدان ، وعندما يلتقي جمعان منهم ولا يسمح أحدهما للآخر بالمرور تستل السيوف ويقاتلون بعضهم البعض ، ومن يقتل في هذه المعارك يعتبر شهيداً .

معلوم تماماً أنّ المسلمين يحرمون أكل لحم الخنزير ، كان أمراً مضحكاً أن هرب في احدى المرّات خنزير صغير من منزل السّفير ودخل أحد المساجد ... عندما قبض عليه ظلّ النّاس ينظفون المسجد لثلاثة أيّام متتالية .

يستطيع الرّجل أن يتزوج أي عدد من الزوجات إذا كان قادراً على إعاشتهن ، وزوجات الرّجال المهمين يسكن في حدائق مقفلة دون أن يسمح لأحد بمشاهدتهن سوى المخصيين الذين يقومون على خدمتهن ، يخرجن في محامل مغطاة توضع على ظهور الجمال يتقدمها المخصي صائحاً في النّاس بالابتعاد عن الطّريق .

المحظيات أيضاً يذهبن في الطّريق إنّما بطريقة أكثر ابتهاجاً ، ليس لأنّهن يشاهدن الآخرين ويشاهدهن النّاس لكن لا يوجد نبيل أو أحد الوجهاء عندما يقيم وليمة دون أن يكن حاضرات . في منازلهن الكثير من الأطباق الفضية وخدم من الرّجال والنّساء وخيول يركبنها بطريقة رائعة .

إذا خانت امرأة زوجها فعقوبة الزنا هي طلاقها من زوجها وطردها من المنزل . بعض الرّجال من العوام يتزوجون لفترة قصيرة ينتهي

بعدها الزواج ، لكن كلّ من يتعامل مع النّساء الفارسيات فإنّه يتعامل مع "فينوس" ؛ لذلك دعنا نتركها معها ونذهب للرجال وللسلاح .

(١٦) * الأسلحة التي يحارب بها الفرس ، عن عقوباتهم وأشياء أخرى*

رجال فارس عموماً رجال أقوياء ومدربون تماماً على القتال من ظهور خيولهم ويفتخرون أنّ الخيل للرجال وأنّ المنزل للنساء ، الأسلحة الدّفاعية هي السيوف والخناجر ، تتّصف السيوف بالعرض والطول ومقوسة في شكل منجل بطرف حاد عند المؤخرة ومقدمة غير حادة ، الخناجر صغيرة الحجم ولها لمعان ، يستخدمون بنادق من النّوع القديم ، وكذلك الأقواس والسهام التي يبرعون في استخدامها ، وأيضاً الفؤوس الحادة والرّماح ، أسلحتهم الدّفاعية عبارة عن دروع بحلقات وأخرى في شكل قمصان .

ممارساتهم العادية هي الصيد وسباق الخيول .

القضايا التي بالمحاكم لا تدوم طويلاً وسرعان ما ينطق بالحكم فيها ويتمّ حلها .

العقوبات قاسية لكنّني أعتقد أنّ أفظعها ما تمّ بحقّ ثلاث نساء قتلن أحد الرّجال ، سيّد إحدى تلك النّساء وابن أخرى وزوج الثالثة ، الأخيرة كانت غيورة لدرجة رهيبة وساعدت الأخريات في جريمتهن بأن قامت بإعطائه الكثير من الشراب ولم تكن تدري مدى تأثيره عليه .

كانت زوجة المتوفي في غاية الجمال ، ويقال إنّها لم تكن لتُقتل لو كان الملك رآها عندما استدعاها لتمثل أمامه وطلب منها رفع الحجاب عن وجهها ، لكنّها أجابت الملك بإصرار شديد بأنّها نبيلة مثله تماماً وغير

مسموح للنساء الفارسيات في مثل ذلك المقام لإظهار وجوههن ، وهذا أغضب الملك وأمر برميها للكلاب ، ثم نادى على الثلاثة معاً وأمرهم برميهم من أعلى برج في المدينة . عندما قذف بوالدة الرّجل تعلقت بأسوار البرح لكن قطعت أيديها وسقطت على سطح المسجد . المرأتان الأخريان دفعن بقوّة وسقطن وتقطعن إلى أشلاء .

مجرم آخر تمّ تقييده على عمود وسلم لزوجة الرّجل المتوفي وابنه الذي قتلاه بعمل جروح صغيرة على جسده ثأراً من الزوجة على زوجها والابن الذي كان في العاشرة من عمره ثأراً لأبيه .

أحد الرّجال يدعى "مير عيسى خان" وكان ثرياً ومن الرّجال المهمين ؛ حيث كان أحد إخوته صهراً للملك ، قيد على خازوق وضرب بالعصي في ساحة المدينة والرّجل الذي قام بقتله أو الذي نفذ فيه العقوبة ، أصبح ملكاً لثروته وزوجاته .

ستة من الرّجال الذين قاوموا مجرى العدالة قطعت أيديهم في اللّيل ، وبعض المعتدين الآخرين بقرت بطونهم ، وآخرون قتلوا بعد وضعهم على خوازيق ، وغيرهم رموا للكلاب ، أما قاطعو الطّريق فقد دفنوا أحياء .

مملكة فارس غنيّة جدّاً في إنتاج المواد الغذائية ، اللحوم والبقول وحتّى الخيول والرسل فقط هم الذين يسيرون على أقدامهم ، وكلّ من يسافر ومعه خادمه عليه أن يوفر له حصاناً .

يوجد الكثير من اللحم حيث يعتبر أكل الكبد وأمعاء الشاه أمراً يدلّ على تدني وحقارة الشّخص ، ولا أحد يأكل لحوم الأبقار باستثناء بعض اليهود الذين يذبحونها في منازلهم .

يوجد الكثير من الفاكهة التي تظلّ متوفرة طيلة السّنة ، خاصّة الكمثرى والبطيخ والعنب والسّفرجل والرمان والتفاح التي تباع بكميات كبيرة طول السّنة كما في إسبانيا في فصل الصّيف حيث يكثر الإنتاج .

(١٧) * يحتوي على بيان بالمشاجرة التي حدثت بين رجال السّفير والمسلمين ، وكيف أعدت الاحتفالات بوصول الملك ، وكيف ترجل هو عند باب السّفير*

خلال الشّتاء الذي قضاه السّفير في أصفهان حدثت بعض الاضطرابات التي نتجت عن طعن غلام أحد الفرسان لرجل فارسي ، أخذوا الرّجل الجريح إلى منزل السّفير ليقدم شكوى ، لكن لأن السّفير كان في فترة راحة قام البواب بمنعهم من الدّخول ، وضعوا الرّجل المصاب على الأرض ، وتجمع حشد كبير عند بوابة المنزل وعلى الأسوار الخاصّة بقناة المياه لمسجد قريب .

حاول البواب فتح طريق عبر الجموع التي كانت أمام الباب بعصا كان يحملها دائماً ، وعندما لم يقتنع بذلك بدأ في الصياح على النّاس الذين على الجدران والمسجد بالتفرق والذّهاب ، وعندما لم يستجيبوا لطلبه ، قام بحركات وكأنّه يلقي عليهم الحجارة ، وقام أحد خدم السّفير بتنفيذ تهديد البواب بأن ألقى عليهم بعض الحجارة ، ورداً على ذلك انهمرت الحجارة في اتجاه المسجد ، ومن ثمّ بدأ آخرون حتّى لم يعد أحد يعرف من يقذف تلك الحجارة ، بدأ الجميع يرفعون أيديهم دلالة على عدم قيامهم بذلك ، لكن أقدم الخادم على رمي المزيد من الحجارة .

عندما رأى الرّجال الذين بالمسجد ذلك ، بدأوا بتكسير الطوب وقذفه باتجاه منزل السّفير بكميات كبيرة جعلت من بالداخل يعجل بالخروج ؛ حيث رأوا الكثير من الطوب ، وكأن بناءً قد تهدم أمام مدخل المنزل ، تناولوا أقرب أسلحة في متناولهم وهجموا وقتلوا بعض المسلمين الذين تمّ دفنهم .

كان من الممكن أن يقتل أكثر منهم لو لم يخرج السّفير وينادي على خدمه بالعودة ، وعندما أصبحوا في الدخل أمر بإغلاق البوابات ، لكن ظلّ قذف الحجارة مستمرّاً .

جاء في اليوم التالي حاكم أصفهان ، ويقال إنّه اتخذ إجراءات كثيرة تتعلّق بالموضوع ، لكن المؤكد في الأمر أنّه كان قانعاً بالجزاء الذي لقيه أولئك الذين قتلوا .

أخطر الملك بالواقعة ، مع العديد من الشكاوى التي قدمها الإسبان ، وقام بإرسال الرّسالة التالية مع عشرة آلاف دينار :

* **رسالة الملك** *

"سمعت بالكثير من الشكاوى التي قدمها الإسبان يدعون فيها إن حريتهم قد انتهكت للمدى الذي لم يعتقل فيه زوجات من أزواجهم لكن قتل حتّى الذين حاولوا الدّفاع عنهن .

وصل الآن رسول مع رسالة من الـ (Cadi) القاضي الشّرعيّ ، والتي فهمت منها أنّ الشكاوى التي قُدّمت لي كانت مزوّرة ، وقد وجدت صعوبة في تصديق أنّ مثل هذا السّلوك يمكن أن يتّصف به الإسبان ، رعايا شقيقي ملك إسبانيا ،

سأكون قريباً في منزلك ، فليحفظك الرّبّ" .

عند انتهاء الشّتاء وبداية الصّيف تمّت استعدادات كثيرة لدخول الملك ، لكنّه قرّر أنّ كلّ ذلك سيكون من أجل السّفراء الذين يرافقونه ، وهو شخصياً جعل دخوله بطريقة سرّيّة ، ونزل عن دابته عند باب السّفير ؛ حيث لم يكن يتوقّع مع خادم وحيد وغلام في يزه خاصّة .

دخل إلى المنزل دون أي ملاحظة أو إنذار .

عندما سمع السّفير ذلك خرج وقابله قبل أن يمرّ عبر الحديقة التي تقع أمام السّاحة الأولى . ابتهج الاثنان لرؤية بعضهما البعض ، وذهبا ليجلسا في السّاحة ، وبعد أن رحّب السّفير بالملك وتبادلا التّحايا والمجاملات طلب الملك من السّفير الذّهاب معه في يوم دخول السّفراء ومشاهدة ذلك خارج أسوار المدينة .

عندما حلّ اليوم كانت أصفهان حاشدّة بالنّاس على ظهور الخيل ومن المشاة حتّى كان السّير على الطرقات مستحيلاً ، كان الكلّ يرقص فرحين ومتحمسين في بسالة وشجاعة . قام سبعون ألفاً من حاملي البنادق بحراسة الطّريق من بوابات القصر وحتّى القرية حيث أمضى السّفراء اللّيل ، وبناءً على رتبهم دخل السّفراء في موكب مهيب إلى أصفهان .

(١٨) * دخول السّفراء ، وكيف تمّ الترحيب بهم بواسطة الملك .

الهديّة التي بعث بها الملك للسّفير الإسباني ، وكيف استأذن منه .

كيف غادر أصفهان ووصل إلى هرمز ، والاستعدادات التي تمّت في هرمز ووصوله إلى "غوا" *

دخل سفير "عظيم المغول" بكلّ أبهة مع موكب من ألف رجل والعديد من الأفيال التي كانت محمّلة بالآلات الموسيقية التي يعزف عليها .

كان التّركيّ صاحب مظهر مقبول مع حاشية صغيرة ، بجانبه كان شقيق خليفة مدينة مكة أرسل من قبل شقيقه ليتوسط للسلام بين الأتراك والشاه .

جاء خلف أولئك أمير من التتر مع مجموعة رائعة من التتار الذين دعم بهم جانب الشاه ضدّ الأتراك مع أحد أشقائه .

كان السّفراء من "موسكوفي" يلبسون ملابس غريبة لكنّها تبدو في جلال على أشخاصهم . كانت ملابسهم عبارة عن أرواب كالتي يرتديها القضاة مع ياقات مزيّنة باللآلئ ، وبدلاً عن القبعات كانوا يلبسون أغطية رأس من الفراء عريضة في أعلاها وأسفلها .

هناك ثلاثة من السّفراء تكونت مجموعتهم من ثلاثين من الشبان الوسيمين والأنيقين .

دخل السّفراء في ذلك الترتيب على مسافة من بعضهم البعض ، يرافق كلّ منهم دوق فارسي ، ترجلوا عند بوابات القصر لأنّهم كانوا قد دعوا في ذلك اليوم إلى سرادق في الحديقة .

في السرادق الذي أقيمت فيه المأدبة كان الدّخول إليه يتمّ عبر رواق آخر حيث تمّت استضافة زعماء المغول الذين كانوا مع السّفير ، السرادق الذي أقيمت فيه المأدبة كان على شكل صليب مع أربع فجوات مظللة في كلّ منها بركة ، وفي التي كانت في المنتصف توجد

بركة كبيرة ، وكلّ الخمسة برك تحيط بها قوارير وكؤوس وسلطانيات وأطباق للفواكه من الذّهب

كانت القوارير مليئة بأجود أنواع الخمور والأطباق بالفواكه .

للرواق المقابل للمدخل له مدخل آخر يقود إلى جزء آخر من الحديقة ، وفي كلا الجانبين جلس الملك والسّفير الإسباني ، جلسا متقاربين بالرّغم من أنّ الملك جلس على السجادة التي كانت تغطي الأرضية والسّفير كان يجلس على مقعد منخفض .

بجانب السّفير كان الأقرب إليه هو الأب "جواو" كبير أساقفة "الكارمليت" ، ثمّ السّفير المغولي ودوق شيراز ، خليفة مكة ، السّفير التّركيّ وأمير التتار وآخر الجميع سفير إنجلترا .

كانت القاعة مزيّنة بهؤلاء النبلاء ، وتلك المدينة الغنيّة بالذّهب ، ولتعطي مزيداً من الرونق للمائدة ، كان عليها ولي العهد وأمير فارس اللذان كانا واقفين على رأسها .

تبع تلك المأدبة أربعة أيّام من الاحتفالات والألعاب النّارية ، وفي كلّ مناسبة كان الملك يرغب في أن يكون السّفير الإسباني بجانبه .

لزيادة مظاهر البهجة أقيمت العديد من الألعاب في الميدان .

عند حلول شهر أغسطس بعث له الملك بخمس وأربعين قطعه من القماش المطرز وسبعة خيول مزيّنة بقماش من الذّهب والفضة ، بهذه الهديّة صرّح بأنّ على السّفير الأعداد للمغادرة التي كان يرغب فيها .

عندما أصبح كلّ شيء جاهزاً استدعاه الملك في إحدى الأمسيات ،

وانتحى الاثنان جانباً مع المترجم والأب "جواو" كاهن "الكارمليت" . ذهبا بعيداً من المكان الذي يجلس فيه السّفراء والسّادة الآخرون حتّى إنّ أضواء المصابيح بالرّغم من نيرانها الباهرة إلا أنّها لم تصل حيث ترجلا .

تباحثا على راحتهما ودون مضايقة في الأمور التي أثارها المبعوث ، وبينما هما كذلك كان يحرسهما أحد المخصيين الذي يسمّى "جوزيف" حاملاً قوساً وسهماً وجاهزاً حسب الأوامر التي صدرت له أن يطلقه نحو أي مسلم يقترب من المكان .

عند انتهاء مباحثاتهما استأذن الملك من السّفير بكلّمات وإشارات تدل على العاطفة الجياشة والود ، وعاد إلى قصره دون أن يتحدث مع أي أحد ، وذهب السّفير إلى مقره مع الأمر بالمغادرة .

حدث هذا في ليلة الاحتفال بالقديس "أوغسطين" (السادس والعشرين من شهر مايو) ووصل إلى هرمز في الخامس عشر من شهر أكتوبر ، وقضى هناك الشّتاء التالي ، وهو غاية في القلق والحذر ، ذلك لوجود أنباء تغييرات واستعدادات شبه حربية تتم على السّاحل . كانت هرمز تستعد للدّفاع عن نفسها بسفينة شراعية وقاربين بالمجاذيف وزوارق أخرى دفعت في المياه وشيدت الأسوار على الطرق . تمّت الحراسة ليلاً على الشّاطئ بسكّان في المدينة انقسموا في فرق والتي كانت فرق السّفير والقائد على ظهور الخيل ؛ لأن السّفير ورجاله جاءوا بمائة من الخيول من فارس .

مع تلك السّفن القليلة والاستعدادات التي تمّت بحرص ورقابة شديدة من "دوم لويس دي سوزا" "Luis de Susa" قائد هرمز بدا

أنّ الأمر سيكون صعباً أن يتمّ الاستيلاء على القلعة حتّى وإن تدمر أسطولنا مع كلّ الإصرار وحنكة القائد وعموم الآخرين فسيكون صعباً على العدوّ أن يضع أقدامه على الجزيرة وحتّى وإن رسوا عليها فسيكون عملاً شاقاً الاستيلاء على المدينة وسيستغرق زمناً حتّى يستولي على القلعة .

أبحر السّفير في إبريل على مركب شراعي ، وبعد خمسة وعشرين يوماً مع رياح مؤاتيه وصل إلى حاجز "غوا" ؛ حيث قضى بقيّة شهور الشّتاء وحتّى ديسمبر .

(١٩) * كيف غادر السّفير "غوا" إلى إسبانيا ، ووصل مرّة أخرى إلى "غوا" بعد أن أمضى ستة أشهر في البحر ، وعن مخاطر وصوله وكيف غادر "غوا" مرّة أخرى إلى إسبانيا ، لكن قبل أن يصل كانت مشيئة الرّبّ أن أخذه وهو على مرأى من ساحل الأزور*

مع رياح مؤاتيه كانت الصحراء العربية على مد البصر في التاسع عشر من شهر ديسمبر من العام ١٦٢٠م ، وبعد اثنتين وأربعين يوماً شوهدت جزيرة موزمبيق . قاموا بالرسو بين جزيرتي "ساو جورج" "Sao George" وجزيرة "سانتياجو" "Santiago" في انتظار سفينة كانت قد أرسلت إلى القلعة لتستكشف إن كانت أي سفينة تجارية برتغالية قد قضت الشّتاء هناك .

عادت ومعها أخبار تفيد بعدم وجود أي سفينة ، لكن هناك مركب مؤجرة كانت على وشك الإبحار إلى البرتغال .

بسبب سكون الرّياح فقد انتظروا لأربعة أيّام ، وفي اليوم الذي غادر

فيه المركب "Urca" الميناء بالرّغم من أنّ الرّياح لم تكن مؤاتيه إلا أنّهم أبحروا مع الرفقة الجديدة .

لكننا بعد فترة قصيرة شعرنا بالفخر ونحن نرى زورقنا الخفيف يتقدم ذلك المركب بمسافة بعيدة بالرّغم من قلة الرّياح إلا أنّ المركب كان لازال في مرمى أبصارنا في اليوم الأوّل .

بعيداً عن موزمبيق وعلى مسافة مائة وخمسين فرسخاً سكنت الريح تماماً وأهتم الرّبّان وكبير البحّارة بسحابة داكنة ظهرت باتجاه الجنوب ، وبدأت الرّياح تهبّ بشدّة حتّى كان من الصعوبة بمكان أن يتمّ إنزال الأشرعة وقد انكسر الصاري الكبير ممّا وضع سطح مؤخرة السّفينة في اتجاه الرّياح حتّى وصلنا إلى موزمبيق .

لكن عندما شاهد القائد موزمبيق كان سعيداً ومتشوقاً ليتخذ له ملجأ في تلك الميناء ، وتعامل مع السّفينة بطريقة سيّئة ، وبمساعدة تيارات معاكسة وجدنا أنفسنا في اليوم التالي على مسافة خمسة وعشرين فرسخاً خلف موزمبيق ، وفي مواجهة الجزيرة .

اتخذنا ملجأ في جزيرة تسمّى (Ibodeyla) تبعد سبعين فرسخاً من موزمبيق ، وبعد أسبوع قضوه في تلك الميناء حيث تمّت الإصلاحات على السّفينة وعدنا إلى موزمبيق ، بعد عشرة أيّام وهم يرون الرّياح الغربية مستمرّة في العصف بشدّة ، تمّ الاتفاق على أن تنتظر عشرين يوماً أخرى وإن لم تهبّ أي رياح من الشّرق فعلينا العودة إلى الهند .

تحت عصف الرّياح الغربية أبحرنا تجاه "غوا" ؛ حيث وصلنا في التاسع والعشرين من شهر مايو . عند عبورنا الحاجز اصطدم الزورق

بالأرض وانكسرت الدفة واستقرّت السّفينة بطريقة متعارضة وهي تضرب القاع بقوّة حتّى إنّها فقدت صواريها .

ساعد الرّجال البحّارة في إنزال الأشرعة وقطع السواري الصّغيرة . كبير قباطنة الهند الذي كان يرشدنا للداخل كان يتصرّف وكأنّه قد فقد تركيزه ولا يدري ما يفعل ، وقع الرّبّان في البحر مع شراع وإحدى السواري التي انكسرت ، تمّ جذبه لأعلى داخل الزورق بواسطة الشراع الذي كان متعلقاً به .

ذهبت وأنا أرى ما يحدث إلى الكابينه وأخبرت السّفير أنّ عليه النزول إلى غرفة القبطان "Manchua" عمل بنصيحتي ، وهو يتكئ على كتفي صعد إلى الصاري أعلى السّفينة ولكن عندما نادى على الذين كانوا بالأسفل ولم يكونوا آبهين بالكارثة وكأنّهم لم يلاحظوا أيّ شيء . رأيت أنّهم يتجاهلونه وإذا تحطم الزورق فإن السّفير وهو كبير السّنّ لن يستطيع النجاة من البحر أو المياه الضحلة حتّى وإن كانت اليابسة ليست بالبعيدة .

تذكرت أنّني رأيت مؤخرة "almadia" وذهبت إلى جانب السّفينة وصرخت وكان هدفي الوصول إلى أحد رجال "المانشووي" بداخلها حتّى أساعد السّفير على الهبوط ، لكن كلما ازداد صياحي للمجذفين كلما ابتعدوا أكثر .

الحاجة دعت للإسراع وأخذت سلسلة من عنقي وعرضتها عليهم ، كان لصوت الذّهب الأثر الكبير ، وبعد أن تباحثوا في الأمر فيما بينهم لفترة اقتربوا من جانب السّفينة ، ورميت نفسي عليهم مخاطراً بالوقوع

في البحر . كان الوقوع بعيداً عن الـ almadia سيكون خطيراً بالنّسبة لي لأنّني لا أعرف السباحة .

وقعت بشدّة حتّى إنّني آذيت ساقي الأمر الذي سبب لي آلاماً شديدة فيما بعد . الرّجال الذين كانوا داخل الـ manchua كانوا يراقبون كلّ ذلك ، وعندما شاهدوني متجهاً من نحو جانب السّفينة إلى الـ almadia أسرعوا نحوها حتّى إنّهم وصلوا في نفس الوقت الذي وصلت فيه أنا وقاموا برفع السّفير على ظهر السّفينة .

قبل أن نتحرّك بعيداً عن الزورق تركناه في وضع جيد ، وذلك حتّى وإن كانت الدفة قد تلفت وضاعت إلا أنّ المد أبعد الزورق عن المياه الضحلة .

عندما هبط السّفير في دير الملوك على جزيرة "باردس" قمت بمجهودات كبيرة لاستعادة الـ "manchuas" حتّى إنّ الزورق عند الصباح الباكر كان بعيداً عن "بانجيم" ؛ حيث وضعت الأمتعة في جزيرة "بارديس" في منزل ريفي . ظلّ الحاكم هناك حتّى ذهابه إلى "غوا" ؛ حيث قضى بقيّة فصل الشّتاء من العام ١٦٢٣م .

غادر السّفير إلى إسبانيا في العام ١٦٢٣م ، على ظهر سفينة تجارية تسمّى "Sao Tom" وكنت وقتها مريضاً في جزيرة "غوا" . كان يمكنه أخذي معه لو كانت أوراقي والشهادات معي ، والتي كانت كلّها عن الفترة التي قضيتها في خدمة جلالته ، في الأساطيل وفي هذه الرّحلة .

بما أنّني لم أكن قوياً بما فيه الكفاية لمرافقته في هذه الرّحلة الأخيرة فإن وثائقي تحتاج إلى دعم هذا الفذ المشهور والحكيم ، رجل وسيد متعلم وشجاع أخذه الرّبّ إلى جواره على خط طول ثلاثة وثلاثين

درجة شمال ، وليس بعيداً عن جزر "الأزور" ، وضع جثمانه في نعش خشبي ودفنت عظامه النبيلة في بحر عريض مالح .

لا أدري إن كان يمكن القول غنّ الهند قد فقدت أمنها وحاميها في ذلك اليوم ، لكن بلا شكّ أنّ الرّبّ أخذه من أعين سيدنا الملك ؛ لأن الحماس والعدالة التي أبداها جلالته ، وأنّ الحكمة والحقيقة التي قدمها له هذا الفارس المخلص وهو يكشف عن الضعف الذي يأكل جسد الهند الضعيفة ، لكان قد قدم العون للهند ولكان جلالته استحق خدمة جليلة وعظيمة منه .

إن الأمراض التي عانت منها الدّولة لهي كالوباء الذي تختفي آثاره من قبل غير الأمعاء ، لكنّها تنكشف عند الموت .

من يستطيع أن يتشكك أنّ الجيش يمكن أن يعاد إصلاحه وإعداده والجنود على قناعة ورضا لأنّه عرف مكمن الخطأ وما هو العلاج ولكان قد حدد المسار وبين الأخطاء والفوضى التي يدير بها أولئك الخزينة الملكية ولكان قد بعثر سحب الإعاقة والمصائب التي منع بسببها أولئك الزمرة العلاج وأدانوا المؤسسة العسكرية ، ومن ثمّ اتهام جلالته بعدم الاهتمام بالبرتغال والسّماح بضياع دولة الهند الغنيّة .

****

(٢١) *كيف ذهب قارب إلــى جزيرة مدغشقر ، وكيف ذهبت أنا إلــى الهند؟ !

التعزيزات التي أرسلت إلى هرمز ، وكيف وصلوا إلى مسقط وسمعوا الأخبار وغادروا إلى هرمز*

لأنّ الجنرال بعث بقارب إلى جزيرة مدغشقر للحصول على مزيد من البحّارة وذهبت فيه ثمّ وفي واحد من اثنين آخرين وصلا من البرتغال ذهبت عليه إلى الهند ، وهناك خدمت جلالته في الثلاث سنوات التي تلت ذلك في أساطيل الشّمال وفي "ديو" في الصّيف ، أما في الشّتاء فقد بقيت في جزيرة "غوا" حتّى رافقت السّفير إلى مملكة فارس .

قضيت أربع سنوات في هذا الأسطول ، وفي إحدى السّفن التي غادرت إلى البرتغال كان عليَّ العودة ؛ حيث صعدت مرّة أخرى على أسطول "كانارا" "Cananra" ، بسبب العون الذي طلب من هرمز ، وكان قد أرسل ، واصلت سفري .

التعزيزات التي تلت ذلك غادرت حاجز "غوا" إلى هرمز في الثاني من شهر إبريل : ثلاث عشرة سفينة من الأسطول وثالثة أخرى التي كان ربابنتها "دييجو دي سوزا دي مينسيس" "Diego de Susa de Meneses" ، "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martim Afonso de Melo" ، العمدة ... ليشكّلوا جزءاً من العون ثمّ يذهب بعد ذلك قائداً لمسقط ...

أما "جواو بنتو دي مورالس" "Joao Bento de Morales" ، ولأنّه كان أميرالاً على ست سفن تجارية موجودة في هرمز ، فقد آن الوقت ليصبح هناك ، ومعهم القائد الأعلى "كونستانتينو دي سا دي نورونها" "Constantino de Sa de Noronha" الذي كان قائداً أعلى لهذا الأسطول .

عندما تمّ تجميع كلّ الأسطول أبحر من "غوا" برفقة قارب شراعي بعث في مقدمة سفينة تجارية ضخمة عليها مؤن ، لكن نتيجة للتّأخير

الذي حدث بسبب إعداد الأسطول والحاجة لرياح خلال الرّحلة فإنّنا لم نصل إلى المضيق في وقت مناسب ، ونقص المياه في الرّحلة قد أدّى بالكثيرين ؛ لأن يشربوا مياهاً مالحة مع التمر هندي .

عندما انتهت تلك المحنة كانت بلاد العرب على مرأى أبصارنا ترحب بنا ، وازدادت سعادتنا عندما شاهدنا "تيوي" Teve وهو نهر صغير يصب في المضيق من سلسلة جبال الجزيرة العربية العالية منحدراً للأسفل بين جروف عميقة نحو الشّاطئ حيث يجري أسفل تل من الرمال .

رست على هذا النّهر خمس سفن كانت في طريقها للهند مليئة بالنّاس الذين كانوا يقيمون في هرمز . كان هذا أوّل مشهد ، أما الأخبار السّيّئة فكانت عن الأسطول القادم من "غوا" ، كان مشهداً يستدر العطف .

رجال من الأغنياء والأعيان ونساء عرفناهن في هرمز ، كانت النّساء في أقصى أسفل السّفينة ، أما الرّجال فكانوا في وضع مريح لكنّهم أظهروا أسفهم للحالة المزرية التي هم فيها وقد فقدوا كلّ ممتلكاتهم والكثير من أطفالهم وزوجاتهم وأصدقائهم ، وأبويهم ووطنهم ، ومع كلّ ذلك أيضاً صحّتهم وسعادتهم .

الأخبار التي نقلوها عن هرمز : تقرّر بالإجماع إغراق كلّ السّفن لأنّ العدو ، وقد استولى وقتها على قشم ، يقترب من هرمز مع أعداد هائلة من الزوارق الشراعية السريعة المليئة بالمسلمين وهم عازمون على الرسو والهبوط على جزيرة هرمز .

خرجت اثنتا عشرة سفينة لتمنع هذا الغزو إلا أنّها انسحبت في هدوء وتركت المكان خالياً ليرسو فيه الفرس .

وضعوا أقدامهم على الشّاطئ دون أي مقاومة تذكر وزحفوا دون أي مواجهة مع أحد إلى المدينة ومروا عبر البوابات بينما تقهقر بعض السّكّان الذين كانوا في الطّريق .

استولوا على كامل المدينة ووصلوا حتّى أمام القلعة ، ومن هناك بعثوا برسالة تطلب الاستسلام (بعد انسحاب الرسول) ، وجاءت الإجابة من القلعة عبارة عن قذيفة مدفع أطلقت باتجاه الطّريق الذي عاد منه الرسول .

عندما رأى العدوّ ذلك لم يفعلوا شيئاً سوى زرع ألغام حتّى القلعة ومن ذلك الموقع لم ينج أحد اقترب من السور من نيران بنادقهم . هذا ما كان يفعله الفرس بينما وضع الإنجليز بعض البنادق في مبنى الجمارك الذي ضايق القلعة أيضاً ، لكن ليس بالقدر الكافي . كان هو الأقرب . نسوا فتح الخندق تاركين الطّريق مفتوحاً للعدو ليصل حتّى أسفل السور مستخدمين معاولهم لزرع الألغام دون أن يعترضهم أحد .

بهذه الأخبار غادر الأسطول شاطئ "تيوي" ، لكن قبل وصوله لمسقط علموا من سفينة أخرى قابلوها أنّ العدوّ قد استولى فعلياً على حصن سانتياجو وهو الآن يوجد قريباً من القلعة . تأسى الجميع وندبوا حظهم لهذه الأخبار ، وبكلّ الأسى وصلنا إلى قلعة مسقط .

بينما كانت السّفن تصان ويعاد إصلاحها هناك وصلت أخبار تفيد أنّ "روي فريرا دي أندرادا" وصل إلى "تيوي ، وجاء في اليوم التالي لمسقط ؛ حيث استقبل بحرارة وحفاوة وأطلقت القلاع النيران ابتهاجاً به ، وأيضاً دقت الكنائس أجراسها .

ازداد هذا الفرح بالأخبار التي جاء بها "روي فريرا" أنّه وبالقرب من مسقط قابل ثلاثا من سفن الفلفل المسلّحة تماماً والذين وعدوه بالسّير خلف أسطوله حتّى هرمز وينتظروا معه ليروا كيف تنتهي الأحداث .

غادر الأسطول مسقط بمعية "روي فريرا" على ظهر سفينته يحدوه الأمل بالوصول إلى هرمز في وقت يستطيع أن يقوم فيه بعمل مؤثر .

ونحن نبحر على طول السّاحل مع رياح شمالية غربية قويّة وعلى السطح الخلفي لإحدى السّفن التابعة للأسطول يقف "أنطونيو دي لا كروز" "Antonio de la Crus" الذي جاء من سفينة "روي فريرا دي اندراد" ليقابل بعض أصدقائه ويحكي قصة أسره :

(٢٣) * هنا يروي "أنطونيو دي لاكروز" خسارة قلعة قشم ، والقبض عليه ثمّ فرار "روي فرير دي اندراد"*

بعد أن قلص العدوّ تواجدنا وأحكم قبضته على القلعة للدرجة التي جعلتنا نستخدم سلالاً مليئة بالتّراب للدّفاع عن أنفسنا ، وعندما أبرمت الاتّفاقية مع العدوّ استسلمنا ، ونحن نرى الإنجليز يأخذون قائدنا أسيراً ، طلبنا أن نؤخذ كأسرى أيضاً ، وتمّ تقسيمنا بين سفنهم وذُهبوا بنا إلى "سورات" "Surat" .

عندما أصبحنا هناك وجد القائد فرصة في احدى الليالي والإنجليز نيام في الإقدام على الهرب ، وأيقظنا نحن الذين معه ، وسحبنا قارب السّفينة وبدأنا التجديف في هدوء شديد دون إصدار أي صوت حتّى وصلنا إلى اليابسة ، واصلنا السّير ونحن نخشى أن يكتشف أمرنا المسلمون وأيضاً نخشى من الأنهار العميقة .

كان يجب أن تكون هناك جزية جراء كلّ ذلك وتنتهي روح ذلك الضّابط والقائد الشّجاع بمشيئة الله وأمام أعيننا وسط أمواج وتيار سريع في النّهر . عبر بقيتنا انهاراً أخرى كثيرة ومررنا بمخاطر وصعوبات جمة حتّى وصلنا إلى قلعة "دامان" ، ومن هناك ذهبنا إلى قلاع "شول" و"باسين" .

هناك أعد قائدنا "روي فرير" العدّة للانطلاق إلى هرمز ، وقد قدمت تلك المدن كلّ ما هو ضروري ، ونحن على وشك المغادرة ، وصل الضبّاط الآخرون الذين كانوا أسرى بعد أن أطلق العدوّ سراحهم مع رسالة رد على رسالة بعث بها "روي فرير" من "شول" طالباً إطلاق سراحهم . صعدنا جميعاً على ظهر السّفن مع آخرين تطوعوا معنا وأبحرنا ووصلنا بعد بعض المخاطر والصعوبات إلى "تيوي" ، والتي من شواطئها بعث "روي فرير" برسالة عن وصوله إلى مسقط .

(٢٤) * كيف قابل الأسطول مركباً شراعياً آخر حاملاً رجالاً من هرمز ، وكيف فقد المركب فيما بعد ، وعن أمور أخرى*

عندما أفادنا "أنطونيو دي لا كروز" بتلك التفاصيل عن حصار قشم وعن مواضيع أخرى ، لم آت على ذكرها ، أنهى قصته وكنا قد شاهدنا شراعاً قادماً من ناحية هرمز ونحن منطلقين بأشرعتنا مع رياح شمالية غربية .

استعد الأسطول للمعركة معتقداً أنّ أولئك كانوا الأعداء ، لكنّ مركباً خفيفاً كان قد أرسل ليستكشف الأمر التقى "بلنش" (قارب) ووقف معه لفترة وجمع كلّ الأعلام التي كانت ترفرف عليه ليطلعنا على أنّ هناك أخباراً سيّئة .

بدأ كلّ الأسطول في استخدام المجاذيف واتجهنا نحو المركب الذي كان عبارة عن زورق شراعي ظلّ في مكانه لعدم وجود رياح . تعرف بعض الرّجال على قريب لهم كان قد غادر موطنه ، البعض كانوا أصدقاء ، وآخرون مرضى ، كلهم بوجوه شاحبة ومشوهة ، وجدنا صعوبة كبيرة في التّعرّف حتّى على أولئك الذين كانوا معروفين لدينا . رفع بعضهم إلى السّفن وسحبنا الزورق وأسرعنا لنرسوا في مسقط ونحن نستفسر عن حظوظ أصدقائنا والخسائر التي عمت الكلّ والمدينة وحصن هرمز .

آه ، ما أكبر المجلد الذي تتطلبه الكتابة عن كلّ تلك الأحداث للخسارة السريعة التي تمت! لكن على ذلك عليه أن ينتظر حتّى يسرده شخص له المعرفة به ، لقد تملكني الأسى .

لأن قلمي لم يكن كافياً لتعزيز شهرة أولئك المحاربين الشجعان الذين توفوا في تلك الحادثة حتّى تصبح بسالتهم هي المرآة والنموذج لأولئك الذين يرغبون في تمجيد أعمالهم التي يحسدون عليها ، وقد تصبح أيضاً خارطة ملاحة توضح المياه الضحلة التي فقد فيها البعض سفنهم وشرفهم سواء أكان عبر الجبن أو الإهمال أو الحاجة للحكمة والفطنة أو حتّى عندما دفعتهم مصالحهم ولم تمنحهم سوى النجاة عبر الحجارة .

لكن بما أنّني لا أعلم فإن الصمت من ذهب وسأقول فقط ما هو مسيء للسمعة وهو أنّ القلعة استسلمت ، لكن في الوقت الذي لم يقصر فيه الرّجال عن إيجاد أي علاج ، وقد سقطت على الحصون ثلاثة ألغام دمرت الصهريج .

استسلم المسلمون للمسلمين الذين أخذوهم أسرى ، وكان من

بينهم ملك هرمز والملكة واثنان من الأمراء ، أبناء أخيه وإخوانه ورئيس الوزراء الذي وجد نفسه بين أيدي أعدائه فمات بعد أيّام قليلة .

استسلم المسيحيون للإنجليز الذين سلبوهم كلّ ما يملكون وأعطوهم الزورق الشراعي الذي قابلناه كما قلت سابقاً ، وآخر كان خلفه عليه "سيماو دي ميلو" ، قائد القلعة ، وبعض المراكب الأخرى ، حتّى يتمكّنوا من الوصول إلى صحار ومسقط .

الغنائم التي وجدها العدو ، البعض قلل من كميتها وقيمتها ، ويمكن تقديرها من كنز رئيس الوزراء الذي جمعه بنفسه وورثه من أسلافه والذي قدر بستّمائة ألف "دوكات" ، وجدوا أيضاً مائتين وستين قطعة من المدفعية في القلعة ، وباختصار فقد امتلكوا قلعة ومدينة هرمز .

أسطول التعزيزات ، وهو يرى هذا المنظر المحزن وتلك الأخبار السّيّئة ، انسحب إلى خليج مسقط . قام القادة والضبّاط بالاجتماع معاً واتفقوا أوّلاً بالرّغم من أنّ ذلك جاء متأخراً أن يذهب "جواو بنتو" من مسقط إلى الهند في سفينته لينقل أنباء الفاجعة ، وأن تقوم كلّ السّفن الباقية بغزو ساحل فارس .

لم يغادر الجميع لوجود تحذيرات جعلت من الضّروريّ أن يخرج البعض إلى داخل البلاد كلّ ليلة ، كما ذهب البعض لمساعدة قلعة صحار ، ومن ثمّ حتّى "رأس مسندم" ، لكن لم يجدوا أيّ شيء أكثر من بعض المغانم قليلة الأهميّة .

عند حلول أغسطس غادر القادة "كونستانتينو دي سا" و"روي فريرا اندراد" مسقط في طريقهما إلى الهند مع أربع سفن أخرى . بالرّغم من

أنّ عواصف شديدة قد حولت مسارهما إلا أنّهما وبطرق مختلفة تمكنا من الوصول إلى الهند أجمعين .

كنت أنا شخصياً في سفينة "كونستانتينو دي سا" ، وكانت وقتها مكسورة ، إلا أنّها وصلت بمعجزة مع دعوات وابتهالات "القديس فرانسيس شافير" ، وقدمت دفه فضية كنذر للقديس ، ويمكن رؤيتها اليوم في كنيسته .

وصلنا إلى "غوا" في سبتمبر ، وبعد وقت قصير وصلت أربع عشرة سفينة تجاريه ضخمة هولندية وإنجليزية إلى حاجز "غوا" ، ممّا دفع الجميع للخدمة في ذلك الحاجز كلّ الصّيف على السّفن والغليون ومراكب شراعية أيضاً في قلعة "اجودا" "Ajuda" .

عملت في الصّيف التالي ضمن أسطول "كانارا" ، وبعد سنة أخرى في العام ١٦٢٦م رحلت إلى إسبانيا في إحدى السّفن التّجاريّة التي غادرت "غوا" في الثامن من شهر مارس .

السّفينة التي أبحرت عليها كانت سفينة الأدميرال "سانتا إيلينا" "Santa Elena" والتي تحطّمت على ساحل فرنسا ، ومن بين فخاخ حطامها أنقذني الرّبّ ، فليكن ذلك لمزيد من خدمته ، آمين .

أحداث عام ١٦١٥م

بعث الملك رسالة إلـى نائبه ، بشأن حصن هرمز حيث هناك نقص في المدفعية ، بتاريخ الثالث من شهر يناير ، عام ١٦١٥م : [٢٩]

دون "جيرونيمو دي أزيفيدو" ، نائب الملك والصديق ، أنا الملك أرسل إليكم تحية كثيرة .

كتب إليّ دون "لويس دا جاما" ، قبطان هرمز أنّ ذلك الحصن كان متضرراً كثيراً جدّاً في جدرانه وبرجه الدّفاعي ، ومن الضّروريّ أن نبني حصناً جديداً ، وكان من غير الممكن أن نفعل ذلك ، لو أننا اضطررنا إلى إرسال المال إلى الهند من دار الجمرك .

ذكر أيضاً أنّه لم يكن قد وجد في الحصن أكثر من إثنين وثلاثين قطعة مدفعية ، وكان هناك نقصاً في ثلاثين من أجل ما هو ضروري بشكل تام ، مبدياً ملاحظته أنّه كان قد أخبركم بهذا ، وأنّه كان قد طلب منكم أن تساعدوه ببعض المعونة .

---

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

من أجل الكثير الذي حصلت عليه ممّا كنتم قد كتبتموه إليّ فيما يتعلّق بخطط الشاه ضدّ تلك القلعة ، يجب أن يكون من الواضح جدّاً لكم العناية التي يجب أن تمارسوها في كلّ الذي يتعلّق بها .

ممّا يكتبه أسقف "سيرين" إليّ ، الذي هو في مكانه ، ودون "لويس" المذكور ، الذي قبل هذا كان من اللازم أن يحصل على معلومات ، من الضّروريّ جدّاً أن تبدي يقظة شديدة حول أمن ذلك الحصن ، لأنّني متأكّد أنكم سوف تفعلون ؛ نظراً للأهميّة العظيمة للمكان ، وأنّني أوعز إليكم بأن تنفذوا بشكل كامل كلّ الذي قد أمرتكم به حول القضيّة ، من خلال الرّسائل المؤرخة في يوم السادس والعشرين ، والحادي والثلاثين من يناير ١٦١٢م والرابع عشر من يناير الماضي ١٦١٤م .

بعد أن ينتهي من زيارته ، "أنطونيو بينتو دا فونسيكا" "Antonio Bento da Vonsica" ، مع تقريره ورأيه ، فإنّكم سوف تأمرون بما يجب أن تحكموا به على أنّه أكثر حكمة مهما تكن الظّروف ، سواء فيما يتعلّق بتحصين المدينة ، مثلما هو بشأن توسيع مساحة القلعة ، لكي تكون قادرة في وقت الحرب على إيواء عدد كبير من الرّجال .

أكثر من الذين من المستطاع أن تتحمّلهم في حالتها الحالية ، فإذا كان الأمر كذلك من اللازم أن تظهر نافعة معلناً أنّه من الأهميّة بمكان أن تتبع الأعمال الإنشائية الجديدة لكي تظلّ خزانات المياه محروسة بشكل عام ، ولا يلحق بها أي ضرر من سرّيّة جنود كان من الواجب أن يتمّ توجيهها نحو أسوارها .

حررت في "لشبونه" في يوم الثالث من شهر يناير عام ١٦١٥م .

الملك ؛ "بيدرو ألفاريس بيريرا" "Pedro Alvares Perriera"

مكتوب على قمة الرّسالة : من قبل الملك ، إلى دون "جيرونيمو دي أزيفيدو" ، عضو مجلسه ، نائب الملك وقبطان عام دولة الهند

وفي العام نفسه (١٦١٥م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه ، بشأن قلعة "غمبرون" ، بتاريخ الثالث من شهر يناير ، عام ١٦١٥م ، بشأن العناية بقلعة "غمبرون" على البر الأصلي : (٣٠)

"دون جيرونيمو دي أزيفيدو" ، نائب الملك والصديق ، أنا الملك أرسل إليكم تحية كثيرة .

قدم إليّ "جيرونيمو دي كوادروس" ، الذي ارتقى منصب قبطانية قلعة "غمبرون" ، تقريراً من خلال رسالة منه ، التي وصلت براً ، بأنّه كان قد علم أنّ الشاه كان مبيناً نفسه على أنّه عدو لتلك القلعة ، وأنّه كان خائفاً ممّا هو محتمل أن يحدث : وأنّ تحصينها كان في حاله ، مشتملة على قوات البحر وفي البر ، لتقوم ببعض المقاومة ؛

على الرّغم من أنّ بعض قباطنة هرمز كانت ترى أنّها ضدّ حدوثها هناك ، كان ذلك لكي تقلل من الشعور بالقلق : وأنّه لفترة طويلة كان يجب أن

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

ينتمي البرّ الرّئيس الذي يقع عليه ذلك الحصن إلى ملك هرمز ، مع تكلفة قليلة ، إذا كان من الممكن الدّفاع عنه ، وأن يظلّ آمناً ؛ لكنّه بعد أن احتلّ الفرس كلّ الأرض ، بقيت هذه القلعة في حالة خطيرة .

لهذا السّبب يجب أن تكون القلعة الأكثر تزويداً بالمعدات في الهند ، على السواء فيما يخص الجنود كما في المدفعية ، التي لم تفعل ولا أي فكر لشيء كهذا ، على الرّغم من أنّه كان قد توسل بكلّ القضيّة لكي يتمّ تنفيذ هذا .

نظراً للقدر الكبير الذي كان ضرورياً لخدمتي وميزة دار جمارك هرمز ، لأن كلّ مجموعات سفن بلاد فارس اتّجهت إلى الموقع الذي توجد فيه القلعة المذكورة ، وكانوا مجتمعين معاً هناك ، وأبحروا إلى هرمز ، وأنّه إذا لم يكن هناك من أحد في ساحة المكان لكي يعتني بالبضائع الواردة والصادرة لتلك المملكة ، فإن الفرصة من الممكن أن تتوفر لجزء كبير منها لكي تختفي .

بالإضافة إلى هذا ، إذا فقدت هذه القلعة ، فمن الممكن أن تقل الثّقة والشرف كثيراً .

لهذا السّبب كان مقتنعاً ، وكان الضّروريّ كثيراً لخدمتي أن تجعلها مزدهرة لكلي تكون قادرة على مقاومة الفرس ، إذا هم حاولوا القيام بهجوم ، مثلما قد فعلوا مراراً ، في وقت سابق ، حينما كانت واقعة تحت الحصار في وقت دون "بيدرو كوتينهو" ، و"دون هنريك دي نورونها" اللذان كانا قبطانين لهرمز ، المناسبات التي فيها كانت قد أظهرت بعناية الأهميّة

الكبرى لقلعة "غمبرون" هذه ؛ وبينما هو من النافع جدّاً لخدمتي لدرجة أنّه من الواجب الحفاظ عليها ، وأن تكون لهذا الغرض في حالة جيّدة .

من أجل ذلك الذي ربّما يحدث ، فإنّني أوعز إليكم وأكلّفكم بأن تجعلوا القلعة المذكورة مزودة بكلّ الذي من المحتمل أن تحتاج إليه الآن ، وكلّ شيء آخر من المحتمل أن تحكموا عليه بأنّه ملائم من أجل حمياتها تحت أي حدث ؛ وأنّ "أنطونيو بينتو دا فونسيكا" يجب أن يواصل التّقدّم إلى هرمز لكي يأمره بالزّيارة وحل قضية تحصينها .

مع هذه الملاحظة ، حيث إنّها تقع على البرّ الرّئيس لبلاد فارس ، محاطة كثيراً بأعداء ، فإنّه من المهم أن تبقى في الوضع الممكن الأكثر دفاعاً : وما هو محتمل أن تأمروا به في هذه المسألة ، سوف تخبرونني به لكي أكون على علم بذلك .

حررت في "لشبونه" في يوم الثالث من شهر يناير عام ١٦١٥م .

الملك ؛ "بيدرو ألفاريس بيريرا"

مكتوب على قمة الرّسالة : من قبل الملك ، إلى "دون جيرونيمو دي أزيفيدو" ، عضو مجلسه ، نائب الملك وقبطان عام دولة الهند .

وفي العام نفسه (١٦١٥م)
بعث الملك رسالة إلـى نائبه ، بشأن ملك فارس ، الذي يتحيّن الفرص لاحتلال هرمز إذا تهيأت له الفرصة ، بتاريخ الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٦١٥م : [٣١]

صديقي نائب الملك "دوم جيرونيمو دي أزفيدو" ، أنا الملك ، أرسل لك تحياتي .

لقد اطّلعت على جميع ما كتبته لي في رسائلك بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر مارس التي تلقّيتها بواسطة السّفينة "أور ليدي أوف زى كــيب" وعن طريق البرّ فيما بعد يختصّ بالشاه ملك فارس وأهدافه ، وفي نفس الوقت اطّلعت على المزيد من الأخبار المباشرة عن هرمز من مطران سيرين الموجود هناك حالياً والقائد "دوم لويس دا جاما" والبعض من وزرائي في تلك القلعة ، وعليه فقد أحسست بضرورة إعطائك الأوامر اللازمة بخصوص هذه الأمور التي سوف

---

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

تتبيّنها من هذه الرّسالة ، وأشير أيضاً للمسائل التي أمرت بضرورة إبلاغك عنها عن طريق هرمز .

أما بالنّسبة لاتصالك مع ذلك الملك فإنّني آمرك بإعطاء الأوامر الملائمة بحيث يمكنك من دون التعرض لجرح مشاعره أن تحد من عملية التواتر التي أصبحت ديدن هذا الملك في إرسال سفراء إلى تلك الدّولة وتلك المملكة ، وممّا أمكن فهمه عن نواياه تبين أنّه من المناسب أن نبرز هذا وهو ما أمرت به في ذلك الشّأن عندما كتبت للقائد في هرمز .

كما ستلاحظ من خلال النّسخة من خطابي الذي أرسلته له في الثلاثين من شهر نوفمبر من العام الماضي ، والتي أرفقها طي هذا الخطاب ، وعلى كلّ ونظراً لعوامل وأسباب معقولة أمرت مؤخّراً أن يعدل ذلك الأمر بموجب خطاب آخر أمرت بكتابته له في الخامس عشر من شهر ديسمبر ، التّالي . أرسل لك أيضاً نسخة من هذا الخطاب للاطلاع عليه وإصدار الأمر للبت في الموضوع على النّحو الذي تمّ تحديده إلى أن أصدر إعلاناً بعكس ذلك .

لقد كانوا في تلك القلعة حذرين ويقظين لحد بعيد بسبب الرّسالة الاستخباراتية التي أفادت أنّ الشاه عازم بشكل جاد على الاستيلاء على هرمز إذا ما تهيأت له الفرصة ، وربّما يتحقق له ذلك إذا ما تمكّن من اغتنام أيّة فرصة أو هفوة تصدر من جانب الحرس ، ولذا يجب أن تحتاط بشكل كبير لكل ما قيل لك عن هذا الأمر حتّى تكون على علم بأهميّة ذلك المكان ومدى أهمّيته الكبرى لخدمة مصالحي وحماية المملكة وصيانة أمنها ؛ بحيث تتمكّن دفاعاتها من مقاومة وصد أي عدوان غير متوقّع .

بعد تدارس كلّ ذلك يترتّب عليك أن تسعى لاستيعاب كلّ ما يمكنك بشؤون "السّير روبرت" ونوايا الشاه .

كان بودي أن أطنب في الحديث بشأن تكليفك بمسؤولية ذلك الأمر لأنّني حقيقة مهما أسهبت في الحديث فلن يكون كافياً ، وعليه فإنّني أطلب منك فقط بالنّسبة للتحصينات الخاصّة بتلك القلعة والتّعيينات في شركة مسقط أن تستمرّ في ذلك كما أُخبرت في العام الماضي بموجب الرّسائل التي وصلتك في السّفن والرّسائل الأخرى المرسلة مع مجموعة المراسلات ، وإنّني على ثقة أكيدة بأنّك سوف تعمل كما أتوقع في جميع تلك الأمور خاصّة وإنّ حماسك لإنجاز المهام المتعلقة بمصالحي ليس موضع شكّ من جانبي .

بالإشارة إلى موضوع سفير الشاه الذي أرسل إلى عادل خان مع مجموعة الخيول كهديّة والذي كنت قد أخبرتني أنّه موجود في هرمز ، كنت قد علمت مؤخّراً من القائد "دوم لويس دا جاما" أنّه تنفيذاً للأوامر التي أصدرتها ، فقد قام بتسليمه لك . لقد أمرت بأن يصار إلى إبلاغ القائد كما ستتبيّن من خلال الخطاب المحرر في الثلاثين من شهر نوفمبر من العام الماضي ، مشار له أعلاه .

إنّه إذا ما اتّجه سفير آخر من نفس المنزلة والأهميّة إلى تلك القلعة فيجب ألا يدعه يمرّ إلى الهند ، وأن يعمل على احتجازه إلى أن يتمّ توجيهك وإلى أن يتلقّى ردك حول ما يجب عليه عمله .

من الضروري الاطلاع على الوسيلة التي بموجبها يتمّ الاتصال بين الشاه وبين بقيّة الملوك في الهند ومن ثمّ محاولة إيقافها ومنعها بحرص

وحذر حتّى لا يكون ذلك سبباً في الإساءة إليه وإثارة غضبه . لقد سمعت أنّ ملوك فارس السّابقين لم يحرصوا قط على تثبيت وتمتين أواصر الصّداقة مع الدويلات المجاورة لهم ، وعليه وبموجب هذا التّوجّه الجديد القائم على ما عرف عن قلقه واضطرابه يمكننا أن نفترض أنّه سوف يسعى لتأليبهم ضدّ الدّولة .

هذا أكثر ما يمكن أن يخشى بصفة خاصّة لأنّه من المعروف أنّ الملوك المسلمين في الهند ينتمون إلى طائفته وإنّهم مقرّون ومذعنون بزعامته لأنّه يعتبر بمثابة البابا الأقدس للكاثوليك ، وعادة ما تكون أوامره موضع احترام وكذلك توجيهاته التي تجعلهم يدعون له ويمجّدونه .

ربّما يكون هذا أكثر ما يحتمل حدوثه إذا ما تمكّن من إقناعهم أنّ تلك الأوامر والتوجيهات جزء من الإذعان والطّاعة لقوانينه ، واعتباراً لهذا فإنّك حسناً فعلت عندما أمرت بعدم رحيل السّفير في أيّة سفينة لا تتّجه مباشرة إلى تلك المدينة .

إلى ذلك كان قد طرح عليه اقتراحاً مفاده أنّ الصعوبات التي يثيرها هذا الأمر لم يتمّ فيها البتّ بما يكفي ؛ لأن لهؤلاء الملوك سفراء يقيمون عادة في "غوا" بحيث يمكنهم الاتصال بهم ، لكن بعد الطّريقة التي أغلقت بها موانئ في وجوههم بقي أن يتّجه سفراء الشاه إلى الأراضي والأقاليم التابعة للمغول وذلك عبر قندهار ومن هناك إلى أقاليم مالك ومنها إلى عادل خان ثمّ إلى ملقا .

يجب على دولتنا أن تخشى وتحسب ألف حساب للملوك المسلمين ويعتبر الثلاثة الأخيرون من طائفة الفرس ، ومع ذلك ؛ حيث إنّ المغول

لا يثقون[أ] دائماً في الشاه بسبب الحروب التي نشبت على حدودهم فمن المؤكد أنّه إذا ما أغلقت الطّريق المؤدية إلى هرمز فسوف يكون من الصعب عليه الاستمرّار في إرسال هؤلاء المبعوثين .

يبدو أنّه يجب عليَّ أن أخبرك بكلّ هذه الحقائق كي تتمكّن بعد أن تستلم هذا الخطاب من دعوة مجلس المملكة للانعقاد ، وبعد أن تقدم جميع هذه الأدلة يترتّب عليك طرح الأمر للاعتبار معطياً الأمر كامل أهمّيته . أيضاً يجب عليك أن تعلن بوضوح ما أُمرت به وكلّ شيء يحدث على أساس ما نحاول عمله .

عندما يتضح الأمر برمته ويناقش كلّ شيء (الإيجابيات والمشاكل التي ينطوي عليها يجب أن يتمّ اتخاذ قرار يقوم على مراعاة أسس طبيعة الأوضاع الرّاهنة وما لديك من معلومات في هذا الشّأن واتخاذ انسب الطّرق وأفضلها لأجل منع الشاه من تطبيق مخططاته وأهدافه ، ويجب عليك إصدار الأوامر الملائمة بحيث يوضع القرار الذي تتخذه في مسالك التّنفيذ ، وبهذا بوسعك أن تكون قادراً على الرّدّ بشكل مقنع على الشاه فيما يتعلّق بهذا الأمر .

يبدو لي أنّه من مصلحة المملكة أن تتلقّى الشكاوى من الملوك المجاورين كما هو الحال في الوقت الرّاهن ، ويمكن [إبلاغ الشاه بذلك] وقضايا مماثلة تنشأ في ظلّ أسباب كافية إضافتها وبالمثل الشكاوى من

(أ) يبدو لنا أنّه من الأفضل أن تقرأ "لا يثقون" إذ من المحتمل أن عدم وجود اللوح السالب هو غلطة الشّخص الذي قام بطباعة الوثيقة .

(ملاحظة المترجم : لقد ترجمتها متضمنه اللفظ "لا") .

جانب أتباعي ، بسبب اضطرارهم الدّخول في قلاعي وفي أقاليمي وأساطيلي والسّفراء الذين يتّجهون إلى هناك لرؤيتهم .

لقد أخبرت أنّ سفير الشاه الذي قام دوم "لويس دا جاما" بتسليمه لك قد حاول الإفلات وتجنب دفع الرّسوم الجمركية التي يفترض أن تستوفى على الخيول "التي يأخذها هديّة إلى عادل خان لا يجب تحت أي ظرف السّماح بمثل هذه العادة أن تقع وتستمرّ .

بناء عليه فقد أمرت القائد ألا يعمل على إعفاء أي شخص كما لا يسمح لأي فرد بأن يفلت من دفع الرّسوم الجمركية المستحقّة لإدارة الجمارك على الأغراض التي يحملها سفراء الشاه مهما كانت الأسباب التي يسوقونها إلا إذا كانت الأغراض تلك مرسلة إلى شخصي أو إلى نائب الملك في تلك المملكة .

لقد أحسست بضرورة إبلاغك عن هذا كي تكون على علم به وتأمر بمعالجة مثل تلك القضايا على هذا النّحو مستقبلاً .

بخصوص ما ذكرته فيما يختصّ بتجارة الحرير من فارس وما فعلته بشأن تنفيذ الأوامر التي أرسلتها لك ، فقد اعتبرت في ظلّ الأضرار الجسيمة التي سوف تطال العناصر الأجنبية من جراء أخذ هذه التّجارة منا ، فإن من يوفروا لهم فرصاً أخرى للتّجارة في تلك المناطق قد تهيأوا .

كيلا يطرح هذا الأمر جانباً ، وعليه فإنّني آمرك كي تبذل جهودك لأجل تفعيل ما تمّ إقراره فيما يتعلّق ويتناسب مع ما وجهت به في الخطاب الآخر في تلك الرّسائل بوساطات أخرى ... إلخ .

لابدّ أنك قد علمت بنتيجة الجهود التي بذلت بشأن إلقاء القبض على "دوم روبيرتو شيرلى" ؛ حيث كانت غير كافية لتحقق ما أريد وهو أمر أسند له في ضوء المصلحة ذلك بالنّسبة إلى خدمتي ، عموماً فإني آمرك بضرورة مواصلة جهودك ... إلخ ؛ كي تعلم بمكان وجود هذا الشّخص حتّى تتمكّن من الوصول إليه وبعد ذلك يمكن اتخاذ القرار المناسب لوضع حد للمخططات التي يضمرها .

كتب في "لشبونه" في الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٦١٥م .
الملك . "دوق دي فيلا هيرموسا" . "كونت دي فيكالهو" .

وفي العام نفسه (١٦١٥م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه ، بتاريخ الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٥م ، يذكر فيها زعيم سوقطرة ومعاقبته لتصرفه مع رجال السفينة : (٣٢)

"دوم جيرونيمو دي أزفيدو" ، نائب الملك والصديق ، أبعث لك أنا الملك بعاطر تحياتي .

تسلمت رسالتك التي وصلت عبر البرّ الرّئيس ، والمؤرخة في الحادي والثلاثين من شهر مارس ، والتي أبلغتني فيها بفقدان المركب الشراعي التابع لشركة "جواو رودريجز" ، الذي كنت راضياً تماماً عن خدماته ، وأوصيك بالنّظر في التماسات ودعاوي زوجته وأطفاله ... إلخ

الأمر الذي أصدرته لسفينة تجار موزمبيق بحمل ألف بالة من الأرز لتزويد سفن المملكة التي يفترض أنّها ذهبت إلى تلك الميناء ، شرط أنّها إن لم تكن هناك فيجب أن تسلم للكاتب التّجاريّ في تلك القلعة ،

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

لتوضع في المستودع لمناسبة أخرى تفرض نفسها ، ونيتك التي عبرت عنها للقيام بتوفير مؤن مشابهة كلّ سنة لتأمين ذلك الحصن ، الذي قدمت لي معلومات عنه في نفس الرّسالة ، ورأيت أنّه بعد أمراً حكيماً وصحيحاً .

عليه فإنّني آمرك بأن تنفذ ذلك بكلّ دقة ... إلخ

أما بخصوص الأمر الذي أصدرته أنت إلى "جاسبار دي أبرو" "Gaspar de Abro" ، فان تمكّن من القيام بإحضار زعيم سوقطرة الذي حكمت بمعاقبته على أساس سلوكه وتصرفه مع رجال السّفينة "نوسا سنهورا دو كابو" ، فأرجو ترك هذا الموضوع جانباً ، لأنّني أُبلغت بأنّ أولئك "الشيوخ" هم أبناء ملك قشن أو أقارب لهم صلة قريبة جدّاً ، وقد كان هو لبعض الوقت صديقاً تجاه الدّولة ، ولذلك يكرهه الأتراك الذين يشنون عليه الحرب دائماً كلما ذهبوا للهند .

على هذا الأساس ، ولأسباب أخرى ، يجب عدم التقليل من قدره وإهانته ، ويكفي أن يوضح له سوء العملية التي قام بها للأشخاص الذين كانوا على ظهر تلك السّفينة . عندها قد يقوم من تلقاء نفسه برد الاعتبار لهم وإرضائهم ... إلخ

أيضاً من خلال هذه المعاملة الفظة قد يتخذ ذلك عذراً ليتحالف مع الأتراك ، وعندها سيصبح مؤذياً جدّاً ، خاصّة عندما قلت لي أنّ هناك ترتيبات تقول بتوجّه الأتراك نحو باريم (البحرين) .

كل ما أفيدك به هو أن تكون معك المعلومات الكافية ، وعند دخول الأتراك إلى باريم ، فإنّني آمرك أن تحاول بكلّ قوّة مع كلّ قواتك دحرهم

بعيداً عن تلك الجزيرة حتّى لا تصيب الشرور هرمز من وجودهم بالقرب منها ، ولأنّ تلك الجزيرة ملكي .

علمت أيضاً من رسالتك المذكورة عن قرارك بعدم إرسال سفينة في العام الماضي إلى الصين ، بناء على الأسباب التي أشرت إليها ، وأنك فكرت فقط في تجهيز وإعداد مركبين أو ثلاثة للحفاظ على تلك التّجارة ، وإن يكن إلا أنّها صغيرة على رياح "المونسون" ، لكنني مع ذلك أرغب في أن تواصل ذلك كلّ سنة ... الخ ... كما أضع في اعتباري ما ذكرته في تلك الرّسالة حول حاجتك لمدفعية ، ولم تعالج موضوع كتيبة الصين ،

إنّني أرى ... من السليم أن أعلمك بما أنّ كلّ النحاس يأتي من تلك المناطق ، سيكون من المستحسن أن تأمر بإحضار ذلك المعدن من تلك المملكة .

لتحقيق ذلك أطلب من التّجّار إحضاره وأكّد لهم أنك ستشتريه بالسعر الذي يستحقّه ، وستدفع لهم ما يطلبونه في الحال ، لأنّني علمت أنّهم لا تدفع لهم قيمة ما يؤخذ منهم خلال كلّ تلك السّنوات ، كما عليك التأكّد من أنّ مستحقّات الجمارك عن النحاس يجب سدادها كما تسدد على غيره من البضائع ... إلخ

كتب في الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٥م

- الملك - "كونت دي ميراندا" "Conde de Miranda"

على العنوان : من الملك إلى "دوم جيرونيمو دي ازفيدو" ... إلخ

وفي العام نفسه (١٦١٥م)

دوّن سجل الأحداث في "غوا" منذ رحيل السّفن في التاسع عشر من شهر فبراير عام ١٦١٥م وحتّى تاريخ الثاني والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٥م ، ويذكر فيه صحار وتمرد شيخ صحار محمد بن مهنا الهديفي واستولى على مداخل الجمارك : (٣٣)

في التاسع عشر من شهر فبراير كان المركب الشراعي الذي غادر هذا الميناء في شهر مايو عام ١٦١٤م قد وصل عائداً من "ملقا" حاملاً نفس الأخبار التي تمّ استلامها من قبل ساو تومي وأرسلت للبرتغال مع آخر السّفن المغادرة . أما سفن الأعداء فقد اتّجهت إلى مدخل المضيق في "ملقا" انتظاراً لقدوم سفن البرتغاليين ومراكبهم العائدة من الصين .

بشكل عام ساد الاعتقاد أنّ تلك السّفن وما تحمله قد كانت جيّدة كالتي فقدت ، ولكن وفقاً لما حدث حينها فقد تمّ إنقاذها بأعجوبة بواسطة حاكم "مانيلا" الإسباني "د . جواو دا سيلفا" .

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

في السابع والعشرين من فبراير وصل السّير "روبرت شيرلي" بصفته سفير الشاه وقد تمّ استقباله في ضيافة نائب الملك في "بانجيم" ؛ حيث أكرمت وفادته وخصّص له خدم نائب الملك كي يعملوا على خدمته طيلة فترة إقامته هناك ، وعموماً تمّ استقباله في المدينة في تاريخ الخامس من مارس وذلك في دار الحكومة .

قد ابتدعت فكرة جديدة مفادها تخصيص مكان له تمّ تجهيزه كي يكون مقراً لقضاة المحكمة العليا وهذا أمر لم يحدث من قبل لأيّ فرد أو أي وزير ، وممّا شوهد أيضاً إقدام نائب الملك على نزع قبعته عندما تسلم خطاب الشاه من السكرتير الذي سلمه ذلك الخطاب متحدثاً إليه بكلّ ثقة . أما في "غوا" فقد خصّص له منزل "فيرناند كرون" كمقر لإقامته . هذا إلى جانب قيام نائب الملك بتخصيص مبلغ ألف زرافين كنفقة لطعام سعادة السّفير المذكور .

بالرّغم من أنّه وكامل أفراد حاشيته قد وصلوا للمدينة في لباسهم الفارسي ، إلا أنّه والبعض من اتّباعه البريطانيين قد ظهروا في بعض الأوقات يرتدون الزي البرتغالي ، ولقد شوهد أيضاً مع زوجته كحضور في عيد الفصح يقومان بزيارة الكنائس ، ويقال إنّهما قد ضمخا بالبخور في أديرة للرهبان .

في العاشر من شهر مارس وردت أخبار هامّة تفيد أنّ "دوم فرانسيسكو" أو "روكسو" (منسيس الأحمر) قد توفي ، وأنّ أسطوله قد مُني بالهزيمة ، وأنّ بعض سفنه قد وصلت إلى "ساوتومى" باستثناء واحدة استولى عليها العدو ، وفي تلك المعركة سقط مائتان وخمسون جنديا ما بين قتيل وجريح ،

وفي الثاني عشر من شهر مارس وصلت السّفينة "باتاشو" "Patacho" التي أبحرت ضمن أسطول "دوم فرانسيسكو" .

في العشرين من شهر أكتوبر وصلت السّفينة "فنسينتو دو مونت دو كارمو" "Vicento do Monte do Carmo" في ميناء هذه المدينة .

في السابع من شهر نوفمبر أبحر مركبان لإحضار المطران ، استقل أحدهما "كونستانتينو دي سا" بينما استقل "أنطونيو دا سيلفا" "Antonio da Silva" المركب الآخر ، وقد حدث ذلك على نفقتهما الشّخصية مع رجال لم يدفعا أجرهما ، لكنّهما فشلا في مقابلة المطران الذي قدم إلى هنا في سفينة أخرى [....] السّفن بتاريخ التاسع والعشرين [fo .232r] .

في نفس ذلك اليوم وصلت سفينة القائد في هرمز لكن دون أن تحمل من الأموال ما يؤول للملك أو ل دوم . "لويس" نفسه كي يدفع للأشخاص المدينين ، وإنّما جاءت بأخبار عن أوضاع القلعة هناك ؛ حيث يوجد هناك عشرة جنود ، أما البقيّة فقد حضروا كي يتمّ نشرهم في قلعة صحار التي تمّ الاستيلاء عليها من قِبل الشيخ المتمرد (محمد بن مهنا الهديفي) .

كان من الضروري أن يتمّ تسليمها إلى حاكم هرمز للاحتفاظ بها حتّى لا تستنفد طاقتنا ومواردنا هناك خاصّة والمنطقة تعتبر غير صحية تماماً ، ويجب ألا يطالب بالرّسوم الجمركية من هرمز من أجل تلك المنطقة ، وكان البرتغاليون موجودين هناك ، فهي تؤول بشكل مباشر إلى ملك هرمز ، ويتمّ استخدامها من قِبل القادة بأساطيلهم وسفنهم .

في التاسع من شهر نوفمبر غادرت احدى السّفن هذا الميناء متجهة إلى "كوتشين" "Cochin" بحثاً عن الفلفل ، وقد أبحرت تصحبّها بعض السّفن كي تحمل عنها البضائع الزائدة عن حمولتها .

كان ذلك هو الأسطول الذي اتّجه إلى "مالبار" والرّأس إلى هذا اليوم ؛ حيث كانت الضّرورة تقتضي ذلك بسبب انتظار قدوم المراكب من "ملقا" بالسّلع والبضائع التي تجلبها من الصين .

في الثاني عشر من شهر نوفمبر وصل المركب الشراعي الذي استقله "لورنسو بايرس" "Lorenco Byers" في رحلته عائداً بالتعزيزات إلى "كانانور" ؛ حيث ترك الجنود بسبب اضطراب الأوضاع هناك وتأرجحها ما بين حالتي السّلم والحرب بسبب الاضطرابات التي كثيراً ما تحدث في معظم تلك المناطق .

في الخامس والعشرين حدثت مشكلة بين قائد السّفينة "دو فنسينتو دو مونتي دو كارمو" من الأسطول البرتغالي وبين أحد أقارب المحقق "فرانسيسكو بورجيز دي سوسا" "Francisco Borgues de Susa" .

في آخر يوم من شهر نوفمبر أبحر مركب وأربع من السّفن متجهة شمالاً للانضمام إلى الأسطول في ذلك السّاحل ، وعلى متنها غادر "دوم بيدرو دي أزيفيدو" "D . Pedro de Azevido" .

في محاولة للتعزيز خاصّة في وجود العديد من السّفن التي أبحرت لذلك الشّاطئ بقيادة أحد المسلمين العرب كان قد هرب من هنا ، وابن أخ كنهال الذي كان يعمل منذ عشر سنوات في تلك السّفن ؛ حيث إذ عمل "اليسوعيون" على إطلاق سراحه من هناك ومن ثمّ أرسل

للسجن كي يفرج عنه بواسطة هذه الحكومة ويسمّى دوم "بيدرو" لأنّه مسيحي متزوج وله أطفال ، ولكنّه غادر ....

(نصّ غير كامل - يوجد نقص) .

وفي العام نفسه (١٦١٥م)
صدرت رسالة من "بيلشيور دوس أنجوس" "Belchior dos Angos" كتبت من فارس إلى ملك إسبانيا ، أصفهان ، بتاريخ الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٦١٥م ، وأحضر الرجال الذين قبض عليهم سلطان شيراز بالقرب من قزوين : (٣٤)

سيدنا ،

في الثامن عشر من شهر إبريل عام ١٥١٦م وصلت إلى "فاربات" وهي مدينة تقع من جانب بحر قزوين ؛ حيث يوجد ملك فارس ، فأسرعت مخاطراً بعبور جميع مناطق فارس حتّى وصلت إلى هناك قبل وصول خمسة وأربعين من البرتغاليين الذين احضروا أسرى في ميناء هرمز .

كان أولئك الرّجال قد قبض عليهم بواسطة سلطان شيراز قبل

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

يوم واحد من وصولهم . هذا وقد سلمت ملك فارس الخطابات التي حملتها منك وأبلغته كلّ ما طلبت سيادتكم منّي إبلاغه إياه ، ولقد عنى ذلك أنّه في اليوم التّالي أيّ عندما تمّ تقديم أولئك الأسرى وهم في القيود والسلاسل أمر بنزع القيود منهم فوراً قائلاً طالماً كان هؤلاء أتباعاً لسموكم فلن يكونوا أسرى وإنّما هم ضيوف عليه .

عليه فقد أكرمهم بإعطائهم بعض الهدايا قائلاً بأنّه سوف يقوم بإرسالهم إلى جلالتكم مع سفيره . أما بخصوص تطورت الحرب ، فإنّني لست متأكّداً منها منذ أن سمعت من الملك في العديد من المناسبات أنّ الرّاهب "أنطونيو" مطران "سيرين" هو السّبب الرّئيس في تأجيجها ، ولقد قال ذلك إما بسب كراهيته الشّديدة التي يكنها له أو بسبب أنّه إذا ما ساعد في فارس لأمكن الاستيلاء عليها منذ البداية .

تلك القلعة لم يستول عليها بواسطة الهجوم بل استسلمت بعد استمرّت تقاوم مدّة ثلاثة أشهر ، ولولا استسلامها لأمكنها الدّفاع عن نفسها لمدّة أطول ، لكن يبدو أنّ الأهالي لم يكونوا يعرفون ذلك أو لم يتّخذوا الكثير من الحيلة والحذر ؛ لأنّهم بعدما قاموا بتسليم البرتغاليين قام القائد العربي بقتل ستين منهم بدم بارد ومات الجميع إيماناً بسيدنا المسيح .

أمر الملك بإحضار جميع الأسرى والغنائم من القلعة ، وسافر الرّجال كأسرى مدّة شهرين عابرين جميع مناطق فارس ؛ حيث عرضوا على جميع المدن ، كما عرضت ، الأسلحة والأعلام ومذابح وأجراس الكنيسة . إعداد كبيرة من الأهالي تدافعوا في أعداد ضخمة لرؤيتهم ،

وهكذا عرضوا على الملك الذي كانت جميع بطانته في الميدان وقد جاءوا جميعاً لمشاهدتهم وهم في الأغلال التي وضعت في أعناقهم وأيديهم ، وبعد أن شاهدهم جميعاً أمر بفك الأغلال وتحريرهم وفعل ما ذكرته لك أعلاه .

بعد مضي شهرين وعندما ذكرته في وقت ما بإعطاء أولئك الأسرى كامل الحرية أرسل لهم مبلغ ثلاثة آلاف "كروزادوس" وبعض الثياب الجيّدة وقام بتعيين أحد خدمه سفيراً كي يقوم بتسليمهم لك . أما البريطاني "روبرت شيرلى" فقد جاء معه وسافر برفقته إلى هذه المدينة التي تسمّى أصفهان .

كان هذا الرّجل قد جاء عبر لاهور غير أنّ الطّقس بدأ ساعتها في التغير ، وبمرور شهرين تبين لنا أنّ الملك سوف يرسل أحد سفرائه الذين كان قد اسماهم ، وعلى كلٍ ، فقد وقع اختياره على البريطاني السّير "روبرت" كسفير له وهو اختيار لم يكن متوقّعاً ، وحينها خطر ببالي أمران لم استحسنهما ؛ لأن ذلك البريطاني ليس بخادم لجلالتكم ، وهذا ما حددته .

عموماً إنّني لست ضدّ ذلك لأنّه من الضروري أن يصار إلى طرد هذا البريطاني خارج فارس . لأنّه رجل يعيش على المفاوضات ، وإنّ هذا الملك تستهويه الحداثة وكلّ شيء جديد فلا شكّ إنه سوف يعمل على تحريكه طيلة الوقت . لقد تمّ ذلك الاختيار في أحد أماكن اللهو عندما اجتمع الملك مع هذا البريطاني والبعض من الضيوف وصار يحدثه بهمس وبشيء من السرّيّة ، الأمر الذي أثار شكوكي وهواجسي .

حقيقة كانت كثيرة تلك الصفقات التي أتى بها البريطاني للملك ، وكذلك قدم له مسؤولين بريطانيين من المختصين في جميع الآليات الحربية لأجل شنّ الحرب . أيضاً قدم عرضاً لبناء قلعة في سوقطرة ووضع اثني عشر مركباً في صف واحد بالقرب من المدخل الذي يؤدّي إلى مضيق مكة ، ومقابل ذلك فقد طالب بمبلغ مائتي ألف "كروزادوس" .

يضاف هذا لكميات الحرير في حلب وسعيه لتغطية تكلفة الأسطول القادم من هولندا الذي أفترض أنّه سوف يقوم فيما بعد بتمويل نفسه بما يحصل عليه من غنائم ، فقد أمكنه إرسال آلاف الـ "كروزادوس" إلى فارس .

طالما أنّ هذه الجزيرة تؤول جزئياً إلى من يقدر له أن يكون الحاكم هناك وفي وسع أسطولها أن يسبّب الكثير من الأضرار في مضيق هرمز وبالمثل مضيق مكة ، فبوسعه أن يكون ناشطاً وفاعلاً في الاتجاهين ، وقد أخبر هذا البريطاني الملك أنّ جلالتكم لديه من القوّة ما يمكنه من الاستيلاء على العديد من القلاع من قبضة الأتراك لمصلحتكم ، لكنّه لا يرغب في ذلك .

إنّ الأساطيل التي يقوم بإعدادها وتجهيزها هي أساطيل عادية لمجرد حراسة أراضيك فقط لا غير ، وبينما أبدى الملك سعادته حينما أخبرته عن أساطيل جلالتكم وعن الانتصارات التي حققناها ، إلا أنّ هذا الموقف تغير بعد وصول ذلك البريطاني إذ بدأ يحتج كما حدث سابقاً بنفس الألفاظ التي استخدمها البريطاني والتي سمعتها أنا أيضاً .

كان من ضمن ما احتج عليه ، ذلك الارتباك الذي حدث له في مدريد عندما أرسل جلالتكم خطاباً إلى السّفير في بريطانيا ؛ حيث

اتهمه جلالتكم بأنّه ليس سوى لص ، وبالمثل اتهامه في الخطاب بالحصول على مبلغ أربعة آلاف "كروزادوس" التي قدمتها له كهديّة والذي ذكر أنّه لابدّ له من إعادته لجلالتكم . ذكر أيضاً أنّ الأوامر التي أرسلت للهند بصدد اغتياله ؛ حيث كان ذلك هو الهدف في السند ، وقد سبب هذا ضرراً بليغاً له .

كانت الرّسالة التي يحملها تتضمن طلباً لجلالتكم كي تأمر ببناء القلعة المذكورة في سوقطرة إلى جانب بناء اثني عشر مركبا لتظلّ على استعداد بصفة مستمرّة لإغلاق المضيق ، وعلى سموكم أيضاً بذل الجهد لبناء أسطول قويّ "أرمادا" لمواجهة الأتراك على ألا يكون الأسطول أقل قوّة من أسطول صاحب الجلالة فيليب الثاني ، الذي وجهه والدك ضدّ بريطانيا ، كما يجب عليك أن تقطع وعداً للشاه في فارس بتنفيذ ذلك ، وإلا فسوف يصاب الشاه بخيبة أمل كبيرة .

إن كلّ ما ستكسبه من الملك هو الأسرى من البرتغاليين وبالمثل الوعود بمحاولة إعادة "باندل" (بندر) . تلك السّلطة للوعد بما ترغب فيه ، لكن من واقع ما لاحظته من عادات هذا الملك ومن الاستياء البادي عليه ، فإنّني أثق تماماً أنه لن يفي بوعوده تلك .

لقد سمعت أنّ اثنين من البريطانيين جاءا من سورات وتحدثا بشكل مطول مع السّير روبرت ، بعدها عاد أحدهما إلى "سورات" ، ويشتبه أنّ ذلك قد تمّ بموجب أمر من الملك ، وصل بيد المذكور السّير روبرت . أما الآخر فقد غادر عبر حلب متجها إلى إنجلترا .

عندما وصلت إلى هذا البلاط كان قد مضى شهر واحد منذ أن

أصدر هذا الملك أمراً بقتل ابنه الأمير الذي كان قد بلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً ، وكان رجلاً ذا مستقبل واعد مبشر بالنجاح . كان قدد سدد طعنة مميتة لأحد خدم الملك وتركه صريعاً في الوحل ؛ حيث ظلّ على تلك الحالة منذ منتصف النّهار وحتّى المساء ، وكان لتلك الحالة صدى واسعاً في جميع أنحاء فارس .

قد ثارت الشكوك حول الملك بعد أن صرّح بأنّه كان يتمنى أن يكون في محل ذلك القتيل . عموماً لا أحد قد صدق ذلك ، وإنّما دارت الشكوك حول غيرة الملك بسبب الاحترام الذي اكتسبه القتيل في أوساط الجيش . يعرف أيضاً أنّ للملك اثنين من الأبناء الصغار .

كانت الحرب التي اندلعت قد وجهها الأتراك ضدّ ملك فارس ؛ حيث نشر الأتراك قوّاتهم على الحدود تأهباً لقدومها في الصّيف وذلك تداركاً لأخطاء الغير عندما يأتي وصولهم متأخراً ، لكن الشاه لا يعول على ذلك كثيراً ؛ إذ إنّه لم يعمد للتحرّك ، لكن من المعروف أنّه يعمل على أن يكون جنوده متأهبين ومستعدين بصفة دائمة ، وهذا ما تبين بالفعل .

بما أنّه يستخدم الخدع في هزيمة الآخرين فإنّه سوف يفعل المثل مع الأتراك ، ومن موسكو جاء لمقابلته سفراء من قِبل الملك الغازي الذي تمكّن من تحرير موسكو من قبضة البولنديين الذين كانوا قد استولوا عليها وبسطوا هيمنتهم على معظم أنحائها .

لقد أرسلت نفس هذه المعلومات الواردة أعلاه إلى نائب الملك في الهند ، وأيضاً للسّفير دوم "غارسيا" والقائد في هرمز الذي يجب عليه اتخاذ أقصى درجات اليقظة والحذر في ظلّ انعدام الثّقة .

ربّما أمكن للسّفير دوم "جارسيا دا سيلفا" التواجد مبكراً هنا في بداية شهر أغسطس ١٦١٦م ، وسوف أكتب باللاتينية إذا ما استجدت الأمور ذات الأهميّة البالغة ، وأتوسل لجلالتكم أن تعمل على مساعدتي ؛ كي أتجاوز بعض الصعوبات التي أواجهها وأعانى منها في أوساط المسلمين العرب خاصّة وأنّ المشرف على الخزينة في هرمز لم يوافق على دفع المبالغ التي أمرتم بها .

أسأل الرّبّ أن يحفظ جلالتكم .

أصفهان في الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٦١٥م

أحداث عام ١٦١٦م

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن البحث عن المياه في "لارك" وقشم ، وقد عثر عليها بكميات وفيرة بدلاً من "غمبرون" ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٦م : (٣٥)

صديقي نائب الملك دوم "جيرونيمو دى أزيفيدو" ، أنا الملك ، أرسل لك تحياتي .

لقد أرسل لي دوم "لويس دا جاما" قائد القلعة في هرمز رسالة أبلغني فيها أنك قد أصدرت له أمراً لزيارة قلعة "غمبرون" ؛ كي يُعنى بمتطلبات الدّفاع وبالمثل جزيرتي قشم و"لارك" كي يؤمن لهما مواقع للري تماماً كتلك التي في هرمز ، وإذعاناً لهذا الأمر فقد سارع بالإبحار في شهر أغسطس عام ١٦١٤م لأجل التّنفيذ ، وإنّ ما وجدّه في القلعة المذكورة وفي الجزيرتين ضمنه تقريراً أرسله لي مفاده ما يلي[أ] :

(أ) مرفق مع هذه الوثيقة نسخة من خطاب دوم لويس دا جاما المحرر في ٢٠ ديسمبر ١٦١٤م . لم نتمكن من النّسخ لأن الألفاظ المستخدمة هي نفس الألفاظ التى تضمنها خطاب الملك .

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

إن قلعة "غمبرون" ليست سوى مبنى من الطين وهي في حالة من الضعف بحيث لا تصلح إلا للتمويه ، وهي مع القلعتين الأخريتين لا يصل إليها إلا القليل من الإمدادات . أما ما يسمّى بالقلعة فهي عبارة عن ساحة محدودة وتوجد في أركانها أربعة متاريس يمتد منها سياج من الدغل أو القصب والطين ، وبرغم ضخامته إلا أنّه ضعيف إلى حدّ كبير .

هذا ما يتخذ منه النّاس ملجأ لهم ، الأمر الذي يجعل من هذه القلعة مكاناً يصعب الدّفاع عنه ، وعموماً ففي إطار هذا المحيط توجد عدّة آبار توفر بعضها مياهاً عذبة صالحة للشرب وتكفي حاجة سكّان قلعة هرمز وتمد سكّان المدينة بالمياه وقت الحاجة الماسة .

يذكر دوم "لويس دا جاما" أنّ جزيرة قشم تحتوي على الكثير من المصادر المائية إذ توجد ثلاثة منها في السّاحل الشرقي وهذه هي الأقرب لهرمز ، وأكثر تلك المصادر ملائمة ذلك الذي يوجد في الوسط ؛ حيث يمكن الوصول إليه في جميع الأحوال ، وعموماً تبدو الحاجة إلى بناء ستمائة وثمانين مدماكاً لإكمال عملية بناء حائط لتحصين تلك الآبار .

كما تقتضي الحاجة أيضاً بناء حصن وبالمثل حصن صغير آخر في الأطراف وذلك كي تقاوم القلعة وتصمد في كلّ الاحتمالات ، ويذكر دوم "لويس" أنّ هذه الأعمال سوف تكلف كثيراً إذ كلّ الاحتياجات يجب أن تجلب من الخارج ولا شكّ أنّ سكّان الجزيرة سوف يعانون الكثير من جراء ذلك ؛ إذ إنّ تحصين مثل تلك المناطق لا يخدم الفقراء والمحتاجين في شيء .

يعتقد أنّ التحصينات المذكورة آنفاً ستكون بلا شكّ سبباً في رحيل

جميع السّكّان ، وعندما أصبح لديهم "زابندار" برتغالي كنت قد عينته عليهم صار هذا[أ] مصدر قلق دائم لهم وبالتّالي صاروا يراقبونه بحذر مستمرّ حتّى لا يغدر بهم ويمارس عليهم صلفه وجبروته .

يذكر دوم "لويس" أنّه عندما كان يعمل قائداً في تلك القلعة كان دوم "هنريك دي نورونها" قد فرض على سكّان تلك الجزيرة ضريبة سنوية قوامها ثلاثة آلاف "لارين" وذلك لأجل إعاشة ستين من المسلمين العرب (من أصفهان؟) الذين تقع عليهم مسؤولية حمايتها .

يعتقد أنّ تلك الإجراءات والترتيبات الوقائية لا تجدى شيئاً وإنّ قيامهم بجمع تلك الأموال سوف يكون مصدر قلق جميع السّكّان ؛ بحيث يجعلهم يدفعون أكثر ممّا يستطيعون ، واعتباراً لكل هذا يقول دوم "لويس" أنّه قد أمر بإلغاء تلك الضريبة ؛ حيث لم يعد لها وجود وأنّه أجبر الأهالي والسّكّان على تسليح أنفسهم بقدر استطاعتهم وهكذا أصبح في الجزيرة حوالي ألف رجل للدّفاع والذود عنها دون أن يصار إلى إزعاج أيّ فرد من السّكّان المحليين من أبناء الجزيرة .

هذا ، وكان قد عثر على كميات وفيرة من المياه في جزيرة "لارك" ، غير أنّ تلك المصادر تبعد كثيراً من مواقع السكن ، ويذكر أنّه في فصل الصّيف يتعذر البقاء في ذلك الملجأ لأيّام عدّة وذلك بسبب هبوب الرّياح الصّيفية وارتفاع منسوب المياه في البحر ، وعموماً فمن واقع ملاحظاته وخبرته شعر أنّه من غير الملائم إقامة قلعة في أي من الجزر

(أ) ليس واضحاً إلى من يشار بهذا – "ملحوظة المترجم" .

المذكورة ؛ لأن القلعة التي توجد في قشم يمكن الزود عنها من خلال وضع اثنين من الـ "foists" واثنين من "terranquins" ضدّ قوّة الشاه وتعتبر هذه أقل تكلفة عن تشييد المستوطنة .

أما فيما يتعلّق بقلعة "باندل" كما تسمّى ، فإنّه في حالة الاستيلاء عليها بواسطة الشاه فسوف يجعل منها معقلاً ذا أهميّة بالغة وبالتّالي ، وبناء على المياه المتوفرة فيها ، والموفرة لها الحماية ، فإنّني سوف آمر بأن تكون الأعمال التي سوف توكل عملية إنجازها للقائد معتمدة على مواد الحجارة والعكس . هذا إلى جانب بعض المساعدات من خزينتي لإكمال العمل .

من الممكن أن تنجز المتاريس الدّفاعية بشكل جيّد ؛ بحيث تمتدّ حتّى البحر ، وإنّني إذا ما أصدرت الأوامر بأن يتمّ تخصيص الجزء الثالث من الدخل لإنفاقه على الأعمال المذكورة فمن الممكن أن تتمّ عملية تسريع العمل بشكل أفضل وعلى النّحو الذي ينبغي عمله .

في ظلّ نتائج الالتزام الذي أوكلته للمذكور دوم "لويس" ، ومفهومه حول تلك النقاط ، وأيضاً باعتبار ضرورة المحافظة على "غمبرون" وحماية مصادر المياه في قشم ، فقد كتبت لك في السّنة الماضية مبيناً سير الأمور في هرمز وتحرّكات فارس ضدّ تلك القلاع ، واعتقد أنّه وبواسطة هذه الـ "vias" يمكنك أن تكتب للمدعو دوم "لويس" مرفقاً خطابك مع الرّسائل الموجهة إليه كي تعهد إليه وتلزمه بأعمال التحصينات في جزيرة قشم على أن يشرع في العمل .

بحيث إنّه إذا ما حدث أي طارئ تكون تلك المصادر المائية مؤمنة

وفي وضع يسهل حمايتها ، وأن تصدر له الأمر ؛ بحيث يضع نفسه في موقع المسؤولية على النّحو الذي يجعلني ملزماً بتقديم شكري وتقديري له .

أيضاً فيما يتعلّق بقلعة باندل خاصّة وهي في حالتها التعيسة تلك حسبما وصفها دوم "لويس" ، فمن الممكن أن يتمّ الاستيلاء عليها بسهولة ويسر ، وعليه فإنّني أعتقد أنّه من الأفضل أن أعهد لك بمسؤوليتها على أن تعمل على تحصينها وأن تلزم "أنطونيو بنتو دا فونسيكا" بالذّهاب في أقرب وقت إلى هرمز .

كما أنّه بوسعك أن تقترح في المجلس ما إذا كان من الملائم تقليص هذه القلعة إلى محطّة تجارية ؛ وذلك كيلا تثير بمجرد ذكر اسم القلعة حفيظة الفرس للقيام بمهاجمتها . أيضاً يترتّب على المذكور "أنطونيو بنتو" أن يتولى مسؤولية إصدار الأمر بعمل تحصينات لمصادر المياه في قشم .

أما بالنّسبة لـ Foists التي أشار إليها دوم "لويس" كضرورة لازمة لأجل مراقبة ذلك البحر فقد تركت لك الأمر لتوفيرها وفق ما تراه ضرورياً .

كتب في "لشبونه" بتاريخ السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٦م . الملك . دوم "استيفاو دي فارو" "Estefao de Varo" .

وفي العام نفسه (١٦١٦م)

ورد أمر تمّ استلامه من نائب الملك ، بشأن المياه في "قشم" و"لارك" ، بتاريخ شهر يناير عام ١٦١٦م : [٣٦]

"دي لويس دا جاما" ... إلخ

خطاب تذكر لي فيه تفاصيل نتيجة المهمّة التي توليتها شخصياً في قلعة ... ، وأخذ المياه في جزيرة قشم و"لارك" و ... أنا ... الأوامر التي استلمتها من نائب الملك ، وما ترى أنّه يجب توفيره للقلعة ، والجزيرة وموقع الري لكي تجعلها في حالة يمكن من خلالها الدّفاع عنها بشكل جيد ، وفيما يتعلّق (بالأمر) (؟) لدي خطاب مكتوب إلى نائب الملك بخصوص ما أعتبره مناسباً لتوفير الأمان لها ، كما ستسمع منه .

بالنّسبة للأمان في موقع الري في قشم ، وهو ما تعتمد عليه الحياة في قشم بشكل كبير ، فإنّه يعتبر مهماً ضمان أمان حصن (هرمز) ، أرى أنّه من المناسب وأطلب منك بشكل خاصّ أن تقوم بتحصين قشم ؛

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

بحيث إنّه مهما يحدث ، يمكن الدّفاع عنها وحفظ المياه آمنة ؛ حيث إني متأكّد أنك سوف تقوم بالتزاماتك لخدماتي بحماس ، وسوف تقوم بتلك المهمّة باهتمام ، وانتهز المناسبة لأعبر عن امتناني بصورة كتابية ، ... إلخ .

وفي العام نفسه (١٦١٦م)

صدر تقرير عن الأسطول المرسل من قبل نائب الملك بقيادة "الدوم فرانسيسكو روليم" "Francisco Rolem" الذي استولـى على قلعة صحار مع "فاسكو دا جاما" ، بتاريخ عام ١٦١٦م : (٣٧)

لقد تنوعت مصائب قلعة صحار ، مثل تنوع حكامها في الوقت الحاضر وفي الأوقات السّابقة . تبين خرائبها أنّها كانت في وقت من الأوقات واسعة ورائعة ، ولكن يوجد الشيء القليل المؤكد ، والذي هو معروف عن تاريخها ، والأكثر حداثة هو تدميرها على يد "أفونسو دي البوكيرك" العظيم ، الذي يُعتبر تابعاً لملك هرمز الذي كانت متضمّنة وقتئذٍ في داخل أراضيه .

بعد ذلك كانت القلعة مسيطر عليها لفترة قليلة من الزمن من قبل أسطول مملوكي أتى أسفل البحر الأحمر ودخل الخليج ، وبعد

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

ذلك ، مع مرور الزمن والانهيار في ثروات ملوك هرمز رفض بعض من وزرائهم أن يُقسموا ولاء الطّاعة وعجزوا عن تنفيذ ما قد وعدوا به في شروط تبعيتهم .

عندما أبصر السّكّان . هذا ؛ وحيث إنّ كلّ شيء في تلك المدينة كان مدمراً ، تمنوا أن ما رأوا متمردين آخرين يحققونه ، وتمردوا بأنفسهم بسبب نقص الولاء الذي أعطاهم دافعاً أشد وقوّة لكي يفعلوا هذا . لقد اقتربوا بدرجة كافية من أهدافهم لكي يستولوا على المدينة والقلعة من الوزراء الذين تمردوا معها كقاعدّة لهم .

لكن هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم منتصرين لم ينقصهم المقلدون ، ولم يطمعوا في النّقصان لكي يجعلوا الآخرين يفعلون نفس الشيء ، بنتيجة أنّه بعد أزمات عديدة من الخسارة والمكسب التي هي عادة في تلك التمردات والخيانة ، وقعت القلعة في أيدي رجل مسلم ، يسمّى محمّد الذي استمرّ حكمه لمدّة أكثر من أربعين عاماً ، قريبة من الوقت الذي نكتب فيه .

ذلك لأن الميناء كان مناسباً جدّاً لإيواء القوارب السريعة والأرض كانت ملائمة للتّجارة والتّجّار مع كلّ بلاد العرب وأشياء أخرى تأتي إلى هناك ، وغالباً ما حدث أنّ ثمانية عشر أو عشرين قارباً سريعاً أفرغوا بضاعتها في يوم واحد ، والتي كانت تحتوي على فلفل وأشياء أخرى ممنوعة بالقانون ، كانت هذه التّجارة ضارة بجمارك هرمز ، ولم تسبّب ضرراً قليلاً لميناء مسقط ، ولذلك إذا لم يتوقّف هذا التوسع ، من الممكن أن يحدث نقص شديد في رسوم جمارك جلالته .

في الوقت الذي كان فيه الدوم "جيرونيمو دي ازيفيدو" حاكماً ، أبلغ

قبطان هرمز ، "الدوم لويس دا جاما" ، بهذا إليه ، وقرّر أنّه من مصلحة جلالته أن يجد سفينة "جالي" وخمسة قوارب سريعة ، وكان القبطان العام وقبطان سفينة "الجالي" هو "الدوم فرانسيسكو روليم" ، وقباطنة القوارب السريعة هم "بينتو دي فاسكونسيلوس" "Bento de Vasconcilos" ، و"بارثولوميو دي ليموس لوبو" "Bartholomew de Limos Lopo" ، و"أنطونيو بورجيز دي ميراندا" "Antonio Borgues de Miranda" ، و"باولو كوتينهو" "Paolo Coutinho" ، و"جواو باربوسا كالهيرو" "Joao Barbosa Calhero" .

أبحروا من "غوا" في يوم العشر من شهر مارس عام ١٦١٦م بتعليماته لكي يذهبوا إلى مسقط ؛ حيث يمكن أن يكتشفوا فيما إذا كانت توجد فرصة ليهاجموا قلعة صحار ، ويمكن أن تتمّ مساعدتهم من قبل شيخ يسمّى "عامر" ، زعيم قبيلة ، تعهد بنفسه أن يساعدنا في هذه الحملة العسكرية بثمانمائة رجل ؛ لأن قبطان صحار أو شقيقه قد أحدث إصابة بالغة لشقيق له .

لقد أخبر نائب الملك أيضاً "الدوم فرانسيسكو روليك" أنّه ربّما يجد في مسقط الأسطول الذي يقوم بعملياته الحربية في مضيق هرمز ، والذي كان قبطانه العام "فاسكو دا جاما" منتظراً المساعدة لكي تأتي من الهند ليهاجم صحار ، فإذا تقابلا ، فإنّهما يمكن أن يدمجا أسطوليهما لكي يبدءان السّير بحراً في هذا الهجوم ، بالإضافة إلى جنود الشيخ .

إذا لم توجد فرصة مناسبة ، فإن نائب الملك أصدر أمراً بأنّه يجب على "الدوم فرانسيسكو روليم" أن يذهب بأسطوله إلى هرمز وأن يسلمه

إلى قبطان القلعة "الدوم لويس دا جاما" ؛ حيث يمكن لرجاله أن يُعززوا الحامية التي قد علم بأنّها فارغة جدّاً وكان هذا من الأهداف الرّئيسة التي من أجلها كان مرسلاً إياه .

غادر "الدوم فرانسيسكو روليم" بهذه الأوامر في الوقت المذكور ووصل مسقط دون حادث . هناك وجد "فاسكو دا جاما" مع أسطول المضيق مثلما تمّ ذكره ، الذي يتكوّن من خمس سفن كان قباطنتهم هم "فاسكو دا جاما" ، القبطان العام ، و"دومينجوس نونو" "Domingos Nuno" ، و"فرانسيسكو بيريرا دي بيتنكورت" "Francisco Perriera de Betencorte" ، و"جاسبار فيراو" "Gaspar Virao" .

اجتمع رؤساء القباطنة وناقشوا أوامرهم ، وأعلموا الشيخ عامر عن وصولهم وغرضهم ، والذي (عامر) وجدوه في مزاج حسن لكي يحقق الوعد الذي قطعه على نفسه .

تم القيام بجميع الاستعدادات الملائمة ، وبدأت كلّ من الأساطيل في الإبحار آخذين معهم مركباً لنقل البضائع التي اعتادوا على استخدامها كقارب سفينة مزوداً بمدفعين ثقيلين لكي يضربوا القلعة بالقنابل ، بالإضافة إلى بعض سفن السحب للخدمة في جر السّفن .

ذهب الشيخ عامر براً برفقة "أنطونيو بيمنتا" "Antonio Pimenta" وكان رجلاً متزوجاً من مسقط ، كان يعمل معه ودوداً جدّاً ، و"جواو دي سوزا" وهو شخص موثوق فيه كان خبيراً بهذه المناطق وذا علم بالدّولة المحيطة بالمضيق .

جاءت الأساطيل على مقربة من صحار ؛ حيث ألقوا مراسيهم

على عمق سبع قامات . نزل رؤساء القباطنة مع بعض الجنود والقباطنة في قارب برمائي تقدم بهم وهم يقيسون أعماق المياه عندما ذهبوا إلى هناك ، لذلك كان الأسطول وقواربنا مع مدفعيتهم على مقربة من القلعة .

حينما أخذوا مواقعهم على عمق قامتين بدأوا في إطلاق النار واستمرّوا في ذلك لعدّة أيّام ، مُسببين خسارة فادحة للعدو ، حتّى وصول الشيخ عامر .

في يوم التاسع والعشرين من شهر إبريل أخذ موقعه على مسافة نصف فرسخ من القلعة مع ألف ومائتي رجل مسلح ، بعد ذلك تمّ إصدار الأوامر بالنزول من السّفن ، أوامر تمّ تنفيذها في اليوم التالي بدون خطر لأنّهم كانوا بشكل ما بعيدين عن القلعة جهة الجنوب .

عندما نزل البرتغاليون أقاموا معسكراً بين أشجار النخيل واستولوا على بعض المساجد القريبة ؛ حيث أقاموا دفاعات حتّى جاءت المدفعية من البر ، حيث وصلت في الحال ، على الرّغم من أنّه كانت هناك حاجة قليلة لهم ، كما سوف يتمّ ذكره فيما يلي .

في اليوم التالي قابل القادة البرتغاليون الشيخ عامر لكي يناقشوا كيف يضربون القلعة بالقنابل ، ولكن قبل أن يفعلوا هذا ، شدّد عليهم الشيخ عامر أن يوافقوا على أنّه يجب ألا يتمّ أسر أي مسلم من القلعة أو المدينة ، كان هذا على ما يبدو حتّى لا يرتكبوا أيّة خطيئة طبقاً لتعاليم دينهم ، الذي يطبقه العرب بشده ، في حالة إذا ما أصبح أي منهم مسيحياً .

أراد أيضاً اتفاقاً بشأن الأسلوب وأنّ مبلغاً معيناً من المال يجب أن يتمّ تخصيصه لمصاريف الأسطول عندما تصبح البقيّة ملكه .

حينما بدأت المناقشات حول هذا ، ذهب "أنطونيو بيمنتا" لكي يتحدث إلى "الدوم فاسكو دا جاما" الذي كان في خيمة بنفسه ، بينما كان "الدوم فرانسيسكو روليم" في خيمة أخرى .

لذلك دارت رسائل كثيرة بين الشيخ و"أنطونيو بيمنتا" و"الدوم فاسكو" لدرجة أنّ "الدوم فرانسيسكو روليم" أصبح مُتشككاً في أمره ، مدركاً أنّه لم تحدث مناقشة لأيّ شيء معه ، وقال إنّ كلّ شيء يتوقّف على عامر ، ولم يحقق "أنطونيو بيمنتا" و"الدوم فاسكو" أي غرض .

عندما سمع ذلك تدخل "جواو باربوسا كالهيروس" وأقنع "الدوم فاسكو" ، الذي عرفه ، أن يذهب إلى خيمة "الدوم فرانسيسكو" . فعل هذا ، لكي يتمّ إعطاء كلّ منهما الرّسائل التي تمّ إحضارها ، وضع هذا حداً لسوء ظن "الدوم فرانسيسكو" .

استحق قرار "الدوم فاسكو" ثناءً كثيراً لأنّه منع القلق ولم تكن النتيجة ناجحة مثلما ينبغي أن تكون .

في نفس الوقت وصل خمسة عشر أو ستة عشر رجلاً مسلماً حسان المظهر من القلعة ، حاملين بنادق معتني بها بصورة حسنة لكي يزوروا أصدقاء ويقوموا باتصالات بين رجال الشيخ عامر .

على الرّغم من أنّ البرتغاليين كانوا يشعرون بالقلق إلى حدّ ما من هذا ، فإن رجال الشيخ أكّدوا لهم أنّهم أتوا بهدوء . بعد أن انتهت

الزّيارة رجعوا إلى القلعة ، وعندما اقتربوا من المكان الذي كان فيه البرتغاليون استداروا ببنادقهم وأطلقوا نيرانهم جميعا على البرتغاليين ثمّ لاذوا بالفرار في اتجاه القلعة .

بالرّغم من أنّ البرتغاليين تركوا المعسكر وجروا وراءهم ، فإنّهم لم يستطيعوا اللحاق بهم ، ولذلك فإنّهم رجعوا وهم غاضبين إلى رجال الشيخ عامر ، ووجدوا أنّهم أيضاً كانوا يشعرون بالقلق ، على ما يبدو لأنّهم اعتقدوا أنّه خطأ ، وعليهم أن يحاربوا رجالاً من نفس الأمّة والدين .

عندما سمع الشيخ بهذا ، إما لكي يحمي نفسه من بعض الخيانة التي ربّما خاف منها بين رجاله أو لكي يطمئن البرتغاليين ، فقد ظهر في خيمة رئيس القباطنة وبيده رمحاً مخبراً إياهم بألا ينزعجوا وطالباً بعض الجنود لكي يساعدوا في تهدئة رجاله . أخذ أربعين أو خمسين منهم ، والذين أزال غضبهم ، وكان كلّ فرد منهم هادئاً .

أحداث عام ١٦١٧م

صدر تقرير حول خلفية العرض الذي قدمه ملك الجزيرة العربية مقابل الدعم لأجل الاستيلاء على البصرة من قبضة الأتراك ، بتاريخ عام ١٦١٧م : [٣٨]

عندما كان والد الملك الحالي حاكماً في فارس ، كان في حالة حرب ضد والد سيدي مبارك الذي يتولى الآن الحكم في إحدى مناطق الجزيرة العربية الواقعة على حدود فارس ؛ حيث تمكن من انتزاع بعض المدن الحدودية في هذا الإقليم من قبضة الفرس ، تمت إعادتها له بالمثل وكذلك ثلاثة أو أربعة مدن أخرى .

عندما تولى الملك الحالي في فارس كرسي الملك خشي من إقدام مبارك على إبرام اتفاقية مع "الأوزبك" Usbeks الذين يستوطنون المنطقة الواقعة شرق بحر قزوين ، ومن ثم ربما قاموا بشن هجوم عليه

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

من ذلك الجانب ، بينما يقوم هو بذلك من جانبه تم إلقاء القبض على المبعوث الذي يحمل هذا الخطاب .

عندما علم الفرس بنوايا مبارك اشتكى لصديقه الشيخ ومن ثم عمل على الاتصال بمناوئيه للوقوف على طبيعة الوضع ، ولقد تم الاتفاق بحيث يعيد مبارك اثنتين من المدن التي احتلها للفرس (وهذا ما فعله) والاحتفاظ بالبقية ، ولقد تم التصديق على هذه الاتفاقية .

كضمان على الالتزام بالاتفاقية كي يستمر مبارك كحليف للفرس ومنع السفن التركية من دخول مياهه الإقليمية ، قدّم مبارك ابنه سيدي ناصر رهينة ، ولقد ظل ابنه هذا لعدة سنوات في بلاط الملك الفارسي الذي زوّجه ابنة أخيه ، ولقد علم أنه موجود الآن مع والده في مقر إقامته .

وفي العام نفسه (١٦١٧م)
بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند ، لشبونه ، بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م ، يذكر فيها الحرب بين هرمز وفارس : [٣٩]

صديقي الكونت نائب الملك ، أنا الملك ، أتمنى لك دوام الصحة .

سوف تلاحظ من خلال رسائلي لك في عام ١٦١٥م ، أنني قد أرسلت إلى نائب الملك "د . جيرونيمو دي أزفيدو" آمراً إياه بأن يبذل مساعيه لإزالة أسباب الخلاف والشكوك بين جلالة ملك هرمز وقاضيه ، ولقد سبق أن أخبرني في رسائله في العام الماضي أنه سوف يقوم بذلك .

قد نبهني إلى أنه من الأفضل أن أصدر لهما أمراً بالتوجه إلى "غوا" ؛ لأن وجودهما في "غوا" بعيداً عن هرمز سوف يكون ذا فوائد كبيرة في تأمين وتهدئة الأوضاع في هرمز في الوقت الراهن ؛ حيث تقوم الحرب بين تلك القلعة وبين فارس .

---

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

لقد عزمت في قرارة نفسي أن أقترح عليك كما أفعل الآن في هذه الرسالة أنه ما لم تقدم على اتخاذ قرار بشأن إحضار أولئك المسلمين إلى "غوا" ، كما ذكر "جيرونيمو" ، فيجب عليك أن تحاول تفعيل المصالحة بينهما بكل السبل الممكنة ، وأن توفق بينهما بواسطة الكابتن "د .لويس دي جاما" ؛ إذ إنني أعتقد أن تدخله في هذا الأمر كفيل بتحقيق النتائج المرجوة .

أيضاً لابد من الإيعاز للقاضي بضرورة إظهار احترامه لجلالة الملك ، بحكم أنه تابع له ، ولابد من إطلاعي على نتائج ما تقوم به من مساع كي أكون على علم .

حُرر في "لشبونه" بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م .

الملك ، المطران ، رئيس الأساقفة

مرسل للكونت نائب الملك .

وفي العام نفسه (١٦١٧م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه في الهند بشأن الخلاف في هرمز بين ملك هرمز وقاضيه ، لشبونه ، بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م : (٤٠)

الكونت نائب الملك وصديقي ... إلخ .

لقد أمرت بأن يرسل إلى "دوم جيرونيمو دي أزيفيدو" بأنه يجب أن يقوم بإنهاء النزاعات والخلافات القائمة بين ملك هرمز وقاضيه ، وقد كتب ذلك بنفس الصيغة التي قد تقرأها في خطاب عام ١٦١٥م ؛ وحيث إنه من خلال واسطة "vias" العام الماضي ، قد نصحني أنه سوف يتم ذلك ، مشيراً إلى أنه لهذا السبب سيكون من الأفضل إرسالهم إلى تلك المدينة .

سيكون نتيجة لذلك أيضاً من خلال استضافتهم هناك ، توفير أفضل قدر من الأمن للأشياء الموجودة في هرمز في الوقت الحالي ،

---

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

عندما كانت في حرب مع الفرس ، وقد رأيت أنه من المناسب أن أوضح لك (وهو ما أقوم به) أنه من دون المحاولة لأخذ هؤلاء المسلمين إلى جوا ، كما كان مقترحاً من "دوم جيرونيمو" ، فإنك يجب أن تسعى لدعمهم بأكبر قدر ممكن كي يتمكن كل منهم من الوصول إلى نوع من التفاهم الودي .

يمكن وصولهم لذلك من خلال طرق النقيب "دوم لويز دي جاما" ، والذي من خلال تدخله تمكنت من فهم أن ذلك سوف يتم بسهولة ، ومن خلال إصدار أوامر بأن يعامل القاضي الملك بالاحترام والكياسة التي تليق به ؛ لأنه تابعه ، وسوف تعلمني بما ستقوم به نتيجة لتلك المهام ، كي أكون على إطلاع .

كُتب في "لشبونه" العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م .

الملك ، رئيس الأساقفة ، الكونت نائب الملك .

رد على ما سبق :

عند وصولي إلى هنا ، حاولت أن أعرف كل ما يخص هذا الموضوع ؛ وحيث إنه قد تم إخباري أن الملك والقاضي أصبحا الآن صديقين حميمين ، وقد تزوج ابن الملكة ببنت القاضي ؛ بحيث اتحد رباط الصداقة بشكل أكبر ، فقد رأيت أنه لا يوجد لدي ما أقوم به حول تلك المسألة إلا أن أكتب لهم ، وهو ما قد قمت به على الفور ، وقد أمرتهم بالنيابة عن جلالتك بالاستمرار في صداقتهم ، وأن يحترم القاضي الملك بشكل منصف ، وأن يقدر الملك القاضي ويعامله

بشكل جيد ؛ لأن ذلك سيكون سبباً في خدمة جلالتك ، وقد أمرت جدياً "دوم لويس دا جاما" ، نقيب تلك القلعة ، بأن يحقق الثبات في تلك الصداقة ، القائمة حالياً بين الملك والقاضي .

وفي العام نفسه (١٦١٧م)

بعث الملك رسالة إلـى نائبه في الهند ، تتعلق بالخلاف بين ملك هرمز وقاضيه ، والرد عليه من نائب الملك ، بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م : [٤١]

صديقي الكونت ونائب الملك ... إلخ

لقد تمت مخاطبة "دوم جيرونيمو دي أزفيدو" برسالته كي يقوم ببذل مساعيه لأجل تهدئة وإنهاء الخلاف القائم بين ملك هرمز وقاضيه ، وذلك على النحو الذي سوف تتبينه من خلال الاطلاع على خطابي المرسل في عام ١٦١٥م .

حيث كان قد أخبرني في العام الماضي بأنه سوف ينفذ ذلك ، وكان قد أعلن أنه لأجل إنجاز هذه المهمة بطريقة أفضل يجب أن يتم إرسالهما إلى تلك المدينة ("غوا") ولعله يمكن أن يترتب على وجودهما هناك أن تنعم هرمز بالكثير من الاستقرار وهدوء الأوضاع في الوقت الراهن ؛ إذ إنها كانت في حرب مع فارس .

(٤١) رقم الوثيقة والهامش.

لقد رأيت من المناسب أن أطلعك على هذا (كما أفعل الآن) ، أنه بدون أخذ أولئك المسلمين العرب إلى "غوا" ، حسبما اقترح "دوم جيرونيمو" فإنه يترتب عليك أن تجد في مساندتهم بكل ما أوتيت من قوة كي تعيد المياه إلى مجاريها وتسود الصداقة والتفاهم بينهما ، ويمكن تحقيق ذلك من خلال مساعي القائد "دوم لويس دا جاما" .

حيث أخبرت أن تدخله في الأمر سوف يزيل كل الصعوبات والعوائق ، ويمكن إصدار أمر إلى القاضي بضرورة إظهار التوقير والاحترام للملك بصفته تابع له ، وعليه يجب أن تبلغني بكل ما تقوم باتخاذه في هذا الأمر وبالمثل النتائج المترتبة كي أبقى على علم بما يجري .

كُتب في "لشبونه" بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م .

الملك ، رئيس أساقفة النصرانية ، الكونت نائب الملك

الرد على ما ورد أعلاه :

بعد وصولي إلى هنا عملت على أن أكون ملماً بكل ما طرأ في هذا الموضوع ، وبالفعل أخبرت أن الملك والقاضي قد صارا أكثر من صديقين حميمين ، وأن روابط الصداقة قد أصبحت أكثر متانة بعد أن اكتملت عملية تزويج ابن الملكة من ابنة القاضي ، وعموماً أحسست أنه لم يعد هناك من شيء أكثر من ذلك لعمله في هذا الموضوع سوى أن أكتب لهما ، وهو ما فعلته ساعتها ، وقد أمرتهما بالإنابة عن جلالتكم بضرورة الاستمرار والمحافظة على تلك العلاقات الودية .

كما أمرت القاضي بضرورة إظهار احترامه للملك وتوقيره ، وبالمثل

أيضاً أوعزت للملك بضرورة احترام وتكريم القاضي ، وذلك لأجل ضمان خدمة جلالتكم ، وأيضاً إلى "دوم لويس دي جاما" قائد تلك القلعة . هذا ولقد أمرت بضرورة توثيق علاقات الود والصداقة في الوقت الراهن بين الملك والقاضي .

وفي العام نفسه (١٦١٧م)

بعث "لويس دي جاما" "Luis de Gama" رسالة إلى الملك ، بتاريخ التاسع من شهر أغسطس عام ١٦١٧م ، يخبره عن خبر من القائد في مسقط عن وجود السفن الإنجليزية ، وأنها قد دخلت مضيق هرمز : (٤٢)

سيدي ، في أغسطس عام ١٦١٦م أرسلت خطاباً إلى جلالتكم بواسطة "لويس دي مورا" "Luis de Mora" ضمنته بياناً بكل ما حدث حتى حينه ، بعد وصول إحدى السفن البريطانية في هذا المضيق في ديسمبر الماضي ، قمت بإرسال أحد الأرمن في السادس عشر من شهر يناير ومعه رسائل إلى جلالتكم بينت فيها حقيقة مخططاتهم ، وبسبب ما يكتنف ذلك الطريق من خطورة وبسبب مخاوفي من حدوث بعض الصعوبات قمت بإرسال "فرانسيسكو بيريرا" في السابع عشر من شهر مايو ، معتقداً بوجوب إبلاغ جلالتكم على وجه السرعة خاصة وأن ذلك الرجل جاد ويتسم بالكثير من المثابرة .

---

(٤٢) رقم الوثيقة والهامش.

بعد هذا كان "سيلفستر غونسالفيس بيريرا" "Silvester Goncalves Perriera" قد وصل قادماً من "غوا" يحمل لجلالتكم رسائل نائب الملك ، وبالفعل جهزته في الحال بإحدى السفن ومن ثم أبحر في السابع من شهر يونيو .

كان هؤلاء يحملون نسخاً طبق الأصل من الرسائل ، والآن فإنني أرسلها في تلك السفن تحسباً ؛ إذ ربما لم تصل تلك التي أرسلت عن طريق البر كي يكون جلالتكم على علم بما يحدث ويعلم مدى حرصي وحماسي بإبلاغ سموكم بالأخبار العاجلة بشتى أنواع السبل الممكنة .

لقد أرسلت لكم مبيناً الأسباب التي دفعت الشاه لشن الحرب كما فعل ضد قلعة "غومبرون" وما حدث بعد ذلك ، وعليه أعتقد أنني قمت بواجبي تجاه خدمة جلالتكم وهو ما أصبو إليه بشكل دائم من واقع الحرص واليقظة .

في السادس من هذا الشهر تلقيت مجموعة من الرسائل من طرف جلالتكم تسلمتها بواسطة "لوبيز" من البندقية ، وكانت من بينها تلك الرسالة الموجهة إلى مسؤول الخزينة في هذه القلعة ، وقد أرسلتها له على الفور ، ورسالة أخرى لنائب الملك في الهند ، سوف ترسل إليه مع الرسائل التي أتى بها "توماس جودنهو" "Thomas Godinho" الذي كان وصوله متأخراً على موسم الشتاء في الهند ، بالرغم من أنني حاولت أن أقنع قادة السفن ، ويمكنك ملاحظة ذلك من خلال الاتفاقية المبرمة في ذلك ، والتي أرفقها لجلالتكم .

لقد علمت منذ وقت طويل بمخططات وأهداف الشاه ؛ حيث كنت

قد خاطبت سموكم بشأنها منذ قدومي إلى هذه القلعة ، وكنت يقظاً تماماً ؛ بحيث كانت لي عيون في أصفهان وشيراز يعملون على إبلاغي بكل ما يحدث ، وعموماً أنني أدرك أن له بعض النوايا الحسنة ، وبمشيئة الرب سوف يستمر في ذلك .

سوف يكون سروري عظيماً إذا ما أمر جلالتكم أن يكون توجيهي فيما يتعلق بالدفاع عن تلك القلعة على يد من يثق فيه جلالتكم وأيضاً في كل ما يختص بخدمة جلالتكم ؛ لأن هذه أمور تمثل غاية طموحي وأسعى دائماً لتحقيقها على الوجه الأمثل ، وحينها سوف يكون جلالتكم على علم بمدى حرصي وإخلاصي في خدمتكم بالرغم من وجود بعض الأفراد من غير الأصدقاء لا هم لهم سوى عكس صورة مغايرة ومفاهيم متباينة عن شخصي لجلالتكم .

لقد علمت من الرسائل التي أرسلها الأب "بلشيور دوس انجوس" أن السفن البريطانية التي وصلت في ديسمبر الماضي إلى هذا المضيق لم يكن وصولها إلى هنا لأجل منفعة خاصة بالملك ، وإنما لتخدم مصالح بعض التجار .

كذلك هو الحال بالنسبة لذلك البريطاني الذي أبحر قاصداً الشاه ، وبما أنه كان في عجلة من أمره لرؤية الشاه ، فقد غادر بمجرد علمه أن "د . غارسيا" قد وصل إلى هذه القلعة . أيضاً غادر "بلشيور" قبلهم كي يحذر الشاه بأن سفير سموكم قادم في طريقه وكي يمنعه أيضاً من عمل أي التزام تجاري للبريطاني قبل وصول "د . غارسيا" ؛ حيث إن ذلك سوف يكون له أثراً حسناً .

من واقع الأخبار التي وردت من طرف الأب "بلشيور" والرسائل التي أرسلت له في بغداد ، وأيضاً من الرسائل التي بحوزتي ، علمت أن هنالك ثلاث سفن قادمة في أكتوبر إلى أولئك الناس محملة بالبضائع والسلع من الهند ؛ لأنهم حتى الآن لم يتمكنوا من استخدام تلك التي كانوا قد جلبوها من بريطانيا .

بالتالي فإنني أقوم الآن بتجهيز أسطول أعتقد أنه من أكبر الأساطيل ، لكن ما يقلقني ويقلق "د . غارسيا" هو حاجتنا للمال ؛ لأنني حقيقة لا أملك من جانبي ما يمكنني أن أسخره في خدمة جلالتكم كما تمنيت ذلك ، وأيضاً لم يتمكن "ميجيل دي سوسا" "Miguel de Susa" من الوفاء بالمبلغ الذي أقرضته إياه كي يدفعه للجنود ، وأكثر ما أخشاه عدم ثقة أي شخص آخر تجاهي .

عموماً كلا الأمران له أهمية كبيرة ويتعذر معالجة ذلك القصور والعجز في ظل استغلال الوزراء مصالح جلالتكم لتوجيهها في خدمة منافعهم الشخصية ، وهذه أمور بادية للعيان في هذه المناطق ، لكن لا شك أن هذه الممارسات سوف يتم اكتشافها ، ومن المؤكد أن نائب الملك "د . جيرونيمو" لن يفلت من اللوم ؛ لأنه على علم بأن الفوائد المجنية من إدارة الجمارك قد أصبحت مرهونة .

بالرغم من وجود المال بحوزته إلا أنه لا يدفع شيئاً لسعادة السفير لقاء مستحقاته الواجبة الأداء ، وإنما يحاول التخلص منه ، ويبدو أنه يسعى لوضع العراقيل في طريقه حتى تصبح مهمته مستحيلة ؛ لأن إدارة الجمارك لن تتمكن من مواجهة وتحمل معاشات من يوجد في

القلعة وبالمثل الترتيبات الخاصة بالسفير ، فلابد له من إبلاغ سموكم بهذا . إنني أتعامل مع السفير إذعاناً لأوامر جلالتكم الصادرة لي ، وأعتقد أنه راضٍ بذلك وسوف أستمر على هذا المنوال .

لقد أصدرت أمراً بإعطاء سعادة السفير مبلغ اثني عشر ألف "بارادوس دي لارينز" وبعدها سوف أقدم له المزيد أيضاً من ذلك القليل الذي يرد إلى إدارة الجمارك .

في الواقع لا علم لي كم سوف يكون المبلغ حيث لن يصبح بالإمكان أن أعطيه مبلغ أربعين ألف "كروزادوس" بكامله مستحق الدفع منذ قدومه ، ولكي أدفع له كل ذلك يجب أن يكون ذلك على حساب مستحقاتي ؛ بحيث لا آخذ شيئاً من مبلغ ثلاثين ألف "بارادوس" التي تدين لي بها خزينة جلالتكم كمعاشات شهرية وأيضاً كمؤن غذائية (ميرة) .

بينما أقوم بعمل هذا لخدمة سموكم يقوم نائب الملك بالنقيض ويؤلب الضامنين كي يرهقوا كاهلي بالقسط الثاني بالمشتريات الخاصة بالقلعة ، وأعتبر هذا أمراً مجحفاً في حقي ، وعموماً ولعلم جلالتكم ليست هذه المظلمة هي الوحيدة التي نعاني منها هنا .

لقد استنتجت من الرسائل التي أخذتها من البريطانيين الموجودين في فارس وأيضاً من آخرين في بغداد بموجب أوامر الأب "بلشيور دوس أنجوس" أنهم يطالبون بثلاث سفن لنقلهم في أكتوبر كي يجلبوا بضائع من الهند ؛ لأنه ثبتت عدم جدوى البضائع الواردة من بريطانيا إلى فارس ، وليس في مقدوري تجهيز وإعداد أي شيء يمكن أن يحدث الدمار بتلك السفن الكثيرة .

لقد طلبت من نائب الملك في يناير أن يرسل لي اثنتين من السفن الشراعية الضخمة ، لكنه لم يستجب لطلبي ، ومن جانبي فبوسعي أن أؤكد لجلالتكم أنني لن أتوانى في عمل أي شيء مثمر في خدمة جلالتكم طالما بقيت حياً ، وهذا أمر يغمرني بكل السعادة وأشعر بالكثير من الفخر في أدائه ؛ لأنني قد ورثته عن أبي وعن أسلافي .

يتخوف الشاه من قيام الأتراك بهاجمته في أكتوبر ، لذا فقد أمر بجمع كل ما لديه من جنود ، تاركاً المناطق الساحلية خالية من أية قوات لحمايتها ، ولولا وجود هدنة بيننا وهناك أمر نائب الملك ، لأصبح من السهل استعادة البحرين وقلعة "غومبرون" بالرغم من عدم حروبها ؛ لأن المسلمين العرب قد قاموا ببنائها بعيداً عن البحر .

لقد أخبرت أن الشاه لن يسمح بعودة "د . غارسيا" ما لم يتلق أخباراً من "السير روبرت" ويعلم عن الكيفية التي استقبله بها جلالتكم والمعاملة التي حظى بها من جانبكم والتي سوف تكون على النحو الذي يرى جلالتكم مناسباً ، ولا شك أن الشاه سوف يغضب عندما يعلم أن "د . غارسيا" لن يقوم باستقبال "السير روبرت" في "غوا" ؛ إذ إنه بالرغم من كونه مسلماً إلا أنه يعمل على مراعاة "raison d'etat" عندما يناسبه ذلك ويصب في مصلحته .

ربما كان عليّ أن أبلغ جلالتكم أن "تاندور دابهول" (tauador) كان له منذ سنوات مضت أحد الوكلاء في هذه المدينة ، وكان هذا الوسيط يقوم بموجب الأوامر القضائية التي حصل عليها من نواب الملك بإرسال جميع السلع والبضائع إلى فارس ، لا شيء قد تم بشأن المراكب

التي تعمل بالمجاديف التي ترتاد هذا المضيق ، وللحقيقة أقول إنها تحصل على الأذونات بشكل متزايد ، لكن ليس في مقدوري أن أمنع وأحول دون دخولها ؛ لأنها أسرع من المراكب التي نستخدمها هنا .

لكن من السهل على نائب الملك في الهند فعل ذلك ، إذا ما رغب في تحقيق ما هو مطلوب لأجل منفعة وخدمة جلالتكم . لقد أمرني جلالتكم ألا أسمح لأي أحد بالعبور للبر الرئيس .

لكن يستحيل عليّ أن أمنع ذلك وإلى أن يتمكن جلالتكم من إصدار الأمر بمعاقبة وردع كل من يذهب دون إذن من نائب الملك ، فلا شيء يمكن أن نفعله في هذا الشأن ، عموماً برغم الجهد الكبير الذي أبذله إلا أن هناك العديد من الطرق التي يمكن استخدامها للوصول إلى فارس ، وليس في مقدوري أن أفعل شيئاً لمنع ذلك ، خاصة عندما يعمد وزراء جلالتكم مساعدتهم وتشجيعهم .

لقد صدر أمر جلالتكم بأن توجه جميع الغنائم التي تنقل بواسطة أساطيلكم إلى الخزينة الملكية ، وعليه أمرت بتنفيذ هذا الأمر ، بالرغم من أنني أدرك أن ذلك ليس من مصلحة جلالتكم في شيء ؛ لأن أولئك الجنود الذين تحركهم المنافع الشخصية أكثر من أية اعتبارات أخرى لن يقبلوا بتعريض أنفسهم لأية مخاطر ضد أية سفينة تدافع عن نفسها .

أيضاً لأن ذلك يمكن أن يكون بمثابة فرصة لقادة السفن للتفاهم مع الفئات التي تعمل في تهريب البضائع والسلع .

في إطار ما ذكرته جلالتكم أن تكون خدمتكم فوق كل اعتبار ، فإنني

آمل في لفت انتباهكم لهذه المشاكل كي يكون جلالتكم على علم بها حتى تتمكنوا من إصدار ما ترونه مناسباً من الأوامر والتوجيهات .

في السادس والعشرين من شهر يوليو أبلغني القائد في مسقط أنه قد علم من رسائل شيوخ الجزيرة العربية أن اثنتين من السفن البريطانية واثنتين من المراكب قد دخلت هذا المضيق ، وفي الثاني من هذا الشهر تلقيت من نفس المصدر في مسقط ، والذي أرسل أحد رجاله للبحث عن البريطانيين .

ما يفيد بوجودهم على النهر "قراما" على مبعدة ستة أميال من رأس الحد ، وأنه قد شاهد سفينة واحدة ومركباً شراعياً واحداً ، ويعتقد أهالى المنطقة أن السفن التي وصلت وهي مطلقة أشرعتها ليست سوى مراكب شراعية ، ولقد استنجت من عرب ذلك الساحل أن تلك السفن والمراكب لا علاقة لها بما هو متوقع هنا ، كما أنه لا علم لهم بشأن البريطانيين الموجودين في فارس .

يبدو لي أنهم قد أبحروا مبكراً وحالفهم الحظ مع تحسن الطقس ؛ بحيث إن رحلتهم استغرقت وقتاً قليلاً على عكس ما توقعوا ، وبما أن الطقس لم يكن مناسباً كي يبحروا إلى سورات ، فقد رأوا أنه من الأفضل لهم قضاء الشتاء في سوقطرة ، لكنهم عندما كانوا هناك حدث أن لجأوا لاستخدام القوة كي يحصلوا على مجموعة من الأغنام ، الأمر الذي جعل السكان المحليين يقومون بالاعتداء عليهم .

كانت النتيجة تعرض العديدين منهم للقتل والإصابة بالجراح

وتمكن الأهالي من طردهم ؛ حيث تراجعوا إلى سفنهم وهم يخوضون في المياه التي بلغت أعناقهم ، وبالتالي لجأوا هاربين إلى هذا المضيق .

كم تمنيت أن يكون بحوزتي القليل من السفن كي أتمكن بمفردي من ملاحقتهم والبحث عنهم ؛ لأنه يصعب عليهم الهروب من الموقع الذي أصبحوا فيه الآن ، وبتعذر ذلك فإنني أحاول إقناع الشيوخ بالمال كي يقوموا بحرق سفنهم ومهاجمتهم ، ولقد أرسلت مجموعة من السفن إلى هناك كي أشجعهم على هذا العمل ، كما قمت بإبلاغ نائب الملك في الهند بكل ذلك مناشداً إياه أن يساعدني ويسعفني ببعض الضروريات .

في الثاني من الشهر كان "ميجيل دي سوسا" "بيمنتل" الذي يعمل في وظيفة كبير المسؤولين في خزينة جلالتكم قد أفلت هارباً من هنا مصطحباً أكثر من أربعين رجلاً من هذه القلعة .

ذلك بعد أن دمروا ونهبوا مقدرات خزينة جلالتكم ، وأيضاً مداخيل وعائدات مركز الجمارك ، وعليه فإنني أرى أن ذلك الأمر يخلق صعوبة كبيرة في إنجاز الأعمال ذات الصلة بخدمة جلالتكم .

ورد ذلك في التقرير الخاص بالتحقيق والذي أرسله لكم طي هذا الخطاب ، لكن اللوم في هذه الجريمة يقع على الشخص الذي لم يعد إلى إنزال العقوبة به عن الجرائم والجنح التي ارتكبها في العام الماضي والتي أضرت كثيراً بمقدرات جلالتكم وبمصلحة الدولة ، ولعل أكثر ما يؤسفني أنه قد جعل من رحلة السفير أمراً مستحيلاً ، وأنه الآن

قد أصبح في البر الرئيس ؛ بحيث إن كل محاولة تبذل للقبض عليه سوف يكون مصيرها الفشل المحتوم .

عموماً سوف أبذل كل ما في وسعي للتغلب على تلك الصعوبات التي أواجهها ، ويجب على السفير أن يبلغ جلالتكم عن هذه الأوضاع بشكل مفصل ومسهب . حقيقة لم أتطرق بالذكر لجميعها حتى لا أضع نفسي في الوضع الذي يمكن أن يعتقد أنني غير مستاء لما حدث .

كان القاضي "ريس" نور الدين قد اشتكى لي عدة مرات من أحداث السرقة التي ارتكبت في إدارة الجمارك ، وعليه فقد أمرت بكتابة تقرير أرفعه لك الآن طي هذا الخطاب ، وقد أخبرته أيضاً أن يبلغ جلالتكم وذلك كي تصدر الأوامر التي تراها مناسبة لخدمة مصالحكم .

أسأل الرب أن يحفظ جلالتكم وأن يجعلكم ذخراً للأمة ويطيل في عمركم .

هرمز ، التاسع من شهر أغسطس عام ١٦١٧م .

"دوم لويس دي جاما"

وفي العام نفسه (١٦١٧م)
ورد تقرير عن حكاية المحاولة التي أقدم عليها مبارك ملك الجزيرة العربية بشأن الاستيلاء على البصرة ، بتاريخ عام ١٦١٧م : [٤٣]

تقرير عن كل الأحداث فيما يتعلق بالمحاولة التي قام بها سيدي مبارك حاكم الجزيرة العربية بشأن الاستيلاء على البصرة وما كان قد طلبه مقابل تعهده ذلك .

عـــندمـــا كـــان الراحـــــل "د . مارتيم افونسو دي كاسترو" "D . Martim Afonso de Casrto" حاكماً على الهند ، كان قد أرسل إلى صاحب الجلالة مبيناً أن سيدي مبارك الذي ثار ضد الأتراك عازماً على الاستيلاء على إحدى مدنه التي تسمى البصرة ، وأنه يطلب المساعدة ويد العون في محاولته هذه وبعض السفن التي تمكنه من نقل جنوده بسلام .

(٤٣) رقم الوثيقة والهامش.

كان المطران "د . الأب أليكسو دي منسيس" قد أخبره بأن المذكور مبارك لا يطلب أكثر من خمس عشرة أو عشرين سفينة كمساعدة وأنه يعرض مبلغ عشرين ألف "كروزادوس" كي تُدفع للجنود الذين يمثلون قوام تلك السفن ، وموقع القلعة سوف يقوم وزراء صاحب الجلالة باختياره كي يهيمن بموجبه على مضيق البصرة والتحكم فيه وانتزاعه من الأتراك ، وقد اقترح أن تكون جزيرة (جدري Gedre) ، كما أنه عرض أيضاً نصف دخل إدارة الجمارك في البصرة .

أما صاحب الجلالة فقد أمر بكتابة الرد وإرساله بواسطة سفن عام ١٦٠٧م ، وقد كان الأمر على قدر من الأهمية ؛ بحيث إنه يستحق بذلك الكثير إذا ما كانت الأوضاع في الهند سوف تزدهر كثيراً نتيجة لما وعد به مبارك نظير مناشدته نائب ملك الهند للحصول على المساعدة كالدسائس التي استخدمها في هرمز .

يعتبر ما عرضه شيئاً قليلاً مقارنة بالالتزام الذي سوف يكلفه الكثير ، وفي هذا الاتجاه تم إرسال خطاب إلى نائب الملك "د . مارتيم أفونصو" ، كما أعدت التوجيهات إلى الراحل "كوندي دا فيرا" "Conde de Viera" الذي رشح كي يخلفه هناك .

أيضاً كان جلالته قد أمر بإرسال خطاب مع سفن عام ١٦٠٩م مبيناً أنه قد أخبر أن إقليم مبارك الذي يقطن فيه أكثر من مائتي نسمة من المسيحيين من طائفة سانت جون ، وأنهم يرغبون في التحرر من التبعية ، وكان عليه أن يساعدهم في كل ما هو مناسب ويشجعهم حسبما يرى

ذلك ؛ لأنهم في المقام الأول مسيحيون ، وفي ذلك خدمة للرب ، وأيضاً ربما يعود ذلك بفوائد جمة على الأوضاع في البصرة .

في سفن عام ١٦١٠م كان صاحب الجلالة قد أرسل أوامره إلى القائد في هرمز بأنه إذا ما تبين له أن أوضاع مبارك في حاجة إلى مساعدته ، فيجب أن يقدم له المساعدة ؛ بحيث يتدارس التفاصيل ، ومن ثم الاتفاق معه على الشروط التي بموجبها سوف تقدم له تلك المساعدة ، وأي شيء ربما يحدث لنائب الملك في الهند "روى لورنسو دي تابورا" في السفن التي قدمت في ذلك العام من المملكة .

كان قد كتب مبلغاً صاحب الجلالة أن مبارك قد أرسل إلى المطران رئيس أساقفة النصرانية باعتقاده أنه هو الحاكم ، مبلغاً إياه بشكل ودى أنه لم يعد الآن في حاجة للمساعدة التي طلبها ؛ لأنه في الوقت الراهن يقوم بتطويق البصرة ، وأن قادة المدينة ووجهاءها قد خرجوا أمام الجماهير لاستقباله ، وأنه يمتلك من الجنود والقوات ما يمكنه من هزيمة العدو واحتلال جميع المناطق التي يعتزم الاستيلاء عليها وأنه عندما يحتاج للمساعدة سوف يرسل في طلبها .

بعد ذلك كتب أيضاً مشيراً إلى أنه أدرك أن مبارك قد رغب في استخدام إحدى سفن البرتغاليين في تلك المناسبة والتي كانت قد أخذت برفقة أوامر المطران بعض الرهبان الأغسطينيين من هرمز وبالمثل سفراء مبارك الذين كانوا في "غوا" ، لكن لم يحدث هذا بسبب ما أعتقد أن مبارك إذا ما فشل في تحقيق هدفه هذا فسوف يكون الأمر بمثابة وصمة عار وخزي يلحق بمملكة الهند .

من ثم منع انسياب حركة التجارة في تلك المناطق إلى هرمز ، وأنه طالما بقي البرتغاليون وممتلكاتهم في البصرة وبقية الموانئ الأخرى والتي يمكن احتجازها فلا يستحسن العمل وفق ما يشتهي مبارك ، وبالتالي يجب التعامل معه على النحو الذي يكون مقنعاً بالنسبة له إذا لم يكن بمثابة مكافأة له .

خاصة وقد كان يلح في طلبه بأسطول وقد وعد بدفع مبلغ مائتين وعشرين ألف "كروزادوس" نقداً ، وأنه سوف ينفذ جميع الأشياء الأخرى التي وعد بها ، وكضمان فقد قدم أكبر أبنائه كرهينة (لم يفعل ذلك) .

إن جزيرة (جدري gedre) جزيرة هامة وإذا ما رغب جلالته في الحصول عليها فبوسعها أن تستوعب جميع رهبان القديس جون المسيحيين .

بعد هذا كان نائب الملك "روى لورنسو" قد كتب مجدداً مبيناً أنه قد تلقى رسالة من مبارك أبلغه فيها عن حالة قواته حول البصرة ، وكي يتمكن من الاستيلاء عليها لابد من حصوله على مساعدة ودعم ، وقد قدم عرضه بشأن ذلك قائلاً إنه إذا ما تمكن من الاستيلاء على الأقاليم وثبت نفسه عليها قبل وصول الرد من الهند فسوف يعطيه نصف ما استولى عليه ، بالإضافة إلى جزيرة "ماريزي" "Marezi" .

في حالة استمرار القتال ووصول الأسطول لنجدته فسوف بمنحه مبلغ ألف "لارينز" كنفقات وخمسين ألف في هرمز وخمسين أخرى إذا ما تمكن من دخول نهر البصرة إلى جانب وجود ابنه وابن عمه كرهينتين في هرمز . أيضاً قال : إذا ما رغب صاحب الجلالة في أن

يكون سيداً على أقاليم أضخم مساحة من تلك الموجودة في الهند ؛ بحيث يمكن أن يعيش نائب الملك أكثر من ثماني أو تسع سنوات ، فإنه يتعهد بتوفير المؤن الثلاثة .

أشار نائب الملك بأنه سوف يبقيه في هذه الآمال عن طريق الإقناع ودون إثارة العداوة ؛ وذلك كيلا يكون لمبارك أية حجة أو ذريعة فيما بعد ، وإذا ما كانت المملكة في وضع يمكنها من التصرف في الكثير من الأشياء فمن الأفضل إثارة بعض الاحتجاج ، إذ بعد ذلك سوف تأتي الفائدة خاصة إذا ما أمكن لأسطول صاحب الجلالة أن يتوغل أكثر في ذلك المضيق ؛ لأنه ليس بسبب عدم الاستيلاء على البحرين .

كما أن حلفاءهم لا يعول عليهم وأن العدو قد أصبح أكثر جرأة وقوة عما كان عليه في الماضي ، فقد ارتأى أن نائب الملك الذي سوف يخلفه لابد له من مغادرة "لشبونه" في [.....] بأسطول من السفن مضاعف الحجم .

يجب أيضاً أن يتجه لقضاء فصل الشتاء في هرمز ؛ بحيث يمكنه أن يفعل ما يحلو له في موزمبيق ، من زيارة لتلك القلعة والقلاع المجاورة الأخرى ؛ حيث يمكنه أن ينجز الكثير في خدمة صاحب الجلالة وإنهاء الالتزامات التي وعد بها مبارك ، وصولاً إلى "غوا" في آواخر سبتمبر دون إضاعة الوقت .

كتب أيضاً المطران مبيناً أن الشخصين الأوغسطينيين اللذين كان قد أرسلهما لاكتشاف طبيعة سير أوضاع المسيحيين هناك قد أفادا أنهم جهلة بمعنى الكلمة لا يفقهون شيئاً حتى أسس تلك الديانة ، وقد أنكروا عيد الثالوث الأقدس وقدسيته ، ويقوم المطران والرهبان

والقساوسة بتقديس قطعة من الكعك مصنوعة من دقيق القمح والزيت وبعض الملح أو الجبن ، وقد أخبرهم المطران والقساوسة في حضور الكثيرين أمام المسيح والمحكمة وعيد الثالوث الأقدس ، أنهم قد أخضعوا المجتمع المسيحي إلى المطارنة وقد جهزوا أنفسهم راغبين في الاعتراف بالديانة والإيمان بما تعلموه وسوف يمتثلون بالطاعة والإذعان للمطران في روما الذي اعترفوا به رئيساً لكنيسة المسيح .

إنهم يستحقون الكثير في ضوء ما بذلوه لمساعدة أهلهم الذين ربما تحولوا إلى مسلمين ؛ نظراً للمضايقة والاضطهاد الذي يمارسه ملكهم ، وسوف يقومون على الفور بعمل اعتراف حاسم لتقديم فروض الطاعة والولاء للبابا ، ولقد أمروا بإعداد وتجهيز بعض النسخ في كتبهم كي يقوموا بتعديلها ومن ثم تضمينها في الأسرار المقدسة ، وسوف يقومون أيضاً بإحضار الأيتام من الأطفال كي يتلقوا تعليمهم في الهند ومن ثم إرجاعهم إلى بلدهم ، وبالفعل هناك اثنان في كلية رهبان القديس أوغسطين .

عموماً هؤلاء الناس جبلوا على النظام والطاعة ، ولكونهم من الأرمن فقد يلاحظ ذهاب الكثيرين منهم للهند فقراء معدمين ، كما ينخرط الكثيرون منهم في خدمة نائب الملك كحرس له .

هذا وقد بدء في التفكير بتسكينهم في جزيرة قشم ونقلهم فيما بعد ، لكن بعد تدخل مبارك في الأمر ، ولأنها ليست منطقة قريبة ، وفي حالة إسعافه بالمساعدة التي ينشدها ، لربما قدم جزيرة "كويدو" "Quedu" لذاك الغرض ، خاصة وأنها تقع بالقرب من نهر الفرات ، وهي جزيرة كبيرة وخصبة وتكاد تكون خالية من السكان .

هناك يمكن أن يلتقوا ببعضهم البعض كي يعيشوا في أمن ونقاء وطهر تماماً كالرهبان .

يأتي هذا بسبب الخوف من جانب الملك ؛ لأنه ربما يرفض إقامة رجال الدين في بلده أو يسمح ببناء دير للرهبان أو كنيسة للعبادة ، وليس من الصعب أن يجد المجتمع المسيحي المساعدة من رجال الدين في هرمز الذين غالباً ما يأتون مبحرين إلى المضيق والمناطق المجاورة ، وبوسعهم الحضور والعودة في غضون ثمانية أو عشرة أيام فقط . يجب أن يتم التفكير في هذا الأمر ومراعاة رغبة صاحب الجلالة .

قد صدر أمر كي يتم إرسال خطاب إلى نائب الملك في الهند (وهذا ما تم بالفعل) حيث جاء فيه أنه نظراً لأهمية هذا الموضوع واعتباراً لمتطلبات خدمة صاحب الجلالة وبعد التأكد من كل ما وعد به مبارك ، وما إذا كان بوسعه أن يقدم قلعة في البصرة ، يجب عليه أن يفعل ما يراه مناسباً في هذا الموضوع حسب مقتضيات الظروف في تلك المناطق .

يجب أيضا أن يتعامل مع هذا الأمر بكل الحماس حتى ولو أدى الأمر إلى اضطراره لاستخدام الأسطول في هرمز ، شريطة أن يكون جاهزاً وأنه لا تتوفر هنالك قوة أعظم من تلك الموجودة في البصرة على أساس أنها سوف تكون ذات أهمية بالغة لحفظ الأمن في هرمز إذا ما تمكن جلالته من إيجاد وبناء قلعة في المضيق .

عندما وصلت هذه الرسالة للهند كان مبارك قد أرسل اثنين من سفرائه إلى نائب الملك "روى لورنسو دي تابورا" ، كان أحدهما "غونسالو دي أبريو" الموجود الآن في هذا البلاط ، أما الآخر فهو من العرب ، وبعد أن أعلنا عن

مهمتهما قام نائب الملك بإحالة الموضوع إلى المجلس ، ويمكن الاطلاع على رده في المرفق طي هذا الخطاب إلى مبارك .

في الحقيقة فقد شكر على حسن نواياه تجاه خدمة صاحب الجلالة وأنه مرسل مع السفيرين "دومينجوس باشيكو دي كارفالهو" "Domingos Pacheco de Carvalho" ، وهو شخص ذو دراية وخبرة كفلت له السلطة بالتصرف والتوجيه .

ذلك للتفاوض في كل شيء ولتسوية ما كان قد التزم به ، وكانت التوصية التي قدمت إلى "باشيكو" قبيل مغادرته قد ضمنت في نسخة مرفقة أيضاً طي هذه الرسالة ، هذا إلى جانب الأوامر التي صدرت له ، وفي هامش الوثيقة التي أعطاها مبارك لسفيريه .

كان نائب الملك قد بعث لصاحب الجلالة بياناً بكل هذا مع سفن عام ١٦١٢م ، حيث أشار إلى أن معلومات مؤكدة سوف تأتي بشأن قوة الأتراك البحرية وعن الموقع والقلعة في البصرة وعن المقاومة المتوقعة في ظل الفوائد التي يمكن أن تعود على مملكة الهند من النتائج التي تترتب على نجاح الالتزام .

لم يعد هناك أي قرار يمكن اتخاذه وسوف يقوم بإبلاغ جلالته بما علمه "دومنجوزس باشيكو" . لا يلوح أن هناك من شيء مؤكد من واقع هذا الاستجواب .

كما لم يتبين أي شيء باستثناء ما علم أنه بعدما تفاوض "دومنجوس باشيكو" بشأن أموره الخاصة به أكثر عن أوضاع صاحب الجلالة الأمر الذي أثار حفيظة مبارك ، أبحر عائداً إلى الهند قبل أن يصبح : "اندريه

فـــيرنادو دي مندوسا" "Andre Fernado de Mindonca" نائب للملك ، وبوسع "روي لورنســو" أن يشرح هذا الأمر هنا ، ولقد تبين بوضوح عدم اتخـــاذ أي قرار في هذا الموضوع ، خاصة في غياب أي سجـــل عـــنه ، والآن ها هو مبارك يطالب بذات الشيء كما يفعل دائماً ... توفي "دومنقوز باشيكو" .

إن الأسباب التي دفعت هذا الملك لتقديم ابنه رهينة لملك فارس وابنة أخيه زوجته قد أشير لها في هذه الوثيقة المرفقة .

نسخة من الخطاب الذي أرسله نائب الملك إلى الملك مبارك :

وصل سفيرا سموكم ، الشيخ عبد (المطلب) (MONTAL) و"غونسالو دي ابريو" إلى هذه الشواطئ في نهاية شهر فبراير ، ولقد أمرت باستقبالهما وإكرامهما بما يليق بمقامها بصفتهما سفيري سموكم ، ولقد سلماني الرسائل التي بعثتم بها إليّ واستلمتها بكل سرور ، وكم كنت سعيداً وانا أرى فيهما كل ما أخبرني سموكم به .

خاصة عندما علمت أن سموكم يتمتع بكامل الصحة وأنك ترغب في تسخير نفسك لمواصلة قتال الأتراك ، وهذا أمر متوقع من سموكم كحاكم نبيل يتمتع بقدر وافٍ من الحكمة والشجاعة النادرة .

أما بخصوص ما طلبه سموكم الكريم لهذا الأمر ، فإن مساندة هذه المملكة بالجنود والسفن والذخائر ، فإنني أعلن عن استعدادي تدبيرها ؛ لأنني قد أبلغت بواسطة سيدي صاحب الجلالة الملك "فيليب" أن أفعل ذلك ، وأيضاً لأسباب تتعلق باعتبار سموكم بصفته صديقاً لهذه المملكة ، ولذا وجبت مساعدتك بكل ما هو ممكن أملاً في تمتين علاقة

الصداقة هذه واستمرارها يوماً بعد يوم ، لكن أشير أن وصول سفراء سموكم قد جاء متأخراً كثيراً ؛ لأنه في هذا الوقت خرجت جميع الأساطيل مع بعضها البعض ولن تعود إلا في أواخر شهر مايو .

بالطبع ليس هذا هو الوقت المناسب للتوجه إلى هرمز ، وهناك أُسطول ضخم من ثماني سفن ضخمة تم تشكيله للتوجه للصين ، ولهذه الأسباب تعزي عدم استجابتي الفورية كي أرسل لسموكم ما طلبته خاصة وأنك لم ترسل مبلغ عشرين ألف "كروزادوس دي لارينز" التي وعدت بها كمساعدة .

عموماً حتى لا يضيع الكثير من الوقت ، فقد قررت إعطاءهما مراسلتهما على الفور مرسلاً معهما النبيل الموقر "دومنقوز باشيكو" ؛ كي يؤكد لسموكم متانة هذه الصداقة الجديدة ولوضع مزيد من الترتيبات مع سموكم بشأن ما وعدت به لهذه المملكة ، وأيضاً لما يمكنني عمله من جانبي ؛ وذلك بغية عدم هدر المزيد من الوقت في الإرسال إلى هرمز طلباً للأسطول الموجود هناك ، إذا ما استدعت الضرورة وسنحت الفرصة المناسبة .

لكن سوف يتم كل شيء بناء على الأوامر التي يحملها من جانبي ، وفي حال عدم تمكن سموكم من إرسالها مبلغ العشرين ألف "بارادوس" الذي وعدت به فبوسعك إرساله مع أي شخص تثق فيه كي تتأكد من أنها قد صرفت على الجنود وعشرين سفينة ورجال البحر .

حقيقة لا أريد إهدار الوقت قبل مساعدة سموكم بإخراج الأتراك من البصرة وطردهم من المناطق الأخرى ، وسوف تكون قضيتنا الحرص على التواجد أينما يوجد سموكم وبالقرب منكم لإيجاد الطمأنينة والهدوء .

تمنياتي لسموكم بدوام الرفعة والقوة في كل مناطق العالم ، وأرجو أن يطمئن سموكم على أنه طالما كان البرتغاليون هم قوام أسطولي وقوته الضاربة فإنني أؤكد لك أنهم أول فئة تقدم نفسها لمواجهة الأخطار .

سوف يتولى مبعوثي التفاوض مع سموكم حول أمور تقتضي التوضيح في الملاحظات التي أرسلت من قبلكم ، والتي سلمني إياها سفراؤك موقعة بواسطتهما ، حيث إنه يحمل نسخة منها ، وربما أمكنني القول هنا أنه يجب على سموكم أن تمنحه الاعتماد الكامل في هذا الأمر وسوف يتفاوض مع سموكم حول بقية الأشياء الأخرى .

إن الخيول الستة التي أرسلت كهدية من قبل سموكم قد قبلتها ؛ لأنها من طرف سموكم الكريم ، وبالمثل مبلغ الألفي "بارادوس" ، ولقد قدمت لمبعوثيك كل ما طلبوه مني باسم سموكم ، ولكي تقف على حقيقة نواياي الحسنة فإنني أرسل لك هدية مع مبعوثي النبيل الموقر "دومنجوس باشيكو" .

لقد كان سفراء سموكم نبلاء بحق وحقيقة في كل شيء ، ويستحقون من سموكم أن تسبغ عليهم من كرمك ما هم أهل له ، وأطلب منك أن تعامل "غونسالو أبريو" معامله طيبة كريمة ، وبالمثل المجموعة المسيحية .

بما أنني أتوقع أن أتلقى قريباً أخباراً طيبة من قبل سموكم ، فإنني لن أستمر في كتابة المزيد ، إذ حان وقت مغادرة الأسطول من المنطقة وذلك كي يتمكن "دومنقوز باشيكو" من العودة في سبتمبر .

أسأل الرب أن يحفظ ويحمي شخص سموكم ، ينير بصيرتكم ويسبغ عليكم من أفضاله ونعمه .

مرسل من "غوا" في الثلاثين من شهر مارس عام ١٦١١م .

"روي لورنسو دي تابورا"

نسخة من الأوامر والتوجيهات التي حملها "دومنجوس باشيكو دي كارفالهو" عندما أبحر مغادراً لمقابلة مبارك :

أنا "روى لورنسو دي تابورا" عضو مجلس صاحب الجلالة في الدولة ونائب ملكه وقائد الهند ، أبلغكم "دومنجوس باشيكو دي كارفالهو" المترجم في هذه المملكة ، بأنني قد اخترتك للقيام بهذه الرحلة ، وكلي ثقة في أنك لن تدخر جهداً في خدمة صاحب الجلالة بما هو مطلوب ؛ إذ لديك من الخبرة في الأمور الفارسية ما يجعلك أهلاً لهذه المهمة ؛ حيث سبق أن أرسلت في مهام مماثلة ، ولك معرفة واسعة ، وبالتالي فبوسعك أن تقوم بكل ما عهد لك القيام به .

أولاً بمجرد وصولك إلى هرمز يجب عليك أن تقوم بإبلاغ قائد القلعة والمسؤول الرئيس في الخزينة عن الهدف من رحلتك هذه ، واطلاعهما على هذه الأوامر والتوجيهات والملاحظات التي بحوزتك وما كتبته لهما ؛ وذلك كي يتمكنا من تدبير وإعداد كل ما هو ضروري .

تحمل معك أيضاً مبلغ ألف ومائتي "زيشين" لاستخدامها بخصوص الهدية التي أرسلتها للملك رداً على هديته الممثلة في ست خيول كان قد أرسلها لي ، ولابد لك من إطلاع القائد على هذه الهدية والأشياء الأخرى التي تحملها معك ؛ وذلك كي يتمكن من الكتابة للملك مفيداً إياه بما تحمله ؛ إذ إنه لا يمكنني أن أفعل ذلك من هنا .

يجب أن تطلب من القائد أن يرسلك فوراً بعد تجهيز سفينتين لحراستك ومن معك من السفراء لزيارة الملك ، ويجب أن يتم تحرير إذن لك بالمرور بالأغراض التي تحملها معك على النحو الذي أمرت به حتى تتمكن من العودة إلى هنا في سبتمبر .

يوجد بحوزتك نسخة من الملاحظات التي كان أولئك السفراء قد أعطوني إياها . موقعة بواسطتهما ، وفي الهامش تم إدراج النقاط التي يجب تعديلها والكيفية التي سوف تتبع في ذلك في تلك السطور . سوف تعمل على إبرام اتفاقية السلام بين المملكة وبين هذا الملك والقبول بما ترى أنه يخدم مصالح صاحب الجلالة وبما تشير به أوامر القائد في هرمز ، وأيضاً أية معلومات إضافية يمكنه تقديمها لك .

عند لقائك بالملك يجب أن تتأكد بأنه قد استقبلك بصفتك مبعوثاً من قبلي وأنك قد مُنحت كل التشريف ، وبما أنني قد اخترتك لهذه المهمة يجب أن يكون تصرفك حميداً في جميع الأوقات حتى لا تضيع هيبتك واحترامك .

يترتب عليك أن تعطيه الرسالة والهدية وأن تطلعه عن حسن نواياي وصدق مشاعري التي دفعتني لإرسال تلك الهدية إلى سموه ، بعد ذلك يمكنك أن تؤكد له أن الرجال الذين يذهبون معك يعيشون حياة مسيحية كما ينبغي وأن تصرفاتهم تتسم بالاعتدال والاحترام ، وأنهم لا يميلون إلى إثارة الخصومة ضد أحد .

إنك تدرك أنه وقت حضور أولئك السفراء هناك لم يكن من الممكن أن نرسل له السفن التي طلبها ، وبرغم أنه لم يرسل مبلغ العشرين

ألف "بارادوس" التي وعد به إلا أنني أرغب في إرسال الأسطول له حسبما أمر جلالته في مساعدة ذلك الملك ، وأحب أن أنفذ ما طلبه خاصة وقد أرسل الخيول التي وصلت إلى هنا .

إن لديّ من السفن ما يقارب المائة سفينة في البحر في أساطيل عديدة مختلفة ، غير أنها لن تعود للميناء إلا في شهر مايو ، وهو وقت يتعذر عليها معه العبور إلى هرمز ، وهناك أسطول مكون من ست سفن يجري العمل على تجهيزه للإبحار للصين ، وعليه حتى لا يكون الأمر مضيعة للوقت فقد قررت أن أعيد له سفراءه وأن أرسلك معهم ، وذلك كي يتمكن من إرسالك عائداً مع أحد من ثقاته بمبلغ عشرين ألف "لارينز" التي وعد بها كي يتبين أنها صرفت على الأسطول ، وإذا ما أمكنك الوصول إلى هنا في شهر سبتمبر فسوف يكون الأسطول جاهزاً للإبحار في شهر يناير .

يجب التأكد من أن هذا الملك سوف يوفر المبلغ كي يرسله إذا ما كان راغباً حقيقة في الأسطول وحريصاً بالفعل على تنفيذ وعوده والاستيلاء على البصرة . يجب أن تبذل جهودك كي تكتشف حقيقة نواياه وحقيقة غاياته حتى لا نكون ضحايا أية خديعة .

يجب عليك أن تجدّ في عملك لكي تعود سريعاً ، وأن تكتشف كل شيء مثل كم سيبلغ العائد السنوي للمبلغ الذي وعد به بعد حسم النفقات للحرفيين القادة والجنود المشاركين في المؤسسات المشتغلة بالتجارة وبارجة الأميرال وفقاً لما قيل وأدرج في كل فقرة ، وفوق كل ذلك يجب أن تكتشف تحديداً معرفة أسطول الأتراك الموجود في مضيق البصرة .

المواقع العسكرية التي يعتمدون عليها في القلعة وفي المناطق الأخرى ،

وما إذا كانت هنالك تعزيزات متوفرة كي تدافع عنها ، وذلك حتى يكون واضحاً ماهية المواجهة التي يجب على الأسطول الذي طلبه القيام بها ، ومن ثم تقرير ما إذا كان ذلك كافياً حسبما يتمنى الملك .

إذا ما رأيت أن الطقس يسمح ببقاء أسطول هرمز وأن الملك مبارك يرغب في طلبه من القائد فحينها يجب أن تبلغ القائد بهذا الأمر بالتفصيل ، كما يجب أن تتأكد من أن الملك قد شرع في إرسال مبلغ العشرة آلاف "بارادوس" للتجهيز ، لكن عليك أن تأخذ في الأعتبار أن هذا يجب أن يتم بكل الحذر والانتباه والتحقق من أن ذلك الغرض ممكن إنجازه بواسطة ذلك الأسطول وإلا فمهما كانت الرغبة ، فإنني لا أريده أن يتم .

إذا ما رأيت من الضروري إرسال المدفعية فيجب أن تحمل فوق إحدى السفن أو البوارج ، ويجب أن تبلغ القائد حتى يتمكن من إرسالها واضعاً في الاعتبار أنه ربما يكون من الضروري أن يتم بناء القلعة فوق الجزيرة المقترحة بواسطة هذا الملك ، وعليك إبلاغ القائد بكل شيء وذلك كي يفهم ما هو الغرض من الأسطول وكيف سيتم إرساله ، والفوائد التي يمكن أن تعود على هذه المملكة وكذا الخزينة الملكية .

في حالة وفاتك بعد مغادرتك مدينة هرمز ، يترتب أن تترك تلك التوجيهات والمذكرات وبقية الأشياء الأخرى في تلك السفارة لعناية "أنطونيو دا سيلفا" الذي سيرافقك خاصة وقد أخبرت أنه ذا خبرة ومعرفة كبيرة بتلك المناطق وهو الشخص الذي بمقدوره أن يحل محلك ويفعل كل ما آمرتك بتنفيذه ، وإذا ما حدثت وفاتك قبل

وصولك إلى هرمز أو قبل رحيلك من هناك ، فسوف يقوم القائد باختيار الشخص المناسب للذهاب من هرمز ، هذا في حالة تأكده أن "أنطونيو دا سيلفا" غير مناسب للقيام بالمهمة . آمل أن يعمل على استخدام هذه التوجيهات واستخدام بقية الوثائق الأخرى أيضاً ذات الصلة بهذه السفارة ، ويتبقى عليك أن تفعل ذلك .

أرجو أن تناشد الملك مبارك بالإنابة عنى أن يظهر شيئاً من اللطف إلى مجموعة القديس جون المسيحية التي تقيم في بلاده .

إذا ما اضطرتك أية ظروف أو أية أسباب قاهرة للبقاء هناك ؛ بحيث تتعذر عليك العودة في الوقت المتوقع والمرجو ، فيجب عليك أن تبلغني في تقرير مفصل عما أمكنك إنجازه حتى ذلك الوقت وما صار بشأنك .

في حالة وصول أية رسائل من طرفي لصاحب الجلالة يجب عليك إرسالها فوراً بأية وسيلة ترى أنها أفضل وآمن لوصول الرسائل إلى جلالته سريعاً .

تم تحريره في "غوا" بتاريخ الخامس والعشرين من شهر مارس عام ١٦١١م .
أنا "فرانسيسكو دي سوسا فالكاو" "Francisco de Susa Falcao" أمين السر قد أمرت بكتابته .

"روي لورنسو دي تابورا"

وفي العام نفسه (١٦١٧م)

دوّنت أحداث الهند في الفترة من عام ١٦١٢م إلـى عام ١٦١٧م ، كما جاء في كتاب تاريخ الهند للمؤرخ "أنطونيو بوكارو" "Antonio Bocarro" ، وجاء في عام ١٦١٧م ، دخول السفن الإنجليزية إلـى بحر عُمان عند رأس الحد : (٤٤)

الفصل الأول : أمر صاحب الجلالة الكاثولوكية الملك فيليب الثالث ملك إسبانيا وسيدنا ومولانا ملك البرتغال الثاني أن يخلف "الدوم جيرونيمو دي أزيفيدو" "روي لورنسو دي تافورا" نائب الملك في الهند ، بنفس لقب نائب الملك ، بعد أن كان لسنوات عديدة قبطان عام أراضي الفتح وجزيرة سيلان .

في يناير ١٦١٢م أرسل الملك مبعوثاً رسمياً حاملاً هذه الأوراق عن طريق البر إلى دولة الهند ، وصل إلى هرمز في نهاية مايو ، وكان متوقعاً أن يصل إلى ساحل الهند في فصل الشتاء ، وأخبر قبطان القلعة "بيدرو

(٤٤) رقم الوثيقة والهامش.

دي بريتو دي ميلو" "Pedro de Breito de Milo" الذي قد أتى إلى ذلك المنصب من خلال موت "الدوم جورج دي كاستيلو برانكو" ، بأن عليه أن يرسل الأوامر في نسخ عديدة إلى الوكيل التجاري في السند ، لكي يستطيع أن يذهب إلى هناك براً إلى "ديو" ومن هناك إلى مدينة "غوا" ، وتم تنفيذ هذا .

وصلت رسائل جلالته إلى نائب الملك "روي لورينسو دي تافورا" ؛ حيث كان في وقت فراغه الرسمي ليلة عيد القديس جون . قرأها عندما تم إعطاؤها إليه ، وبعد ذلك قال لأولئك المحيطين حوله :

"لدينا نائب ملك ليس بحاجة إلى أن يسافر إلى هنا ؛ لأن جلالته قد عيَّن "الدوم جيرونيمو دي أزيفيدو" ، ولكي يخلفني كنائب الملك لهذه الدولة" .

فهذا الرجل النبيل قد تربى كما لو كان في الهند ، حيث قد مكث لسنوات عديدة ، ولديه عدد كبير من الأصدقاء والمعارف الذين كانوا مسرورين بهذا الخبر .

لقد أرسل شاه عباس ملك بلاد فارس ، سفراء عديدين إلى جلالته في أوروبا في عهد نواب الملك السابقين ، وكان يسعى بكل الوسائل الممكنة لكي يقنع الإمبراطور الألماني بأن يهاجم السلطان التركي العظيم في أوروبا بقوة كبيرة جداً يستطيع أن يحشدها في نفس الوقت مثلما أمكن للشاه من جانبه أن يضغط عليه من أولئك الذين في ممالكه التي تقع على حدود الأراضي التركية في آسيا لكي يزيد من حجم قواته .

تم أيضاً تكليف هؤلاء السفراء أن يُقنعوا الملك لكي يأمر بأن يُوضع جميع الحرير الذي كان مُنتجاً بكميات كبيرة في أراضيه ، إما في ميناء "غمبرون" أو في قلعة هرمز ، أو في أي مكان تم الاتفاق عليه . لم يكن ساعياً فقط إلى الحصول على تجار كثيرين ، وتجارة وتحالف مع رعايا ودول جلالته ، ولكن أيضاً إلى إزالة هذه التجارة التي كانت تتضاءل وتتناقص خارج الأراضي التركية التي كانت جميعها تمر من خلالها بتكلفة عالية .

كان هذا ما تمنى أن يحصل عليه الشاه من جلالته ، وكان سفراؤه في بلاط مدريد دائماً ما يرسلون عنه المذكرات إلى المجالس دون تحقيق النتيجة المرجوة ؛ لأنه في العام[أ] عندما كان الشاه يهاجم السلطان التركي بشدة أقام إمبراطور ألمانيا سلاماً معه .

أما فيما يتعلق بالحرير ، فقد أرسل الشاه أخيراً سفيراً ، "دينغز بك" ، وزير أول "Guizilbash" ، بكميات كبيرة منه ، مع أوامر بأن يناقش النقطتين المذكورتين مع جلالته ، ولكنه يبدو أنه لم يعد يأمل في أية نتيجة من جلالته فيما يتعلق بأولى هاتين النقطتين ، لكن ليُحقق أهدافاً أخرى ، وأنه كان مُرسلاً الحرير كسلعة بدلاً من كونه هدية مثلما يُرى فيما بعد .

كان هذا الملك محارباً عظيماً ، سواءً بطبعه ومن خلال المخادعات والحيل اعتاد على الحصول على أغراضه بأية وسيلة يستطيعها غير

(أ) العام مفقود في كل من النسختين ، ولكن يظهر أنه يُشير إلى هُدنة العشرين عاماً التي تمّ الاتفاق عليها من قبل الإمبراطور "رودلف" مع السلطان أحمد في يوم التاسع من شهر نوفمبر ١٦٠٦م ، أو إلى معاهدة السلام بين بلاد فارس وتركيا للعام ١٦١١م .

محتفظ بعهده أو كلمته . في الحقيقة كانت الطريقة التي حقق بها بعض الأشياء هي أن يُعطي كلمته ويتعهد بوعده بهدنة أو اتفاق ما ، وبعد ذلك يعمل تحت الغطاء ، ولذلك حتى الرهائن الذي أفرج عنهم كانوا يعرفون جيداً أنهم قد واجهوا الموت في وقت سابق .

عندما رأى أن جلالته لم يقدم أية تنازلات عن مطالبه ، لم يتوقف عن أن يُرسل سفراء أو يختلق صداقة ورغبة قوية في الحفاظ عليها ، ولكن تحت غطاء هذا فعل أشياء أظهرت موقفاً مختلفاً جداً ، فمثلاً ، استولى على جزيرة البحرين ، واحدة من أحسن ممتلكات ملك هرمز ، أو على الأصح من جلالته ؛ لأن ذلك الملك كان تابعه .

لم يسترح الشاه حتى احتفظ بها تحت سيطرته ، ومع ذلك قال كل الوقت أنه لا يُريد شيئاً أكثر من السلام والوئام مع جلالته . رأى أن قلعة هرمز عظيمة ونافعة وغالباً ما قال بين أبناء شعبه أنه يرغب في الحصول عليها حتى لو كلفته نصف مملكته .

في عام ١٦٠٣م أرسل "السير روبرت شيرلي" ، كسفير إلى جلالته في إسبانيا ، بمطالبه الأولى ، وهو رجل إنكليزي كان معه لبعض الوقت[أ] وكان هذا رجلاً ذا دهاء ملحوظ وبراعة ، يشبه فيها الشاه نفسه ، وبعد أن قضى بعض السنوات في مدريد ، حيث تمت معاملته واحترامه كسفير لملك أقوى ، اختفى من البلاط وذهب إلى إنكلترا وطنه ؛ حيث أخبر

(أ) فاريا . سوزا ، في كتابه : آسيا البرتغالية ، المجلد رقم ٣ ، الجزء رقم ٣ ، الفصل رقم ١٣ ، يقرأ رموز كتابة منحوتة على شجرة في ميناء سانتا كلارا ، التي تُقرأ : "الدوم روبرت شيرلي ، مبعوث ملك فارس في رسالة ملكية من الملك بتاريخ الثالث والعشرين من شهر ديسمبر ١٦١١م ، التي يتم الاحتفاظ بأصلها في الأرشيف الوطني "تورو دو تومبو" يظهر اسم "روبرت شيرلي" .

الملك بالغرض من سفارته (بعثته) إلى إسبانيا . يبدو أنه فعل هذا بناءً على أوامر الشاه ، داعياً ملك الإنكليز واعداً إياه بتجارة الحرير ، لكي يساعده في أن يستولي على هرمز ، مستخدماً سفن "الكاراك" التي لديهم ضدنا ، كما ظهر بعد ذلك .

عندما ضلَّ الإنكليز عن العقيدة الرومانية الحقيقية لسيدنا المسيح ، كانوا غير مهتمين بالجرائم والأعمال السيئة التي تم ارتكابها ضد الكاثوليك ، ووافقوا برضائهم على هذه المقترحات . كان لديهم فعلاً موطئ قدم في "سورات" ؛ حيث أرادوا أن يشحنوا القماش إلى بلاد فارس ويُصدروا الحرير بربح كبير .

لكي يُخفي هذه المفاوضات والاستعدادات التي كان يقوم بها للاستيلاء على هرمز ، بينما كان متظاهراً بالصداقة ، أرسل الشاه "دينغز" بك ، مثلما ذكرت مع الحرير .

على الرغم من أنها ظهرت على أنها هدية لجلالته كرمز للاتفاق الذي كان مقترحاً له ، فإنه كان الرأي الصائب لدى البعض بأنها كانت بضاعة معهوداً بها إلى السفير ، الذي كان عليه أن يعيد عوائدها في شكل هدية مرسلة عن طريق التبادل التجاري أو مكسب مُستلم نتيجة لبيع الحرير ، إلا أن السفير سلمها كما هي في "غوا" إلى موظفي خزانة جلالته ، ولكن كانت هناك شكاوى بأن بعضاً منها قد أخذ من مكانه ..

وصلت هذه الشكاوى إلى جلالته الذي أمر نائب الملك "الدوم جيرونيمو" أن يكتشف الحقيقة من سفن الكاراك ، وأنه إذا وجد أي أحد كان مذنباً يجب عليه أن يعاقبه بقسوة . كشفت تحقيقات نائب

الملك أن أحداً لم يأخذ أي حرير من مكانه ، وأنه قد تم تسليمه إلى موظفي جلالته في البرتغال .

أمر الملك ، ليس بطريقة تاجر ، التي يمكن إلا تكون ملائمة مع ملك كهذا ، أنه رداً على أشياء قادمة من بلاد فارس ، يجب أن يتم إعطاؤه هدية لكي تحمل إلى ملكه أشياء ذات مكانه أعظم مما تستحقها ، ولكنها تظل محتفظة بقيمتها ؛ لأنه قد قيل إن الحرير كان أكثر مما كان مقدماً إليه في الواقع . أمر أيضاً بأن نائب الملك يجب أن يضيف إلى الهدية في الهند كمية كبيرة من أي شيء يرى بأنه الأكثر ملاءمة .

عندما تم مناقشة هذا في المجلس ، تم الاتفاق بأن هذا يجب أن يكون خمسة عشر ألف "أشرفي" ، التي يجب أن تُنفق في "غوا" على القرفة ، والقرنفل ، وقشور جوز الطيب ، وجوزة الطيب والفلفل ، بلا أجور شحن أو جمارك مدفوعة عليهما ، فهذه الأشياء تستحق مبلغاً أكبر إلى حد كبير في بلاد فارس .

مع السفير "دينغز" بك أتى الأب "أنطونيو دي جوفيا" ، الذي تم تعيينه أسقفاً في "سيرين" وكان يجب عليه أن يذهب إلى بلاد فارس لكي يرعى شؤون المسيحيين هناك . على الرغم من أن المنطقة المعروفة بـ "سيرين" كانت صغيرة جداً ، لم يوجد هناك نقص في المسيحيين ، والأرمن و"الجورجيين" ، الذين هم مسيحيو القديس جون ، الذين لم يحتاجوا إلى واحد ولكن إلى عدد كبير من الأساقفة لإصلاحهم .

أمر نائب الملك بأنه يجب أن يتم إعطاء مكافآت خاصة إلى السفير "دينغز بك" ، الذي كان أيضاً محضراً مكافآت أخرى من إسبانيا ،

ممنوحة من قبل جلالته ، وتم أيضاً إعطاء أسقف "سيرين" كل ما طلبه لكي يسافر في داخل بلاد فارس مع اثني عشر خادماً ، كما أمر جلالته ، وكان يجب أن يتم إرسال سفير آخر كما أمر الشاه ، شخص ذو منزلة اجتماعية وليس من إخوة الرهبان ، الذي يستطيع أن يناقش معه دائماً مسائل متعلقة بكل من الدولتين .

كان السفير "دينغز بك" والأسقف ، الذي سوف يتم الحديث عن رحلتهما وفعالياتهما الكثيرة فيما بعد في بلاد فارس ، منتظرين الريح الموسمية .

الفصل الثاني عشر : (تجارة الخيول في هرمز) كان نائب الملك "الدوم جيرونيمو" بحق غاضباً أن يقوم "ميليك" "Melique" بعمل عدواني ضدنا دون أن يتم إعطاؤنا أي سبب أو دافع لكي يفعل هذا ، مُستجيباً بتلك الغطرسة والوقاحة على نية قبطان "تشول" لكي يتخذ إجراءً ضد خطأ محصل ضرائبه .

أراد أن يُعلّمه أن الملوك ، حتى أولئك الأكثر قوة من "ميليك" ، يجب ألا يسعوا لكي يجعلوا البرتغاليين أعداءً على الرغم من الاستفزاز الخطير .

لذلك أخبر نائب الملك رئيس القباطنة "روي دياس دي سامبايو" "Rui Dias de Sampaio" أن السبب الرئيس لتعيينه في تلك الوظيفة هي الثقة التي لديه في شجاعته وخبرته والتأكيد بأنه يمكن أن يكون قادراً على أن ينقل هذا إلى "ميليك" مع الأسطول الذي امتلكه تحت تصرفه .

كان يمكن أن يلحق "روي دياس دي سامبايو" خراباً كثيراً ودماراً

بقدر المستطاع في كل أراضيه ، وأن ينتهز كل فرصة لكي يفعل هذا طالما كانت آمنة وفي وقتها ..

كانت أول عملية حربية أمره القيام بها مع الأسطول هي أن يدخل النهر "سيتابور" "Seitapor" ؛ أي في أرض عادل خان ، وإذا وجد بالصدفة بعض البرتغاليين الذين تم إخباره عنهم قادمين بالخيول من هرمز عليه أن يقاتل ويأسرهم مستخدماً قسوة أشد من لو كانوا أعداء ، بسبب الضرر الذي كانوا يفعلونه بجلالته في تنفيذهم تلك الحملات الحربية . كان يجب عليه أن يحتفظ بهم بإحكام كأسرى حرب في "تشول" لكي يمكن أن يتم إحضارهم هنا (إلى "غوا") .

الفصل التاسع عشر : كان الرعايا الأرمن لدى الشاه يدفعون إلى دار جمارك هرمز مستحقات مالية معينة ، تُعرف "كوروجوس" "Curujos" بالإضافة إلى المستحقات الملكية ، التي كان كل من الشاه وخان شيراز على وجه الخصوص مُستاءين منها . لقد كان من المفروض أن يكون هذا السبب وحده كافياً لكي يُثيرهم لبذل مجهودات أكثر ضد قلعة هرمز على الرغم من أنه لم يكن مطلوباً أي دافع آخر وراء طمعهم وطغيانهم ، كما تمت الإشارة إليهما سابقاً .

بسبب الشكاوى العديدة التي قدمها الشاه حول هذا ، ولأن الأرمن أنفسهم اعتبروها إهانة خطيرة ، فإن نائب الملك "الدوم جيرونيمو" فكر في أن يعطي المسألة اهتماماً وأن يتخذ أي إجراء يبدو ملائماً بالنسبة له .

دعا أفراد مجلس الدولة للانعقاد وعرض عليهم القضية مع اعتبارات متعددة ؛ حيث إن الأرمن كانوا تجاراً عظماء ولم يهتموا بشيء من

أجل المسائل العسكرية أو الزراعية ، كانوا مهتمين فقط بشؤون التجار والتجارة ، ولأنهم استاؤوا من هذه المستحقات ، فقد ابتكروا طريقاً مستخدمين لاهور وقندهار حتى لا يذهبوا عن طريق هرمز ، وهكذا من أجل مكسب صغير جداً كانت خزانة جلالته خاسرة مقداراً كبيراً من المال .

يمكن أن يُرى نفس الشيء من المعلومات الواردة بأنه لم يدفع أحد من رعايا الأرمن عند الشاه أو خان شيراز ولا أي فارسي المستحقات التي قد تم فرضها مؤخراً على بضائع مشابهة من البصرة ، التي تم دفعها فقط من قبل العرب والأرمن الذين كانوا رعايا أتراكاً .

من أجل الأسباب والاعتبارات المذكورة ، تم الاتفاق بأنه لا يدفع أحد من الأرمن المذكورين أو الفرس المستحقات التي تسمى "كوروجوس" ولا الرسوم الحديثة الأخرى .

لكي يحددوا من هم رعايا سلطان الأتراك ومن هم رعايا الشاه ، يجب أن يحضروا إلى هرمز مستندات تم الحصول عليها من أسقف "سيرين" ، عندما كان في بلاد فارس ، ويجب أن تحتوي هذه المستندات على المتطلبات اللازمة من أجل التعرف عليهم وبخاصة الأرمن الكاثوليك ، الذين تم منحهم هذه المساعدة كما هم فقط ، وأيضاً لأن ما قد تمت الإشارة إليه كان مهماً جداً من أجل مصلحة وتحسين التجارة في هرمز .

الفصل الحادي والأربعون : لقد أمر جلالته بأنه يجب ألا يكون هناك رئيساً للخزانة في هرمز ، ولكن يجب أن يتم تحصيل الإيرادات

من الجمارك بواسطة الوكيل التجاري . حينما حاول "الدوم جيرونيمو" أن يجمع هذه الإيرادات لم يستطيع أن يجد أحداً يمكن أن يقدم أكثر من مائة وخمسة وثلاثين ألف "باردواس" ، بقيمة خمسة "لارين" للباردواس .

عندما تم الاقتراح على مجلس الخزانة فيما إذا كانوا يستطيعون أن يقبلوا بهذا المبلغ ، تمت الموافقة بالإجماع على أنه كان سعراً منخفضاً جداً بالمقارنة مع ما تم دائماً التوجه لإحضاره ؛ وأنه حيث لم يكن من المناسب السماح بتخفيض كبير من دار الجمارك بتلك الأهمية ، فيجب أن يتم تحصيله نيابة عن الخزانة الملكية .

كان هناك في دار الجمارك ؛ وكيلاً تجارياً كبيراً في العمر ذا مقدرة قليلة لكي ينفذ ذلك التحصيل ، الذي دائماً ما يتم فعله في وجه العقبات الكبيرة المقدمة بواسطة الحريات التي يتم اتخاذها مع مستحقات جلالته من قبل قباطنة القلعة وخدمهم وكانت هذا القناة الرئيسة والسبب الذي بواسطته تناقصوا كثيراً جداً ، ولذلك تم الاتفاق على الرغم من أوامر جلالته أن يرسل شخص ما إلى هرمز بصلاحيات مسؤول خزانة لديه السلطة والإصرار لإجبار كل فرد على دفع المستحقات الملكية .

اختاروا لهذا الغرض "نيكولاو دا سيلفا" "Nicolao da Silva" الذي تتجمع فيه خصائص الذكاء والاستقامة والبلاغة ، وكل شيء آخر كان مطلوباً أيضاً لوظيفة كهذه . أرسله نائب الملك إلى هرمز بصلاحيات واسعة لكي يقوم بتحصيل مُرضي لمستحقات الجمارك ، مع قائمة طويلة

من التعليمات عن كيف يمضي في العمل ، بالإضافة إلى تعليمات وتدابير احتياطية قد تم إعطاؤها إلى "جارسيا دي ميلو دي كامبوس باريتو" "Garcia de Milo de Campos Barreto" الذي كان لديه تصريحاً للقيام بهذا العمل لكي ينفذ بمساعدتهما تحصيل مستحقات جلالته كما ظهرت الأفضل له .

كان عليه أن يفحص تقارير الوكيل التجاري ، وبشكل خاص المصروفات والمسائل المتعلقة بها ، وكان أيضاً مكلفاً بتأمين تموين القلعة ، ولم يطرح ولو أقل شك في المساعدات التي تم القيام بها ؛ لأنه كان من المعتاد ألا يكون لديه ذمة بشأن هذا ، ولم يتم عقد مشتريات من القبطان في هذه الناحية ، كالعادة ، التي كانت مضرة جداً بالخزانة الملكية .

غادر "نيكولاو دا سيلفا" بهؤلاء ، وبتعليمات أخرى مفصلة عن الأساطيل في المضيق ، التي كان يجب أن تُستخدم فقط في خدمة جلالته وليس من أجل استخدامات أخرى وأغراض متعلقة بالمكسب الشخصي أكثر من خدمة الملك ، والتي كان هناك شكاوى حولها .

حيث كانت الخزانة الملكية مستهدفة ، فقد قدم نائب الملك مائتين وخمسين (بهاراً) "Bahars" من القرفة التي قد جلبها من سيلان في إحدى سفن "الكاراك" الخاصة به لكي يبيعها ويستغل منصبه . أرسلها مع "نيكولو دا سيلفا" لكي يتم بيعها في هرمز بدلاً منه ، وأمر بأن يتم إرسال الريع (الثمن الذي بيعت به) بالإضافة إلى الأرباح من الجمارك في هذا الخصوص .

شملت صحبته السفير الفارسي ، المذكور سابقاً ، الذي يسمى

"دينغز بك" (سـيدي صابـي كما هي) بهدية قد أرسلها جلالته إلى ملكه ، وقد تمت إضافتها في "غوا" من قبل نائب الملك "الدوم جيرونيمو" مع مبلغ خمسة عشر ألف "أشرفي" ، المستخدمة في الوسائل المشار إليها .

كان في رفقته أيضاً أسقف "سيرين" الأب "أنطونيو دي جوفيا" ، الذي كان في طريقه إلى أشخاصه المسيحيين ، وصلوا جميعاً إلى هرمز مع الريح الموسمية في إبريل عام ١٦١٣م ؛ حيث تولى "نيكولاو دي سليفا" منصب مسؤول الخزانة ، وبدأ عمله ملاحظاً الأوامر في حملها في موعدها المحدد .

أجرى تحقيقاً في إجراءات "جولياو دي كومبوس باريتو" ، و"جارسيا دي ميلو" عندما كانا مسؤولين عن الخزانة في تلك القلعة ، وأرسل النتائج إلى نائب الملك الذي أحالها قاضي إقامة الدعاوي القانونية .

من هذا أتضح أن هذين الرجلين قد ارتكبا أخطاء تصل في مقدارها إلى أربعين ألف "باردواس" من "اللارينات" المقترضة من أهالي هرمز من أجل حملة "الدوم مارتيم أفونسو دي كاسترو" العسكرية ، وبناءً على طلب "غونسالو بنتو دا فونسيكا" "Goncalo Bento da Vonsica" الوكيل الملكي للخزانة .

أمر نائب الملك "روي لورنسو" "جارسيا دي ميلو" أن يُسددها من أجل مكانة الدولة ، ولذلك تم التمكين من إثارة القروض مرة ثانية . أرسل قاضي الدعاوي القانونية تقرير البحث إلى البرتغال حيث كفَّر كل من الرجلين عن غلطتهما وتم تبرئتهما منها .

غادر السفير "دينغز بك" إلى بلاد فارس مع مكافآت وهدايا أعطيت إليه في "غوا" من قبل نائب الملك وعدد ليس بالقليل من قبطان هرمز .

قرر أسقف "سيرين" ألا يرافقه ؛ لأنه كان هناك في هرمز شائعات بأن الشاه كان مستاءً منه ، ولذلك انتظر ليرى كيف تصرف الشاه تجاه سفيره فيما يتعلق بالرد الذي أحضر من عند جلالته . كان قراراً حكيماً تم إظهاره جيداً من خلال الأحداث ؛ لأن الشاه لم يكن راضياً عن العوائد التي أحضرها عن حريره ، مُحصياً الربح والخسارة كأنه (تاجر) .

على الرغم من أنه علم بالهدايا والمعاملة الحسنة التي قد تلقاها من جلالته ونائب الملك في الهند ، وبدلاً من أن يكون شاكراً لهذا ؛ حيث قد تم فعلها من أجله ؛ لأنه كان يطمع في شيء ما ، يُحتمل أنه قد سمع عنه من سفيره ، ولأنه كان غاضباً من أن هدفه لم يتم تحقيقه فقد أمر بأن يتم قتله ، وأخذ منه كل ما كان لديه .

كان مثل ذلك هو غضبه الشديد تجاه أسقف "سيرين" لدرجة أنه لو ذهب هو أيضاً إلى هناك لكان أيضاً من الواضح أن تتم معاملته بشكل سيئ ، ولأنه قد تم إخباره أن الأسقف دعا المسيحيين الأرمن الذين هم رعايا الشاه ، قطيعه ، وأمر ستة آلاف أرمني لكي يتم إجبارهم ليصبحوا مسلمين ويُنكروا عقيدة سيدنا المسيح ، وبعد ذلك سواءً من خلال القوة أو رغبتهم الخاصة ظلوا مسلمين .

دعا الشاه هذا الأسقف المحترم بأسماء مُسيئة جداً لشخصه وثقافته وأخلاقه الحسنة ، التي بينت ما كانت عليه مشاعره ، ولم

يجرؤ الأسقف على الذهاب إلى بلاد فارس ، تاركاً زراعة بستان كرم الله العظيم هذا للرحمة الإلهية ، واجتهاد الإخوة الرهبان لدى نظامه الديني الخاص بالقديس "أوغسطين" والآباء الكراملة الحفاة . بسبب أشواك الكافرين المخيفة المحيطة به أصبح تقريباً أجمّة برية .

يتم الاحتياج إلى الحماس الخاص ومساعدة السماء لجمع الفاكهة بين أرواح الأرمن والمسيحيين لدى القديس يوحنا ، الذين تلقوا فقط الحليب الأول للعقيدة الكاثولوكية وخلطوا مع عدد كبير من الأخطاء للحد الذي أصبح فيه من العمل الشاق والمتعب جداً أن نتعامل معهم بشكل أكثر من أولئك الذين لم يعرفونها أبداً .

الفصل الثامن والأربعون : في بداية شهر نوفمبر من عام ١٦٠٣م هذا وصلت سفينة كاراك من مسقط برسالة من جلالته التي وصلت إلى هناك براً .

احتوت على الخبر بأن "السير روبرت شيرلي" الرجل الإنكليزي الذي ذهب كسفير للشاه إلى جلالته ، قد ذهب من مدريد إلى إنكلترا لكي يناقش مسألة السفن القادمة إلى هذه المناطق التي يمكن أن تكون أغراضها مُضرة بدولة الهند وقلعة هرمز على وجه الخصوص ، كان من المحتمل أن يعقد أيضاً اتفاقاً مع الشاه عن التجارة في مادة الحرير .

كان هذان الشيئان قد تمت إعاقتهما ويجب أن يتم منع "السير روبرت" من الذهاب إلى بلاد فارس بقوة السلاح أو ببعض الوسائل الأخرى .

أحضرت نفس سفينة "الكاراك" من مسقط معلومات بأن عدداً كبيراً من سفن "الكاراك" كان مُعداً في إنكلترا وهولندا لكي يذهب

إلى الهند ، عندما وُضع هذا أمام المجلس ، تم اتخاذ قرار بأن "الدوم لويس دي جاما" (الذي كان يتفاوض لكي يذهب إلى هرمز ؛ لأن القلعة كانت بدون قبطان مقيم بسبب موت "الدوم جورج دي كاستيلو برانكو") يجب أن يتم إرساله لكي يُجهز قلعتي مسقط وهرمز ، ويمكن أن يعطي هذا الرجل النبيل بحماسه المميز وشجاعته الاهتمام الملائم للدفاع عن القلعة الأولى .

يجب أن تتمركز في مسقط حامية من ثلاثين جندياً بقيادة قبطان شجاع وخبير في القلعة التي فوق الجبل التي قد أعطاها جلالته تعليمات خاصة .

كان يجب على "الدوم لويس" أن يسافر إلى الهند في سفن تسير بالمجاديف ، لكي يتجنب المخاطرة الفردية ، وأن يذهب بسرعة أشد لكي ينفذ أوامر جلالته بشأن "السير روبرت" .

قام "الدوم لويس دي جاما" باستعداداته ، وانطلق في رحلته في شهر ديسمبر من هذا العام بأمر من نائب الملك ، زار جميع القلاع التي في الشمال لكي يجمع كل السفن التي يجب أن تذهب إلى هرمز ؛ وذلك لكي يسافر في مجموعة أكبر من أجل الأمان التام للجميع . اشتمل أسطوله على سفينة كاراك وأربع سفن تسير بالمجاديف .

لذلك إذا كان هناك من معلومات في "ديو" بأن سفن "الكاراك" الإنكليزية قد ذهبت بسرعة إلى هرمز فإنه يمكن أن يذهب مع السفن ، ومع ذلك ، مهما يكن من أمر ، فيمكن أن يحاول الإمساك "بالسير روبرت" ووضعه في الأسر بأمان ، حتى لو كان من الضروري أن يعطي

شيئاً ما من أجل هذا ، مهما كان قدره ، إلى الأمير (المير أو حاكم السند من حساب الخزانة الملكية) .

عندما وصل "السير روبرت" إلى السند ، كشخص مذنب فقد فعل كل ما استطاع لكي يحمي نفسه من البرتغاليين ، ولأنه رجل حكيم أدرك أنهم كانوا يحاولون أن يحصلوا عليه بواسطة "المير" The Mir فغادر بسرعة دون توقف في الأراضي التي تقع تحت سلطة المير ، وذهب إلى بلاد فارس ؛ حيث زوَّر وابتكر جميع الوسائل التي جاءت إلى هذه الدولة مع وصول الإنكليز .

كان يوجد لدى "الدوم لويس دي جاما" قائمة طويلة من التعليمات من نائب الملك فيما يتعلق بما يجب عليه أن يفعله في قلعة هرمز التي احتوت في الأساس على إمداد جيد بالجنود ، الذين يصل عددهم إلى سبعمائة من أفضل الجنود الذين أمر بهم جلالته ، بالذخيرة ، والإمدادات ومسحوق البارود لكي تكون القلعة دائماً مزودة جيداً لأي شيء من المحتمل أن يحدث من الاحتمالات العديدة الممكن توقيعها ضد القلعة ضد تلك المنطقة من الإنكليز والهولنديين والنية السيئة لدى الشاه .

كان مكلفاً إلى حد كبير أن يكتشف كثيراً جداً بقدر استطاعته عن نوايا الشاه وخططه لكي يمكن أن يحصل على معلومات كاملة عنهم بشكل طبيعي . كان يجب على الأسطول أن يستخدم فقط لخدمة جلالته ، في حين أنه عادة ما كان يستخدم من أجل التجارة والربح ، ولذلك يجب أن يُعهد به لأشخاص ليس لديهم نية أو رغبة في أن

يشاركوا في تلك الأنشطة وأنه يجب أن يتم مهاجمة السفن البرتغالية التي تعبر من خلال المضيق بالفلفل والبضائع الممنوعة الأخرى بضراوة أشد من العدو ، وأن يتم احتجازهم بسبب الضرر الشديد الذي يسببونه لمصالح جلالته .

ذلك لأنهم لم يستطيعوا أن يلقوا القبض على "السير روبرت" ، كتب نائب الملك رسالة إلى الشاه معلماً إياه أن النشاط الرئيس للإنكليز هو عملهم كقراصنة في البحر ، وأن مجيئهم إلى الهند كان بدون إذن جلالته ، ولذلك فإنه إذا أراد أن يبقوا معه أصدقاء ، يجب ألا يسمح لهم بالدخول إلى موانيه ، وأن لا يتاجر معهم من خلال دولة الهند .

تم إرسال هذا إلى أسقف "سيرين" لكي يتم إحالته إليه في الوقت المناسب ، ولأن الأسقف عرف في حينه مشاعر الشاه ، اعتقد أنه لن يفقد شيئاً بواسطة تلك الرسالة ، وأرسلها إليه ، وفي الحقيقة لم يتم الحصول على شيء أو فقدانه ، وصل "الدوم لويس" إلى هرمز بأمان في ١٦١٤م ، واستولى على القلعة .

حاول أن يُنفذ جميع تعليمات نائب الملك ، وحقق هذا في معظم الأحوال ، على الرغم من أنه لم يستطيع أن يتجنب الحوادث البسيطة .

الفصل الثاني والستون : (السفن التجارية من كنج) كان "أنطونيو بنيتو دا فونسيكا" الذي كان متمركزاً بسفنه في "باسين" بالمسؤوليات التي تمَّ ذكرها ، لديه قريبه "فرانسيسكو بينتو بيمينتا" "Francisco Bento Pimenta" كرئيس لقباطنة في أنهار "تانا" . أبحر في سفينة جاليوت وكان معه ستة قوارب "سانجويسيس" التي كان

قباطنتهما هم : "ديوجو فرير" "Diogo Freire" ، و"كوسمو دو كوتو" "Cosmo do Couto" ، و"مانويل دي ميراندا" "Manuel de Miranda" ، و"فرانسيسكو جوميز" "Francisco Gomez" ، وآخرون والذين لا تستطيع أن تتذكرهم .

في شهر مارس عام ١٦١٣م أمره "أنطونيو دا فونسيكا" أن يذهب إلى "تشول" وإلى أعلى النهر لكي يحمل على الشاطئ اثنتي عشرة سفينة من نوع "باروا" لمواجهته ، ولاحقوه بالسفن ذات الشراع والمجاديف . أبصر "روي فرير" هؤلاء وكان خائفاً من أن يقع حادثاً بسيطاً .

حيث كان هناك ما لا يزيد على أربعة أو خمسة جنود في كل "سانجويسي" وأصدر أوامره على وجه السرعة لكي يدق ناقوس الخطر في المدينة ويحشد جميع الجنود على الشاطئ ، وضع عدداً كبيراً بقدر استطاعته في السفن التجارية القادمة من كنج التي كانت هناك محملة بالبضاعة ، وجعل "الدوم لورينسو سوتومايور" "Lorenco Soutomayor" قائداً لهم وأرسلهم لمساعدة "فرانسيسكو بينتو" "Francisco Bento" .

ذهبت السفن ذات الشراع وذات المجاديف مباشرة إلى سفن "الباروا" ورجعت القوارب "السانجويسي" عائدة نحوهم ، وعندما أبصروهم لم تكن جولة سهلة ، ورجعوا فارين في اتجاه "داندا" من حيث قد أتوا .

الفصل الرابع والسبعون : مغادرة سفن "الكاراك" من البرتغال مُتجهة إلى الهند في ١٦١٤م ، عن رحلتهما ووصولهما . في عام ١٦١٤م كانت سفن الكاراك القادمة من البرتغال منتظرة في "غوا" ، مع

الاستعجال المثار بواسطة حال الحروب التي تم القيام بشنها في أماكن عديدة ونقص الجنود لمحاربتهم ولكل الأسباب الأخرى .

كان من المأمول أن يضع الوزراء في البرتغال نصب أعينهم كل الأشياء التي يمكن أن تكون ضرورية وأن يسعوا إلى الإمداد بها حتى لا تُجبر السفن على الدخول إلى الموانئ ، كما حدث مع "الدوم مانويل دي مينسيس" في العام السابق .

عيّن جلالته فرداً واحداً إضافياً زيادة عن العام الماضي ، كرئيس قبــاطنــة لعــدد خمــس سفن كاراك ، وهو "الدوم مانويل كوتينهو" "D . Manuel Coutinho" ، وهو رجل نبيل ذو ذكاء مُتميز وصفات أخرى مناسبة تماماً للمنصب .

على الرغم من أنه كان هناك أفراداً آخرين بصفاتهم المشابهة ، فهو كان ، بالإضافة إلى اهتمامه بالهند ، متلهفاً أن يرى أخاه "الدوم ديوجو كوتينهو" "Diogo Coutinho" ، قبطاناً لمدينة "كوتشين" ، قد تمّ تعيينه هناك لمدة سنوات عديدة دون الرجوع إلى البرتغال .

تم البدء في إعداد السفن في الوقت المحدد تحت إشراف رئيس القباطنة الذي عرف أن صلاحية وكفاية المعدات والإمدادات معتمدة عليه بدلاً من أي فرد آخر . عند معرفة قصر مدتها وما يمكن القيام به لتحسينها دون نجاح ، نصح جلالته برسالة إلى مدريد كُتبت في لشبونه في شهر مارس من ذلك العام ، مُبيناً كم كان خاطئاً ما أمكن أن تُزود به سفن الكاراك التي اضطرت إلى الذهاب إلى الهند .

كان كل شيء ناقصاً ولم يحقق ما كان مطلوباً ، وبخاصة نوعية المؤن التي اعتمدت عليها صحة كل أولئك الذين أبحروا فيها ، ونتيجة لذلك مات عدد كبير منهم في الرحلة ، وأوضح تفاصيل أخرى قليلة الأهمية .

كان جلالته مسروراً بذلك ، وأجاب بأنه أعتبر نفسه مخدوعاً بشكل حسن من خلال النصيحة والتحذيرات التي قدمها ، والتي أمر بأن يتم الاطلاع عليها . كلَّفه بأن يُعطي كل المعلومات التي أعتقد أنها ضرورية لإعداد سفن "الكاراك" من أجل الرحيل ، بما أنه كان يجب أن يذهب معها إلى الهند .

تُفيد الرغبة والاهتمام الذي يسعى به جلالته لعمل تحسينات عظمته الملكية ، مثلما تفعل الحماية التي يقدمها لجميع أفراد الديانة المسيحية وبخاصة في المشرق ، التي يسعى لتقديمها على نفقة خزينته وممالكه ، عندما تم إخباره بأنه لم يكن هناك من مرشد يمكن أن يعهد به للأسطول مع الثقة بأنه يمكن أن يصل آمناً مثلما حدث "لجاسبر فريرا" كبير المرشدين ، الذي تقاعد الآن .

استدعاه الملك وعلى الرغم من أنه احتج بقوة ، وأجبره على الموافقة مع مكافآت كثيرة وأفعال تكريم . لذلك بعد إعطائه وسام المسيح وأشياء كثيرة أخرى ، غادر حاجز "لشبونه" مع خمس سفن كاراك في يوم العاشر من شهر إبريل عام ١٦١٤م .

كان (بين النبلاء الكثيرين والسادة الأعيان) "الدوم جارسيا دا سيلفا" ، الذي كان جلالته مرسلاً إياه كسفير إلى بلاد فارس ، فهو رجل نبيل الأصل من طبقة اجتماعية عليا ، برفقته صف طويل من

الخدم ومن موظفي السفارة ، مع هدية جميلة من عدد كبير من التحف القيمة ، والقطع النادرة .

وصلت جميع سفن "الكاراك" من ساحل غينّيا ، ولكنه بسبب الحرارة الشديدة مرض ومات عدد كبير من الذين كانوا على ظهورها بما فيهم "لويس فريرا" ، قبطان واحدة منها . عيَّن الأشخاص في مكانه على ظهر السفينة "ديوجو دي سوزا مينزيس" ، وهو رجل نبيل خدم سابقاً في الهند ، وقد تم إرساله ليشغل وظيفة قبطان في هرمز .

الفصل التاسع والسبعون : نائب الملك يتلقى أخباراً من هرمز عن فقدان "غمبرون" ، في هذا الوقت فبراير عام١٦١٥م ، وصلت إلى نائب الملك أخبار من هرمز أن الفرس قد استولوا على حصن "غمبرون" ، فقد أمر جلالته قبطان هرمز أن يذهب إلى جزيرة قشم ويجد موقعاً لقلعة عقد العزم على أن يُقيمها هناك لكي يضمن إمداد الماء الذي كانت تفتقده هرمز .

ذهب "الدوم لويس دي جاما" مع أسطول كبير يحتوي على سفينة جالي واحدة وعدد كبير من السفن .

عندما علم خان شيراز بهذا ، حشد جيشاً لكي يرى أين كان هو ذاهب ، وعندما رجع "لويس دي جاما" إلى هرمز بعد قشم لم يرد خان شيراز أن يُسرح جنوده دون أن يفعل معهم شيئاً ما ، وهاجم "غمبرون" .

كان عادة قديمة أن يدفع ملوك هرمز إلى ملوك "لار" مبلغ إيجار معين في مقابل الجزيرة المشار إليها ، وعندما استولى شاه عباس ملك بلاد

فارس ، على مملكة لار ، طالب بأنه يجب أن يتم دفع نفس مبلغ الإيجار إليه في مقايضة يعطيه فيها حرية أكثر لطرقه .

عندما طلب علي بك القائد الفارسي العظيم الذي كان يحكم "لار" في غياب خان شيراز الإيجار من قباطنة هرمز ، "الدوم جورج دي كاستيلو برانكو" ، و"لويس دي جاما" رفضا وأصرّا على عدم الدفع له .

أخيراً عندما ألح "علي خان" على "الدوم" من أجل المال ، كتبا رسائل غاضبة لكل منهما الآخر ، وذهب "الدوم لويس" إلى حد لكي يُخبره بأنه يستطيع أن يأتي به إلى إسطبلات خيوله كصبي خيل "فاراز" "Faraz" .

كان علي بك غاضباً جداً لدرجة أنه اعتبر هذا كعذر لتنفيذ نوايا الشاه ضد الحصن في "غمبرون" ، ولذلك سهَّل عبوره في داخل أراضي هرمز ، الأمر الذي آلمه كثيراً وتوقع أن يفعله في بداية أغسطس عام ١٦١٤م .

تمَّ قطع الاتصالات مع "غمبرون" بواسطة فرقة من الخيَّالة ، وبحلول يوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر حشد خمسين ألف رجل مسلح ، وبهؤلاء ضرب حصاراً شديداً على "غمبرون" براً وبحراً وبمائة وخمسين طرَّاداً وأربع سفن كبيرة لفرض الحصار بالقوة ، حاملة أربعة آلاف جندي ، زيادة على العرب الذين كانوا يعملون على مجاديف سيرها .

أعدَّ قبطان "غمبرون" ، الذي كان اسمه "أندريه دي جوادروس" "Andre de Quadros" ، جميع الدفاعات ، ولأنه لم يكن لديه أية مدفعية ثقيلة والتي بها يستطيع أن يبدد هجوم العدو ، فيما كان معه

عدد قليل من المراكب "الفلكان" و"البارسو" ، لم يكن قادراً على الصمود طويلاً في وجه قوة كبيرة شجاعة وقوية مثل الفرس .

طلب المساعدة من "الدوم لويس دي جاما" قبطان قلعة هرمز ، الذي أرسل بعض الرجال والذخيرة والمؤن ليبحث عن فرصة لكي يدخل "غمبرون" عندما لم يكن الأسطول مهاجماً لها ؛ لأنه غالباً ما أبحر حول أماكن أخرى ، مُفتشاً وباحثاً في كل مكان وعازلاً كل ساحل بلاد العرب الذي كان معتمداً على ملك هرمز .

لم يرسل إليه "الدوم لويس" مساعدة لمرة واحدة فقط ، ولكن لعدد كثير من المرات ، ونقل المرضى والجرحى والرجال الذين لم يصل عددهم إلى أربعين ، وقام بهجمات وغارات في وقت الليل ، مهاجماً الدولة وقاتلاً عدداً كبيراً من أفراد العدو ، ولكن هذا أصاب العدو بضرر أقل ، على الرغم من أنهم قتلوا عدداً كبيراً من البرتغاليين الذين عانوا نتيجة لموت فرد واحد أو اثنين .

كان لدى "الدوم لويس" نفسه في هذا الوقت عدد قليل جداً ، ولا يزيدون على ثلاثمائة بما فيهم الجنود والمتزوجون ، وأسطول مكون من ثماني سفن فقط ، الذي كان رئيس قباطنتها "فيرناو دا سيلفا" ، وأعتقد أنه من الأكثر أهمية أن يعطي الأولوية للدفاع عن هرمز .

في سبتمبر عام ١٦١٤م أرسل تقريراً عن حالة الوضع إلى "الدوم جيرونيمو دي أزيفيدو" ، طالباً المساعدة التي يحتاجها ، ودائماً ما احتفظ ببعض السفن على مقربة من هرمز ، عندما كان مُجبراً على إرسال السفن الأخرى ؛ لأنه في ذلك الوقت ، عندما ذهبت طرّادات

العدو وسفنه إلى جلفار ، والذين تم الاستيلاء عليها وعزلها . حينما سمع "الدوم لويس دي جاما" بهذا ، أمر رئيس القباطنة أن يذهب باحثاً عن الطرّادات وأن يُلقي القبض عليها ويدمرها ، آخذاً السفن التـــي أعتقــد أنها ضرورية ولكنه ترك عدداً قليلاً منها من أجل سلامة الجزيرة .

انطلق "فيرناو دا سيلفا" مع خمسة ؛ حيث كان رئيساً للقباطنة في واحدة منها ، وكان القباطنة الآخرون هم : "جواو دي آروجو" "Joao de Arojo" ، "ميجيل دا سيلفا" "Miguel da Silva" ، "دومينجوس نونو" وقبطان آخر غير معروف اسمه . طلب الاثنان الآخران إذناً بالبقاء في قشم لتحميل الماء ثم يتبعانهم ، والذي تم إعطاؤه لهما دون الانتظار من أجلهما ، ثم انطلق في طريقه ، حتى وصل على مقربة من فريسته ، التي كانت مع الأسطول بأكمله .

خرجوا في الحال لكي يشتبكوا في معركة مع البرتغاليين . أخذ "فيرناو دا سيلفا" "Fernao da Silva" برميلاً من البارود لكي يوزعه بين الجنود ، ولكن لسوء الحظ أشعل أحد خدمه النار فيه ، واحترق هو و"فيرناو دا سيلفا" وأربعة بحارة ، وأشعلت النار أيضاً في الشراع ، وحتّى أصبحت السفينة عاجزة عن السير ، مما اضطر السفينتان الأخريتان لسحبها إلى الشاطئ .

عندما رأى أفراد العدو هذا اقتربوا بمحاذاة السفينة حتى سمحت السفن بإنزال السحب وألقى البحارة مثل المسلمين بأنفسهم في البحر ، بينما كانت السفينة تتمايل في اتجاه البر .

على الرغم من أن هؤلاء الذين بداخلها دافعوا عن أنفسهم لفترة طويلة من الوقت ، فقد جاء العدو على ظهرها واستولى على السفينة وأخذهم أسرى .

ذهبت السفينتان اللتان توقفتا في قشم والسفينتان الأخريتان اللتان انفصلتا عن سفينة القبطان وتراجعتا عن أسطول العدو ، إلى هرمز ، بأخبار عما قد حدث ؛ حيث تم استقبالهم بأسف شديد ولكن بدون العقوبة التي يستحقها مثل ذلك التصرف .

شدّد الفرس المتشجعون حصار "غمبرون" براً وبحراً وغير سامحين بأية مساعدة للوصول إليها على الرغم من جهود "الدوم لويس دي جاما" .

أخيراً استسلم "أندريه دي جوادروس" وآخرون في الداخل عندما أبصروا أن الفرس كانوا يحفرون في أماكن عديدة ويحصلون على السيطرة بشدة في كل دقيقة دون أمل في المساعدة التي لم يتسلموها لأيام عديدة ، في مقابل أرواحهم في يوم الحادي والعشرين من ديسمبر ١٦١٤م ، وكالمعتاد لم يحتفظ أفراد العدو بوعدهم معهم .

قبل أن يعلم بالاستسلام ، حاول "الدوم لويس دي جاما" ، حينما رأى أن أفراد الأسطول العدو لم يغادروا أماكنهم لكي يتم شحن المعونة إلى "غمبرون" ، أن يؤدي دوره بواسطة هجوم لكي يفرقهم . أعدّ اثنتي عشرة سفينة كان قباطنتها هم : "دومينجوس نونو" رئيس القباطنة ، و"أفونسو دي جامـــا" "Afonso de Gama" ، و"ديوجو جيرالديس" "Diogo Jeraldes" ، و"ميجيل دا سيلفا" ، و"جواو دي سوزا بينهل" "Joao de Susa Benhil" ، و"فرانسيسكو بيريرا" ، و"أنطونيو دا سيلفا" ،

و"جـــــــــواو دي أروجـــو" ، و"مـــاتـــيـــاس باربوســـــا" "Mathias Barbosa" ، و"هــــنريـــك دا سيـــــلفـــــا" "Henrique da Silva" ، و"فرانسيسكو ماتشادو" "Francisco Machado" ، و"فيرناو فاز دي سكويرا" "Fernao Vaz de Segueira" . كانوا جميعهم مزودين بمعدات ، على الرغم من أن معظمهم كان لديه ثمانية أو عشرة إسبان بين رجالهم ؛ لأنه لم يكن هناك من عدد كاف من البرتغاليين .

انطلقوا بحثاً عن أسطول العدو ، الذي كان على دراية باقترابهم بسبب الساعة المحفوظة والمركبة في خليج ضيق بالقرب من "غمبرون" والذي فيه ضحالة في أحد الجوانب حتى لا تستطيع أن تدخل سفننا من جانب اتجاه الريح .

عندما وصل رئيس القباطنة مفترضاً أن القاع ضحل بأكمله ؛ لأنه لا يستطيع أن يسير مع الريح التي كانت تهب عندئذ ، وبعد ذلك ربما يكون غير قادر على أن يذهب لمساعدة هرمز إذا دعت الضرورة ؛ لأنه لم يوجد أي رجال آخرين فيما عدا أولئك الذين هم في الأسطول ، استدار وجمَّع قواته بأكثر من عشرة طرَّادات ، ورجع متبعاً أوامر "الدوم لويس دي جاما" بأن يحمل المساعدة إلى "غمبرون" ، ولكن بعد أن غادر فعلاً أسطول العدو استسلمت القلعة .

عندما ذهبوا إلى هناك ، أبصروا جنود العدو يُفككون بعض المباني لكي يضعوا في محلها مبان أخرى على طريقتهم أعادوا بناءها وأصلحوها ، وحصَّنوها بقدر كبير من قطع المدفعية التي هي عليها الآن .

تم تلقي الأخبار على نحو ملائم بواسطة "الدوم لويس دي جاما" وبقية سكان هرمز .

تنبأ بعض الرجال الذين لديهم خبرة والكبار في العمر لدى هرمز بأنه بعد سقوط "غمبرون" ، من الممكن أن تسقط هرمز أيضاً ؛ لأنها خدمت كنوع من الحصن الأمامي لها ، والذي يمكن أن يتحمل أي هجوم قادم من بلاد فارس ، وعندما يصل إلى هرمز يمكنهم أن يكونوا مستعدين .

على الرغم من أنه يقال إنه عندما كان نائب الملك في طريقه مع أسطوله إلى "دابهول" ، أحضرت إليه سفينة "جاليوت" خبر الحصار من "الدوم لويس دي جاما" ومن الممكن أن يكون قادراً على المساعدة ، ولكنه لم يكن تماماً على علم بها حتى تلقى خبر فقدانها ، فقد أرسل "ميجيل دي سوزا بينهل" لمساعدتها ، كونه أيضاً كان مسؤولاً عن خزانة قلعة هرمز ، مع تسع سفن والتي كان قباطنتها هم "ميجيل دي سوزا" ، رئيس القباطنة ، و"بينتو دي فاسكونسيلوس" ، و"جواو باربوسا" "Joao Barbosa" ، و"جورج دي ميلو" "George de Milo" ، و"فرانسيسكو هينريكس" "Francisco Henriques" ، و"مانويل دي جوفيا" "Manuel de Govia" ، و"ميجيل دي ماسيدو" "Miguel de Macedo" ، و"جواو رودريجيز فاريلا" "Joao Roderigues Varella" ، و"جاسبار بيتا" "Gaspar Betta" .

وصل هرمز في شهر مارس عام ١٦١٥م ، متأخراً جداً فلم تكن له أية فائدة ، وبقي هناك لكي يُخلي مهام منصبه ، ولكنه هو و"الدوم لويس دي جاما" اختلفا كثيراً في الرأي للحد الذي رحل فيه "ميجيل دي سوزا" إلى مسقط لكي يمنع الموقف من التدهور .

الفصل الرابع والثمانون : السبب والغرض من مجيء السفير

القشتالي "الدوم جارسيا دا سيلفا" إلى الهند ، واستقباله من قبل الملك ، وكيف تم تحققت مغادرته . لقد أشرنا أنه من بين الأشخاص الذين أتوا في سفن الكاراك بأمر "الدوم مانويل كوتينهو" ، وكانوا مسافرين في سفينته ، كان "الدوم جارسيا دا سيلفا فيجويرا" ، كسفير لجلالته إلى بلاد فارس . إننا لم نشر إلى السبب ولا الغرض من زيارته لأننا كنا في سرعة لكي نتابع الملك في رحلته إلى الشمال ؛ انتهى ذلك الآن ، ويجب أن نقدم تقريراً عن هؤلاء :

وصل السفير إلى "غوا" في نوفمبر عام ١٦١٤م ، كما ذكرنا ، وأرسل نائب الملك قارب "المانشو" الخاص به لكي يتوجه لإحضاره من رصيف الميناء ، وحجزت البيوت من أجله على طول النهر لكي يكون الاتصال أسهل .

بعد عدد قليل من الأيام التي مرت في أثنائها الرسائل بينهما بشكل ودي ، أعد نائب الملك الترتيبات لاستقباله ، وقبل أن يفعل هذا ، فإنه من الملائم أن نقدم تقريراً عن السبب والغرض من قدومه :

كان شاه عباس ، ملك بلاد فارس ، مرسلاً سفارات (بعثات) متعددة إلى جلالته ، وتم تقديم فيض مستمر من الالتماسات نيابة عنه إلى المجلس الملكي للدولة في مدريد من خلال سفيره "دينغز بك" . في تلك الرسائل التمس واقترح على جلالته أنه يجب أن تكون الحرب ضد سلطان الأتراك مستمرة ، بوسائل الحرب التي تم القيام بشنها من قبل إمبراطور ألمانيا ، وبالإضافة طلب منه أن يوافق على معاهدة فيما يتعلق بالتجارة في كل الحرير الذي يُنتج في مملكته ، كما قد روينا .

لكي نحافظ على الصداقة بين الملكين ومن أجل أن يُبين جلالته القدر الذي فعله في تقديرها ، توسل إليه الشاه أن يرسل إليه سفيراً ، شخصية هامة في بلاطه ، وأنه من جانبه يجب عليه أن يفعل نفس الشيء . لم يظهر له أنه كان ملائماً أن مثل هذه المسائل والتحالفات يجب أن يتم تنفيذها من خلال الإخوة الرهبان ، وقال الشاه أنه الآن كان مُتعباً من الحديث معهم .

أمر جلالته بأنه يجب أن يتم التفكير في هذه المسائل ملياً ، وكان من المقرر أن يختار شخصاً كالشخص الذي طلبه الشاه بما يكون مناسباً لعظمة جلالته ، وتم اختيار "الدوم جارسيا فيجويرا" ؛ حيث يمتلك الصفات المطلوبة .

بالإضافة إلى كونه ينتمي إلى معظم وجهاء إسبانيا كان رجلاً ذا تقدير حسن وفهماً ثاقباً ، مثقفاً ومحترماً ، ويتحدث اللغة اللاتينية والإيطالية بطلاقة إلى جانب أن عمره قد أعطاه نُضجاً وخبرته جعلته مناسباً لأي شيء يُعهد به إليه . لقد كان حاكماً لمنطقة "جاين" "Jaen"عندما هاجم الإنكليز "قادس" Cadiz التي قد ذهب لمساعدتها مع عدد كبير من المشاة والخيالة ، وحاز على الرضى التام .

تم إعطاء "الدوم جارسيا" مساعدة مالية كبيرة من قبل بلاط مدريد من أجل رحلته إلى بلاد فارس ، وعلى وجه الخصوص تم تخصيص مبلغ عشرة آلاف "إسكودو" من الذهب ، من عُملة قشتالة ، من أجله هو والوجهاء والأشخاص الآخرين من ذوي المكانة ، والذين عليهم أن يصطحبونه لكي يكون للسفارة شأناً عظيماً وأنه لا يوجد نقص في الوعود بالمكافأة في نهايتها .

أمر جلالته أيضاً بأنه يجب أن يتم إعطاؤه مبلغ عشرين ألف "كروزادوس" من أجل المصاريف ، وأن يتم دفعها بواسطة قلعة هرمز ودولة الهند .

تم إعطاؤه أيضاً هدية كبيرة من أجل الشاه تحتوي على عدد كبير من الأشياء ذات القيمة والاهتمام مثل سيف بمقبض وسلة في الذهب الصلب من حلية ومجوهرات ، وأطوال عديدة من سلسلة ذهبية مع مدلاة من الزمرد ذات حجم ملحوظ وعدد من الزهريات الذهبية مزينة بطريقة ملصوقة ، وأطباق ولوحة جانبية من الحجم العادي ولكنها مصنوعة من الفضة ، ومجمرة أيضاً من الفضة ، وعدد كبير من قطع القماش الجميل جداً بألوان مختلفة ، وبعض اللفائف من القطيفة الملونة ، وسترات من الدروع ، وصناديق كبيرة من الحديد لعمل الأسلحة .

في أحدها توجد جميع الأدوات من أجل العمل في أية حرفة ، وعدد كبير من المسدسات الصغيرة على الطراز الفرنسي ، جميعها مُرصَّعة بمسامير ومذهبة ، وحمَّالاتها محفوفة بالذهب ، وبنادق صيد طويلة لصيد الطيور مع مناظر صيد مُفصلة تماماً ومنحوتة على صناديقها ، وعدد ستة أطقم من الأحزمة الجلدية مُطرزة بالذهب والألوان ، جميعها متنوعة ، مع "مهاميز" للخيل ، وشُرّبات للسروج وصناديق جميعها بألوان جميلة لدرجة أنه يبدو من الإسراف أن نرسلها إلى بلاد فارس ؛ حيث من المحتمل ألا يتم استخدامها لأنهم يربطون خيولهم بطريقة مختلفة .

علاوة على كل هذا كان هناك عدداً من المزهريات البلورية مزخرفة بالذهب ، كلهما من زاوية القيم النفيسة ، حيث كان بين تلك صندوقاً

بلورياً مرهوناً في مقابل ستة آلاف "كروزادوس" ولدى الوكيل التجاري في بلاد فارس ، والذي هو رجل مسيحي أرمني يسمى خواجا (صَفْرَ) "Safer" ، والذي سوف نتكلم عنه كثيراً في الوقت المناسب ، وعندما علم جلالته به استرده ودفع قيمته ؛ لأنه كان يساوي كثيراً جداً وأرسله إلى بلاد فارس .

تم إحضار كل هذا من مدريد بواسطة السفير ، "الدوم جارسيا" ، الذي توجه إلى "لشبونه" مع عدد كبير من الأشخاص لمرافقته في هذه السفارة ، معظمهم نُبلاء عظام سوف نذكرهم عندما يرحلون إلى بلاد فارس .

لم يحمل السفير أية أوامر لكي يُبرم اتفاقاً مع الشاه حول تجارة الحرير بشروطه ؛ لأن جلالته قرر أنه يجب على التجار أن يحضروه إلى هرمز ، حيث يمكن إمدادهم بالسفن لكي يذهبوا إلى "غوا" في الوقت المحدد ليرحلوا مع سفن "الكاراك" إلى البرتغال .

تمَّ فعل هذا بواسطة سفن "الكاراك" في العام ١٦١٢م بأمر "الدوم جيرونيمو دي الميدا" ، وعلى الرغم من أن نائب الملك قد أمر بأن تكون السفن معدة في هرمز لهذه النتيجة ، فإن الشاه لم يرسل الحرير منتهكاً العقد الذي تم توقيعه ؛ لأن "روبرت شيرلي" ، الرجل الإنكليزي قد ذهب لكي يوقع عقداً آخر مع إنجلترا ، وكان منتظراً أن يتلقى رده .

عندما استقر السفير في البيوت التي أمر نائب الملك بأن يتم إعدادها من أجله نيابة عن جلالته ، عقد نائب الملك مجلساً للدولة عن كيف يمكن أن يتم استقباله . تم الاتفاق بأن هذا يجب أن يكون بنفس الطريقة مثل السفراء المرسلين إلى جلالته من بلاد فارس ، وأولئك

الذين قد أرسلهم جلالته إلى الفرس . كان أن تكون المرة في القاعة الملكية ، معطياً إياه مقعداً من القطيفة الناعمة ، ومخاطباً إياه بكلمة "ميرسيد" "Merced" ، وعلى الأكثر يجب أن يتم إعطاؤه كل مظاهر الحفاوة والتكريم التي بدت ملائمة لاستقبال خاص حتى لا يقلل ما تم فعله من سلطة نائب الملك الذي يعتمد عليه جلالته في خدمته في هذه الدولة والحفاظ عليها .

من الممكن أن يكون كل شيء تم فعله فيما عدا ذلك بدعة جديدة ، وهو شيء لم تتم رؤيته في هذه المناطق منذ أن حكموها أولاً . بالإضافة إلى أن شاه بلاد فارس يمكن أن يكون غاضباً إذا عرف أن سفيره القادم من عند ملك أجنبي تم إظهاره بصورة أقل حفاوة من فرد كان تابعاً لجلالته وفي دولته . كان مُعلناً أيضاً أن أبعد حد يستطيع أن يصل إليه نائب الملك هو أن يعطيه كرسياً بظهر جلدي .

بناءً على ذلك تم استقبال السفير مع كل حاشيته من النبلاء والوجهاء ، وذهب نائب الملك فيما بعد إلى مقرات إقامته عن طريق مياه النهر ، وأجرى معه محادثات ودية عديدة .

تم إرسال المبالغ إليه في الوقت المحدد ، ومعطياً لها الأولوية فوق كل حاجات الدولة ، حتى نشأت هناك بعض الاختلافات بينهما والتي أفضت إلى المشاعر السيئة ، ولم يعُد نائب الملك مهتماً جداً بالسفير ، وبخاصة فيما يتعلق بدفع النفقات ، وقدم السفير هذا كعذر عن عدم ذهابه دون توقف إلى بلاد فارس ، على الرغم من أنه كان هناك عذر وسبب أكثر أهمية لهذا ، كما سوف نشرح فيما يلي :

حينما ذهب نائب الملك بعيداً إلى الشمال باحثاً عن الإنكليز ، كتب رئيس الأساقفة في "غوا" ، "الدوم كريستوفاو دي ليسبوا" "Christofao de Lisboa " ، الذي تم تركه هناك ليحكم ، إلى السفير مذكرة ، كما يلي :

ذهبت بالأمس لكي أستفسر عن صحة سيادتكم ؛ لأنه قد تم أخباري بأنكم لستم في صحة جيدة ، وأيضاً لكي أسأل سيادتكم عما هي نواياكم تجاه السفر بحراً .

كنت غير قادر على مناقشته حتى الآن ؛ لأن سفن الكاراك كانت تستحوذ على كل اهتمامي وكذلك الاهتمام الذي لدى وزرائي أيضاً .

إنه سوف يكون من مصالح جلالته إذا اتخذ سيادتكم قراراً في هذا وأعلمني به ؛ لأنه فيما أعتقد فعلى سيادتكم أن تردوا عليّ في الحال ؛ لأن الريح الموسمية على وشك الانتهاء .

حفظ الله سيادتكم ... إلخ .

من منزلي ، في فبراير عام ١٦١٥م .

رئيس الأساقفة

رد السفير على الرسالة أعلاه :

"إن الحرب المستمرة في هرمز ، والتي قد ساءت فعلاً مع انتشار قوات ملك بلاد فارس ، تمنعني من تنفيذ مهمة السفارة التي عهد بها إليّ الملك وحيداً بنفسي .

علاوة على كشف عداوة الملك ، ولذلك على خلاف الفهم الجيد الذي قد كان متوقعاً منه ، فلا هرمز ولا دار جماركها هما في وضع لكي

يُعطياني ما قد أمر به جلالته من أجل سفارتي ، الأمر الذي يعني أن مقدار المال الذي أخبرني به هناك هو من أجلها ، وبدونه من المستحيل أن أواصل مهمتي ، أو حتى أن أعول نفسي في هرمز لفترة قصيرة ؛ لأنه ليس من المناسب أن أكون في حاجة أو ينقصني الأسلوب المتوقع لدى سفيره" .

في شهر يناير الماضي هذا ألححت على سيادتكم من أجل مغادرتي لأنه قد تم السماع والإعلان في هذه المدينة أن الحرب في هرمز كانت فقط هي مسألة (النخليِّين) "The Nikhilis" سكان "لار" وبندر ، بدون أن يكون لملك فارس أي دور فيها .

لقد جاء حاكم شيراز لكي يُنهيها عندما تكوَّنت الحرب من أناس متمردين باحثين عن إشباع لقتل بعض من عددهم والاستيلاء على بضاعة ومال عندما تمَّ الاستيلاء على بعض الطرَّادات بأمر "الدوم لويس دي جاما" "D . Luis da Gama" ، قبطان تلك القلعة ، ولهذا السبب فقد اعتبرت الحرب منتهية .

كانت هذه الإشاعة ، التي صدَّقها سيادتكم أيضاً ، بالإضافة إلى اقتراب موعد الريح الموسمية التي سوف تحملني إلى هرمز في بداية شهر فبراير ، هي السبب الذي من أجله كنت ملحاً على سيادتكم من أجل هدية القرفة والفلفل والأشياء الأخرى اللازمة لرحلتي ، وأنني أيضاً كنت أقوم بعمل الاستعدادات من أجل إدارة منزلي وخدمي .

في هذه النقطة أصبح معروفاً بالتأكيد أن الحرب في هرمز كانت تسوء وأن حاكم شيراز ، الذي كان من المأمول أن يقوم بالتحكيم من أجل

تسوية من النخليِّين ، كان يقترب من قلعة "باندل" مع جيش كبير نيابة عنهم ، بعد تراجع الملك ووزير هرمز إلى القلعة الرئيسة .

حينما سمعت هذا ، وكنت أيضاً مدركاً الصعوبة التي يمكن أن تقابلني عن كل أو جزء مما قد أمرني به جلالته ، لم أعتقد ، ومازلت لا أعتقد ، أنه كان من مصالح جلالته تماماً أن أذهب إلى هرمز في وقت كهذا للأسباب المذكورة أعلاه .

أمر جلالته أن يتم دفع راتبي وتكاليف ومصاريف سفارتي في تلك المدينة فقط ، ومع ذلك ، عندما يتم حل هذه الخلافات بشكل أحسن ، ويتم معرفة أن ملك بلاد فارس في مزاج أحسن مما هو عليه الآن ، وإذا أعطاني نائب الملك وسيادتكم في هذه المدينة ما قد أمر به جلالته بأنه يجب أن يتم إعطاؤه لي في هرمز .

حتى لو كان الصيف سيئاً كما هو هنا ، فإنني سوف أسافر بحراً مع الريح الموسمية هذه في يوم الخامس عشر مارس في السفن التي تسير بالمجاديف ، وبخاصة في هذه السفارة ، إنني متلهف على النجاح حيث يقف سيادتكم بجانبي كما تفعلون ، الأمر الذي من أجله أُقبل أيديكم مرات عديدة .

حفظ الله سيادتكم . إلخ .

من مقر إقامتي في "غوا" ، في السابع عشر من شهر فبراير عام١٦١٥م .

"الدوم جارسيا دا سيلفا فيجويرا"

الفصل الخامس والثمانون : قبل وصول الأخبار الأكثر حداثة

للاستيلاء على قلعة "غمبرون" ، التي بدأت الحرب ، بدأ بعض الخيالة في الوصول إلى هناك في شهر أغسطس عام ١٦١٣م ، الذي كان من المفهوم أن يكون بناءً على طلبات الشاه والاستعداد لقوة أكبر ، ولهذا السبب كان سلطان "لار" قادماً لكي يشارك فيما كان مخططاً له .

أرسل قبطان هرمز "الدوم لويس دي جاما" هذه المعلومات إلى نائب الملك أثناء الريح الموسمية في أكتوبر التالي ، موضحاً له أن قوافل الجمال قد توقفت ، كما أن لديه اتصالات مع قلعتنا . كان هناك سفينة كاراك في هرمز من "دابهول" التي عادة ما ذهبت من هناك في كل عام بتصريح ملاحة برتغالي ، ولكنه لم يكن مسموحاً أن تحمل شحنتها من البضاعة إلى بلاد فارس بسبب هذا الحظر .

سأل القبطان من "دابهول" نائب الملك بشكل عاجل أن يسمح له بالذهاب من هرمز إلى بلاد فارس على الرغم من الحرب ، لكي يُسلّم بضاعة ملكه التي قد أحضرها مع الريح الموسمية الأخيرة ؛ لأنه قد سدد في وقت سابق الرسوم ، وكذلك أيضاً البضاعة على ظهر سفينة "الكاراك" التي كان مُرسلها مبكراً في عام ١٦١٤م ، وإذا لم يوافق فهل يمكن أن يسمح له بأن يأمره مرة ثانية بأنه يجب أن يتم إرسال البضاعة من الريح الموسمية الأخيرة؟!

على الرغم من أن القضية ظهرت أكثر ملاءمة للحد الذي تم فيه منح كل من المطلبين ، فإن نائب الملك اعتقد ألا يفعل هذا دون عرضها على مجلس الدولة . هناك رأوا أن قلعة هرمز يجب أن تكون في حاجة شديدة لأنها لا تمتلك شيئاً فيما عدا مدخولاتها من الجمارك ، ولأن

مينائي "كامباي" "Campay" والسند كانا مغلقين ولم تغادر سفن "الكاراك" التي كانت معدة للرحيل مع الريح الموسمية في شهري يناير وفبراير (بسبب الأخبار التي قد تم تسلمها بأن الإنكليز قد ذهبوا إلى "سورات") فإن هرمز لم تتسلّم أية مدخولات .

هي (هرمز) لديها حامية كبيرة ومكلفة ، والتي من غير الممكن أن يتم تزويدها بالمؤن إذا فُقدت سفن "الكاراك" هذه القادمة من "دابهول" أيضاً ، ولذلك كان من المتفق عليه أنه يجب أن يتم منح القبطان الترخيص الذي يسعى إليه ؛ لأنه إذا لم يتم منحه ، فإن الفرس لن يعانوا أبداً ؛ لأن الطريق البري إلى "كامباي" كان مفتوحاً ، ويمكن أن يأتي من هذا الطريق كل القماش والذي يريدونه الذي كان محمولاً بواسطة السفن من "دابهول" ، وأيضاً لم يكن هناك أي طريق آخر بواسطته يمكن تغذية قلعة هرمز .

علاوة على ذلك ؛ لأنه لم يتم إعلان الحرب ، على الرغم من الاستعدادات التي قد تم القيام بها ، فإنه لا يمكن أن يتوقع الإعلان من جانبنا بمنع التجارة كما ينبغي أن يحدث لو تمَّ رفض الترخيص ، ولذلك أخذه قبطان "دابهول" غير عارف بالربح الكبير الذي لابد أن يأتي إليه في كونه الفرد الوحيد الذي يحمل بضاعة إلى بلاد فارس ؛ لأنها كانت في حرب مع الدولة .

أبحرت بالتأكيد سفن كاراك أخرى من هرمز ، على الرغم من أنه بشكل سري وبدون تصاريح ؛ لأن السيطرة لم تكن صارمة جداً للأسباب المعطاة أعلاه . حينما أعلم القبطان "الدوم لويس دي جاما"

نائب الملك عن الحرمان الذي كانت القلعة قد وصلت إليه بسبب الحرب وحرمان التجارة مع بلاد فارس ، أمر بأنه يجب أن يسمح ضمنياً لبعض السفن أن تبحر هناك ، ولكن دون جعله معروفاً بأنه كان بموافقته ، حتى لا يحصل الشاه على رضى تام لاستيلائه على "غمبرون" .

الفصل التاسع بعد المائة : في نوفمبر عام ١٦١٥م كتب السفير "الدوم جارسيا دي سيلفا فيجيروا" مرة ثانية إلى نائب الملك "الدوم جيرونيمو دي أزيفيدو" قائلاً : إنه لكي يخفف إلى حد ما من الصعوبات التي وجدت فيها قلعة هرمز نفسها مع الحرب ضد بلاد فارس ، فإنه رغب في أن يذهب إلى هناك ؛ لكي ينتظر أوامر جديدة من جلالته ، ولكي يرى في تلك الأثناء فيما إذا كان ملك بلاد فارس يُريد العودة إلى قلعة "غمبرون" ، وإذا كان هناك نهاية للقتال والتجارة المعاد إقامتها مع الفرس .

لكي يحقق هذا من الممكن أن يضطر نائب الملك أن يستدعي من هرمز قبطان القلعة ، "الدوم لويس دي جاما" ، الذي كان غير محبوب ومكروه ، وكان الفرس غير راغبين في أن يقيموا سلاماً طالما ظلَّ هو قبطاناً لهذه الحملة البحرية .

أراد السفير على الأقل اثنين وثلاثين ألف "كروزادوس" في مقابل مخصصاته المالية وعهوده ، والقرفة والفلفل الذي قد أمر جلالته بأن تضاف إلى الهدية المقدمة إلى ملك بلاد فارس .

أراد أيضاً أن يعطيه نائب الملك سلطات ووثائق لكي يتفاوض حال وصوله إلى هرمز وأن يُنهي أية مسألة حرب أو سلام بشكل شخصي .

كان نائب الملك حريصاً على أن يمضي في معاملاته مع هذا السفير لإرضائه وبروح عالية ، حيث يوجد لديه ثناء الملك عليه .

بعد استطلاع آراء أولئك الرجال الذين ساعدوه في مجلس الدولة ، وإعطاء رأي يُعتبر كرد له بأنه فيما يتعلق بالذهاب إلى هرمز ، ليس ملائماً حتى يُقدم ملك بلاد فارس تعويضاً عن هجومه على القلعة ، أو قد تأتي أوامر جديدة من جلالته حول ما قد كتبه ، وأن سبباً أو أساساً أكبر مما قد أعطاه السفير كان ضرورياً لكي يأمر "الدوم لويس دي جاما" لكي يأتي من هرمز ، حيث تمَّ تعيينه من قبل الملك حتى يوجد دليل أكبر .

لقد حقق في حربه على "غمبرون" التزامه مزوداً إياها بجنود وكل شيء آخر ضروري لدفاعها ، وبالنسبة للفرس الذين هم غير راغبين في إقامة السلام عندما كان قبطاناً ، فقد أحرزوا في الحقيقة علامات تقدم لم يقبلها نائب الملك ؛ لأن الشاه لم يكن مستعداً لأن يعيد "غمبرون" .

لم يقل الإخوة الرهبان في بلاد فارس شيئاً في الرسائل التي كتبوها عن السلام الذي بحث عنه الشاه ، وإذا هو ارتكب أخطاء يجب أن يتم إبعاده من أجلها ، فإن مسألة مَنْ الذي يجب أن يخلفه يجب أن يتم إثارتها أولاً ، وبخاصة حيث إنه كان من المعتاد أن يبعث أشخاصاً من أولئك الجديرين بالمعرفة ويستحقون أن يشغلوا تلك الوظيفة ، وأما فيما يتعلق بالسلطات التي طلبها ، أجاب حيث إنه لم يذهب بعد إلى هرمز ، فإنه لم تكن هناك حاجة بالنسبة له لكي يحصل عليهم .

كانت هذه هي إجابة نائب الملك على رسالة السفير ، ولأن كل

شيء قاله كان في محله وفي صلب الموضوع ، فإنه لم يوجد شيء يستطيع أن يرد عليه السفير في تلك اللحظة . تمت مغادرته منتظراً الوقت لكي يُبين ما يجب عليه أن يفعله طبقاً لما فعله ملك بلاد فارس ، وطبقاً لما هي الإجابة التي تسلمها من جلالته .

الفصل الخامس عشر بعد المائة : لقد وصفنا في وقت سابق في هذا السجل التاريخي كيف أمر شاه عباس ، ملك بلاد فارس ، بالاستيلاء على ميناء وقلعة "غمبرون" . لم يكن هذا فقط بسبب ممتلكاتها (لأنه تمنى أن يحول التجارة بين هرمز والبر الرئيس الفارسي إلى هذا الميناء ؛ لأنه أزال قلعة "غمبرون" وبنى واحدة أخرى ذات موقع أحسن ، وأثاث ومُعدات أحسن) ولكن بهدف أن يكون قادراً على مهاجمة هرمز ، التي طمع فيها كثيراً جداً ، من هناك حيث عقد النية على أن يفعل هذا .

كان كل شيء فعله ملك بلاد فارس هذا بقوة السلاح قائماً على استراتيجية ودهاء ، وأحياناً مختلطاً بالخيانة التي احتفظ بها دون سبب ، وحتّى لا نكون محترسين وعلى حذر بخصوص هرمز ، فهو غالباً ما ناقش مفاوضات السلام مع دولة الهند .

غالباً ما فعل هذا بواسطة الإخوة الرهبان في بلاد فارس ، الذين كتبوا إلى نائب الملك في الموضوع ، ولكن حيث إنهم لم يقولوا شيئاً عن الرضى للاستيلاء على "غمبرون" باستثناء خدعة حاول بها الشاه أن يبرر خداعه ، قائلاً إنها اعتادت أن تخص ملوك بلاد فارس ، فإن نائب الملك لم يكن أبداً مستعداً لكي يوافق على مطلبه من أجل تسوية سلمية .

أخيراً ، يائساً من عدم الحصول على أي تنازل ، قرر الشاه أن يُرسل سفيراً إلى جلالته ، إما لكي يسعى إلى السلام أو لكي يواصل شن الحرب علينا بشكل أكثر أمناً . بحث عن شخص ما بنفس القدرة مثل قدرته لكي يخدع ويتظاهر ، ويمكن أن يقوم بمخاطر قليلة ، ووجده في شخصية "السير روبرت شيرلي" ، الرجل الإنكليزي ، الذي قد أصدر أمراً بأنه يجب أن يتم منعه من الذهاب إلى بلاد فارس بأية وسيلة .

كان هذا الرجل أكثر حيوية ، وخداعاً وإلحاحاً لدرجة أنه عندما عرف بأن جلالته لا يثق فيه والأوامر التي قد أصدرها فيما يتعلق به ، وافق على الرغم من ذلك أن يعود إلى إسبانيا ، آملاً في الأمان الذي يتمتع به السفراء بين جميع الأمم . إلا أنه قبل أن يذهب استعلم عن هرمز ، فيما إذا كان يمكن السماح له بالدخول ، وتم سؤال نفس الشيء عن نائب الملك .

على الرغم من أنه عرف شخصية الرجل الإنكليزي والسبب من مجيئه بعد النظر في المسألة ومناقشتها أجاب بأنه لا يمكن أن يمنعه من المجيء إلى الدولة ؛ لأنه لم يكن من المعتاد أن يضع أي عائق في طريق السفراء ، وأنه يمكن أن يتناول بالبحث رحلته إلى إسبانيا .

أبلغ أيضاً قبطان هرمز أن لديه التصريح لكي يسمح بأن تذهب بعض البضاعة من تلك القلعة إلى بلاد فارس وبضائع أخرى لكي تأتي من هناك بشكل متبادل ، حتى لا نُعطل أو نوقف تجارة من هناك ، وأن نحصل على بعض الدخل الذي به نبقي عليها ، ولكنه يجب ألا يكون واضحاً أنه أمر بها .

في مارس عام ١٦١٦م ، بعد استقباله في هرمز ، وصل "السير روبرت

شيرلي" في "غوا" من هناك كسفير من بلاد فارس ، وأصدر نائب الملك أمراً بأنه يجب أن يتم استقباله في "غوا" كسفير لحاكم قوي .

قال إنه أتى بأمر ملك فارس لكي يذهب إلى إسبانيا وأن يتعامل مع جلالته في مسائل هامة بشأن السلام والحفاظ على كل من الدولتين ، للإنجاز الذي به امتلك سلطات كاملة جداً ، ولكنه أظهر فقط لنائب الملك رسائل الاعتماد من الشاه التي برّأ نفسه فيها من كل اللوم في الاستيلاء على "غمبرون" ؛ لأنها قد كانت قلعة قديمة لدى ملوك بلاد فارس ، مُتجاهلاً الاعتبارات الأخرى .

شدّد أيضاً على أهمية الحرب ضد سلطان الأتراك ، قائلاً إنه سعى إلى صداقة جلالته لكي يُدمر هذا العدو المشترك .

ألحَّ "السير روبرت" بشدة على رد على هذه الرسالة ، الذي لم يُرد نائب الملك أن يعطيه إياه أولاً ، وأعطاه أخيراً ، قائلاً إن "غمبرون" لم تكن أبداً قلعة خاصة بملوك بلاد فارس ، وأنه قد أصدر الأوامر لكي يتم استقبال "السير روبرت" في هرمز و"غوا" ، وأن يُقدم له الترحيب والمميزات ومظاهر التكريم كسفير ؛ لأنه أعتقد أنه كان محضراً خطة من أجل إعادة "غمبرون" .

فيما يتعلق بالمسائل التي كان مقدمها لجلالته من أجل الاتفاقية ، من الممكن أن يتم الاتفاق عليها والتوقيع لمصلحة كل من الملكين وإلحاق الضرر بسلطات الأتراك ، ولكن يمكن أن يكون من الأفضل إذا تم قبل أن يصل "السير روبرت" إلى إسبانيا .

حصل جلالته على معلومات استخباراتية بأن "غمبرون" قد تمّ

استعادتها ، وكان هذا هو محتوى الرد الذي تمت كتابته رداً على هذه الرسالة .

قال "السير روبرت" أن لديه أيضاً صلاحية وسلطة لكي يُخلص "غمبرون" إذا كان ذلك ضرورياً ، ولكن لا يجب أن تتم ممارستهم سوى في حضور جلالته ، وحينما يتم إنهاء جميع المسائل الأخرى ، يُدرك الأشخاص ذوو التقدير الحسن أن هذا كان مجرد استراتيجية وحيلة نموذجية لدى الشاه .

كان أيضاً من المعتقد أنه حينما يطلب إذناً بإرسال سفير ، والذي لا يستطيع أن ينكره طبقاً للعرف الدولي (على الرغم من النزاعات العديدة والحروب التي توجد في كل مكان) ، يجب ألا يتم السماح بأن يكون "السير روبرت شيرلي" ، لكل الأسباب المشار إليها ، ولأنه كان جاسوساً أكثر من سفير ، وبخاصة لأنه كان معروفاً أن جلالته كان يكرهه سابقاً .

لذلك يجب الترتيب إما أن يتم مراعاة أمره الملكي في هذه الناحية أو أن يمنع "السير روبرت" من الظهور أمامه بحجة تعني أنه لا يمكن أن يتم إنزال العقوبة المستحقة به .

تمَّ إعطاء هذا الاعتبار تلك الأهمية من قبل السفير "الدوم جارسيا دا سيلفا" لدرجة أنه على الرغم من أن نُبلاء "غوا" زاروا واصطحبوا "السير روبرت" فإنه لم يفعل ذلك أبداً ، حتى على الرغم من أنه يتوقع أن يذهب إلى بلاد فارس ؛ لأنه لا يرغب في مكرمات من ملكها في مقابل ما أخذه لكونه غير لائق بالسمعة والشهرة التي استحقها الملك الذي يخدمه .

الفصل الخامس والأربعون بعد المائة : بدأ "جاسبار بوكارو" "Gaspar Bocarro" في رحلته البحرية من "كيلوه" إلى هرمز ، ولكنه عندما وصل إلى "ممبسا" علم أن الطرق إلى بلاد فارس كانت مغلقة من قبل الشاه ، وأن الدولة كانت في حالة حرب ، ولذلك رجع عائداً إلى موزمبيق ونهر زامبيزي حيث وصل بأمان .

لقد كتب هنا (هكذا كما هي في الأصل) كل تفاصيل هذه الرحلة ، وأسماء المدن والدول وحكامهم ومصروفاته لكي يعرف المسافر أين يجب أن يذهب وما يجب عليه أن ينفقه إذا تم اتخاذ هذا الطريق مرة ثانية .

الفصل السادس والخمسون بعد المائة : لقد قُلنا إنه في هذا الوقت كان "السير روبرت شيرلي" في "غوا" في الطريق لزيارة جلالته في إسبانيا كسفير في بلاد فارس .

في مايو عام ١٦١٦م كتب إلى نائب الملك ، "الدوم جيرونيمو دي أزيفيدو" ، قائلاً إن الكونت "صَفَر" "Conde Safer" ، رجل أرمني كان أيضاً في "غوا" ، جاء في حاشية السفير "الدوم جارسيا دي سيلفا" ولكن ليس في سفينة "الكاراك" مثله ، ورغب بتهور أن يذهب إلى "غوا" .

شرح له المشاكل التي يمكن أن تنشأ إذا ذهب الأرمني لأنه كذب على الشاه قائلاً إن العقبات قد وضعت في طريقه وأن الأشياء التي كان يُحضرها للشاه قد أُخذت منه .

عرض نائب الملك هذا على مجلس الدولة ليقرر كيف يمكن أن يرد على الرسالة .

كان من المنظور فيه أن (صَفَر) Safer لا يمكن منعه من السفر إلى الشاه

إلا من خلال سجنه ، وبعد ذلك يمكن أن يشكو بمرارة عن هذا للشاه ، ويمكن أن نشكره بعد أن نقدم له عذراً وتعويضاً عما فعله .

لأن "السير روبرت" في رسالته ظهر طالباً هذا ليس كسفير ولكن كفرد مؤدياً خدمة لجلالته من أجل راحتنا ، فيجب الآن أن نعطيه اهتماماً إذا لم يوجد دليل أكبر من مصادر أخرى ، وبخاصة لأن هناك شعور سيّئ بين "صفر" Safer و"السير روبرت" ، فكل منهما كان محاولاً أن يلحق الضرر بالآخر .

لكنه في اليوم التالي ، يبدو أن "السير روبرت" كتب مرة ثانية إلى نائب الملك ، فيما إذا كان يتصرف عن معلومات أو مُتنبئاً بالنتيجة لكي يمنع المسألة من أن تُؤجل ، وليطلب أنه ، حيث كان هو سفير بلاد فارس ، و"صفر" خادمه ، يجب أن يتم احتجاز "صفر" المذكور والتحفظ عليه ؛ لأنه قد سمع بأنه يحاول أن يرحل عن "غوا" بغرض بدلاً من ذلك الذي كان قد جاء به ؛ لأن ملكه أظهر تهديدات حول ظهوره في أثناء حضوره .

لم يستفسر فقط ، ولكنه أيضاً طلب هذا من سيادته ، حتى ذلك الوقت ، حيث يجب أن يتم إرساله تحت الحراسة بمرسوم من ملكه ، وإدعى بأنه بهذا الطلب الممنوح ، فإنه السفير ، لن تكون لديه أية مسؤولية عن أي شيء قد حدث .

حينما تم النظر في هذا في المجلس ، قال "أفونسو رودريجيز دي جيفارا" "Afonso Roderigues de Givara" ، السكرتير ، أنه أبصر "صفر" بصحبة السفير ، وقد أخبرهم أنه من أجل العمل المناسب لمصالح ملكه ، قرر أن يذهب إلى "جلوكوندا" "Goloconda" ويقابل

هناك سفيراً آخر لكي يُرسل إلى ملكه تقريراً عنه من خلاله ، وأراد إذن نائب الملك لكي يفعل ذلك .

كان الرأي العام هو أن نائب الملك كان الآن مضطراً أن يأمر بإلقاء القبض على "صفر" لأنه لم يكن هناك أي طريق آخر للتحفظ عليه ، مثلما قد طلب "السير روبرت" .

مع ذلك لم يوضع هذا موضع التنفيذ ؛ لأن "صفر" الذي حتى ذلك الوقت قد ارتدى ثياباً على طراز الموضة الفارسية بعمامة وثوب فضفاض ، تحول إلى الثياب المسيحية كرجل برتغالي ، ويبدو أنه كان نتيجة لا يريدها نائب الملك لكي يرغمه على الذهاب إلى بلاد فارس .

لكي نعرف السبب في لماذا كان "السير روبرت" يقدم هذه المطالب ، ومن هو "صفر" الأرمني هذا ، يجب عليكم أن تعرفوا أن شاه عباس ملك بلاد فارس ، الذي تحدثنا عنه ، قد أرسل عدداً كبيراً من السفراء بهدايا وأشياء ذات قيمة إلى أوروبا ، وسواء قد تم جذبهم بمسرات الدولة ، أو لأن بعضاً منهم أصبحوا مسيحيين ، كما حدث في الحقيقة ، فإنهم لم يعودوا بعد .

لذلك أرسل "صفر" هذا الذي عاش في بلاد فارس ، وقد تمت الإشاعة بأنه رجل مسيحي غني ، بلقب وكيل عام ، لكي يتسلم تقريراً من كل السفراء وأن يجمع منهم كل شيء يخص الشاه ، مفترضاً أنه يمكن أن يكون من السهل بالنسبة له كما لو في مملكته الخاصة .

في عام ١٦٠٤م أرسله براً بخطاب اعتماد إلى "سيجنوريا" ملك البندقية ، حيث تم إعطاؤه خطاباً آخر في إيطاليا ، وبهذه الرسائل سافر في جميع

أنحاء أوروبا كوكيل عام لملك بلاد فارس ، مسؤولاً عن سفرائه ، وكرَّمه كل الملوك والحكام هناك ، بما فيهم البابا الكاثوليكي الأعظم كشخص مسيحي قد جاء لكي يُقدم المأوى من أماكن بعيدة ، وقد تم إعطاؤه مزايا خاصة مشتملة على الاحترام أو لقب كونت ، الذي إضافة إلى اسم "صفر" الخاص به .

حتّى الآن نسي نفسه واندفع مع موجة ادعائه التي أثيرت حوله بأنه أنفق كل الذي قد جمعه من سفراء الشاه ، وكذلك أيضاً ما قد تم إعطاؤه إليه من قبل ملوك أوروبا وما قد جلبه من ثروته الخاصة .

عندما أتى "الدوم جارسيا دي سيلفا" سفير جلالته ، كانت واحدة من القطع الثمينة التي أحضرها إلى الشاه ، وهي صندوق مصنوع من الكريستال ، الذي قد قبله الكونت "صفر" كرهينة في مقابل خمسة آلاف "كروزادوس" على الرغم من أنه يساوي كثيراً جداً في قيمته ، وأن جلالته قد أمر بأنه يجب أن يتم إعادته ، وتم حمل الصندوق بيد السفير إلى ملك بلاد فارس ، الذي ينتمي إليه ، وليس إلى "صفر" .

ذلك لأن شؤونهم المالية كانت في حالة سيئة ، شعر "صفر" بالخوف كي يظهر أمام الشاه ، الذي بدون شك يمكن أن يُنزل به عقوبة شديدة ، ولذلك ، معتقداً بأنه من الخطر بالنسبة له أن يبقى في "غوا" بسبب السفارات التي جاءت وذهبت من عند الشاه في المسلسل العادي للأحداث ، هرب لكي يختبئ في ارض عادل خان ، حيث تم إعطاؤه وظائف متواضعة إلى حد ما والتي قبلها كوسيلة للعيش .

لذلك ربما يكونون متواضعين أولئك الذين يتبعون فاتحات الشهية ،

وليس لديهم من تقرير عن العدالة أو السبب ، والتي لم تعجز أبداً في أن تؤدي إلى المبادئ التي منها من الصعب أن نهرب بحياة فرد ما .

الفصل السابع والخمسون بعد المائة : الأسطول المرسل من قبل نائب الملك بقيادة "الدوم فرانسيسكو روليم" الذي استولى على قلعة صحار مع "فاسكو دي جاما" ، لقد تنوعت مصائب قلعة صحار ، مثل تنوع حكامها في الوقت الحاضر وفي الأوقات السابقة . تبين خرائبها أنها كانت في وقت من الأوقات واسعة ورائعة ، ولكن يوجد الشيء القليل المؤكد ، والذي هو معروف عن تاريخها ، والأكثر حداثة هو تدميرها على يد "أفونسو دي البوكيرك" العظيم ، الذي يُعتبر تابعاً لملك هرمز الذي كانت مُتضمنة وقتئذٍ في داخل أراضيه .

بعد ذلك كانت القلعة مسيطر عليها لفترة قليلة من الزمن من قبل أسطول مملوكي أتى أسفل البحر الأحمر ودخل الخليج ، وبعد ذلك ، مع مرور الزمن والانهيار في ثروات ملوك هرمز رفض بعض من وزرائهم أن يُقسموا ولاء الطاعة وعجزوا عن تنفيذ ما قد وعدوا به في شروط تبعيتهم .

عندما أبصر السكان . هذا ، وحيث إن كل شيء في تلك المدينة كان مدمراً ، تمنوا أن ما رأوا متمردين آخرين يحققونه ، وتمردوا بأنفسهم بسبب نقص الولاء الذي أعطاهم دافعاً أشد وقوة لكي يفعلوا هذا .

لقد اقتربوا بدرجة كافية من أهدافهم لكي يستولوا على المدينة والقلعة من الوزراء الذين تمردوا معها كقاعدة لهم ، ولكن هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم منتصرين لم ينقصهم المقلدون ، ولم يطمعوا في النقصان لكي يجعلوا الآخرين يفعلون نفس الشيء ، بنتيجة أنه بعد أزمات عديدة من

الخسارة والمكسب التي هي عادة في تلك التمردات والخيانة ، وقعت القلعة في أيدي رجل مسلم يُسمى محمد ، الذي استمر حكمه لمدة أكثر من أربعين عاماً ، قريبة من الوقت الذي نكتب فيه .

لأن الميناء كان مناسباً جداً لإيواء القوارب السريعة والأرض كانت ملائمة للتجارة والتجار مع كل بلاد العرب وأشياء أخرى تأتي إلى هناك ، وغالباً ما حدث أن ثمانية عشر أو عشرين قارباً سريعاً أفرغوا بضاعتها في يوم واحد ، والتي كانت تحتوي على فلفل وأشياء أخرى ممنوعة بالقانون . كانت هذه التجارة ضارة بجمارك هرمز ، ولم تسبب ضرراً قليلاً لميناء مسقط ، ولذلك إذا لم يتوقف هذا التوسع ، من الممكن أن يحدث نقص شديد في رسوم جمارك جلالته .

في الوقت الذي كان فيه "الدوم جيرونيمو دي أزيفيدو" حاكماً ، أبلغ قبطان هرمز "الدوم لويس دي جاما" بهذا إليه ، وقرر أنه من مصلحة جلالته أن يجد سفينة "جالي" وخمسة قوارب سريعة ، وكان القبطان العام وقبطان سفينة الجالي هو "الدوم فرانسيسكو روليم" ، وقباطنة القوارب السريعة هم "بينتو دي فاسكونسيلوس" ، و"بارثولوميو دي ليموس لوبو" ، و"أنطونيو بورجيز دي ميراندا" ، و"باولو كوتينهو" ، و"جواو باربوسا كالهيرو" .

أبحروا من "غوا" في يوم العاشر من شهر مارس عام ١٦١٦م بتعليماته لكي يذهبوا إلى مسقط ، حيث يمكن أن يكتشفوا فيما إذا كانت توجد فرصة ليهاجموا قلعة صحار ، ويمكن أن تتم مساعدتهم من قبل شيخ يسمى "عامر" Amer ، زعيم قبيلة ، تعهد بنفسه أن يساعدنا

في هذه الحملة العسكرية بثمانمائة رجل ؛ لأن قبطان صحار أو شقيقه قد أحدث إصابة بالغة لشقيق له .

لقد أخبر نائب الملك أيضاً "الدوم فرانسيسكو روليم" أنه ربما يجد في مسقط الأسطول الذي يقوم بعملياته الحربية في مضيق هرمز والذي كان قبطانه العام "فاسكو دي جاما" منتظراً المساعدة لكي تأتي من الهند ليهاجم صحار ، فإذا تقابلا ، فإنهما يمكن أن يدمجا أسطوليهما لكي يبدءان السير بحراً في هذا الهجوم ، بالإضافة إلى جنود الشيخ .

إذا لم توجد فرصة مناسبة ، فإن نائب الملك أصدر أمراً بأنه يجب على "الدوم فرانسيسكو روليم" أن يذهب بأسطوله إلى هرمز وأن يسلمه إلى قبطان القلعة "الدوم لويس دي جاما" ، حيث يمكن لرجاله أن يُعززوا الحامية التي قد علم بأنها فارغة جداً وكان هذا من الأهداف الرئيسة التي من أجلها كان مرسلاً إياه .

غادر "الدوم فرانسيسكو روليم" بهذه الأوامر في الوقت المذكور ووصل مسقط دون حادث . هناك وجد "فاسكو دي جاما" مع أسطول المضيق مثلما تم ذكره ، الذي يتكون من خمس سفن كان قباطنتهم هم "فاسكو دي جاما" القبطان العام ، و"دومينجوس نونو" ، و"فرانسيسكو بيريرا بيتنكورت" ، و"جاسبار فيراو" .

اجتمع رؤساء القباطنة وناقشوا أوامرهم ، وأعلموا الشيخ عامر عن وصولهم وغرضهم ، والذي (عامر) وجدوه في مزاج حسن لكي يحقق الوعد الذي قطعه على نفسه .

تم القيام بجميع الاستعدادات الملائمة ، وبدأت كل من الأساطيل

في الإبحار آخذين معهم مركباً لنقل البضائع التي اعتادوا على استخدامها كقارب سفينة مزوداً بمدفعين ثقيلين لكي يضربوا القلعة بالقنابل ، بالإضافة إلى بعض سفن السحب للخدمة في جر السفن .

ذهب الشيخ عامر براً برفقة "أنطونيو بيمنتا" "Antonio Pimenta" وكان رجلاً متزوجاً من مسقط ، كان يعمل معه ودوداً جداً ، و"جواو دي سوزا" وهو شخص موثوق فيه كان خبيراً بهذه المناطق وذا علم بالدولة المحيطة بالمضيق .

جاءت الأساطيل على مقربة من صحار ، حيث ألقوا مراسيهم على عمق سبع قامات . نزل رؤساء القباطنة مع بعض الجنود والقباطنة في قارب برمائي تقدم بهم وهم يقيسون أعماق المياه عندما ذهبوا إلى هناك ، لذلك كان الأسطول وقواربنا مع مدفعيتهم على مقربة من القلعة .

حينما أخذوا مواقعهم على عمق قامتين بدأوا في إطلاق النار واستمروا في ذلك لعدة أيام ، مُسببين خسارة فادحة للعدو ، حتى وصول الشيخ عامر .

في يوم التاسع والعشرين من شهر إبريل أخذ موقعه على مسافة نصف فرسخ من القلعة مع ألف ومائتي رجل مسلح ، بعد ذلك تم إصدار الأوامر بالنزول من السفن ، أوامر تم تنفيذها في اليوم التالي بدون خطر لأنهم كانوا بشكل ما بعيدين عن القلعة جهة الجنوب .

عندما نزل البرتغاليون أقاموا معسكراً بين أشجار النخيل واستولوا على بعض المساجد القريبة ، حيث أقاموا دفاعات حتى جاءت المدفعية

من البر ، حيث وصلت في الحال ، على الرغم من أنه كانت هناك حاجة قليلة لهم ، كما سوف يتم ذكره فيما يلي .

في اليوم التالي قابل القادة البرتغاليون الشيخ عامر لكي يناقشوا كيف يضربون القلعة بالقنابل ، ولكن قبل أن يفعلوا هذا ، شدّد عليهم الشيخ عامر أن يوافقوا على أنه يجب ألا يتم أسر أي مسلم من القلعة أو المدينة ، كان هذا على ما يبدو حتى لا يرتكبوا أية خطيئة طبقاً لتعاليم دينهم ، الذي يطبقه العرب بشده ، في حالة إذا ما أصبح أي منهم مسيحياً .

أراد أيضاً اتفاقاً بشأن الأسلوب وأن مبلغاً معيناً من المال يجب أن يتم تخصيصه لمصاريف الأسطول عندما تصبح البقية ملكه .

حينما بدأت المناقشات حول هذا ، ذهب "أنطونيو بيمنتا" لكي يتحدث إلى "الدوم فاسكو دي جاما" الذي كان في خيمة بنفسه ، بينما كان "الدوم فرانسيسكو روليم" في خيمة أخرى . لذلك دارت رسائل كثيرة بين الشيخ و"أنطونيو بيمنتا" و"الدوم فاسكو" لدرجة أن "الدوم فرانسيسكو روليم" أصبح مُتشككاً في أمره ، مدركاً أنه لم تحدث مناقشة لأي شيء معه ، وقال إن كل شيء يتوقف على عامر ، ولم يحقق "أنطونيو بيمنتا" و"الدوم فاسكو" أي غرض .

عندما سمع ذلك تدخل "جواو باربوسا كالهيرو" وأقنع "الدوم فاسكو" ، الذي عرفه ، أن يذهب إلى خيمة "الدوم فرانسيسكو" . فعل هذا ، لكي يتم إعطاء كل منهما الرسائل التي تم إحضارها ، وضع هذا حداً لسوء ظن "الدوم فرانسيسكو" .

استحق قرار "الدوم فاسكو" ثناءً كثيراً لأنه منع القلق ولم تكن النتيجة ناجحة مثلما ينبغي أن تكون .

في نفس الوقت وصل خمسة عشر أو ستة عشر رجلاً مسلماً حسان المظهر من القلعة ، حاملين بنادق معتني بها بصورة حسنة لكي يزوروا أصدقاء ويقوموا باتصالات بين رجال الشيخ عامر .

على الرغم من أن البرتغاليين كانوا يشعرون بالقلق إلى حد ما من هذا ، فإن رجال الشيخ أكدوا لهم أنهم أتوا بهدوء . بعد أن انتهت الزيارة رجعوا إلى القلعة ، وعندما اقتربوا من المكان الذي كان فيه البرتغاليون استداروا ببنادقهم وأطلقوا نيرانهم جيمعاً على البرتغاليين ثم لاذوا بالفرار في اتجاه القلعة .

بالرغم من أن البرتغاليين تركوا المعسكر وجروا وراءهم ، فإنهم لم يستطيعوا اللحاق بهم ، ولذلك فإنهم رجعوا وهم غاضبين إلى رجال الشيخ عامر ، ووجدوا أنهم أيضاً كانوا يشعرون بالقلق ، على ما يبدو لأنهم اعتقدوا أنه خطأ ، وعليهم أن يحاربوا رجالاً من نفس الأمة والدين .

عندما سمع الشيخ بهذا ، إما لكي يحمي نفسه من بعض الخيانة التي ربما خاف منها بين رجاله أو لكي يطمئن البرتغاليين ، فقد ظهر في خيمة رئيس القباطنة وبيده رمحاً مخبراً إياهم بأن لا ينزعجوا وطالباً بعض الجنود لكي يساعدوا في تهدئة رجاله . أخذ أربعين أو خمسين منهم ، والذين أزال غضبهم ، وكان كل فرد منهم هادئاً .

الفصل الثامن والخمسون بعد المائة : استولى البرتغاليون على قلعة صحار ، ثم تركوها وفيها قبطان وحامية ، وعادوا إلى هرمز ، بينما كان

هذا يحدث ، كان العمل مستمراً فيما قد تم الاتفاق عليه والذي هو أحسن طريقة للاستيلاء على القلعة ، حيث كان يجب أن يُسيّطر على تل منحدر حيث يوجد لدى المسلمين خط دفاعي قوي من مائة وخمسين رجلاً من حملة البنادق وبعض الخيالة ، وعدداً كبيراً من الخنادق والشجيرات الشائكة .

لتنفيذ هذا كان البرتغاليون يعدون مواقد من بالات القطن وسلالاً من طين الأرض التي بها يقتربون تدريجياً من الخط الدفاعي .

كان المسلمون على علم بهذا ، وفي ذات ليلة خرج بعض منهم لكي يحمي الحاجز الدفاعي .

لإيقافهم وصدهم إلى حاجزهم خرج لهم بعض رجالنا و"فرانسيسكو بيريرا دي بيتنكورت" والذين حاربوا بضراوة عن الحاجز الدفاعي مثل البرتغاليين الذين دخلوها ولكنهم لم يستطيعوا أن يخترقوه . قُتل هناك القبطان "دومينجوز نونز" ، وثلاثة أو أربعة جنود ، وكذلك حتى مسلمين كثيرين ، فيما بينهم قبطان القلعة الذي أصيب بطلقة بندقية مرَّت من خلال رأسه .

كان اسمه محمد ، وهو رجل متعجرف جداً وشجاع لدرجة أنه لم يسمح لأحد بأن يغادر القلعة أو المدينة حينما أراد كثيرون أن يرسلوا أمتعتهم وزوجاتهم إلى داخل البلاد دون الاهتمام بعاقبة أي شيء يحدث لهم .

كان هذا هو السبب في حدوث نهب كثير جداً .

تراجع البرتغاليون إلى المواقد التي كانت في الحقيقة قريبة من الحاجز

الدفاعي ، وحينما جاء الصباح ورأوا أن المسلمين قد تم إضعافهم بواسطة الهجوم من أجل الحاجز ، وجدوا أنهم متشجعون بهذا ، اندفعوا بسرعة وهاجموا الحاجز الدفاعي بعزيمة ، كما لم يفعلوا من قبل ، وجدوا مقاومة قليلة جداً ؛ لأن قبطان القلعة الذي قد شجعهم وحثهم كان قد مات .

لذلك تم الاستيلاء عليها بسهولة أكثر مما هو متوقع بواسطة ست جماعات من البرتغاليين ، ثلاثة لدى "الدوم فرانسيسكو روليم" ، منهم "جواو برابوسا كالهيروس" ، الذي كان في المقدمة ، و"بينتو دي فاسكو نسيلوس" وفرد آخر ، وثلاثة لدى "الدوم فاسكو" ، و"دومينجوس نونز" الذي كان أيضاً في المقدمة (احتفظ رفيقه بموقعه على الرغم من أنه قد مات) ، و"جاسبار فيراو" وفرد آخر .

هم يتصرفون بالحماس الشديد ، استولوا أيضاً على مسجد بالقرب منها في فترة وجيزة . كان هناك بعض المقاومة في المدخل ، ولكن كان هذا على نفقة أولئك الذين حاولوا أن يمنعوا الاستيلاء عليه . كما كان هناك عدد كبير من الناس ، ونساء وأطفال بالداخل والذين تم القبض عليهم من قبل رجالنا ، وانتظروا هناك حتى جاءتهم رسالة من كبار القباطنة الذين كانوا يسيرون برفقة الشيخ عامر .

يقع الجزء الأصغر من الأماكن السكنية الفقيرة ، التي تتكون من بيوت مسقوفة بالقش ، إلى الجنوب بين الحاجز الدفاعي والمسجد الذي قد استولى عليه البرتغاليون .

تم إرسال رسالة إلى كبار القباطنة لكي يسألوا عما إذا كانت هذه

يجب أن يتم إحراقها ، ولكنه في تلك الأثناء اختفى بعض حاملي البنادق العرب بين هذه الأكواخ ، وبدأوا يطلقون النار على البرتغاليين قاتلين بعضاً منهم .

على الرغم من أن رؤساء القباطنة أرسلوا إليهم رسالة قصيرة بأن لا يمسوا هذه الأماكن السكنية بسوء ، فإن القباطنة في المقدمة أمروا بأنه يجب أن يتم إشعال النار فيها ، وفي وقت قصير كانوا قد دمروها بشكل تام ، وأولئك الذين كانوا مُختبئين هناك تم طردهم بسرعة أكثر مما توقعوا ، فارين إلى الجزء الآخر من المدينة في الشمال ، الذي كان الأوسع ، وفيه بيوت مسطحة الأسقف .

عندما رأى البرتغاليون أنهم قد حرروا أنفسهم من المعارضة التي قد قتلت أربعة جنود أو خمسة منهم ، عملوا على تعزيز بوابة القلعة التي كانت على جانب الشاطئ ، معتقدين أنه على الرغم من أن عدداً كبيراً من أفراد العدو كانوا هناك ، فإنهم لا يستطيعوا أن يهاجموا المركز ؛ لأن البحر كان مسيطراً عليه من قبل الأسطول .

في كل هذا الوقت أصبحت القلعة والمدينة مُعرضة للضرب بالقنابل ، التي سببت لهما الضرر وأحبطت همتهم . بالإضافة إلى الوحدات العسكرية الستة كان يوجد أيضاً عدد قليل من رجال عامر ، هؤلاء الذين كانوا أكثر إلماماً بنا ويتحدثون اللغة البرتغالية .

في مقدمة الحائط الرئيس للقلعة كان هناك حائط آخر تقريباً طوله بارتفاع قامة رجل ، والذي خدم كطريق محمي ، ومن هناك أطلق العدو بعض القذائف ، ولكنها كانت أقل عدداً وأكثر خوفاً .

وصل البرتغاليون مُتشجعين بهذا إلى أسفل القلعة وبوابتها ، بينما كانت تُقذف عليهم قطع كثيرة من الحجارة وقطع من الخشب ، وما إلى ذلك من أعلى ، ولكن هؤلاء كانوا أقل ضرراً مما هو معتاد عندما تم الدفاع عن القلعة ، ولهذا كان من الواضح أن الدفاع كان ضعيفاً .

بدأ العرب في الخارج يتحدثون إلى أولئك الذين هم في الموقع أعلى ، مخبرين إياهم أن يستسلموا في مقايضة بحياتهم ، ولكنهم لم يوافقوا بشكل تام ولم يفتحوا بوابة القلعة بهذه الشروط .

كسر بعض البرتغاليين البوابة باستخدام صواري ، حصلوا عليها من بعض الطرّادات التي كانت توجد على مقربة وبشكل أكثر ، ولكنهم عندما حاولوا أن يدخلوا على طول ممر ضيق ، وجدوا أنه كان مملوءاً بالخيول ، ويبدو أن مدافعي القلعة قد وضعوها هناك لكي يضيقوا على البرتغاليين الذين سوف يضطرون إلى إخراجهم أو قتلهم ، معطين لهم الوقت لإنقاذ أنفسهم بالهروب ، والذي هو ما حدث بالفعل .

نقل الناس من المناطق الشمالية والشمالية الغربية للمدينة وكذلك أيضاً هؤلاء الذين من القلعة كل الأغراض التي يستطيعون حملها .

حينما وصل كبار القباطنة إلى الممر الذي أصبح خالياً من الخيول ، وعندما دخلوا وجدوا أن أخاً راهباً "أوغسطينياً" من مجموعة "الدوم روليم" قد أقام صليباً على برج المدينة ، علامة القوة بأن دين الرب قد استولى على هذه الأرض . في غضون ذلك كان شقيق القبطان ، الذي بقي في القلعة محاولاً الهرب متنكراً في زي بدائي (فوطة وعسيب)

"aloim cloth" ، مع سيفه الذي يحمله خادم يسير وراءه ، بينما كان لديه فقط خنجره الذي يضعه في عسيبه .

تم التعرف عليه بواسطة العرب الذين كانوا معنا ، وحينما كان مقيداً من قبل "جواو باربوسا كالهيرو" ، أمسك الرجل العربي بخنجره وهاجم "جواو باربوسا" ، الذي ألقاه أرضاً ولم يكن راغباً في قتله ، والذي تم تنفيذه .

بدأ الآخرون الذين بقوا في القلعة في الخروج منها ، وقد أحضروا المال والجمال محملة بالملابس والأمتعة المنزلية الأخرى ، واثقين من الوعد الذي قد أعطيت لهم بأن حياتهم من الممكن أن تكون آمنه ، الأمر الذي قد تم الاتفاق عليه مع عرب عامر بدلاً من أي شيء آخر .

اشتكى الجنود من تلك المعاملة الكريمة لأنهم اعتقدوا أن عزل القلعة كان مهماً لأنها استمرت في التمرد ولفترة طويلة دون الاعتراف بأي مسؤول ، وفي الحقيقة تصرَّفت بشكل مستبد جداً تجاه المدن المجاورة الأخرى ، وكان الميناء مستخدماً بواسطة عدد كبير من تجار السفن في الفلفل والبضاعة الأخرى .

واضعين ذلك في الاعتبار بدأ الجنود يستولون على الحيوانات المحملة بمثل هذا الإصرار لدرجة أن بعض الناس الذين حاولوا منعهم فقدوا حياتهم ، وفقد آخرون دماً كثيراً ، وبدا أنه من الأعقل أن نترك البرتغاليين بما تقع أيديهم عليه ، وتركوا أيضاً القلعة والمدينة ، التي يوجد في محيطها من ثمانية "فراسخ" ، أرض خصبة جداً ، بأشجار النخيل والحقول الواسعة المملوءة بالقمح والشعير ومحاصيل أخرى ، وبعدد كبير من أشجار الفاكهة والقطعان الكبيرة من الماشية .

أخذ البرتغاليون قدراً كبيراً ، مُحمَّلين مراكبهم البرمائية الكبيرة "Terraquims" بهذه وبكل شيء وجدوه .

بالنسبة للمسلمين والنسوة والأطفال فقد تمَّ أخذهم من قبل الشيخ عامر الذي توسط لدى "الدوم فاسكو دي جاما" لإطلاق سراحهم ، الأمر الذي نفَّذه على الفور ، ومع ذلك فقد تم أخذ عدد كبير من الأسرى وبخاصة الأطفال الذين من أجلهم ساعد هذا الأسر على تحقيق الحرية الروحية الحقيقية .

كان هؤلاء الذين حملوا كثيراً هم القباطنة وجنود "الدوم فرانسيسكو روليم" ؛ لأنه على الرغم من أنهم أطاعوا "الدوم فاسكو دي جاما" عندما أمرهم أن يطلقوا سراح فرد ما ، فقد حاولوا ألا تتم رؤيته لهم فيما بعد ..

بعد استيلائهم على القلعة والمدينة وتطهيرهما من الأعداء ، رتب البرتغاليون لكي يتركوا قبطاناً وحامية هناك . اختاروا "جواو دي سوزا" لهذا ، مع أربعين جندياً وبعض سفن "الفلكاو" وذخيرة ، تم حملها من السفن وتخزينها في القلعة . لأنه كان معروفاً سابقاً واستطاع أن يحافظ على السكان الأصليين ، بقي هناك أيضاً "أنطونيو بيمنتا" لكي ينظم الأشياء ويرتبها ويُقنع الناس بأن يعيدوا ديارهم .

أبحر الاثنان (كبيرا القباطنة) بأسطوليهما وذهبا إلى هرمز ، حيث كان لديهم الكثير من العمل لكي يقوما به بشأن عدد كبير من الأشياء التي أُخذت من قلعة صحار التي قيل عنها بأنهم ليس لديهما أي حق فيها ، حتى يتم الاتفاق نهائياً بأن كل شيء كان منظماً ومرتباً .

الفصل الرابع والستون بعد المائة : الخطوات التي تمَّ اتخاذها من قبل السفير "الدوم جارسيا دي سليفا واي فيجروا" لكي ينطلق بسفارته إلى بلاد فارس ، والخلافات في هرمز بين القبطان ومسؤول الخزانة ، أحضرت سفينة الكاراك "لانساروت دا فرانكا" التي جاءت من البرتغال في عام ١٦١٦م أوامر صارمة من جلالته إلى نائب الملك بشـــأن السفـــير في بلاد فارس ، "الدوم جارسيا دي سيلفا واي فيجروا" ، أمـره بأنه لو أنه ما زال موجوداً في "غوا" .

يجب عليه ألا يبقى فترة أطول ، ولكن عليه أن يغادر إلى هرمز ، ومن هناك يعبر إلى بلاد فارس عندما يكون ذلك ممكناً .

أخبر جلالته السفير نفس الشيء رداً على تقريره عن هجوم الشاه على ميناء "غمبرون" والاستيلاء عليها ، وشكه بأنه تحت غطاء السلام والسفارات كان يستولي على كل شيء يقدر عليه من جلالته ، حتى قلعة هرمز ، التي طمع فيها فوق كل الأشياء ، الأمر الذي حدث في الحقيقة ، إلا أن جلالته الذي لم يكن مُبلغاً بدقة عن هذه المسائل ، أصرَّ على تعليماته إلى نائب الملك وإلى السفير .

كتب السفير على الفور التماساً إلى نائب الملك ، طلب فيه منه أن يأمر بأن يتم إرسال مبلغ أربعين ألف "أشرفي" إلى هنا لأنه لا يستطيع أن يبدأ بمبلغ أقل ؛ لأن لديه كثير ديون عديدة اضطر أولاً أن يُسددها ، وأنه مضطر إلى أن يزود نفسه وإدارته بالملابس ، وأن يدفع أجوراً إلى بعض من موظفي السفارة وأن يعد كل شيء يحتاج إليه من أجلها ؛ لأن كل شيء يمكن أن يكلف ضعفه كثيراً في هرمز ، وأنه مضطر إلى

أن يأخذ بعض المال من أجل نفقاته ؛ لأنه بلغ إلى مسامعه أنه لا يوجد شيء في هرمز لكي يعطي له .

رد نائب الملك بتقرير عن حاجات دولة الهند ، وقائلاً إنه حينما اضطر إلى أن يزيد الهدية التي كان حاملاً إياها بما يساوي أربعة وعشرين ألف "كروزادوس" من الفلفل والقرفة ، حسبما قد أمر جلالته ، وتوازي المبلغ الذي وصل إلى اثنين وثلاثين ألف "أشرفي" ، وإعطائه عشرة آلاف "كروزادوس" إضافة إليه ، والذي كان يزيد على ثلاثة عشر ألف "باردواس" لكي يُجهز نفسه بأشياء متعددة ضرورية لكي يحملها عندما أبحر من هنا إلى هرمز ، والتي اشتملت أيضاً على مصروف ، موضحاً الحالة الحالية للحاجة والبؤس في كل شيء .

فقد بدا أنه كان فاعلاً أكثر مما كان ممكناً ، وبخاصة لأن جلالته قد أمر بأنه يجب أن يفي بتسديد المال إلى هرمز وأنه يمكن أن يعطيه الوثائق اللازمة ؛ لأن دار الجمارك هناك كانت معتمدة منذ العام السابق ، وكان متوقعاً أن تتسلم دخلاً كبيراً في العام الحالي .

بعد ذلك عرض نائب الملك على المجلس ما قد قيل ، وصوَّت كل فرد بأن سيادته قد فعل كل ما يمكن أن يتم فعله وبخاصة ، حيث قد أمر جلالته بدفع المبالغ إلى السفير لكي تصرف في هرمز ؛ لأنه يجب أن يكون هناك أي دخل مُتاح . إلا أن السفير أجاب بأنه لا يستطيع أن يؤدي عمله بدون أربعين ألف "أشرفي" .

أرسل نائب الملك سكرتيره لكي يخبره بأنه حيث كان هناك من

أسباب عديدة مانعة إياه من إعطائه ذلك ، فإنه يمكن أن يعطيه عشرين ألف "أشرفي" بشرط أن يقرر القيام برحلته بدون تأخير .

أجاب السفير بأنه يمكن أن يذهب بدون سبب إذا ما أعطي مبلغ الأربعين ألف "أشرفي" ؛ لأنه لا يستطيع أن يفعل أي ترتيبات ، وأن ذلك كان أقل مبلغ يحتاج إليه ، واضعاً كل شيء في الاعتبار .

لكي ينهي المشكلة مرة واحدة وبشكل تام ، أمر نائب الملك بأن حساباً بمبلغ وصل في إجماله بالضبط إلى ما يزيد على اثنين وعشرين ألف "أشرفي" ، أمر بأن هذه المبالغ يجب أن تعطى له على أنه يمكن أن يغادر مع أول ريح موسمية في مارس من العام التالي .

تم إرسال "ميجل دي سوزا" من قبل نائب الملك "الدوم جيرونيمو" كمسؤول خزانة في هرمز ، كما قيل أعلاه ، عندما ذهب إلى هناك بالمعونة بسبب خبر الاستيلاء على هرمز .

عندما بدأ يمارس مهام منصبه حاول أن يتجنب عادة بموجبها أخذ قبطان القلعة سفينة "الكاراك" الخاصة به من السند إلى أسفل القلعة دون الذهاب من خلال الجمارك وتفريغها هناك ، وبعد ذلك يمكنهم أن يدفعوا رسوم الجمارك عندما يرون أنها مناسبة .

اعتقد "ميجيل دي سوزا" أنه حيث لا يوجد مسؤول خزانة في مرتبته ، ويمكن أن يسمح له بميزة كبيرة فيما يتعلق بالجمارك على كل البضاعة التي تحضرها سفنه ، مثلما فعل عندما تم تفريغها في القلعة ، على أن القبطان لم يوافق ، وبدأ من الآن فصاعداً يتصرف بشكل سيّئ مع مسؤول الخزانة ، وكانت هناك خلافات عديدة وصدامات بينهما .

عندما ثار جنود الثكنات العسكرية ؛ لأنهم لم يحصلوا على راتبهم بعد إحداث قلق شديد لمسؤول الخزانة ، ذهبوا إلى إسطبلات القبطان وأطلقوا خيوله وأخذوها خارج المدينة في الريف ، ثم احتفظوا بها هناك حتى تم الدفع لهم .

أحرق مسؤول الخزانة بعض الطردات التي قد أرسلها الأفراد المتزوجون من هرمز بشكل سري إلى بلاد فارس في وقت الحرب ، وبسبب هذا بدأ في أن يكون مكروهاً لديهم ، حتى وعد بأنه يمكن أن يعوض خسارتهم خارج الجمارك .

فعل "ميجيل دي سوزا" هذا لأنه كان نبيلاً ، رافضاً أن يقدم أية إهانة لأي فرد ، وكان مملوءاً بالحماس في خدمة جلالته .

جمع الموظفون تقارير بالموافقة على أعمالهم ولاعنين تجاوزات الآخرين وأرسلوها إلى نائب الملك في "غوا" .

دعا نائب الملك إلى عقد مجلس في هذه المسألة ، وكانوا غير راغبين في أن يعطوا الثقة لأي من التقارير لأنها قد وضعت من قبل المؤيدين لأحدهم أو لجانب آخر .

كان من المقرر أن يرسلوا شخصاً حيادياً ليكتشف حقيقة المسألة لكي يمكن أن يتم إعطاء أوامر لتحويلهم طبقاً لأين يكمن الخطأ ، على الرغم من أنه ينبغي أن يتم إعطاء القبطان الرضى بسبب نوعية وظيفته ، وتمَّ أيضاً تسجيل ملاحظة المبلغ القليل الذي كان في الخزانة الملكية التي يحدث بها الرضى ، وأنه إذا كان يجب أن يتم إبعاد فرد واحد بدلاً من كل من الاثنين ، فإنه من السهل أن نعطي الرضى "لميجل دي سوزا" ، ومع ذلك كان من المقرر

ألا نفعل أي إجراء حتى تتم رؤية ما هي التطورات التي يمكن أن تحدث ، وكان هذا هو سبب ما حدث فيما بعد .

الفصل الخامس والستون بعد المائة : رحلة "مانويل ماسكارينهاس" البحرية في مضيق هرمز بحثاً عن سفينة كاراك إنكليزية ، لقد أتى "مانويل ماسكارينهاس هوميم" من سيلان وعاش في "غوا" ، وهو ليس على وفاق قوي مع نائب الملك على الرغم من أنهما ظاهرياً يؤديان لبعضهما بعضاً المجاملات التي يعتقد الكثيرون أنها مرفوضة في عقليهما وإرادتهما .

في هذا الوقت ، نهاية شهر يناير عام ١٦١٧م جاءت أخبار من هرمز تفيد أن سفينة كاراك إنكليزية قد مرَّت نحو الداخل من "رأس الحد" بنية إنشاء حصن في "جاسك" في بلاد فارس التي منها ينطلقون لكي ينهبوا سفننا .

على الرغم من أن هذه السفينة كانت ذاهبة فقط لكي تؤكد مع الشاه معاهدة الحرير التي قد تم التفاوض من أجلها من قبل "السير روبرت شيرلي" والتي كان يمكننا أن نعقدها بتفوق كبير ، وهكذا كنا مُتجنبين المساوئ الكبيرة التي سببها لنا الإنكليز في الهند عندما جاؤوا ليبحثوا عنها ، فإن نائب الملك مع ذلك كان غير راغب في تأخير الاستعدادات ضدها .

فعل هذا بأمل أقل مما لديه قبل أن يحاربهم ، حيث يمكن أن يجمع مما تم سماعه ليقول ما سوف يتم الأخبار به في الوقت المناسب .

لذلك أمر بسرعة أن يتم شراء قارب "أوركا" وقارب "باتاتشو" وقارب "جاليوت" وسفينة ، وعهد بها إلى "مانويل ماسكارينهاس

هوميم" "Manuel Mascarinhas Homim" ، بلقب رئيس قباطنة في قارب "الأوركاو" وأن يتم تزويده جيداً بقطع المدفعية والجنود والبحارة .

كـــان قبطـان "الباتاتشو" نيكولا دي سوفيرال" ، و"جوميز دا سيلفا" "Gomez da Silva" في "الجاليوت" ، و"ديوجو جيرالديس ماركوت" في السفينة .

كان السادة الوجهاء الذين أبحروا على ظهر هذا الأسطول هم "روي دياس دا كونها" "Rui Dias da Cunha" ، و"جياكومو دي ميلو بيريرا" "Jiacomo de Milo Perriera" ، و"فرانسيسكو فاز دي سكويرا" "Francisco Vaz de Segueira" ، و"فـــرانسيسكو مونيز دا سيلفا" "Francisco Mones da Silva" .

تم إعداد هذه السفن الأربع وأبحروا في يوم الثاني عشر من شهر فبراير في طريقهم إلى رأس الحد وحراسة بعض سفن "الكاراك" التجارية المتجهة نحو هرمز .

أعطى نائب الملك تعليمات بأن يحاولوا الإبحار إلى الأمام في وقت قصير دون ضياع لحظة ، وإذا لم تستطيع السفن التجارية أن تُجاريهم في السير فيجب عليهم أن ينطلقوا ، ويجب على قارب "الجاليوت" والسفينة أن يذهبا في المقدمة لكي ينتظرا من أجلهم في رأس الحد ، دون الذهاب براً ، بهدف أن يحصلا على أخبار سفينة "الكاراك" الإنكليزية ، وآخذين كل الحذر الذي يجب ألا يكون معروفاً بأن الأسطول يحتوي على سفن أخرى ، وفي أي مكان يقال إن سفينة "الكاراك" الإنكليزية موجودة فيه ، يجب أن يتم فيه البحث عنها بالسرعة الممكنة .

يجب أن يتم احتجازها أو حرقها ، وكان هذا هو السبب الذي من أجله كان مستخدماً هذا النوع من الأساطيل .

ذهب نائب الملك إلى رصيف السفن لكي يتفقد الجنود ويرسلهم إلى الخارج ، ويقال إنه دار حول سفينة "مانويل ماسكارينهاس" مُبصراً أنها مزودة جيداً بالمدافع ، وقال : إن الملك لن يرغب أبداً أن تفقدوا قطع مدفعية كثيرة جداً" .

يوضح هذا جيداً نقصه للثقة في الرجل النبيل الذي تولى المهمة ، وكان مع ذلك أكثر حيوية وفطنة لدرجة أنه بدأ دون أن يقول كلمة واحدة ، في تحمل المسؤولية بإرادة قوية ، وبحث عن سفينة "الكاراك" الإنكليزية بكل الجهد الممكن .

اضطر قارب "الباتاتشو" الذي لدى "نيكولاو دي سوفيرال" "Nicolao da Souviral" أن يذهب إلى البر ؛ لأن الصاري كان محطماً ، وعلى الرغم من أنه انطلق مرة ثانية ، فإنه كان غير قادر على أن يلحق بقبطانه الرئيس .

وصل "ماسكارينهاس" إلى رأس الحد حيث تسلم معلومات معينة بأن سفينة العدو قد مرَّت في وقت سابق قبل ذلك بأيام عديدة . عقد العزم على الرجوع إلى "غوا" ، مثلما قد أمره نائب الملك أن يفعل في أية حالة ، حتى لا يضطر إلى قضاء فصل الشتاء هناك (لأنه أراد أن يستخدمه في طرق أخرى لخدمة جلالته) ، ولكنه تسلَّم أخباراً من القلعة في مسقط بأن القبطان هناك ، "جاسبار دي أندراد" قد مات ، وتوجد اضطرابات شديدة بين السكان حول من يجب أن يتم انتخابه كقبطان .

لقد كوَّن عرب الداخل طموحات حول القلعة الذين كانوا يحاولون تحقيقها من خلال تجميع القبائل معاً . أعطى "مانويل ماسكارينهاس" هذه المسألة الاهتمام الذي تستحقه أهميتها ، وانطلق بكل السرعة إلى مسقط حيث سوَّى كل شيء وهدّأ الناس ، معيناً "جواو قودروس" ليكون قبطاناً . تركهم أيضاً في مأمن من الأعداء من الداخل الذين نسوا مطالبهم والنية السيئة مع وصوله .

بعد ذلك بدأ في الإبحار إلى "غوا" ، وفي الخليج خارج ساحل الهند قابل سفينة كاراك مسلمة ، مجهزة جيداً بمدافع ، هذه التي أرسل خلفها جومز دا سيلفا بسفينة "الجاليوت" التي لديه ، وهي السفينة الوحيدة التي برفقته ، ليعرف من أين جاءت وعما إذا كانت تحمل تصريحاً ملاحياً .

قبل أن يصل إليها ، رد عليه أولئك الذين كانوا على ظهرها بإطلاق عدد كبير من القذائف . كانت سفينة الجاليوت مجبرة على الذهاب بعيداً لكي ترد سفينة "الأوركا" على النيران ، وقد قامت بذلك بطريقة أدت إلى أن أولئك الذين كانوا على ظهر الكاراك قد عرفوا في الحال أنهم مخطئون في تقديرهم لقوتهم ، وعن الشيء القليل الذي اعتقدوا أنه كان موجوداً في أساطيلنا ؛ لذلك قرروا أن يحملوا التصريح الذي تمت مطالبتهم به إلى "مانويل ماسكارينهاس" .

كانت سفينة "الكاراك" تعود في ملكيتها إلى عادل خان ، وكانت قادمة وهي مُحمَّلة جيداً بالبضائع من مكة ، وكان التصريح خاصاً بالعام السابق ، ولذلك فإنه لم يكن صالحاً . هذا ، وتوجد الحقيقة بأن

الشحنة كانت محتوية على أشياء عديدة لم يشملها التصريح ، وأنهم قد استخدموا المدفعية أولاً للرد على مدخل سلمي ، فهذه الأشياء يمكن أن تكون كافية لأي قبطان أقل صبراً لكي يرتكب أية إساءة ضد سفينة "الكاراك" .

لكن "مانويل ماسكارينهاس" كان متسامحاً جداً وغير طامع إلى حدٍ كبير آمراً بأن تغلق جميع الأسباب ، ووضع حراسة كافية على السفينة وأحضرها إلى "غوا" دون أن يحدث مضايقة لها أو للأشخاص الذين هم على ظهرها بأية طريقة .

وصل إلى "غوا" "مانويل ماسكارينهاس" في يوم الثاني عشر من شهر إبريل ، بعد أن أمضى شهرين في الحملة البحرية عندما كتب تقريراً إلى نائب الملك ، عرَّفه بسفينة "الكاراك" وأخبره بما قد حدث .

على الرغم من أن كل فرد عرف أنه لأسباب عديدة من الممكن أن يتم التسليم بأنها مفقودة ، متذكراً العدد الكبير من الأعداء الأوربيين الذين كانوا بادئين في الظهور في الهند .

تمت مناقشة ما يجب فعله بشأن سفينة "الكاراك" في المجلس ؛ لأنها امتلكت تصريحاً ملاحياً وكانت تُبحر معتمدة عليه على الرغم من أنه أخلَّ ببعض الشروط ، ولأنه لم تتم خدمة مصالح جلالته بالاستيلاء عليها في "سورات" ، وهذا كلَّف الدولة وكل سكانها كثيراً ، ولأن عادل خان كان الملك المجاور الذي كنا معه على أحسن العلاقات ، فإن سفينة "الكاراك" يجب أن يتم إطلاق سراحها لكي تعود إليه .

مع ذلك يجب أن يتم جعله أولاً يعتقد بأنه قد فقدها لكي يقدر

قيمة المعروف الذي قمنا بإظهاره إليه فيما يتعلق بصداقته بالسماح له بالحصول عليه ، وكنتيجة يمكن أن يعتبر نفسه تحت معروف عليه . تم فعل هذا ولكن عبدالله خان لم يعتبره فضلاً عظيماً ؛ لأن نظرة السكان الأصليين هنا يجب أن يهتموا فقط بمصالحهم الخاصة بهم ويعتقدوا أن كل فرد هو نفس الشيء ولن يعترف بمساعي حميدة بمفردها .

أمر المجلس بأنه يجب أن يتم تقديم الشكر للقبطان العام "مانويل ماسكارينهاس" على الخدمة المُميزة التي قدمها لجلالته بتسليم سفينة "الكاراك" وإحضارها بالطريقة التي فعلها ، لكي يمرغ الغطرسة التي قد أقنع بها المسلمون أنفسهم بأننا لا نمتلك القوة الكافية لكي نعوق رحلاتهم البحرية .

الفصل السابع والسبعون بعد المائة : (التجارة بين هرمز و"مالابار") ، في سبتمبر عام ١٦١٧م تسلَّم "الدوم بيدرو دي ألميدا" ، قبطان قلعة ديو خبراً بأن اثنتين من سفن "الكاراك" الهولندية كانتا مُلقيتين مراسيهما على مقربة من "باتين" "Patene" على عمق خمس وعشرين "قامة" ، وعاقدين العزم على المتاجرة على البر ، إلى جانب أنهما كانتا تتربصان بسفننا القادمة إلى "ديو" من مكة ومن هرمز وأماكن أخرى إلى ساحل الهند .

نظراً للضرر الكبير الذي يمكن أن ينتج عن هذا ، أرسل "دي ألميدا" على الفور رجالاً موثوقاً فيهم عن طريق البر إلى تلك المنطقة مزوداً إياهم بالدعم والمال لكي يُرتبوا لإرسال بعض السفن الخفيفة لمسافة بعيدة إلى جهة العدو التي تسير فيها الريح ، وينتظروا سفن "الكاراك" التي لدينا ليُحذّروهم من الاقتراب منهم .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

ورد تقرير عن الذي كان يحدث في البرتغال وولايات أخرى في الغرب منذ عام ١٦١٠م حتى الثامن والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١١م ، وذكر فيه أن الأتراك في هزائم والفرس في انتصارات حيث كسبوا صداقة شيوخ الجزيرة العربية ويهاجمون العراق .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

صدرت المذكرات التي قام بأخذها "باشيكو" "Pacheco" ، والمتعلقة بالمقترحات التي جلبها سفراء مبارك ، المؤرخة في الخامس من شهر مارس لعام ١٦١١م .

(صفحة رقم ١٢)

الوثيقة رقم : ٣

بعث الملك رسالة إلى "روي لورنسو دي تافورا"

"Rui Lorenco de Tavora" ، نائب الملك ، بتاريخ الثاني عشر من شهر مارس عام ١٦١١م ، ويذكر فيها أن مبارك المشعشع كاذب ولا يوثق به .

(صفحة رقم ٢١)

الوثيقة رقم : ٤

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، تتعلق بالأوضاع في هرمز والبحرين ، فاستعادة البحرين أمان لهرمز ومكاسب من اللؤلؤ ، في الخامس عشر من شهر مارس لعام ١٦١١م .

(صفحة رقم ٢٥)

الوثيقة رقم : ٥

دوّن وصف الرحلات إلى الهند في عهود الحكم البرتغالي ، ووصف المنطقة العربية (القدس تاريخياً) ، الأب "جاسبار دي برناردينو" "Gaspar de Bernardino" ، بتاريخ عام ١٦١١م .

(صفحة رقم ٣٤)

الوثيقة رقم : ٦

صدرت رسالة من الملك إلى "دوم جيرونيمو دي آزيفيدو" "D . Jeronimo de Azevido" نائب الملك في الهند ، في السادس والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٢م ، بشأن تحصين القلاع في هرمز ، وتشديد الدخول والخروج من هرمز تحسباً لأي اعتداء .

(صفحة رقم ١١٥)

الوثيقة رقم : ٧

صدر أمر من الملك ، بشأن بناء أساطيل إضافية في هرمز ، لشبونه ، بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦١٢م .

(صفحة رقم ١٢١)

الوثيقة رقم : ٨

صدر أمْر من الملك ، بمراعاة الاتفاقيات مع ملوك هرمز عند الوفاة وتنصيب الملك الجديد ، لشبونه ، بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير ١٦١٢م .

(صفحة رقم ١٢٤)

الوثيقة رقم : ٩

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند ، بشأن شخص في هرمز يقوم باتخاذ الأمر للدفاع عن حصن هرمز لأي اعتداء على هرمز ، بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦١٢م .

(صفحة رقم ١٢٧)

الوثيقة رقم : ١٠

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن فارس ، بتاريخ العاشر من شهر فبراير عام ١٦١٢م ، ويذكر فيها السفير "روبيرتو شيرلي" "Roberto Cherley" سفير ملك فارس ، ويتوقع الملك البرتغالي أن "روبيرتو شيرلي" يضمر القيام بعمل ضد هرمز .

(صفحة رقم ١٣٣)

الوثيقة رقم : ١١

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن السيد "دون هنريكو دي نورونها" ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦١٢م ، ويأمر فيه كذلك أن يتم ترتيب مهنة الوسطاء في هرمز ، حيث تمّ ترخيص خمسين وسيطاً وأن يتواجد اثنان من هؤلاء الوسطاء يومياً .

(صفحة رقم ١٣٧)

الوثيقة رقم : ١٢

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن سفير فارس ، بتاريخ السابع من شهر مارس ١٦١٢م ، ويذكر فيها أن السفير في حالة حرب مع الأتراك .

(صفحة رقم ١٤٧)

الوثيقة رقم : ١٣

قدم مقترح مخصوص ومحدد تقدم به "أنطوني شيرلي" "Antony Cherley" ، مدريد ، بتاريخ التاسع من شهر إبريل عام ١٦١٢م ، ويبين فيه الضرر لو أقام الإنجليز حلفاً مع الفرس .

(صفحة رقم ١٥٠)

الوثيقة رقم : ١٤

وردت رسالة من "دوم فيليبي" إلى صاحب المقام السامي الأمير الشاه عباس ، ملك فارس ، بتاريخ الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٢م ، ويؤيده على انتصاره على الأتراك العدو المشترك .

(صفحة رقم ١٥٣)

الوثيقة رقم : ١٥

صدرت رسالة من "فيليب الثاني" إلى الأسقف "دوم بيدرو دي كاستيلهو" "D . Pedro de Castelho" ، نائب ملك البرتغال مبعوث اعتيادي ، مدريد ، في الرابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٢م ، وقد تمّ تجهيز سفن إنجليزية في إنجلترا بترتيب من "روبرت شيرلي" لنفس الأهداف التي تم تجهيزها في هولندا .

(صفحة رقم ١٥٨)

الوثيقة رقم : ١٦

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن السفن الهولندية التي ستغادر هولندا طلباً لشركة الهند الهولندية ، بتاريخ الأول من شهر فبراير عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ١٦٥)

الوثيقة رقم : ١٧

صدر أمر قضائي من نائب الملك ، "غوا" ، الرابع من شهر فبراير عام ١٦١٣م ، وذكر فيه بأن شاه فارس قد أرسل سفيره إلى ملك البرتغال ، ومن ضمن ما ذكر السماح بتجارة الحرير .

(صفحة رقم ١٧٧)

الوثيقة رقم : ١٨

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن شكوى شرف الدين ، بتاريخ الثاني من شهر مارس عام ١٦١٣م ، ويذكر فيها سيرة العائلة المالكة لهرمز .

(صفحة رقم ١٨٠)

الوثيقة رقم : ١٩

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بشأن أمير هرمز ، بتاريخ الثامن من شهر مارس عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ١٨٥)

الوثيقة رقم : ٢٠

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند ، بشأن خلافة العرش في هرمز ، بتاريخ العشرين من شهر مارس عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ١٩٠)

الوثيقة رقم : ٢١

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن قلعة البحرين ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر مارس عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ١٩٣)

الوثيقة رقم : ٢٢

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن تعيين سفير في فارس ، بتاريخ السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ١٩٦)

الوثيقة رقم : ٢٣

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن إرسال سفير لملك البرتغال إلى ملك فارس ، بتاريخ السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ١٩٨)

الوثيقة رقم : ٢٤

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن بلاط ملك فارس ، بتاريخ السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ٢٠٠)

الوثيقة رقم : ٢٥

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن بلاط ملك فارس ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦١٣م .

(صفحة رقم ٢٠١)

الوثيقة رقم : ٢٦

صدر أمـر قضائي من نائب الملك ، "غوا" ، في التاسع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦١٣م ، بشأن الرقابة على قلعة مسقط .

(صفحة رقم ٢٠٨)

الوثيقة رقم : ٢٧

ورد التقرير الإسباني المرسل من مقرّ سفارة "دوم جارسيا دا سيلفا" في فارس ، بتاريخ عام ١٦١٤م ، يبيّن أن هجوم القوات الفارسية بقيادة حاكم شيراز في "لار" بعدما تم الاعتداء وإهانة السفير المرسل إلى فارس .

(صفحة رقم ٢١١)

الوثيقة رقم : ٢٨

وصلت بعثة الملك "فيليب" إلى الشاه عباس بقيادة دوم "جارسيا

دا سيلفا" ، بتاريخ عام ١٦١٤م ، وقد ذكر وصفه للمناطق التي تحت يد البرتغاليين وهي أولاً من موزمبيق حتى البحر الأحمر ، وثانياً من البحر الأحمر حتى جاسك بما فيها فارس ، وثالثاً من جاسك إلى الهند .

(صفحة رقم ٢٣٢)

الوثيقة رقم : ٢٩

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بشأن حصن هرمز حيث هناك نقص في المدفعية ، بتاريخ الثالث من شهر يناير ، عام ١٦١٥م . **(صفحة رقم ٣٠٣)**

الوثيقة رقم : ٣٠

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بشأن قلعة "غمبرون" ، بتاريخ الثالث من شهر يناير ، عام ١٦١٥م ، بشأن العناية بقلعة "غمبرون" على البر الأصلي .

(صفحة رقم ٣٠٦)

الوثيقة رقم : ٣١

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بشأن ملك فارس ، الذي يتحيّن الفرص لاحتلال هرمز إذا تهيأت له الفرصة ، بتاريخ الرابع عشر من شهر فبراير عام ١٦١٥م .

(صفحة رقم ٣٠٩)

الوثيقة رقم : ٣٢

بعث الملك رسالة إلى نائبه ، بتاريخ الحادي والعشرين من شهر

فبراير عام ١٦١٥م ، يذكر فيها زعيم سوقطرة ومعاقبته لتصرفه مع رجال السفينة .

(صفحة رقم ٣١٦)

الوثيقة رقم : ٣٣

دوّن سجل الأحداث في "غوا" منذ رحيل السّفن في التاسع عشر من شهر فبراير عام ١٦١٥م وحتّى تاريخ الثاني والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١٥م ، ويذكر فيه صحار وتمرد شيخ صحار محمد بن مهنا الهديفي واستولى على مداخل الجمارك .

(صفحة رقم ٣١٩)

الوثيقة رقم : ٣٤

صدرت رسالة من "بيلشيور دوس أنجوس" "Belchior dos Angos" كتبت من فارس إلى ملك إسبانيا ، أصفهان ، بتاريخ الثلاثين من شهر نوفمبر عام ١٦١٥م ، وأُحضر الرجال الذين قبض عليهم سلطان شيراز بالقرب من قزوين .

(صفحة رقم ٣٢٤)

الوثيقة رقم : ٣٥

بعث الملك رسالة إلى نائبه بشأن البحث عن المياه في "لارك" وقشم ، وقد عثر عليها بكميات وفيرة بدلاً من "غمبرون" ، بتاريخ السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦١٦م .

(صفحة رقم ٣٣١)

الوثيقة رقم : ٣٦

ورد أمر تمّ استلامه من نائب الملك ، بشأن المياه في "قشم" و"لارك" ، بتاريخ شهر يناير عام ١٦١٦م . **(صفحة رقم ٣٣٦)**

الوثيقة رقم : ٣٧

صدر تقرير عن الأسطول المرسل من قبل نائب الملك بقيادة "الدوم فرانسيسكو روليم" "Francisco Rolem" الذي استولى على قلعة صحار مع "فاسكو دا جاما" ، بتاريخ عام ١٦١٦م . **(صفحة رقم ٣٣٨)**

الوثيقة رقم : ٣٨

صدر تقرير حول خلفية العرض الذي قدمه ملك الجزيرة العربية مقابل الدعم لأجل الاستيلاء على البصرة من قبضة الأتراك ، بتاريخ عام ١٦١٧م . **(صفحة رقم ٣٤٥)**

الوثيقة رقم : ٣٩

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند ، لشبونه ، بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م ، يذكر فيها الحرب بين هرمز وفارس . **(صفحة رقم ٣٤٧)**

الوثيقة رقم : ٤٠

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند بشأن الخلاف في هرمز بين ملك

هرمز وقاضيه ، لشبونه ، بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م .

(صفحة رقم ٣٤٩)

الوثيقة رقم : ٤١

بعث الملك رسالة إلى نائبه في الهند ، تتعلق بالخلاف بين ملك هرمز وقاضيه ، والرد عليه من نائب الملك ، بتاريخ العاشر من شهر مارس عام ١٦١٧م .

(صفحة رقم ٣٥٢)

الوثيقة رقم : ٤٢

بعث "لويس دي جاما" "Luis de Gama" رسالة إلى الملك ، بتاريخ التاسع من شهر أغسطس عام ١٦١٧م ، يخبره عن خبر من القائد في مسقط عن وجود السفن الإنجليزية ، وأنها قد دخلت مضيق هرمز .

(صفحة رقم ٣٥٥)

الوثيقة رقم : ٤٣

ورد تقرير عن حكاية المحاولة التي أقدم عليها مبارك ملك الجزيرة العربية بشأن الاستيلاء على البصرة ، بتاريخ عام ١٦١٧م .

(صفحة رقم ٣٦٥)

الوثيقة رقم : ٤٤

دوّنت أحداث الهند في الفترة من عام ١٦١٢م إلى عام

١٦١٧م ، كما جــاء في كــتاب تاريخ الهند للمؤرخ "أنطونيو بوكارو" "Antonio Bocarro" ، وجاء في عام ١٦١٧م ، دخول السفن الإنجليزية إلى بحر عُمان عند رأس الحد .

(صفحة رقم ٣٨١)

هوامش المجلد الخامس عشر

1- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), Fondo Gesuitico (FG), 241 f 10r-v.

2- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Arquivo de Simancas, Secretarias do Estado, Legajo 263.

3- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 201.

4- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 205.

5- BNL, Res. 429

- Biblioteca Pública de Évora (BPE), Res. 629

6- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 224.

7- TT, Arquivo 1: Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. °, p. II); 1865 (fasc, 5.° p. I); 1876 (fasc, 6. °, suplementos), Fasc. 6, Supp 2, doc. 1082,

- Arquivo de Goa (AG), Livro de Alvaras, No. 3, f 39v.

8- TT, Arquivo 1 , Fasc. 6, Supp 2, doc. 1059,

- AG, Livro de Alvaras, No. 2, f 147v.

9- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 226.

10- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 231.

11- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 241.

12- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 259.

13- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias do Estado, Legajo 2642 f 93.

14- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/123, 1611-1612, Doc. 298.

15- Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 51-VIII-6452 ff 152v-154v.

16- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 312.

17- TT, Arquivo 1 , Fasc. 6, Supp 2, doc. 1077,

- AG, Livro de Alvaras, No. 3, f 35.

18- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 335.

19- TT, FG, 1976 f 309r.

20- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 360.

21- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 372.

22- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 384.

23- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 385.

24- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 384.

25- TT, Documents remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/124, 1613-1614, Doc. 386.

26- TT, Arquivo 1 , Fasc. 6, Supp 2, doc. 1186,

- AG, Livro 3 de Alvaras, f 140.

27- Documenta: Documenta Indica. Edidit Iosephus Wicki S. I. Romae. Apud «Monumenta Historica Soc. Iesu». volumes: I (1540-1549), 1948; II (1550- 1553), 1950, vol. I, pp. 177-195,

- British Library (B.L.), Add Ms 28461, ff 185-209.

28- BNL, FG, No. 580, ff 34r-83v.

29- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/125, 1614, Doc. 486.

30- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/126, 1615-1616, Doc. 490.

31- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/126, 1615-1616, Doc. 520.

32- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/126, 1615-1616, Doc. 549.

33- BNL, Colleccao Pombalina (Biblioteca Nacional de Lisboa), Lisboa (POMB) 490 ff 212r-226r.

34- AG, Assentos do Conselho do Estado, pp. 583-587.

35- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/126, 1615-1616, Doc. 620.

36- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/126, 1615-1616, Doc. 784.

37- Historia da India, Antonio Bocarro, Lisboa, 1876, Decada 13, pp. 641-648.

38- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias do Estado, Legajo 374, No. 263AA.

39- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), Book IV, Doc. 814.

40- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/127, 1616-1617, Doc. 814.

41- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/127, 1616-1617, Doc. 814.

42- ANTT, Miscelanias da Graca, Tomo VI D ff 75-81.

43- ANTT, Arquivo de Simancas, Secretarias do Estado, Legajo 263.

44- Historia da India, Antonio Bocarro, Lisboa, 1876, Decada 13, pp. 7, 33-36, 56, 82-83, 174-177, 201-203, 267, 325, 345-349, 369-374, 379-380, 490-491, 511-512, 514-515, 602, 628-630, 641-648, 668-674, 721.

ISBN 978-9948-720-03-4
9 789948 720034
www.alqasimipublications.com